



# المخطوطات العربية

مجلة علمية نصف سنوية تُعنى بالمخطوطات وتحقيقتها  
وتاريخ العلوم عند العرب

تصدر عن وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب

العدد (٣) النصف الأول ٢٠٢٢

٢ غنى وتنوع

الدكتورة لبانة مشوح وزيرة الثقافة

٤ في تحقيق الغاب الأعلام  
رئيس التحرير

١٨ عن الاستشراق والترجمة  
د. فخر زين الدين

٢٠ مخطرات ابن مسافر من شروح أشعار العرب  
د. محمد شفيق البيطار د. فقيح الشام الأحمدي

٣٦ منوح شكري فيصل في تحقيق (خريدة القصر)  
د. عبد الناصر إسماعيل عساف

٦١ العلامة الدكتور محمد أحمد الدالي فارس تحقيق التراث  
أيمن بن أحمد ذو الغنى

٧٣ نشرات (الكتاب) لسبويه  
عرض وتقويم: د. محمد عماد سمير بيزيد

٨٥ مأخذ اللغويين اللغويين في كتابه (التيمة) على المتنبي  
د. إبراهيم محمد محمود

٩٨ ابتكارات تقنية من المخطوطات العربية  
د. مهسا الشعار

١١٦ مقدمة نادرة لمخطوطة رياضية في القرن الثالث عشر الميلادي  
د. مصطفى موالدي

١٣٥ قراءة في مخطوطات كيميائية من تراثنا العربي  
د. بديسة جليسي

١٥٨ المعارف التاريخية عند الرحالة العرب  
د. عباس مرهج فرج

١٧٢ التطور اللغوي في أمثال المؤندين في «مجمع الأمثال» لشمس الدين  
د. ليال أبو العز

١٨٠ الوراقة وعوامل ازدهارها في العصرين: العباسي والأندلسي  
إياد مرشد

١٩٢ الوراقة والنساخت وأشير أعلام الوراقين والمخطاطين  
أمينة الحسن

٢٠٤ وراثة الأجداد إرث الأحفاد  
هبة المالح

٢١٨ فن تجليد المخطوطات  
إيمان القاعوري

٢٣١ الخط العربي فن جميل وسيلة تعليمية  
نبيل تلولي سوزان أبو حمزة

٢٤٧ آخر الكلام: من التصحيح والشحيف في مطبوعة رسائل بدیع الزمان الهذلي  
د. محمد قاسم

رئيس مجلس الإدارة

الدكتورة لبانة مشوح  
وزيرة الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول  
نايف الياسين

رئيس التحرير

محمد قاسم

هيئة التحرير

مزيد إسماعيل نعيم  
محمد شفيق البيطار  
عبد الناصر عساف  
إياد الطباع  
هبة المالح

التدقيق اللغوي

محمد قاسم

أمينة سر المجلة

ياسمين الناصر

الإشراف الطباعي

أنس الحسن

الإخراج الفني

عبد العزيز محمد

المراسلة باسم السيد رئيس التحرير  
Email: syrbook.dg@gmail.com

السعر : ٢٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها



الدكتورة لبانة مشوح  
وزيرة الثقافة

## غنى وتنوع

يتسم هذا العدد الثالث من مجلة المخطوط العربي بتعدد الموضوعات التي تناولها الباحثون وتنوعها، كما تتميز الدراسات فيه بالعمق والمنهجية العلمية. ولا عجب في ذلك، فتلك من السمات الملازمة للمخطوطات التي أورثنا إياها أجدادنا، فما تركوا باباً إلا وطرقوه، ولا موضوعاً إلا وتناولوه تدويناً وتوصيفاً ودرساً وتمحيصاً وتحليلاً.

يجد القارئ الكريم في هذا العدد مبتغاه من البحوث التي تتناول طيفاً واسعاً من الموضوعات. يقرأ عن العلاقة بين الاستشراق والترجمة؛ ويتعرف دقائق مهن كالوراقة والنساختة والتجليد ازدهرت أيما ازدهار في العصر العباسي لتواكب ازدهار التأليف والترجمة في شتى حقول العلوم وصنوف المعرفة؛ وكذا الأمر في الأندلس التي كانت جسراً لنقل المعارف والعلوم وفنون العمارة والزخرفة والموسيقا من الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا الغارقة آنذاك في عصور الظلام، فكانت بوابتها إلى الحضارة والتقدم والأنوار.

كذلك فإن قارئ هذا العدد مدعو للتنقل من مخطوط في الرياضيات إلى آخر في الكيمياء؛ إذ المعلومة العلمية مسبوكة بلغة أدبية رفيعة، لينتقل بعدها إلى تعرف نشرات كتاب سيبويه، ويتأمل التطور الدلالي المستنبط من بعض أمثال المولدين، ويستنير بشروح بعض من أشعار العرب، ويطلع على معارف ابن بطوطة التاريخية، ويستكشف جمال الخط العربي ودوره التعليمي. كما سيتعرف اثنين من كبار المحققين المعاصرين ومنهج كل منهما، وهما العالمان المجمعان الدكتور شكري فيصل والمحقق اللغوي الدكتور محمد أحمد الدالي الذي توفاه الله في تشرين الثاني من العام الماضي.

عدد غني في محتواه، قيم في موضوعاته، وهو ما نتوخاه من مجلة المخطوط العربي، فعسى أن يجد فيه القارئ العربي المبتغى والفائدة المرجوة.

## في تحقيق ألقاب الأعلام

### رئيس التحرير

كُنْتُ إِبَّانَ تَحْقِيقِي «يَتِيمَةَ الدَّهْرِ فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ» لِأَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّعَالِبِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الْمَلَقَّبِ بِجَاحِظِ نَيْسَابُورِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٩ هـ = أَقْفُ مَلِيًّا فِي ضَبْطِ أَلْقَابِ الشُّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَسَائِرِ الْأَعْلَامِ، وَبِزَيْدِ الْأَمْرِ صَعُوبَةً اخْتِلَافُ رَسْمِ لَقَبِ الشَّاعِرِ بَيْنَ الْأَصُولِ الْخَطِيئَةِ لِلْيَتِيمَةِ، وَأَصْعَبُ مِنْهَا اضْطِرَابُ الْمَصَادِرِ فِي رَسْمِهِ أَوْ تَقْيِيدِهِ، وَتَبَايُنُ مَا حَصَلَهُ الْمُحَقِّقُونَ فِي تَحْرِيرِهِ.

«اليتيمة» مُدَوَّنَةٌ ضَخْمَةً اشْتَمَلَتْ عَلَى نَحْوِ خَمْسِمِئَةِ تَرْجَمَةٍ لِشُعْرَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ وَأَعْيَانِ كُتَابِهِ فِي مَخْتَلَفِ أَمْصَارِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، مِنْهَا مَا لَفَّهَ الْمُصَنِّفُ مِنْ أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ، وَمِنْهَا مَا تَطَرَّفَهُ مِنَ التَّعْلِيقَاتِ وَالْأَسْفَارِ مِمَّا لَمْ يَجِدْ لِأَصْحَابِهَا أَشْعَارًا مَجْمُوعَةً يَتَفَسَّحُ فِي اجْتِلَابِ الْغُرَرِ مِنْهَا، وَفِي هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّرَاجِمِ وَقَعَ الثَّعَالِبِيُّ فِي سِهَاءِ وَأَوْهَامِ، وَلَا سِيَّمَا فِي الْبَابِ النَّاسِعِ «مُلْحِ أَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ» مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ «فِي مُحَاسِنِ أَشْعَارِ آلِ حَمْدَانَ وَشُعْرَائِهِمْ»، فَفِيهِ كَرَّرَ تَرَاجِمَ لِشَاعِرٍ وَاحِدٍ، كَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الَّذِي تَرَجَمَ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ دُونَ أَنْ يَفْطَنَ لِدَلِكِ، وَتَرَجَمَ لِأَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْيَتِيمِ النَّحْوِيِّ مَرَّتَيْنِ، وَلِحَبِيبِ بْنِ أَحْمَدَ مَرَّتَيْنِ، وَمَا أَنْشَدَهُ لَهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ثَابِتُ النَّسْبَةِ فِي مَصَادِرِ أُنْدَلُسِيَّةٍ وَمَشْرِقِيَّةٍ لِمَلِيحِ الْأَنْدَلُسِيِّ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وَلِلْأَمِيرِ تَمِيمِ ابْنِ مَعَدِّ صَاحِبِ مِصْرَ مَرَّتَيْنِ، وَلِيُوسُفِ بْنِ هَارُونَ الْبَطْلَيْوسِيِّ مَرَّتَيْنِ، وَتَرَجَمَ لِمُؤْمِنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ قَيْسِ الْمُتَوَفَّى (ت ٢٦٧ هـ)، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ زَمَانِ شُعْرَاءِ الْيَتِيمَةِ.

وَرَأَيْتُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَنَّ أُنْبَهَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَلْقَابِ:

### الأول: المشوق الشامي

وَقَعَ لِقَبُّهُ فِي مَطْبُوعَةِ الْيَتِيمَةِ الْحَفْنِيَّةِ: الْمَمَشُوقُ، وَوَقَعَ فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ عَلَى ثَلَاثِ صُورٍ: ٢ / ٢٣٠ الْمَشُوقُ، وَ ٧ / ١٧ الْمَشُوقُ، وَ ٣ / ١٩٥ الْمَشُوقُ، وَتُرِكَ بِلَا ضَبْطٍ فِي مَوَاضِعَ.

وَسَمَّاهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢ / ٩٥٢: الْعَبَّاسُ الْمِصْبِيَّ الْخِيَّاطَ الْمَعْرُوفَ بِالْمَشُوقِ.

وَفِي تَارِيخِ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرَ ٦٤ / ٥١: الْمَشُوقُ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَبَّاسُ الْمَشُوقُ الشَّامِيُّ، فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ (ت ٣٨٢ هـ) فِي الْمَصُونِ ٨٠

أَنَّ الْعَبَّاسَ الْمَشُوقَ سُمِّيَ الْمَشُوقَ بِقَوْلِهِ:

حَمَى فِيهَا الْكَرَى عَيْنِي بَيْتٌ      كَأَنَّ سَمَاءَهُ عَيْنُ الْمَشُوقِ



## الثاني: المعوج الرقي

محمد بن الحسن الرقي يكنى أبا بكر، ويعرف بالمعوج الشامي الشاعر، كان دقيقاً، دقيق الوجه، أشهل، معوج الوجه (ت ٣٠٧ هـ). نشوار المحاضرة ٢ / ٢٢٤.

وقد خلط الناس في ضبطه، فشدوا الواو مفتوحة أو مكسورة، وأثر بعضهم السلامة، فتركه عطلاً عن الضبط، والصحيح أنه المعوج؛ إذ وقع لقبه بهذه الزنة في شعر صاحبه الصنوبري مرتين ٧٢، ٢٢٨:

عنى بشعر المعوج من طرب غناء صب الفؤاد مضرور

و:

كان هذا القريض حياً فحتى حين مات المعوج مات القريض

ويزيدك أنساً بهذا الضبط عبارة نشوار المحاضرة في وصفه: معوج الوجه، وكذا ضبط في أحد أصول البيتية الخطية.

## الثالث: حبيب بن المهلب، المنبوز بالحرون

أنشد الثعالبي لأبي فراس:

وللعار خلى رب غسان ملكه ولم يرتغب في العيش عيسى بن مضعب  
وفارق دين الله غير مصيب ولا خف خوف بالحرون حبيب

لما كان يوم مسكن وهرب الناس عن مضعب بن الزبير قال لابنه عيسى:

يا بني انج إلى نجائك؛ فإن القوم لا حاجة بهم إلى غيري، وستلت بحيلة أو بقيا، فقال: يا أبتاه لا أخرجت والله عنك أبداً.

فقال: أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم في أسارىك وأنت تطلب في مهديك! فقتل بين يدي أبيه.

الكامل ٢ / ٦٥٩ - ٦٦٠، والتذكرة الحمدونية ٢ / ٤٢١ - ٤٢٢.

وأما الحرون فقد ورد رسمه في مطبوعة البيتية الحفنية ومخطوطة المكتبة العثمانية بحلب: بالحرون حبيب

[كذا]، وسقط البيت من مخطوطة الظاهرية، ووقع العجز الذي فيه لقبه في ديوان أبي فراس والحماسة المغربية:

ولا خف خوف الحرب قلب حبيب

والحرون: حبيب بن المهلب، كان ربما انهزم عنه أصحابه، فلا يريم مكانه، فكان يلقب بالحرون؛ لأنه يحرن

في الحرب، فلا يبرح، وفيه يقول الشاعر:

وما خير عيش بعد قتل محمد وبعد يزيد والحرون حبيب

الكامل ١ / ٤٠٢، والتاج [ح ر ن].

فهذه ثلاثة ألقاب غالها ما غالها من التصحيف والتحريف، أصلحت بالتأتي؛ ورن بعضها في شعر

أثقت فيه، ونص على تفسير اللقب بما ورد في شعر صاحبه، وتتبع لسيرة العلم والتقاط ما يعين على

ضبطه وتخليصه.

# عن الاستشراق والترجمة

## ثائرزين الدين

### أولاً- في المصطلح:

لن نجد مفهوماً واحداً أو تعريفاً جامعاً لمصطلح «الاستشراق»، فقد اختلفت وجهات نظر الباحثين والدارسين إليه تبعاً لزاوية الرؤية أو بمعنى آخر لموقفهم منه، فإدوارد سعيد يرى «أن الدلالة الأكثر تقبلاً للاستشراق دلالة جامعيّة (أكاديميّة) ... فالملصقة ما تزال مستخدمة في عدد من المؤسسات الجامعيّة، فكل من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه - ويسري ذلك سواء أكان المرء مختصاً بعلم الإنسان (إنثروبولوجي)، أم بعلم الاجتماع، أم مؤرخاً، أم فقيه لغة (فيلولوجياً) - في جوانبه المحددة والعامّة على حدّ سواء، هو مستشرق، وما يقوم هو أو هي بفعله هو استشراق»<sup>(١)</sup>، ويرى سعيد أن مصطلحاً مثل: الدراسات الشرقيّة، أو الدراسات الإقليميّة هو أكثر تفضيلاً من «الاستشراق» لدى المختصين لسببين أوّلهما أن هذا المصطلح ما يزال مصطلحاً غائماً وعماماً، وثانيهما أنه يتضمّن الموقف التنفيذي السلطوي للاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين<sup>(٢)</sup>. ويخلص سعيد إلى ما يشبه تعريفاً محدّداً للاستشراق فيقول: «يمكن للاستشراق أن يُناقش ويحلّل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق - التعامل معه بإصدار تقارير حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، بوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه.

١ - إدوارد سعيد، الاستشراق / المعرفة- السلطة - الإنشاء: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٥، ١٩٩٥ ص٢٨.  
٢- نفسه.



وبإيجاز، الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه»<sup>(٢)</sup>. ويؤكد أدونيس أن المصطلح عام، «كل عبارة عمومية تتضمن أخطاء كثيرة جديدة، وكل مفهوم يجب أن يتم البحث به خارج العموميات، يجب أن ينظر إلى كل مفكر على حدة، هناك مستشرقون ضد الاستشراق، يوجد مستشرقون فكروا عربياً، أكثر من المفكرين العرب أنفسهم. مثلاً «جاك بيرك» كان مستشرقاً، لكنني أعدته مفكراً عربياً خدم العرب بشكل يفوق ما قدمه كثير من المفكرين العرب، ويمكن القول إن المفكر العربي «ابن خلدون» على سبيل المثال، كان بلغة الاستشراق مستشرقاً لأنه انتقد بعض الممارسات أو التقاليد العربية، الخطأ هو الإلحاح على المسألة السياسية في النظر إلى الاستشراق»<sup>(٤)</sup>.

وعليه فإننا نجد ما يشبه الاتفاق عند كثير من الباحثين العرب أن المستشرقين عموماً هم مجموعة من الناس منهم أساتذة وباحثون أكاديميون يعملون في ميادين الدراسات الشرقية فيدرسون العلوم والفنون والديانات والآداب والتاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق كالهنود والفرس والصينيين واليابانيين والعرب وغيرهم من الشعوب<sup>(٥)</sup>. وعلى كل حال فإن هذه الظاهرة التي لا نستطيع أن نحدد بدايتها الحقيقية بدقة، وقد انطلقت أساساً بشكل عضوي، وكان الهدف منها التعرف إلى الشرق سرعان ما أصبحت حركة منظمة لها كوادرها ومؤسساتها المتعددة

٢- نفسه، ص ٢٩.

٤- خطوة نحو أدونيس، حوارات أجرتها وفاء الخطيب، دار رسلان، دمشق ٢٠١٣، ص ٧٤.

٥- انظر كلاً من: د. ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٢، ط١ و: د. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠، ص ٩.

ويمكن أن نقول: لها مدارسها؛ فالاستشراق الفرنسي والإنكليزي يختلف عن الإسباني والروسي، والروسي مثلاً يختلف عن الألماني... وما إلى ذلك، كما أن كثيراً من الدوافع المختلفة تكمن خلف الاستشراق؛ منها الدوافع الدينية والاستعمارية والاقتصادية والعلمية وآخرها المعرفية<sup>(٦)</sup>.

وقد توسّل الاستشراق كثيراً من الوسائل، واستخدم أدوات كثيرة لتحقيق غاياته المتباينة، ويمكن أن نذكر منها: الرحلات والزيارات إلى الشرق، العمل الجامعي (بما يعنيه من معاهد متخصصة في شؤون الشرق، وتدريس، وكراسي للدراسات الشرقية، ومؤتمرات وندوات وتنظيم المحاضرات وغيرها) وجهود نشر الكتب والمعاجم والموسوعات، والعمل الصحفي وإصدار الدوريات المتخصصة التي بلغت منذ وقت قريب نحو (٣٠٠) مجلة<sup>(٧)</sup> بلغات مختلفة، إضافة إلى جهود المستشرقين الجبارة في أعمال الترجمة، وفي دخول بعضهم إلى المجامع العلمية العربية ولا سيّما اللغوية منها (المستشرق هاملتون جب العضو المؤسس في مجمع القاهرة، د. طمسون رئيس المجمع اللبناني العلمي ١٨٤٧، كارل نلليو عضو مجمع القاهرة، لويس ماسينيون، عضو مجمع القاهرة، ألفريد جيوم عضو المجمع العراقي، آسين بلاسيوس وكراشكوفسكي عضوا المجمع السوري... إلخ).

وسنحاول في بحثنا هذا التوقف عند الدور الكبير الذي أدّته الترجمة والمترجمون من العربية إلى لغاتهم الأمّ ضمن حركة الاستشراق، باعتبار الترجمة واحدة من أدوات الاستشراق التي أشرنا إليها.

### ثانياً- الترجمة ومد جسور التواصل الثقافي:

لوتعمنا في التاريخ لأدركنا أن الترجمة تؤدي دوراً كبيراً في تشكيل العلاقات الثقافية وتطويرها بين الأمم. فموضوعات الأدب تصبح أكثر تنوعاً وثراءً عبر الترجمة. اللغة نفسها تتسع وتصبح أغنى وأعمق. نحن نتعرّف إلى نمط حياة الشعوب الأخرى، وثقافتها، وعاداتها، وتقاليدها، وتاريخها، وأدبها، إضافة إلى علومها المختلفة بفضل الترجمة. وبصورة مماثلة ومنطقيّة فإن شعوب العالم الغربي على سبيل المثال ومن خلال ترجمة أدب الشرق استطاعت أن تحصل على شواهد تميّز حياة الشرق الروحية والاجتماعية.

وقد أثبت تاريخ الشعوب جميعها أنّها في مراحل نهوضها وانطلاقها لبناء حضارتها تكون أحوج ما تكون إلى ترجمة آثار الأمم الأخرى وإنجازاتها في مختلف وجوه المعرفة، ولا بأس من أن نعود قليلاً على عجالة إلى تاريخنا نحن العرب لإثبات ذلك.

يرى الباحثون أنّ حال اللغة العربية وآدابها قد تغيّرت في العصر الأموي عمّا كانت عليه في الجاهلي، فرقت الأساليب وقلّ التنافر والوحشي، واتسعت أغراض الشعر خاصة، وكثرت مع اتساع مطالب الحياة الجديدة؛ ولا غرو في ذلك، فقد تغيّرت حياة العرب؛ السياسية والاجتماعية والدينية؛ بفعل فتوحاتهم ومغازيهم ووقوفهم على إنجازات مدنيات مجاورة كانت ذات حظ من العلم والمعرفة، ومن ذلك على سبيل المثال ما قام به خالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل مروان، فقد أحضر جماعة من فلاسفة اليونانيين - كما يذكر النديم صاحب الفهرست -

٦- نفسه، الصفحات (٢٤ - ٨٤).

٧- نفسه، ص ٥٢.





ممن كان ينزلُ مدينةَ مصر وقد تفصحَ بالعربيَّة، وأمرهم بنقلِ الكتبِ في الصنعة من اللسانِ اليوناني والقبطي إلى العربي. ثمَّ نقل الديوان وكان باللغة الفارسيَّة إلى العربيَّة أيامَ الحجَّاج، وقد نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم، وفي الشام كان الديوان بالروميَّة، وقد نُقلَ إلى العربيَّة زمنَ هشام بن عبد الملك، ونقله أبو ثابت سليمان بن سعد.

ولنا أن نخيلَ أهميَّة مثل هذا الأمر على شؤون الدولة وسجلاتها ومراسلاتها واقتصادها وما إلى ذلك. ولكن الوثبة العالية في حركة الترجمة والنقل عند العرب كانت في العصر العباسي، وجاءت على ثلاثة أدوار<sup>(أ)</sup> أوَّلها من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من سنة ١٣٦ هـ إلى سنة ١٩٣ هـ وقد اشتغلت في هذا الدور الطبقة الأولى من المترجمين نذكر منهم: يحيى بن البطريق، وجرجيس بن جبرائيل الطبيب عاش سنة ١٤٨ هـ، وعبد الله بن المقفع الذي قتل نحو ١٤٢ هـ، ويوحنا بن ماسويه، وسلام الأبرش وغيرهم.

والدور الثاني: وهو الأوسع والأغزريبدأ من ولاية المأمون سنة ١٩٨ هـ إلى ٣٠٠ هـ، وتهضُّ بمهمة الترجمة في هذا الدور الطبقة الثانية من المترجمين ومنهم: يوحنا البطريق، الحجَّاج بن مطر الذي عاش سنة ٢١٤ هـ، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق، وابنه إسحاق بن حنين، وثابت بن قُرَّة الصابي. وحبيش بن الحسن (حبيش الأسم)، وقد ترجم هؤلاء وغيرهم عشرات الكتب المهمة؛ منها كتب أبقراط وجالينوس وأرسطو طاليس وأفلاطون.

٨ - لمزيد من التوسع انظر: «عصر المأمون» د. أحمد مزيد رفاعي، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة، ١٩٢٨، ص ٢٧٩-٢٩٨.



ويبدأ الدور الثالث من سنة ٣٠٠ هـ إلى منتصف القرن الرابع ومن مترجمي الطبقة الثالثة: متى بن يونس، الذي كان ببغداد بين عامي ٢٢٠ هـ - ٢٢٠ هـ، وسنان بن ثابت بن قُرّة المتوفى سنة ٢٦٠ هـ، ويحيى بن عدي، وعيسى بن سهر بخت، وهلال بن هلال الحمصي، وأبو علي بن زُرعة. والجميل أن الترجمة في الأدوار الثلاثة السابقة لم تكن عن لغة واحدة، بل نُقلت عيون الكتب عن اليونانية والفارسية والهنديّة والقبطيّة واللّاتينيّة والنبطية والسريانيّة والعبريّة.

لقد نقل المترجمون الرّائعون عن اليونانيّة مثلاً كثيراً من كتب الفلسفة والأدب منها كثير من كتب أفلاطون «السياسة - المناسبات - النواميس - طيماسوس - كتاب أفلاطن إلى أقرطن التوحيد - الحس واللذة - أصول الهندسة» وقد ترجمها على التسلسل «حنين بن إسحاق - يحيى بن عدي - حنين ويحيى - ابن البطريق وأصلحه حنين - يحيى بن عدي - يحيى - يحيى - قسطة بن لوقا»، ونقلت كتب أرسطوطاليس ومنها «قاطيفورياس (المقولات) : حنين بن إسحاق - كتاب العبارة : نقله حنين إلى السريانية وإسحاق إلى العربية - تحليل القياس: ثيادروس وأصلحه حنين - كتاب البرهان: إسحاق إلى السريانية ومتى إلى العربية - الخطابة: إسحاق وإبراهيم بن عبد الله - كتاب الشعر: أبو بشر من السريانية إلى العربية - كتاب النفس - كتاب الحس والمحسوس - كتاب الحيوان - كتاب الأخلاق - وغيرها الكثير...»

كما نقل المترجمون كتباً في الطب وفروعه منها كتب أبوقراط: «الفصول - الكسر - مقدمة المعرفة - الأمراض الحادة - أيديميا - الأخلاط - الماء والهواء - طبيعة الإنسان...». ونقلت معظم كتب جالينوس، وكان الفضل في ذلك لحبيش الأعمش وحنين وأصطفان وغيرهم، ومن هذه الكتب: «التشريح الكبير - اختلاف التشريح - تشريح الحيوان الحي - تشريح الحيوان الميت - علم أبقراط بالتشريح - الحاجة إلى النبض - علوم أرسطو - تشريح الرحم - آراء أبقراط وأفلاطون - العادات - خصب البدن - المنى - منافع الأعضاء - تركيب الأدوية - الرياضة بالكرة الكبيرة - الرياضة بالكرة الصغيرة - الحث على تعليم الطب - قوى النفس ومزاج البدن»، وكلها ترجمها حبيش الأعمش، وترجم آخرون أعمالاً كثيرة له بلغت نحو خمسين كتاباً<sup>(٩)</sup>.

وترجمت في الرياضيات والنجوم والهندسة والموسيقا والميكانيك كتب كثيرة منها لإقليدس وأرخميدس، وأبلونيوس، ومنالوس، وبطليموس القلودي، وأبرخس، وذيوفنطس وفيثاغورس، ومورطس وغيرهم. وهناك عشرات الكتب عن الفارسيّة وعلى رأسها ما ترجمه ابن المقفع، وبعضها ما زال بين أيدينا، وبعضها أدى دوراً مهماً جداً في النهضة الأدبيّة في أوربا بعد أن ترجم إلى لغاتها عن العربيّة، من هذه الأعمال: (كليلة ودمنة - الأدب الكبير - الأدب الصغير - اليتيمة - التاج في سيرة أنوشروان - مزدك) وغيرها الكثير... وكيلاً نطيل في استعراض الأعمال العظيمة التي نقلها هؤلاء المترجمون نكتفي بما ذكرناه<sup>(١٠)</sup>.

٩- نفسه، ص ٢٨٤، ٢٨٥.

١٠- يمكن العودة إلى المرجع السابق واستعراض بعض ما ترجم عن اللغات الأخرى التي ذكرناها. الصفحات (٢٨٧-٢٩٧).

والحقيقة أنه بفضل هذا الجهد الكبير وغيره بلغت الدولة العباسية وعصر المأمون منها خاصة مبلغاً كبيراً من التقدم الحضاري، أرقى بمراحل مديدة من حالة أوربا وملوكها وممالكها، يقول الدكتور «طوطح»<sup>(١١)</sup> في رسالته الإنكليزية عن حالة التعليم عند العرب: «إنه بينما كان شارلمان يتعلم القراءة مكباً على مطالعة رسائله مع أترابه في مدرسة القصر، كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشة أفضيتها هناك في بغداد».

ولقد كان لحركة النقل والترجمة هذه فضلٌ كبيرٌ على زيادة الثروة اللفظية في اللغة العربية في الميادين كلها، فهل كان لدينا في الجاهلية أو صدر الإسلام ذلك التراث العظيم من الألفاظ الطبية والمصطلحات وأسماء الأدوية والأمراض والجراحة... أو تلك الألفاظ الهندسية والرياضية والاقتصادية وسواها، كما كان لحركة النقل تأثيرها في السمو بالعقلية العربية عموماً وبالمدنية العربية.

وحين نذكر عصر الانبعاث في أوربا لا بد أن نتذكر مجموعة من أسماء عظماء علماء الشرق، منهم: محمد الخوارزمي، أحمد الفرغاني، أبو نصر الفارابي، ابن سينا، أبو ریحان البيروني، ابن رشد، وغيرهم الكثير. لقد انتشرت كتب المفكرين الشرقيين انتشاراً واسعاً، وشغلت أماكن مهمة جداً في البرامج التعليمية للجامعات والمعاهد الغربية، وصنعت قاعدة لتطور العلوم في تلك الدول مثل إسبانيا وفرنسا، وإيطاليا وبريطانيا.

إن مجموعة من الأعمال الإبداعية الشهيرة مثل «ألف ليلة وليلة» و«سندباد» و«كليلة ودمنة» وغيرها مما يجسد الفلسفة الشرقية نالت بفضل الترجمة مجداً عالمياً. ويلاحظ المستشرقون الإنكليز التأثير الإبداعي المثمر للأدب العربي، والفارسي، والهندي والتركي في الأدب الإنكليزي.

إن أشعار الحب الحرّ المتشربة بروح سامية، التي مزجت ما بين روح الشرق والغرب، وقدمها مبدعون مثل: ج. بايرون، ت. مور، أ. تينسون، ف. تيككيرا، ر. ساوتين بلغت أوج الشهرة والمجد. وأصبح مبدعوها أصحاب اتجاه أدبي جديد - «الطريقة الشرقية».

إن مايكل سكوت الذي عاش في القرن الثالث عشر، واتبَع الترجمة المتسلسلة، بحيث ترجمَ عن العربية إلى الإنكليزية عشرات الأعمال العلمية والأدبية، ومنها أعمال لـ ابن سينا، وابن رشد جعلَ من تلك الأعمال مؤثراً بارزاً على الفلاسفة الإنكليز الشباب، وقد كان من المعجبين المتحمسين للثقافة الشرقية نخبة من الفلاسفة المشهورين مثل ر. بيكون، والشعراء من أمثال ج. تشوسير وليدغيت وغيرهما.

والحقيقة أن مجموعة من علوم العرب أثرت بصورة جلية على نهضة الحضارة الأوربية، وكان ذلك بعد أن ترجم أولئك الأوربيون نتاج العلماء العرب والمسلمين. يقول المستشرق الألماني البروفيسور هارتموت أوتو بوبتسين في سياق حديثه عن ذلك: «أعتقد أن الفلسفة تأتي في المقام الأول، ولا سيما فلسفة ابن رشد، لأن الأوربيين تعرفوا هذه الفلسفة في الأندلس، وكان لابن رشد تأثير كبير في تطور الفلسفة المسيحية في النصف الثاني من القرون



الوسطى. ثم يأتي الطب في المرتبة الثانية؛ فقد كان لكتاب ابن سينا «القانون في الطب» الذي ترجم إلى اللاتينية تأثير مباشر على الطب الأوربي، وعن طريقه أعادت أوروبا اكتشاف جالينوس (الذي توفي نحو ٢٠٠ م)، وكان يعد أهم طبيب في العصر القديم»<sup>(١٢)</sup>، ويؤكد هارتموت أن ترجمات العرب لكتب جالينوس هي التي حمتها من الموت، وعرفت أوروبا إليها، ويضيف أن للأطباء العرب بصمات واضحة على مسار الطب الأوربي وتدرسه في الجامعات الأوربية التي بقي بعضها يدرّس الكتب العربية حتى منتصف القرن السابع عشر كجامعة هربون herborn على سبيل المثال. ويذكر هارتموت أن علم الفلك يأتي في المرتبة الثالثة بين العلوم العربية وما ترجم عن العربية - ولا سيما إلى اللاتينية - وأدى دوراً لا ينسى في النهضة الأوربية.

وأشار علماء غربيون أنه في الزمن الذي ظهرت فيه في أوروبا تيارات من الاضطهاد والعنف، وكانت مبنية على أساس رفض الحياة الإنسانية، في مرحلة التجديد، لعبت أعمال مبدعين ومفكرين شرقيين مشبعة بفكرة كمال الإنسان وخلوده دور الدافع لتكوين أو بناء فكرة عن أن الإنسان إنما هو - زهرة، وهو هدف بناء العالم أو وجود العالم.

إننا بدراسة تاريخ الروابط الثقافية المتبادلة بين الشرق والغرب نصبحُ شاهدين على المقدار الكبير لدور الترجمة في التعاون الثقافي بين الأمم والقوميات.

١٢ - الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص ١٢٨.

وكان شيخ المستشرقين الفرنسيين سلفستر دي ساسي (١٧٥٨-١٨٣٨) ، بل مؤسس الاستشراق الفرنسي الذي كان ضليعاً بمعرفة العربية وإتقانها قد ترجمَ عديداً من الكتب التراثية العربية إلى الفرنسية، منها كتاب «حياة الحيوان الكبرى» لكمال الدين الدميري، و«مقامات الحريري» و«حياة المتصوفة» و«كليلة ودمنة»، كما ترجم الإنجيل إلى السريانية والعربية، وترجم إلى الفرنسية أيضاً «فريد الدين العطار» و«أحمد بن علي المقرئ»، وقد اقترح هذا المستعرب بعد احتلال نابليون مصر تأسيس الجمعية الآسيوية، التي راحت تصدر «المجلة الآسيوية» في عام ١٨٢٢، ولو تحدثنا عن أعماله الأخرى، أعني ما يدخل ضمن باب تحقيق المخطوطات والتأليف لوجدنا له كثيراً من الأعمال والجهود، ومنها ما يتعلق بقواعد العربية ونحوها «أنطولوجيا النحو ١٨٢٩»، و«الألفية ١٨٣٣»، و«مختارات أدبية عربية - ١٨٠٦» وغيرها الكثير... ولنا أن نخيل الدور الكبير لمثل هذا المستعرب والمترجم في مد جسور العلاقات الثقافية بين أمتين مختلفتين (العربية والفرنسية)، ومثله كثير في تاريخ الاستشراق الفرنسي. ممن لا نستطيع إلا أن نستذكر أسماءهم حين نذكر الاستشراق الفرنسي، ومن هؤلاء لوي ماسنيون - (١٨٨٣-١٩٦٢) الذي قدّم من الجهود العظيمة في هذا الباب «ما جعل الأوروبيين يفهمون العلاقة الموجودة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، إذ تمكن من شرح هذه العلاقة من خلال الرجوع إلى منابع، التي رآها في إبراهيم كنموذج للتوحيد. لقد دمّج ماسنيون بين الروح المسيحية والروح الإسلامية، وقارن بين الديانتين بكل حُب وإيمان...»<sup>(١٣)</sup> واستطاع فعلاً من خلال دراسته للتصوف وللحلاج وإصداره كثيراً من الكتب عنه «عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية ١٩٠٩» و«كتاب العطار عن الحلاج ١٩٤٦» و«أخبار الحلاج ١٩٧٥»، أن ينصف جوانب عديدة في التراث العربي الإسلامي، لقد رأى أن الغرب الحالي يفتقد إلى البعد الروحي في حين أن الشرق الإسلامي طافح به، ولهذا اتجه نحوه، ودرس التصوف الإسلامي - ولا سيما بعده النفسي - بعمق.

ومن هؤلاء أيضاً إيتين مارك كاترمير (١٧٨٢ - ١٨٥٦) الذي اهتم كثيراً بمخطوط «خطط المقرئ»، ولفت انتباه المستشرقين إليه وهو الذي يُعد أقدم كتاب متخصص في التاريخ العمراني، وفيه يقول كاترمير: «إنه لا توجد من مدينة شرقية يمكن أن تفخر بمؤلف يبلغ مرتبة «الخطط» من حيث الاكتمال والطرافة كما هو الحال مع القاهرة»<sup>(١٤)</sup>، ولقد ترجم هذا المستعرب إلى الفرنسية كثيراً من الأعمال، منها «السلوك لمعرفة الدول والملوك للمقرئ»، و«تاريخ السلاطين المملوكين في مصر»، و«تاريخ المغول في بلاد فارس». ومن أهم ما ترجمته إلى الفرنسية هو «مقدمة ابن خلدون»، ونشر الكتاب عام ١٨٥٨، بعد وفاته بعام. وقد بقيت هذه الترجمة واحدة من أهم المصادر للباحثين الغربيين. وهو بترجمته «خطط المقرئ» و«مقدمة ابن خلدون» قدّم للحضارة الغربية شريانيين مهمين في نهضتها هما: العمران وعلم الاجتماع، اللذان أبدع فيهما العرب، وسبقوا الأمم الأخرى....»<sup>(١٥)</sup>. ولا يمكننا في هذا السياق أن ننسى دور مستشرق مثل ريجيس بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣)، هذا المستشرق الذي

١٢- د. شاكر نوري، جاذبية الاستشراق الفرنسي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، مايو ٢٠١١، ص ٤٦.

١٤- نفسه، ص ٢٨.

١٥- نفسه، ص ٣٠.

أغرم بشاعر العربية العظيم أبي الطيب المتنبي، ووضع فيه أطروحة دكتوراه حملت عنوان «ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين» كما ترجم إلى الفرنسية مجموعة من أعمال كبار شعراء العرب كامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والخنساء، والمعري، وبشار بن برد، وقد ترجم أيضاً «معاني القرآن الكريم» عام ١٩٤٩، مع أنه كان قد ترجم إلى الفرنسية منذ منتصف القرن السابع عشر، ومنه نقل إلى الإنكليزية والهولندية، لكن ما ميّز ترجمته أنه قدم ترجمة إبداعية<sup>(١٦)</sup>، وأرفقها بتفسيرات وشروحات ضرورية للقارئ الأوروبي.

وكيلاً نغفل مسألة ترجمة الآثار العربية إلى الشرق لا بد لنا من ذكر نخبة من كبار المستعربين الروس الذين نقلوا مئات الأعمال العربية الإسلامية إلى الروسية كان من أولها ترجمة الدكتور بيوتر بوستيكوف للقرآن الكريم عام (١٧١٦) عن الفرنسية بالطبع، أيام بطرس الأكبر الذي اهتم بصورة خاصة بالشرق وتراثه، بالإسلام تحديداً لأنه رأى فيه فلسفة ومنهاجاً يسير على ضوئها رجال الحكم في المناطق الإسلامية، وربما لهذا السبب عين الأمير المدايف الأصل كانتيمير (١٦٧٣-١٧٢٣)، الاختصاصي في قضايا الشرق الإسلامي مستشاراً له في قضايا الشرق، وهو من أدخل إلى روسيا أول مطبعة ذات حروف عربية، وبواسطتها تمكن القيصر من طباعة أول بيان روسي موجه إلى المناطق الواقعة تحت السلطة العثمانية، والمستشرق كانتيمير كان من أوائل المستشرقين الروس الذين أعطوا صورة موضوعية عن الشرق والإسلام، ففي بحثه المكتوب باللاتينية تحت عنوان «De religion et statu imprii» الذي ترجمه إلى الروسية أليينسكي، أعطى المؤلف صورة علمية سلّطت الضوء على ظروف النشأة التاريخية لمحمد (ص)، وبعدها يتناول كيف حاول الأتراك توظيف الإسلام لمآربهم السياسية الخاصة<sup>(١٧)</sup>. ومن هنا يرى الكثيرون انطلاق الاستشراق الروسي الذي تمثّل بخطوات عملية كان لها دورها الكبير لاحقاً، ومنها «تحضير كوادر روسية اختصاصية في الشرق، وتأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغات الشرقية، ولدراسة الحضارات الشرقية، وجمع المخطوطات والمسكوكات والآثار الشرقية في أماكن مخصصة لها، وترجمة الأدبيات الأوروبية عن الشرق، وبداية تحقيق المخطوطات الشرقية»<sup>(١٨)</sup>.

ويزداد الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية في مرحلة القيصرية كاترينا التي تصدر قراراً بتاريخ ٢٧ أيلول ١٧٧٢ يقضي بإلزامية تعليم اللغة العربية في المدارس المختصة بتعليم اللغات الشرقية إلى جانب التتريّة والفارسية والبخارية.

وسيزداد اهتمام الروس أدبياً وعلمياً بالثقافة العربية بعد ترجمة كتاب «ألف ليلة وليلة» بين أعوام (١٧٦٣ - ١٧٧١)، إذ طبع بعد ذلك مراراً (١٧٧٦-١٧٨٩ - ١٧٩٦-١٨٠٣)، فأحدث ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية الروسية، وأثر بصورة واضحة في إبداع كثير من الأدباء الروس، الذين نسجوا حوله مئات من القصص والأعمال، وكل ذلك بسبب ما فيه من خيال رائع غني، جاء بدلاً لتلك ينباع الكلاسيكية التقليدية التي كان الغرب قد ملّها!

١٦- نفسه.

١٧- د. سهيل فرح، الحضارة الروسية وأسئلة الهوية والآخر - العربي، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠١٠، ص ١٨٢.

١٨- نفسه، ص ١٨٢.



ثم ترجم أدباء روس قصصاً وحكايات شرقية وعربية أخرى ونوادير ولا سيما عن الفرنسية في ذلك الوقت، منها: «طرائف آسيوية»، «حكايات شرقية»، وقد تعمق هذا الاهتمام لاحقاً بإنشاء مدرسة استشراقية روسية مستقلة في جامعة خاركوف (١٨٠٤) م، وتبعها التحاق باحثين ومستشرقين في مدينة روسية أخرى مثل قازان وبعدها موسكو ثم بطرسبورغ بركب الاستشراق.

ففي موسكو بدأ البروفيسور الروسي بلديريف (١٧٨٠-١٨٤٢) بتدريس العربية في جامعة موسكو، وقد أصدر كتباً بالعربية في جامعة موسكو، ومنها كتبٌ في «النحو والصرف»، وكان لبلديريف وتلامذته فضل كبير في ترجمة قصص وحكم شرقية نشرت في المجلات الروسية، ومن تلامذته كاركونوف (١٨٠٦-١٨٥٨) الذي ترجم قصائد للنابغة الذبياني، وقد أسهم بلديريف في تعريف الأدباء الروس الكبار من أمثال ليرمنتوف وغونشيرييف آداب العرب وحضارتهم، وترك عدداً من القصائد والقصص عن الشرق العربي عكست حبه وتعلقه بالأدب العربي<sup>(١٩)</sup>. ولا تنتهي قائمة المستشرقين- المستعربين الروس التي تجعلنا ننحني احتراماً لجهود أصحابها في نقل الثقافة العربية والإسلامية إلى جمهور واسع من الشعب الروسي والناطقين بالروسية وتوضيح صورة هذه الثقافة، الصورة الحقيقية غير المملوكة بتصوّرات الفكر الاستشراقي المركزي الأوروبي المؤمن بـ «رقي الغرب» و«دونية الشرق»، ومن هؤلاء المستشرقين الكبار الذين ترجموا وحققوا مئات الأعمال العربية: فريين مؤسس المتحف الآسيوي والمنشرف عليه حتى مماته (١٨٥١)، وواضع دراسة مهمة عن «ابن فضلان» - ١٨٢٣، وسنكوفسكي الذي أصدر «قصص شرقية» و«مذكراتي عن سورية» وحرّر مع تلامذته «القاموس الموسوعي - الذي صدر في بطرسبورغ ١٨٢٥-١٨٤١»، وأشاد بأعماله بوشكين وكلوهيربرغ وتشرينشيفسكي، وتيجوليف الذي ترجم عن العربية «رحلات السنديباد»، وقصائد للمتنبّي وأخرى لشاعر مصري: عمر بن فريد (القرن الثالث عشر).

والحقيقة أنه بفضل كل من سنكوفسكي وفريين ازداد اهتمام المثقفين والمبدعين الروس بالثقافة العربية والإسلامية عموماً، فرأينا شاعراً بأهمية بوشكين يغوص عميقاً في الثقافة العربية، ويتأثر بكثير من أعمالها الأدبية والفكرية وسواها، ومن ذلك تأثره بـ «ألف ليلة وليلة» الذي بدا جلياً في قصائده «روسلان ولودميلا - ليالٍ مصرية - أندجيلو - القمر يتألق - التعويذة»<sup>(٢٠)</sup>. ومن ذلك أيضاً تأثره بالقرآن الكريم والسيرة النبوية، فقد بدا الأمر واضحاً في كثير من النصوص أهمها «الرسول» أو «النبّي»<sup>(٢١)</sup> التي كتبت عام ١٨٢٦، و«قبسات من القرآن ١٨٢٤»، وتضم تسع قصائد، قال فيها شيخ النقاد الروس بيلنسكي «إنها ماس يتألق في إكليل من أشعار بوشكين»<sup>(٢٢)</sup>.

١٩- نفسه، ص ١٨٩.

٢٠- د. مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٥٥، الكويت، نوفمبر ١٩٩١، ص ٧٥-٧٦.

٢١- ترجمت هذه القصيدة أكثر من مرّة وبعنوانين مختلفين، ومن أهم الترجمات ترجمة الشاعر العراقي حسب الشيخ جعفر، بعنوان «النبّي».

٢٢- انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص ١١٤ / ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسكو ١٩٥٥، ج٧، ص ٢٥٢. وانظر أيضاً مالك صقور، بوشكين

والقرآن، دار الحارث، دمشق، ٢٠٠٠.

وقد تابع أيضاً الشاعر والكاتب الكبير تورغينييف ما تُرجمَ من شعرٍ ونثرٍ عربيين إلى الروسية وربّما إلى الإنكليزية أيضاً، وكتبَ قصائد مهمة عن فلسطين وجبال لبنان. ويجمعُ الدارسون أن ظللاً ثقافية جميلة ألقتها الثقافة العربية على إبداع نخبة من كبار الكتاب الروس مثل: ميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤ - ١٨٤١)، الذي أنتجَ مجموعة من القصائد يظهر فيها بجلاء تأثير الثقافة العربية الإسلامية والقرآن الكريم والسيرة النبوية، ومنها: «فاليريك - ١٨٤٠» و«الشركسي - ١٨٢٨» و«هبات التركي - ١٨٣٩» و«ثلاث نخلات - ١٨٣٩»، و«الرسول - ١٨٤١» و«قبسات من القرآن»<sup>(٢٣)</sup>.

وليف تولستوي (أحاديث مأثورة لمحمد ١٩١٠ - وغيرها)، وإيفان بونين الذي طاف معظم البلدان العربية سائحاً، وخبرَ بنفسه حياة الشرق العربي في زمنه، وكتبَ ما سمّاه الناقد السوفييتي تارتاكوفسكي «المجموعة العربية»، وهي قصائد مثل (محمد مطارداً ١٩٠٦ - زينب - البدوي - القاهرة - معبد الشمس - امرؤ القيس وغيرها).

ويقتضي منا الإنصافُ أن نذكرَ كما أسلفت نخبةً من المستشرقين الذين أنفقوا حياتهم في البحث في أغوار الثقافة العربية ونقل الكثير من دررها إلى الروسية، ومن هؤلاء: موفالينسكي (١٨٠٨ - ١٨٧٧)، كاظم بيك، بيريزيف (١٨١٨ - ١٨٩٦)، مورافيف، بازيلي، هو السون، غريغوريف، عبد الله كلزي، نافرتسكي، جرجس الذي عرّف القارئ الروسي إلى كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني، وقد نشر بعد وفاة الباحث عام ١٩٠٠، رازين (١٨٤٩ - ١٩٠٨)، بارتولد (١٨٦٩ - ١٩٣٠)، كازادييف، غ.أ. مرقس (١٨٤٦ - ١٩١١) الذي ترجمَ معلقة امرئ القيس إلى الروسية عام ١٩٠٠، وكتبَ دراسة لغوية تاريخية عن «فن الخطابة عند الخليفة علي»، كما ترجمَ أعمالاً جمّة منها المخطوطة التي غطت الرحلة التي قام به المؤرخ والرحالة العربي مكاريوس الحلبي إلى موسكو، في عهد الأمير الكسي ميخالونيتش وقد انتهى من الترجمة عام ١٩٠٠، ونشرت في خمسة مجلدات وقرابة الألف صفحة، كريمسكي (١٨٧١ - ١٩٤١)، خاليدوف، غاتفيلد الذي ترجم المعلقات السبع، أشعار عمر الخيام ١٨٦٣، سابلوكوف (١٨٠٤ - ١٨٨٠)، ماشانوف، بندلي الجوزي (١٨٧١ - ١٩٣٤) وفي المرحلة السوفييتية يمكن أن نذكر:

م. ساليه، مار، كوزمين، إيرليخ، إبرام، مدينكوف، كريمسكي، يوشانوف، باراتفوف، كاشتالوف، بيليف، سميدت، لوتسكي، الأكاديمي الكبير كراتشكوفسكي «الذي كتبَ نحو ستمئة دراسة علمية حول تاريخ ونظرية الآداب العربية في القرون الوسطى وفي المرحلة المعاصرة، وحققَ مخطوطات عربية كثيرة، منها مخطوطات عن الشعراء: الوأواء دمشقي وابن المعتز وأبي العلاء المعري، وتحت إشرافه صدرت الطبعة الأولى الكاملة لكتاب «ألف ليلة وليلة»<sup>(٢٤)</sup>، وهو الذي ترجمَ إلى الروسية «كليلة ودمنة» وقصة سبأ،

٢٢- ف بيلنسكي، المؤلفات الكاملة، موسكو ١٩٥٥، ج٧، ص ٢٥٣ / انظر د. مكارم الغمري (سابق)، ص ١٣٩ - ١٥٢.

٢٤- د. سهيل فرح، سابق، ص ٢٢٤.

والعصر الصفدي في تركستان في القرن العاشر، وله أيضاً «تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب» الذي أصدرته الجامعة العربية عام ١٩٦٣ وكتاب «تاريخ الأدب العربي» و«مع المخطوطات العربية»، وقد توج تلك الأعمال بترجمته للقرآن عن العربية مباشرة، فقد نشرت هذه الترجمة في موسكو عام ١٩٦٣. ولعل ما ميّز المستعرب المبدع كراتشكوفسكي من كثيرين سبقوه أو عاصروه هو المأمه الواسع بالأدب الجاهلي، والأدب العربي الإسلامي والأدب العربي الحديث والمعاصر، ولقد كان من أشد المدافعين عن جمال البيان العربي، وعن دور الأدب العربي، وتأثيره في الحضارة الأوربية مروراً طبعاً بالأندلس، ولقد أبرز ما للشعر الأندلسي من تقاليد شرقية أصيلة، وتوقّف ملياً عند الشاعر العربي الأندلسي ابن قزمان ودوره في الشعر الشعبي الأندلسي والأوربي.

ويقول كراتشكوفسكي عن الشعر العربي القديم: «بلغ في العصرين الجاهلي والعباسي ذروة الكمال الشعري سواء من حيث لغته وأوزانه وأغراضه أم من حيث سبكه وتعدد مواضيعه. ويعد بعض علماء اللغة هذا الإبداع الشعري ذروة الخلق اللغوي عند الشعوب السامية؛ وقولهم هذا يبرره ما في ذلك الشعر من غنى في المفردات وجمال في الصنعة وسهولة في التركيب»<sup>(٢٥)</sup>.

وكيلا نبدو متحيّزين للمستشرقين - المترجمين الفرنسيين والروس لا بُد لنا من أن نشير إلى أن لنظرائهم الألمان دوراً غير قليل في تعريف الناطقين بالألمانية بثقافة الشرقين وعلى رأسهم العرب؛ فقد بدأت الجامعات الألمانية بتدريس اللغة العربية في القرن السادس عشر، وارتبطت البدايات بدراسة اللاهوت، وبرز اسم يوهان رايسكه (١٧١٦ - ١٧٧٤) الذي كان أول من حاول تدريس اللغة العربية كمادة مستقلة عن اللغات السامية الباقية، فاهتم بدراسة الأدب العربي والأمثال العربية، وترجم بعضاً من قصائد أبي الطيب المتبني إلى الألمانية، لكن الدراسات العربية بالمعنى العميق للكلمة لم تبدأ إلا مع المستشرقين: فيلهلم فرايتاغ (١٧٨٨ - ١٨٦١) في مدينة بون، وهايزيش فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨) في مدينة لايبزغ، وكانا قد تتلمذا على يدي دي ساسي الفرنسي. وسيقوم فلايشر بتدريب نخبة من المستشرقين الألمان الكبار فيما بعد من أمثال نولدكه وغولدتسهير ويعقوب بارت وأوغست مولرو... إلخ، وفي هذا السياق لا بُد من ذكر المستشرق الكبير فرديناند فوستفلد (١٨٠٨ - ١٨٩٩) الذي كرّس تدريس العربية وإحياء تراثها<sup>(٢٦)</sup> في مدينة غوتغن، وحقّق الكثير من كتب التراث العربي ونصوصه اللغوية والأدبية كـ «عجائب البلاد» للقرظيني، و«سيرة ابن هشام»، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان و«كتاب المعارف» لابن قتيبة، و«الاشتقاق» لابن دريد، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي، و«معجم ما استعجم» للبكري وغيرها الكثير.

٢٥ - نقلاً عن د. سهيل فرح / سابق / ص ٢٢٥.

٢٦ - الاستشراق الألماني إلى أين / حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، مجلة التراث العربي ص ١٢٥

أما المستشرق الألماني فيلهلم أورد (١٨٢٨ - ١٩٠٩) فقد وضع فهرس المخطوطات العربيّة كلها الموجودة في مكتبات برلين، ضمن عشرة أجزاء ضخمة، وحقّق وترجم عدداً من الدواوين الشعريّة مثل خمريات أبي نواس والدواوين الستة، وديوان رُوبة بن العجاج وقصيدة خلف الأحمر. وتطوّل قافلةُ المستشرقين الألمان المتخصصين بشؤون اللغة العربيّة، فنذكر منهم في القرن العشرين كارل بروكلمان، وأغست فيشر، وجورج يعقوب، وركندوف، وليتمان، وبرجشتراسر، ويوهان فك، وغيرهم.

ولقد امتاز الاستشراق الألماني من غيره باهتمامه بالأعمال اللغويّة والأدبيّة بالدرجة الأولى، وبأعمال التحقيق والدراسات النقديّة للتراث العربي، حيثُ «أشتهرَ بنشر كتب التراث العربي وإصدار طبعات محقّقة تحقيقاً علمياً مع إجراء دراسات نقديّة وفهرسة دقيقة وشاملة للكتاب» ويشير البروفسور هارتموت إلى وجود جوّ علميٍّ متكامل في أوروبّا - على حدّ تعبيره - وتعاون وثيق بين العلماء والمستشرقين في الجامعات الأوربيّة، ما سمحَ لعددٍ كبير من الأعمال التراثيّة الضخمة أن تصدرَ في ألمانيا، مثل «تاريخ الرسل والملوك» للطبري، و«طبقات ابن سعد»، و«دائرة المعارف الإسلاميّة» وغيرها...

ولا بدّ لنا أخيراً من أن نذكر أن بعض المستشرقين المعاصرين تابعوا مسيرة أسلافهم، ولكنهم توجهوا هذه المرة إلى الأدب العربي الحديث، فترجموا أعمالاً لنجيب محفوظ وجمال الغيطاني وجبران خليل جبران، ومحمد شكري وغيرهم، وأصبحَ القارئ الألماني المهتم قادراً على الاطلاع على حال الأدب العربي الحديث، مع أن هذه الترجمات لم تكن وفق خطة مدروسة في عملية الترجمة، بل خضعت للانتقاء الشخصي والمزاج الخاص، ولذلك قد نجد أعمالاً أدبيّة ليست مهمة في وطنها، لكنها ترجمت لهذا السبب أو ذاك، وتعاني حالياً عمليات الترجمة من العربيّة إلى الألمانيّة صعوبات كثيرة: ليس أولها ضعفنا كعرب في تقديم صورة إيجابيّة للثقافة العربيّة المعاصرة تجعل الآخر مندفعاً أو مقبلاً نحونا، ولن يكون آخرها هروب بعض الكتاب العرب من لغتهم إلى الكتابة باللغات الحية واسعة الانتشار لأسباب عديدة، وقلة عدد النسخ المطبوعة من أي كتاب عربي مترجم إلى الألمانيّة؛ إذ لا يزيد العدد المذكور على ٣٠٠٠ نسخة إلا حين يتعلق الأمر بطباعة عمل مثل «ألف ليلة وليلة»!!

ويمكن الحديث طويلاً عن المستشرقين الإسبان والطيّان الذين قدّموا الكثير في مجال ترجمة الآثار العربيّة والإسلاميّة إلى لغاتهم، ولا سيّما أن هذين الشعبين كانا على علاقات دائمة مع العرب، علاقات متباينة ومختلفة، حكمتها عوامل كثيرة... ويمكن أن نقول مثلاً إن الدافع المعرفي والعلمي هو المحرك الأول للاستشراق الإسباني، ويأتي بالمرتبة الثانية الدافع الديني...

ولقد ركز المستشرقون الإسبان كنظرائهم الألمان على التراث العلمي العربي، فاهتموا به حفظاً وفهرسةً

وتحقيقاً ونشراً، ولا سيما أن مكتبات إسبانيا امتلكت كمّاً كبيراً من المخطوطات العربية، وهنا لا يمكن أن ننسى المستشرق، آسين بلاسيوس الذي خلّف مئتين وخمسين كتاباً وبحثاً، وكذلك غونزاليث بلانسيا (١٨٨٩-١٩٤٩) الذي ترك ثلاثمئة وعشرين كتاباً وبحثاً، ولقد ترجم المستشرقون الإسبان كثيراً من الكتب العربية ونشروها ما أفاد النهضة العلمية الأوربية كما أشرنا سالفاً، وما مكن من تعريف الإنسانية بالفكر العربي الإسلامي، ومن أشهر المترجمين في هذا المجال أميلو غرسياً غومث، وغينغوس (١٨٠٩-١٨٧٩) الذي ترجم «نَفْح الطَّيِّب» إلى الإنكليزية، و«تاريخ ملوك غرناطة» وغيرها الكثير، وسلفادور غوميث الذي اهتم بالجوانب الفلسفية بوجه خاص، وله أعمال حول ابن رشد وابن حزم، ومن أعماله ترجمة «تهافت التهافت» لابن رشد<sup>(٢٧)</sup> إلى الإسبانية، «وما وراء الطبيعة عند العرب» و«نظريّة الاستسلام في صوفيّة الإشراق» وألاركون (١٨٨٠-١٩٣٢) الذي أتقن العربية ودرّسها في معظم الجامعات الإسبانيّة، وترجم كثيراً من الآثار العربية.

وأخيراً مهما كان دور الاستشراق والمستشرقين، ومهما كانت الغايات القريبة أو البعيدة التي انطلقت منها مؤسساته، فإن ما قام به المترجمون من جهود جبّارة في نقل تراث الشرق عامّة، وتراث العرب منه خاصة إلى لغات العالم المختلفة قد أثمرت في تقديم صورة عن أهميّة هذا التراث، والقسط الكبير الذي اضطلع به منتج تلك الثقافة في بناء صرح الحضارة الإنسانيّة، وفي مدّ الجسور بين شعوب الشرق وأمم الغرب، وبين ثقافة الشرق وحضاراته وثقافات الغرب وحضاراته؛ وصولاً إلى خلق حوار الحضارات والشراكة فيما بينهما عوضاً عن الصراع والصدام الذي بشر به الكثير من المفكرين الغربيين.....



٢٧- انظر: د. ميشال جحا، الدراسات العربيّة والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص ١٤٩.



# مختارات ابن مسافر من شروح أشعار العرب (العثور على الكتاب، وعنوانه، ومحتواه، ومؤلفه)

د. محمد شفيق البيطار\* د. مقبل التّام الأحمدي

لهذا الكتاب خبرٌ يستحقُّ أن يُذكر، فقد مضى على عهدنا به ثلاثون عاماً بل أكثر، إذ وقف على ذكره (محمد شفيق) عام (١٩٨٩ م) في فهرس لمخطوطات معهد التراث العلمي العربي بـحلب، وكانت إعادة جمع شعر حميد بن ثور الهلالي وتحقيقه ودراسته موضوع رسالته للماجستير، ووصف المخطوط بأنه (كتاب فيه شرح عشر قصائد مشهورة) لمؤلفه عمر بن الحسن بن مسافر، وأن فيه شرحاً لميمية حميد الشهيرة، فاتجه من دمشق إلى حلب لتصويره، فحبل بينه وبين ذلك، غير أن القيم أن له بالاطلاع على النسخة الخطية وبنسخ شرح القصيدة؛ ووقف أيضاً في (مجلة المورد) العراقية على وصف لنسخة كتاب في مكتبة المحامي عباس العزاوي بعنوان (مجموع أشعار العرب) للمؤلف نفسه، وفيه شرح عدد من القصائد التي وجدها في نسخة المعهد العلمي العربي بـحلب، وزيادة عليها، ولكن كيف الوصول إليه في تلك الأيام؟

وهيئات هيئات العراق ومن به  
وهيئات خُل بالعراق نواصله

ثم صارت صورة نسخة حلب بعد سنوات من مقتنيات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق؛ وكان موضوع رسالة (مقبل) للماجستير جمع شعر مذحج ودراسته، وفي الكتاب شرح لرائية الأفوه الأودي المذحجي، فنبهه (شفيق) على ذلك فكانت نسخة حلب من مصادره.

وبقيت نسخة العراق طيف محبوب يزور غباً كلما التقينا أحد الإخوة العراقيين، فكنا نظن أنها ستزور حقيقة بعد طول تلهف، غير أننا كنا كمن يقبض الريح أو يخذع بالسراب، إذ يقال لنا إن المجرمين عاثوا فساداً في العراق وتراث أمتنا فيه، ونهبوا كثيراً مما في متاحفه ومكتباته، فيعود الحلم وحشاً يجثم على صدورنا يمزق ويحرق ويغرق ويزيد ظمأنا!

ثم انبلج الفجر ونزل القطر بأن في مركز جمعة الماجد صورة من نسخة العراق، فأسرع (مقبل) إلى طلبها وصارت بين يديه:

كجمانة البحري جاء بها  
غواصها من لجة البحر

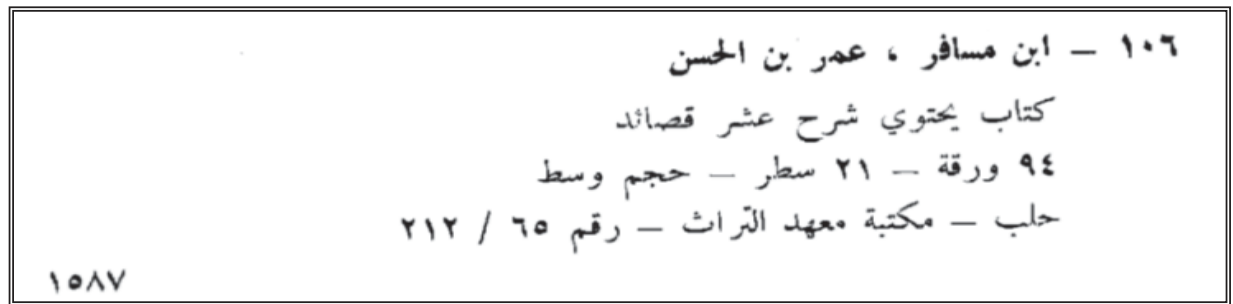
\* د. محمد شفيق البيطار ود. مقبل التّام الأحمدي أستاذان في الأدب القديم.

وأخبر (محمد شفيق) بذلك راغباً في أن يشتركا في تحقيق الكتاب، فهنأه بها واعتذر إليه؛ لما يعلمه من عواقب الشراكة في شؤون الحياة كلها، وحثه على أن يتفرد بالعمل، فالمهم أن يرى أهل العلم نور الكتاب وقد سَطَعَ، على ما في نفسه من وجد به ورغبة في تحقيقه.

ثم عاد (مقبل) بعد مُدَّة إلى عرض الشراكة، وأعاد (شفيق) اعتذاره؛ لأنَّ أقل ما يُنخوف منه أن الشراكة تُفسد المودة، فألحَّ صاحبُه وأكَّد أنَّ ذلك لن يكون بإذن الله، فاستجاب له على تحوُّف، واتفقا على خُطَّة العمل، فكان التَّحقيقُ المُشترَك ثمرَةً عملهما، وسيخرُجُ إلى النور قريباً بعد اكتمال الفهارس الفنيَّة.

### نُسختا الكتاب، وعنوانه، وناسخاه:

اعتمدنا في التَّحقيق على النُّسخَتَيْن المذكورتَيْن، الشَّاميَّة التي رمزها (ش)، والعراقيَّة التي رمزها (ع)؛ فالشَّاميَّة - وهي التي وقفنا عليها أولاً - من مُقتنَّيات معهد التَّراث العلمي العربيَّ بـ حلب، وجاء في تعريفها<sup>(١)</sup>:

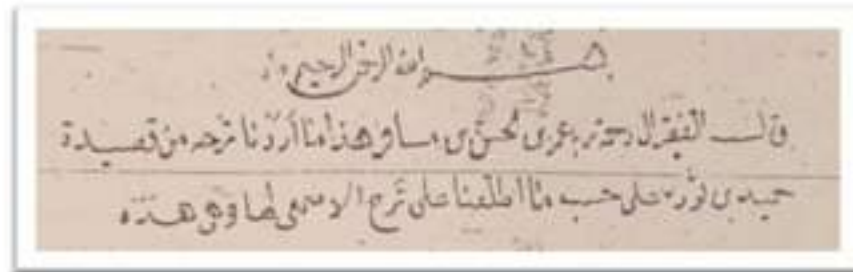


والرَّقْم (١٠٦) هو التَّسلسليُّ في الفهرس، والرَّقْم (١٥٨٧) هو رقم المكَروفلَم في المعهد؛ وهي نسخة بلا عنوان، وإنَّما (كتاب يحتوي شرح عشر قصائد) وصف له، إذ لم يجد (شفيق) هذا العنوان على المخطوط حين سافر إلى حلب كما سلف واطلع على المخطوط وأنَّ له بنسخ شرح ميميَّة حميد، وعدَّ القصائد فوجدها إحدى عَشْرَةَ هي على التَّوالي:

ميميَّة حميد، ومقصورة ابن ريد، والدرة اليتيمة، وقصيدتان لأبي زبيد الطائي، وقصيدة للأفوه الأودي، وقصيدتان لحاتم الطائي، ولاميَّة الأعشى، وقصيدتان للنَّابغة.

وعدد أوراقه (٩٤) أربع وتسعون، وقد كتبت الأوراق بالأحمر، وشروخها بالأسود.

وذكر النَّاسِخُ اسمَ المؤلِّف في بداية شرح كلِّ قصيدة، واسمُه وتاريخ نسخها في خاتمة الشرح، ومثاله ما جاء في أول شرح ميميَّة حميد:



١- فهرس المخطوطات المصورة / مُلحق / في مكتبة معهد التراث العلمي العربي: ٣٠.

وفي خاتمته:



وهي بخط النسخ كما هو واضح، وحواشيها نادرة، وتكاد شروح القصائد تطابق النسخة العراقية حتى في مواضع البياض، فحِيلَ إلينا أن العراقية أصل لها لولا أن هذه ناقصة، إذ لا مقدّمة لها، وعدد قصائدها المختارة أقل، غير أن النسخ كان ينقح أحياناً ما في العراقية كما سيظهر في حواشينا.

**والنسخ<sup>(٢)</sup>:** عمّر بن رمضان بن محمّد بن عليّ بن درويش الهيتيّ (١١٤٦ - ١٢٥٢ هـ = ١٧٣٣ - ١٨٣٦ م) خطّاطٌ شاعرٌ عراقيّ، من مشاهير خطّاطي بغداد، وُلِدَ في مدينة هيت على نهر الفرات، وغادر إلى بغداد فدرس الأدب وعلوم اللّغة والخط على العلامة أبي الثناء الألوسيّ، فامتَهَنَ نسخَ الكتب واعتاشَ به؛ ومن آثاره الخطيّة نسخةٌ بديعةٌ من (سيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم) لابن هشام؛ وله شعر كثيرٌ في مختلف أغراضه، ومنه في الهجاء:

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ رِجَالِ كُنْتُ أَحْسَبُهُمْ      إِخْوَانَ صِدْقٍ إِذَا لُزُوا بِمَضْمَارٍ؟  
 أَنْفَقْتُ فِي حُبِّهِمْ عُمْرِي النَّفِيسَ وَلَمْ      أَعْلَمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ آلِ عَمَّارِ  
 وَغَرَّبَنِي مِنْهُمْ حُسْنُ الْحَدِيثِ وَمُنْذُ      دَارِي وَهَتَّ مَا أَقَامُوا مُذْ وَهَتَّ دَارِي

وتوفي في بغداد.

**والنسخة العراقية** من مُقتنيات مكتبة المحامي الأديب المحقق عبّاس العزّاويّ رحمه الله، وقفنا على نكرها أولاً<sup>(٣)</sup> في مقالٍ من سلسلة مقالات بعنوان (مخطوطات عبّاس العزّاويّ) في مجلة (المورد / المجلد ١٥، العدد ٣، سنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م، ص: ٢٠١)، وفيه وصفٌ لمخطوطٍ عنونَ بِ(مجموع أشعار العرب)، مؤلّفه: عمّر بن الحسن بن عدّي بن أبي البركات بن صخر بن مُسافرٍ الشاميّ الأمويّ، ومن أصحاب القصائد المختارة:

٢- لخصنا ترجمته من معجم البابطين على الشابكة، وفيها مراجعه .

٣- انظر: ديوان حميد بن ثور الهلالي، بتحقيق: محمد شفيق البيطار، طبعة الكويت: ٨٢-٨٣.

الأفوه الأودي، وحامد بن ثور، وحاتم، والنابغة، والأعشى، وغيرهم، وأن النسخة ترقى إلى القرن السابع الهجري، وأن اسم المؤلف ذكر في مطلع كل قصيدة؛ فدلنا ذلك على أن نسخة حلب أخت صغرى لنسخة العراق، وأن المؤلف من أهل القرن السابع أو ما قبله؛ ولم تكن الأحوال تسمح بالوصول إلى المخطوط في تسعينيات القرن العشرين، ودارت الأيام والشوق إلى هذا العلق النفيس يتأجج في النفس، إلى أن استطاع (مقبل) الظفر بصورة هذه النسخة من (مركز جمعة الماجد)، وكان ما سبق في أول هذه المقدمة؛ وهذه صورة مقتطعة من الصفحة الأولى بعد صفحة تُؤن فيها المحتوى بخط مختلف متأخر، وقد ذهب بعض الكلمات:



وواضح أن (كتاب يشتمل على [قصائد عديدة]) ليس عنواناً للكتاب وإن كان بخط ناسخ الكتاب، بل هو وصف لما فيه، كما أن (مجموع أشعار العرب) الذي جاء في مجلة المورد ليس سوى وصف أيضاً. والمؤسف أن هذه النسخة خلت من اسم الناسخ وتاريخ النسخ، غير أن وصفها في مجلة المورد دقيق، وناسخها خطأ متقن، نسخ الأبيات بخط الثلث، والشروح بخط النسخ؛ وهذا مثال من نسخ أحد الأبيات وشرحه:



ونميل إلى أن الناسخ غير عربي لأن أثر العجمة واضح في مواضع ليست قليلة كان يؤنث فيها المذكر أو يُذكر المؤنث، إلا أن يكون ذلك من المؤلف الذي كان يعيش بين الأكراد الهكارية كما سيأتي في ترجمته. وعدد أوراقه (١٩٦) ست وتسعون ومئة ورقة رُقمت على الجانب الأيسر من وجه كل ورقة، وهي بعد

صفحتين أولهما بخط متأخرٍ ذُكرَ فيها المحتوى وبداية أرقام صفحات كل قصيدة، والثانية للعنوان؛ وقد استأثرت المختارات بالأوراق (١ - ١٩٤)؛ وفي معظم الصفحات (١٥) خمسة عشر سطراً، وفي بعضها ستة عشر.

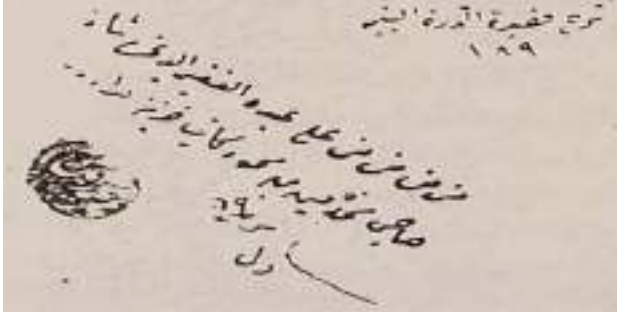
وجاء في الصفحة الأولى التي عليها المحتوى وصفحاته بعد سرد المحتوى:

«مَنْ مَنْ مَنْ عَلَى عَبْدِهِ الْفَقِيرِ إِلَيْهِ عَزَّ شَأْنُهُ

حاجي محمّد أيمن بن محمود كاتب خزنة ... (؟)».

و(كاتب خزنة) بمقام أمين الصندوق عند الولاة والتجار، ويُقَلَّب بالتركية فيقال: (كاتب خزنة)؛ وتحت

خاتمه، وهذه صورته مع فهرسة شرح الدرّة اليتيمة:



وهذه صورة الصفحة التالية، وهي صفحة عنوان الكتاب:



يُقرأ فيها على الجانب الأيمن من الأعلى:

«كتاب يشتمل على قصائد جمعها ابن مسافر»

وتحتّه:

«في الأدبيات»

ثمَّ عنوان الكتاب كما وضعه النَّاسخ:

«كتابٌ يشتملُ على [قصائد] عديدة.



من أشعار العرب جمعُ العبدِ الفقيرِ الرَّاجي رحمةَ رَبِّهِ عُمَرَ  
بنِ الحَسَنِ بنِ عَدِيِّ بنِ أَبِي البَرَكَاتِ بنِ صَخْرِ بنِ مُسَافِرِ الشَّامِيِّ  
الأمويِّ عفا اللهُ عنه وأرضاهُ»

وتحتة تمليكات متجاوزة تُقرأ من اليمين إلى اليسار:

«استصحبه الفقير عارف

عفا اللهُ عنه»

وعلى يساره:

«في نوبة الفقير إلى الخبير أحمد

عفا اللهُ عنه

«١١٢١

وعلى يساره:

«استصحبه الفقير ...»

وتحتة:

«استصحبه بمصر (؟) السيّد (؟)

.....

غفر له»

وعلى أيسر العنوان:

«ملك بالشراء الشرعي ...

... وقف ...

.....

«.....»

وتحتة:

«وقف هذا الكتاب المُستطاب

.... على ... ببلاد (؟)

.... أحمد»

وتحت التمليكات المتجاوزة خبر إسلام كعب بن زهير، وهو متعلق بأولى القصائد المختارة، وقد أخذ نصف

الصفحة؛ وتحتة على الجهة اليمنى:

«الخرم: الحذف الواقع من أول القصيدة

.....»

وجاء في وجهي الورقة (١٩٥): «دعاء مروى عن السلف الطاهرين عليهم السلام» وهو دعاء طويل، وفي

وجه الورقة (١٩٦) قصيدة في خمسة عشر بيتاً أولها:

إني أمـرؤ لا يطـبـيـد  
خـي الشـادـن الحـسـن القـوام

وفي جانب كل بيت إعرابٌ بعض ألفاظه؛ ولم يُنصَّ على اسم صاحب القصيدة، وهو عثمان بن عيسى البلطي الأديب النحوي، المتوفى سنة تسع وتسعين وخمس مائة؛ و(بَلَط) بلدة قريبة من الموصل، وتُلْفَظُ أيضًا (بَلَد)؛ وهي قصيدة تُقرأ قوافيها بالسكون والكسر والضم والفتح، ولكل قراءة وجهٌ من الإعراب، وتُسمى (القصيدة الحزباوية) كأنها تتلون كالحرباء، وقد أوردتها ياقوت الحموي في ترجمته في اثنين وعشرين بيتاً<sup>(٤)</sup>، والسيوطي في ثلاثة وثلاثين بيتاً<sup>(٥)</sup>.

ويحتوي المخطوط شروح القصائد الإحدى عشرة نفسها التي في المخطوط الشامي، وشروح قصائد أخرى،

وهي على الترتيب:

لامية كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم (بانث سعاد...)، ولامية العرب للشنفرى (أقيموا بني أمي صدور مطيكم...)، ورائية الأفوه الأودي (إن ترري رأسي فيه فزع...)، وأرجوزة رؤبة بن العجاج القافية (وقاتم الأعماق...)، وميمية حميد بن ثور (سلا الربع...)، ومقصورة ابن ترديد (إما ترري رأسي حاكي لونه...)، ودالية النابغة (يا دار مية...)، ودالية الأخرى (أمن ال مية...)، وميمية ذي الرمة (أأن توهمت من خرقاء منزلة...)، وقافية زهير بن أبي سلمى (إن الخليل أجد البين...)، وكافية (بان الخليل...)، وزائية الشماخ بن ضرار (عفا بطن قو...)، وميمية حاتم الطائي (أعرف أطلا...)، ورائية (أماوي!...)، وهمزية أبي زبيد الطائي (خبرتنا الركبان... ) وألحقت بها أبيات من همزية أخرى له، ودالية (إن طول الحياة غير سعود...)، ولامية الأعشى (ودع هريرة...)، والدرة اليتيمة المختلف في نسبتها (هل بالطلول لسائل رد...).

وفي النسخة حواشٍ ليست بالقليلة ولا الكثيرة أثبتناها في حواشي التحقيق، وهي بخطين مختلفين عن خط

الناسخ، أولهما - وهو الأقدم - بخط النسخ، والثاني أقرب إلى الخط الفارسي.

ولما وجدنا أن الكتاب بنسخته لا يحمل عنواناً، وأن النسخة العراقية - وهي أوفاهما وأقدمهما - راجعة إلى عصر المؤلف، وأنها خالية من تاريخ النسخ والناسخ، غلب على ظننا أنها نسخة المؤلف، أو أنها كانت تنسخ على عينه، وأنه كان ينتقي ما يختاره من نفايس القصائد وشروحها من مصادره النفيسة، فينسخه أو يكلف من ينسخها، لولا أن النسخة مقابلة، إذ تكررت عبارة (بلغ مقابلة) أو (بلغ) في نهايات عدد من القصائد، إلا أن يكون المراد مقابلة الشروح على أصولها؛ فلما وجدنا الحال هكذا ارتأينا أن نجعل عنوانه:

اختيارات ابن مسافر

من شروح أشعار العرب

كتاب يشتمل على قصائد عديدة من أشعار العرب

نظرة في محتوي الكتاب:

اشتمل هذا المجموع الغني الممتع من (اختيارات ابن مسافر) على ثماني عشرة قصيدة مشروحة، سبق ذكرها

وترتيبها في كلتا النسختين، ومعظم الشروح مأخوذ من أصول نفيسة لم ينص المؤلف عليها ولا على أصحابها إلا

٤ - معجم الأديباء: ١٦١٨ وما بعدها.

٥ - الأشباه والنظائر ٤: ٢٤٩.

شرح ميمية حميد وأنه للأصمعي، وقد فصلنا الحديث عن أصحاب الشروح في الحواشي بحسب ما استنتجنا ذلك، منهم إلى جانب الأصمعي: أبو نصر راوية علم الأصمعي وأبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي والطوسي والأخفش وأبو سعيد السكري وأبو العباس ثعلب والنحاس وابن خالويه وأبو العلاء المعري والجواليقي والتبريزي.

ومجموع ما فيها من الأبيات أربعة وتسعون وثلاثمئة وألف بيت، تنهض بديوان مستقل، وتعود لأربعة عشر شاعراً: ستة منهم جاهليون لهم تسع قصائد في ثلاثة وثمانين وثلاثمئة بيت؛ وأربعة مخضرمون لهم خمس قصائد في سبعة وستين وأربع مئة بيت؛ وثلاثة أمويون لهم ثلاث قصائد في ثلاثة عشر وثلاثمئة بيت؛ وعباسي واحد له قصيدة واحدة في واحد وثلاثين ومئتي بيت؛ فأما الجاهليون فهم:

الأفوه الأودي، وله قصيدة واحدة هي رائيته المشهورة التي يجيب بها الفند الزماني، ويفخر فيها بقومه اليمانية وما كان لهم من ملك قديم، وسؤدد متطاول، ومآثر لا تنقضي عجائبها؛ والقصيدة هنا ستة وأربعون بيتاً، وفي شرحها نقل عن الأصمعي، غير أننا لم نصل إلى صاحبه، ويرجح أن يكون لأحد علماء العربية القدماء؛ وأولها:

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهِ قَزَعٌ      وَشَوَاتِي خَلَّةً فِيهَا دَوَارٌ

والشئفري الأزدي، وله قصيدة واحدة هي لاميته المشهورة المعروفة بلامية العرب، في ثمانية وستين بيتاً، وشرحها يوافق -إلا قليلاً- شرحاً لأبي فيد، مؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٥هـ)، الذي رواه عنه أبو المنهال عيينة بن المنهال؛ وأولها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيكُمُ      فَأَيُّ إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمُ لَأَمِيلُ

وحاتم بن عبد الله الطائي، وله قصيدتان، أولاهما ميمية، وهي واحد وأربعون بيتاً، وثانيتها رائيته المشهورة، وهي سبعة عشر بيتاً، ونميل إلى أن شرح قصيدتي حاتم هنا للطوسي، اتخذ من رواية الأصمعي من البصريين أصلاً، ونبه على رواية ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني الكوفيين؛ ومطلع أولى القصيدتين:

أَتَعْرِفُ أَطْلَالَاً وَنُؤْيَا مُهْدَمَا      كَخَطِّكَ فِي رَقِّ كِتَابَا مُنْمَمَا؟

ومطلع ثانيتهما:

أَمَاوِيٍّ! قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالهِجْرُ      وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ

والنابغة الذبياني، وله قصيدتان داليتان، فأما الأولى فخمسون بيتاً، وأما الثانية فثلاثة وثلاثون بيتاً، وشرح القصيدتين شرح عال نفيس، ويرجح أن يكون لأبي سعيد السكري؛ ومطلع أولى القصيدتين -وهي طويلته المشهورة، المعروفة بالمعلقة-:

يَا دَارَ مَيَّةَ، بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ      أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

ومطلع ثانيتهما:

أَمِنَ الِ مَيَّةَ رَائِحٍ أَوْ مُغْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ؟

وزهير بن أبي سلمى المُزنيّ، وله قصيدتان، هما القافية والكافية، فأما القافية فواحدٌ وثلاثون بيتاً، وأما الكافية فثلاثة وثلاثون بيتاً، ويوافق شرح القصيدتين ههنا في معظمه ما جاء في شرح ديوان زهير لأبي العباس ثعلب؛ ومطلع القافية:

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَانْفَرَقَا وَعُلِقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلِقَا

ومطلع الكافية:

بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَمْ يَأُووَا لِمَنْ تَرَكَوَا وَزَوَّدُوكَ اشْتِيَاقًا أَيَّةً سَلَكَوَا

والأعشى البكريّ، وله قصيدة واحدة هي طويلته المشهورة، المعروفة بالملعقة، وهي أربعة وستون بيتاً، ويوافق شرحها ههنا شرح التبريزي في شرح القصائد العشر المأخوذ عن شرح النحاس في (شرح القصائد التسع)، وأولها:

وَدَعُ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيَّهَا الرَّجُلُ؟

وأما المخضرمون فهم: كعب بن زهير بن أبي سلمى المُزنيّ، وله قصيدة واحدة هي اللامية، المعروفة بالبردة، وهي سبعة وخمسون بيتاً، وشرحها ههنا موافقٌ إلا قليلاً شرح التبريزي، ولعل ابن مسافرٍ اعتمد على هذا الشرح، وتصرف فيه؛ وأولها:

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مُتَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولٌ

والشماخ بن ضرار الذببانيّ، وله قصيدة واحدة هي الزائية المشهورة، وهي خمسة وخمسون بيتاً، وهي إحدى القصائد التي انتخبها الخطابي في جمهرته؛ وقد تفرد كتاب ابن مسافرٍ هذا بشرحها، على أن لها في الجمهرة شرحاً ضامراً جداً، لا يكاد يجاوز شرح ألفاظ بعض المفردات؛ وأولها:

عَفَا بَطْنٌ قَوٌّ مِنْ سُلَيْمَى فَعَائِرٌ فَذَاتُ الْغَضَى فَاَلْمُشْرِفَاتُ النَّوَاشِرُ

وأبو زبيد الطائيّ، وله قصيدتان اثنتان، إحداها همزية مكسورة الروي، في ستة وثلاثين بيتاً، جاء في نيلها أربعة أبيات من همزية له أخرى مرفوعة الروي، فرمنا السقط فيها من ديوان أبي زبيد المجموع، فصارت أبياتها ثلاثة عشر بيتاً؛ وقد تفرد كتاب ابن مسافرٍ بقصيدة أبي زبيد الهمزية مكسورة الروي كاملة، كما تفرد بشرحها هذا؛ وأولها:

خَبَرْتَنَا الرُّكْبَانَ أَنْ قَدْ فَرِحْتُمْ وَفَخَرْتُمْ بِضَرْبَةِ الْمُكَاءِ

وأما الثانية فدالية في تسعة وخمسين بيتاً، وشرحها ههنا يوافق إلا قليلاً شرح الأخصر الأصغر (٣١٥ هـ) في كتاب الاختيارين؛ وأولها:

## إِنَّ طَوْلَ الْحَيَاةِ غَيْرُ سَعُودٍ وَضَلَالٌ تَأْمِيلٌ نَيْلِ الْخُلُودِ

وحُميد بن ثور الهلالي، وله قصيدة واحدة هي الميمية، في اثنين وخمسين ومئة بيت، وشرحها ههنا للأصمعي، أو مُنْتَزَعٌ من شرحه؛ وأولها:

سَلَا الرَّبْعَ أَنِّي يَمَمْتُ أُمُّ سَالِمٍ؟ وَهَلْ عَادَةُ لِلرَّبْعِ أَنْ يَنْكَلَمَا؟

وأما الأمويون فهم: روبة بن العجاج التميمي، وله أرجوزة واحدة هي قافيته المشهورة، وعدتها اثنان وسبعون ومئة مشطور، وشرحها ههنا لأبي العلاء المعري، وهو من الشروح العريضة المفقودة، ويُعدّ الظفر به باعثاً على الأمل في العثور على ما هو محبوبٌ من النفائس التي انقطع الرجاء منها، واستولى على الباحثين اليأس من الوقوف عليها؛ وأول هذه الأرجوزة:

## وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرِقِ

وذو الرمة العدوي، وله قصيدة واحدة ميمية، في ثلاثة وثمانين بيتاً، وشرحها إما أن يكون مُسْتَخْلَصًا من شرح أبي نصر، وإما أن يكون من شرح الأصمعي لديوان ذي الرمة رواه عنه بعض طلابه كما فعل أبو نصر وزاد عليه، لأنّ فيه نقلاً عن أبي عبدة معمر بن المثنى، وكانت بينه وبين الأصمعي مقارصة، ومن المحال أن ينقل الأصمعي عنه؛ وأولها:

أَنَّ تَوَهَّمَتْ مِنْ حَرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ؟

ودوقلة المنبجي، وله قصيدة واحدة هي المعروفة بالدرة اليتيمة، في ثلاثة وستين بيتاً، وعُزِّت بسبعة أبيات مُسْتَدْرَكَةٌ، وشرحها ههنا يتيماً مثلها، ولم نصل إلى صاحبه؛ إذ خلا من أي إشارة إليه، ومن أي نقل عن العلماء الرواة أو الشراح، ولم نجد من نقل عنه، وهو الشرح الوحيد التام لهذه القصيدة في كتب التراث؛ وأولها:

هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلِ رَدُّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمِ عَهْدُ؟

وأما العباسي فهو ابن دريد الأزدي، وله قصيدة واحدة هي المقصورة أو الدرديّة، وعدة أبياتها واحد وثلاثون ومئتا بيت، وهي أطول قصائد المجموع، وشرحها ههنا يوافق شرح الجواليقي إلا قليلاً؛ وأولها:

إِمَّا تَرِي رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةً صُبِحَ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى

## ابن مسافر وأسرته:

هو عمر بن الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي القرشي نسباً الشامي أصلاً الهكاري مسكناً ومنشأ، وهو على اشتهار أسرته<sup>(١)</sup> معدوم الذكر فيما وقفنا عليه المصادر والمطآن، إلا ما كان من ترجمة يسيرة كتبها باحثٌ معاصرٌ هو الباحث (سعید الديوه جي) رحمه الله، لم يذكر فيها مصادره، كما ترجم للمعروفين من أسرته؛ وفي تلك الترجمة تحت عنوان (تقي الدين عمر بن الشيخ شمس الدين حسن)، ما يأتي:

٦- انظر: تاريخ إربل: ١/ ١١٤، ١١٦، ٢/ ٨٢٤، وتاريخ الإسلام: ١٤/ ٤٩٩، والوافي بالوفيات: ١٢/ ٦٣.



«ومن أولاد الشيخ حسن بن أبي المفاخر عدي: (تقي الدين عمر)، كان أديباً له مجموعة أدبية جمع فيها مختارات أدبية قديمة، وهي من المجاميع الأدبية النافعة، وليس فيها شيء من الغلو الذي أدخله والده الشيخ حسن؛ وهي تبدأ بالحمد لله والصلاة على النبي وآله وصحبه؛ وعلى هذا فالذي نراه أن أبناء الطائفة العدوية لم يكونوا كلهم قد اتبعوا طريقة الشيخ حسن في الغلو، وأن أقرب الناس إليه ولده لم يسلك طريقته في الغلو، بل كان ميّلاً إلى العلم والأدب»<sup>(٧)</sup>.

والمجموعة الأدبية المختارة الموصوفة هي التي بين أيدينا، والتي رخصنا لها عنواناً هو (اختيارات ابن مسافر من شروح أشعار العرب).

وقد اشتهر كثير من أعلام أسرته منهم أبوه: الحسن بن عدي، وفيما يأتي عرض لبعض أولئك المشاهير أفدناها من كتاب (تاريخ إربل) لابن المستوفي اللخمي (٥٦٤ - ٦٣٧ هـ) وكان وزيراً في الموصل معاصراً لوالد المؤلف وقد لقيه ونقل عنه بعض أخبار أهله:

الشيخ عدي بن مسافر الهكاري (٤٦٥ - ٥٥٥ هـ أو ٥٥٧ هـ):

وهو أخو جد والد المؤلف، وتنسب إليه الطريقة العدوية، ويعرف أتباعه الآن باليزيدية أو اليزيدية، وله مكانة كبرى لديهم؛ قال ابن المستوفي: «شيخ سار ذكره وطبق الأرض واتبعه خلق، وجاوز حُسُنَ اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي إليها يصلون، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها، فلا يستطيع أحد أن يساويه بالطبقة الأولى من كبار المشايخ الصالحين.

صحب عقيلاً المنبجياً، وحماداً الدباس، وأبا النجيب عبد القاهر [السهروردي]، وعبد القادر [الجيلي]، وأبا الوفاء الحلواني، وأبا محمد الشنكي.

ورد إربل وأقام بالكركينى [قلعة كركوك] إلى أن صار إلى زاويته بالهكار من بلد الموصل.

نقلت من خط أبي الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي الواعظ قال: أخبرني الشيخ عدي بن أبي البركات - ابن أخي الشيخ عدي الزاهد في الهكارية - أن الشيخ عدياً عاش تسعين سنة، ومات سنة سبع وخمسين وخمسة.

قال الشيخ حماد بن محمد بن جساس: ما رأيت أحسن سيرة ولا أكثر هيبة ولا أكثر خشوعاً ولا أغزر دمة من عدي؛ وكان حماد هذا من أصحابه؛ وقال حماد: ركب عدي جواداً ما نزل عنه حتى مات؛ ما أفطر في النهار ولا نام في الليل، ولا أكل وشرب غداء أحد، ولا أخذ أحد عليه سوء خلق.

....

وحدثني الفقير إلى الله تعالى أبو سعيد كوكبوري قال: رأيت بالموصل عدياً وأنا صغير، وهو رجل قصير أسمر. أخبرني حسن بن عدي [ابن أبي البركات] أن عدياً توفي سنة خمس وخمسين وخمسة<sup>(٨)</sup>.

٧- اليزيدية: ٨٩، وفي هامشه: «نسخة منها في خزانة الأستاذ عباس العزاوي، وهي على ما ذكر - أصل هذه النسخة - من مجلد ضخم يرجع إلى زمن جامعها».

٨- تاريخ إربل: ١ / ١١٤ - ١١٥.

وسياتي في ترجمة ابن أخيه عدي بن أبي البركات بن صخر أن الشيخ عدياً الأكبر رحمه الله وُلِدَ في الشَّام بِ(شُوفِ الأكراد)، بضيعة تُسمَّى (بيت فار)؛ وهي في منطقة بعلبك في سهل البقاع، وستأتي كذلك تنمُّة نسبه.

الشيخ عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر (٥٥٥ - ٦٢٥هـ):

وهو جدُّ المؤلِّف؛ قال ابن المُستوفي: «هو أبو الفضائل عديُّ بن أبي البركات -كنيته اسمُه-، ابنُ أخي الشيخ عديِّ الأكبر؛ وردَ إربلَ غير مرَّة، وكان يجتمعُ إليه النَّاسُ على طبقاتهم يزورونه، إلاَّ أنَّ الأغلبَ منهم الرَّعاعُ والسُّفلةُ. نقلتُ من خطِّ أبي الفرج عبد الرَّحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلِّي الواعظ: (سألتُ الشيخَ عديَّ ابنَ أخي الشيخِ عديِّ عن مولده فقال: وُلِدْتُ بعد موت الشيخ بعشرة أيَّام.

وحجَّ هذا الشيخ عديُّ سنة إحدى عشرة وست مئة، وعاد على الشَّام، وقدمَ حلبَ ونزل إلى زيارته السلطانُ الملك الظاهر -أبقاه الله- في خانكاه الشَّهاب طُغريل، ومعه جماعةُ فقراء؛ وخرج إليه جماعةٌ كثيرةٌ من فقراء حلب، وكان أكثر وقتَه مشغولاً بالسَّماع والرَّقص على طريق الفقراء، وحضرتُه أنا وهم على ذلك من غير دُفٍّ وشبَّابة؛ وهو ممَّن يقول بالنقطة والشكَّة، كما أخبرني من نطقه<sup>(٩)</sup>؛ آخر كلامه.

توفي في طريق مكة المعظمة في ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وست مئة مُحرمًا رحمه الله. وأخبرني ولده أبو محمد حسن أنه وُلِدَ في سنة خمس وخمسين وخمس مئة بقرية تُدعى (لأش)، مضمومة اللَّام معجمة الشَّين؛ وأخبرني أن الشيخَ عدياً الأكبر وُلِدَ في بلاد الشَّام في موضع يُعرف بِ(شُوفِ الأكراد)، بالشَّين المعجمة والفاء، بضيعة تُسمَّى (بيت فار)، بالفاء والرَّاء، وتوفي في سنة خمس وخمسين وخمس مئة. وهو عديُّ بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى عليَّ نسبه بعضُ ذي قرابته»<sup>(١٠)</sup>.

أبو محمد الحسن بن عدي (٥٩٢ - ٦٤٤هـ):

وهو والدُ المؤلِّف؛ قال ابن المُستوفي: «أبو محمد الحسن بن عديُّ: هو الشيخ أبو محمد الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل بن موسى، ويتصل نسبه على ما في نسب عديِّ الأكبر. أخبرني أنه وُلِدَ بقرية تُدعى (لأش) بضم اللَّام والشَّين المعجمة، من قرى الهكاريَّة من أعمال الموصل، سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة.

وورد أبو محمد إلى إربل في العشر الوسطى من رمضان، فأقام بها أياماً في القبة التي بناها أبو الفتح أحمد بن المبارك حيالي المسجد العتيق، وأنفذ له أبو سعيد كوكبوري بن علي نفقةً وأمره ألا يُقيم، فسافر ليلة السبت الحادي عشر من شهر رمضان سنة سبع وعشرين وست مئة.

وهو شابٌ جميل الصورة، في حلقه سلعة، كَيْسُ الأخلاق حميد العشرة...»<sup>(١١)</sup>.

٩- النقطة والشكَّة: الاعتقاد بأن النقطة والشكَّة قديمة قدم القرآن الكريم، وهي مسألة ظهرت فرعاً عن مسألة خلق القرآن لدى المعتزلة؛ تراجع في كُتُب العقيدة.

١٠- تاريخ إربل: ١ / ١١٦.

١١- تاريخ إربل ١: ١١٦-١١٧، والسلعة: غدة تحت الجلد إذا غُمزت باليد تحركت.

ثمَّ أورد له أشعاراً، وأتبعها بفتوى الإمام أبي حامدٍ محمد بن يونس فيمن يعتقد بالنقطة والشكلة؛ ومن شعره الذي أورد له ممَّا سمعه منه قوله:

وساقٍ يُشِيرُ بِالْحَاضِهِ      فَيُسْكِرُنَا وَهُوَ لَمْ يَثْمُلِ  
بِفِيهِ الْمُدَامُ وَلَكِنَّهَا      تُصَانُ وَتُحَجَّبُ بِالذُّبْلِ  
وَكَيْفَ اصْطَبَارِي يَا لُؤْمِي      عَنِ الشُّرْبِ أَمْ كَيْفَ يَا عُذِّي؟  
وَدِينِي وَنَصَّ اعْتِقَادِي الْمُدَامُ      وَحَانَةَ خَمَّارَةِ مَنْزِلِي  
وَقَوْلِي إِذَا مِتُّ: لَا تَحْفَرُوا      لِي الْقَبْرَ إِلَّا بِ(قَطْرُبُل)!

وقوله:

هَاتِ اسْقِنِي وَحَدِي فَمَا عَوَدْتَنِي      بِالشُّرْبِ بَيْنَ تَخَالِفِ الْأَجْناسِ  
وَأَسْقِ الْأَنَامَ إِذَا سَكَرْتَ بِقِيَّتِي      وَأَفِضْ عَلَى الْأَفَاقِ فَضْلَةَ كَاسِي  
مِنْ خَمْرَةٍ تَنْفِي الْهُمُومَ إِذَا بَدَتْ      عَنِّي وَيَذْهَبُ شُرْبُهَا وَسُوَاسِي  
حَمْرَاءَ صَافِيَةٍ تَوَقَّدَ نُورُهَا      كَتَوَقَّدَ الْمِصْبَاحَ وَالْمِقْبَاسِ

وقصيدة في رثاء والده، منها:

هَذَا، وَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى      أَمْرًا مَهُولًا مَا يَكَادُ يُحْتَمَلُ  
أَيْسَرُهُ لَوْ أَنَّهُ أَلْقَى عَلَيَّ      طَوْدٍ عَظِيمٍ شَاهِقٍ لَمَّا حَمَلُ  
وَمَعَ تَجَافِي الْحَبِّ قَدْ عَانَدَنِي الدُّ      دَهْرُ الَّذِي حَكَمْتُهُ فَمَا عَدَلُ  
أَذْهَبَ مَنْ كَانَ عِمَادِي فِي الرَّجَا      وَمَنْ بِهِ نِلْتُ نِهَايَاتِ الْأَمَلُ  
أَعْنِي بِهِ الْوَالِدَ، وَآ لَهْفِي عَلَيَّ      عَيْشٍ بِهِ قَضَيْتُهُ بِلا وَجَلُ  
أَنْدَرَسَتْ طَرْقُ النَّدى مِنْ بَعْدِهِ      وَمَنْهَجُ الْعِلْمِ عَفَا ثُمَّ اضمَحَلُ  
لَهْفِي عَلَيْهِ وَعَلَى زَمَانِهِ      لَهْفَ كَثِيبٍ مِنْ جَوَاهِ مَا أَبَلُ  
وَحُزْنَ قَلْبِي أَبَدًا مُؤَبَّدُ      مَا يَنْقُضِي قَطُّ بِحَتَّى وَلَعَلُ

وقال الذهبي في ترجمته: «الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل، الملقب بتاج الدين، العارف شمس الدين...؛ وكان الحسن هذا من رجال العالم رأياً ودهاءً، وله فضلٌ وأدبٌ وشعرٌ جيدٌ وتصانيفٌ في التصوف، وله أتباعٌ ومريدون يتغالون فيه؛ وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق ما بين القدم والفرق!»

ومن تصانيفه: كتاب مَحْكُ الإيمان، وكتاب الجلوة الأرباب الخلوة، وكتاب هداية الأصحاب؛ وله ديوان شعر فيه أشياء من الاتحاد،...»<sup>(١٢)</sup>.

وأُشْد له أشعاراً منها قوله من الدوبيت:

الحِكمةُ أَنْ تَشْرَبَ فِي الحانَتِ خَمراً قُرنَتِ بِسائِرِ اللِّذاتِ  
مِنْ كَفِّ مُهْفَهْفٍ متى ما تُلِيَتْ آياتُ صِفاتِه بَدَتْ في ذاتي

وقوله من أرجوزة:

وشاهدتْ عينايَ أمراً هائلاً جَلَّ بَأْنُ تَرى لَه مُمائِلاً  
فَغِبْتُ عَند ذاكِ عَن وُجودِي لَمّا تَجَلَّى الحَقُّ في شُهودِي  
وعاينَتْ عينايَ ذاتَ الباري مِنْ غَير ما شَكَّ ولا تَمارِ (!)  
فَكُنْتُ مِنْ رَبِّي لا مَحالَه كَقابِ قَوسَينِ وأَدنى حالَه (!)

ونقل صلاح الدين الصفدي بعض ترجمته عن الذهبي، ثم قال: «وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة»<sup>(١٣)</sup>.

ولم يترجم ابن المستوفي لأحد من أبناء أبي محمد الحسن بن عدي، ومنهم: كبيرهم محمد الذي خلفه في الرئاسة والسيادة، وعمر صاحب هذه الاختيارات؛ ومعنى هذا أنهما لم يكن لهما ذكر عندما ألف ابن المستوفي (المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) كتابه، وقد كانت ولادة أبيهما سنة (٥٩٢) ومقتله سنة (٦٤٤ هـ)، فإذا افترضنا أنه تزوج صغيراً وعمره خمسة عشر عاماً (سنة ٦٠٧ هـ) وأن الكبير محمداً وُلِد بعد عام (سنة ٦٠٨ هـ) وأن صاحبنا عمر كان الثاني وُلِد بعد عامين، فإن ولادته كانت عام (٦١٠ هـ) إن لم تكن بعد ذلك.

هذا ما يمكن تقديره لتاريخ ولادة مؤلف الاختيارات عمر بن الحسن بن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الأموي القرشي نسباً الشامي أصلاً الهكاري منشأ.

أما وفاته فليس بين أيدينا ما يُعين على تحديدها ولو تقريباً، ولكنها كانت بعد أن بلغ سنّاً مكنته من طلب العلم والاختيار والتأليف، وقد قدرنا فيما سبق ولادته سنة (٦١٠ هـ) على أقل تقدير، ولذلك نظن أن وفاته كانت بعد سنة (٦٤٠ هـ)؛ وربما كان ممن قتل حين دخل المغول العراق وسقطت بأيديهم بغداد عام (٦٥٦ هـ) ثم اتجهوا إلى حلب وحاصروها إلى أن سقطت عام (٦٥٨ هـ)، كما هو مسطور مشهور في كتب التاريخ، وكانت جيوشهم تعيثُ فساداً وقتلاً بين هذين العامين في البلاد الواقعة بين حلب وبغداد ومنها الموصل وما حولها، وهي ديار المؤلف وأهله.

١٢- تاريخ الإسلام ١٤: ٤٩٩؛ الدست: كلمة فارسية من معانيها الرئاسة والسيادة.

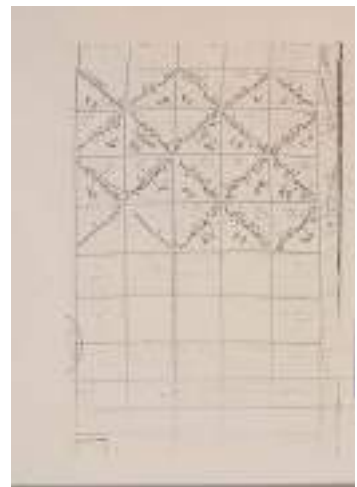
١٣- الوافي بالوفيات ١٢: ١٠٢.

هذا، وما ورد في مخطوطة الكتاب العراقيّة - وهي راجعة إلى عصر المؤلف إن لم تكن هي نسخته - من وصفه بـ (الشاميّ الأمويّ) يقطع الجدال الذي يجده المتصفح في عدد من المواقع على الشابكة عن أصل الشيخ عديّ وعروبته، وهو جدال وراءه دوافع لا علاقة لها بالعلم، بل لا علاقة لها أحياناً بالعقل والفهم؛ ولذلك نربأ بأنفسنا عن الخوض فيه، غير أننا نشير إلى أنّ بعضهم زعم أنّ (مُساferاً) الوارد في النسب صفة بمعنى المهاجر لا اسم علم، لأنّ الرجل هاجر من جبال هكار إلى بيت فار في بعلبك! إلى مزاعم أخرى أراد بها نفي النسبة إلى بني أمية؛ ولذلك نشير إلى أنّ (مُساferاً) اسم عريق في بني أمية، وقد عُرف في التاريخ والأدب رجل منهم هو (مُساfer بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) كان شاعراً جميلاً كريماً من أزواد الركب من قريش، لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزوّد معهم أحد، وكان صديقاً وندماً لأبي طالب (عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف) عمّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، فلما مات في موضع يُقال له هباله (في خير أوردته أهل الأدب والتاريخ والأنساب) رثاه أبو طالب بقوله من قصيدة هي من عيون المرثي، ومنها:

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمِّ رَجَعِ الرَّكْبِ سَالِمِينَ جَمِيعًا  
وَلَيْتَ يَقُولُهَا مَحْزُونٌ وَخَلِيلِي فِي مَرْمَسٍ مَدْفُونٌ  
بُورِكَ السَّمِيَّتِ الْغَرِيبِ كَمَا بُو رَكَ غُصْنِ الرَّيْحَانِ وَالزَّيْتُونِ  
مَيِّتٌ صَدَقَ عَلَى هَبَالَةٍ قَدْ حَا لَتَ فَيَافٍ مِنْ دُونِهِ وَحُزُونِ  
كُنْتَ لِي عُدَّةً وَفَوْقَكَ لَا فَوْ قَ فَقَدْ صَرْتَ لَيْسَ دُونَكَ دُونَِ  
كُنْتَ مَوْئِي وَصَاحِبًا صَادِقَ الْخَبْرِ رَةِ حَقًّا وَخُلَّةً لَا تَخُونِ  
كَمْ خَلِيلٍ رَزَيْتُهُ وَأَبْنِ عَمِّ وَحَمِيمٍ قَضَيْتَ عَلَيْهِ الْمَنُونَ  
فَتَعَزَّيْتُ بِالتَّاسِي وَبِالصَّبْرِ رِ، وَإِنِّي بِصَاحِبِي لَضَنِينُ

## صور من المخطوطين:

من المخطوط الشاميّ (ش):





من المخطوط العراقي (ع):



### المصادر والمراجع

- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ إربل: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي (٦٣٧ هـ)، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠ م.
- تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي: تحقيق: محمد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.
- فهرس المخطوطات المصورة / ملحق / في مكتبة معهد التراث العلمي العربي: إعداد: محمد عزت عمر، منشورات جامعة حلب، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.
- معجم الباطنين: على الشاذلي.
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤ هـ)، تحقيق: عدد من المحققين، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
- اليزيدية: سعيد الديوه جي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣ م.

# منهج شكري فيصل في تحقيق (خريدة القصر)

## قسم شعراء الشام

د. عبد الناصر إسماعيل عسّاف\*

كان للدكتور شكري فيصل (١٩١٨-١٩٨٥م) - رحمه الله - مشاركة في تحقيق المخطوطات العربية، كان له فيها من الممارسة والمعاناة ما فيها، صدر فيها عن رؤية ومنهج، وذلك ما تفصح عنه وعن غيره تلك النصوص والكتب التي حقّقها، وتدلّ عليه وجوه العناية التي خدم بها تلك النصوص والكتب، والتعليقات المكتنزة بالعلم والجهد والفتنة، والمقدمات التي كان يقدّم بها بين يدي تلك الكتب، والفهارس التي كان يسرد فيها من النصوص المحقّقة ما يقدر أنّه ذو حاجة إلى فهرسة.

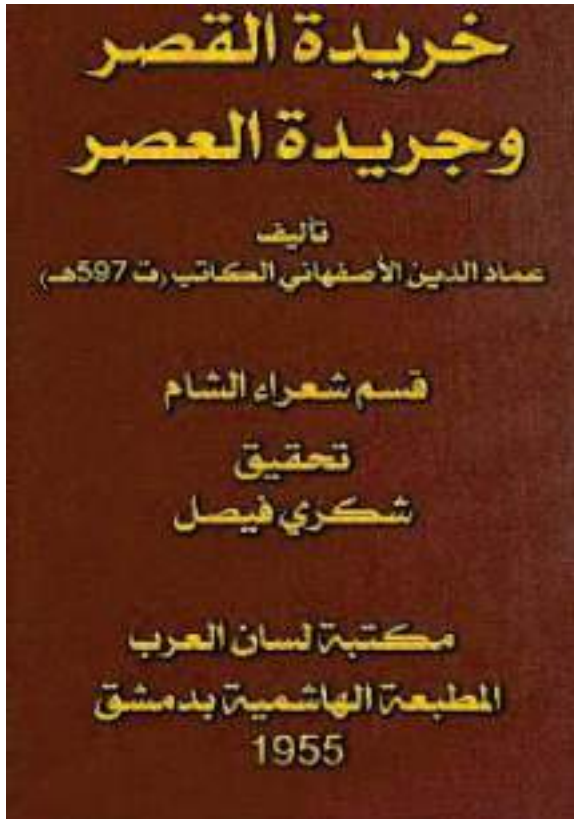
ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت - دار الفكر - دمشق - ١٩٦٨.  
تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣١ -  
١٩٧٧؛ ج ٣٣ - ١٩٨١: بالاشتراك مع سكينه الشهابي  
ومطاع الطرابيشي؛ ج ٣٢ - ١٩٨٢: بالاشتراك مع  
روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد. مطبوعات  
مجمع اللغة العربية بدمشق.  
الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١١ - منشورات  
المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت - (١٩٨١)<sup>(٢)</sup>.

٢- وورد في كتاب نيل الأعلام، أحمد العلّاونة، ص ١٠٠ أنّ الجزء  
الذي حقّقه هو الجزء الخامس عشر. وهذا سهو؛ وقد اعتنى بهذا  
الجزء (١٥) بيرند راتكه.

وقد حقّق الدكتور شكري فيصل<sup>(١)</sup>:  
مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام - مجلة  
المجمع العلمي العربي بدمشق، ج ١، م ٢٧، ١٩٥٢.  
خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني: قسم  
شعراء الشام - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق:  
ج ١ - ١٩٥٥، ج ٢ - ١٩٥٩، ج ٣ - ١٩٦٤، ج ٤ - ١٩٦٨. أبو  
العتاهية: أشعاره وأخباره - دار الملاح - دمشق - ١٩٦٥.

\* عضو عامل في مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ومدرّس النّحو  
والصّرف في جامعة دمشق.

١- انظر في ترجمة الدكتور شكري فيصل وحياته وآثاره  
وتحقيقاته: أعلام مجمع اللغة العربية في مئة عام، إعداد الأستاذ مروان  
البواب، ص ١٩٧-٢٠١؛ وشكري فيصل: العالم والأديب والمجمعي، د.  
محمد مطيع الحافظ، ص ٩٩-١٣٣.



وتحقيق الدكتور شكري فيصل لخريدة القصر - قسم شعراء الشام بأجزائه الأربعة يُعدّ أول تجربة تحقيق متكاملة نهض بها، ولذلك رأيت أن أتناول في هذه الكلمة منهج الدكتور شكري فيصل في تحقيق (خريدة القصر وجريدة أهل العصر: قسم شعراء الشام).

### - خريدة القصر وجريدة العصر<sup>(٣)</sup>:

يُصنّف كتاب الخريدة للعماد الأصفهاني (١٩٥٠هـ) في كتب المختارات الشعرية، وهو خير كتب العماد، أنفق في جمعها واستيعاب مادتها مدة طويلة من حياته الحافلة. وقد توفّرت له من الأسباب

٣- الكلام على الخريدة مستفاد ممّا ذكره الدكتور شكري فيصل في بعض ما قدّم به بين يدي الأجزاء التي حقّقها، وقد عقدت الكلام بعبارة أحياناً. انظر: خريدة القصر وجريدة العصر: قسم شعراء الشام، العماد الأصفهاني، تح: د. شكري فيصل، ١/٣ - ٤، ٦، ٧ - ٨؛ ٢/٥ - ٦، ٧ - ١٦، ٤/٣٨ - ٣٩.

والظاهر من بعض كلام الدكتور شكري فيصل أنّ نفسه كانت تحدّثه بتحقيق قسم شعراء العجم من كتاب الخريدة، وأنّه كان يعدّ لذلك عدّته؛ فقد ختم مقدمة الجزء الرابع بما عنون له ب «تحية وإهداء» قال فيه [٤ / ٤٣]: «إنّ أفضل ما يكون في ختام هذه المقدّمة أن أتوجّه إلى الله سبحانه أشكره على ما أنعم به من عون على إنجاز هذا الجزء، وأضرع إليه، تعالى جدّه، أن يكون لي عوناً على الذي أعدّه من قسم شعراء العجم وأن ييسره لي، وأن يتقبل ذلك ويرضاه على أنّه بعض الجهد الواجب في سبيله والجهاد في تأصيل لغة كتابه، وهو وحده المرجو، وهو حسبنا ونعم الوكيل. دمشق غرة شعبان المعظم ١٣٨٨ - ٢٣ من تشرين الأول ١٩٦٨. شكري فيصل.»

هذا مبلغ علمنا في ذلك، ولا ندري ما مصير ذلك؟ وهل كانت له ثمرة؟

اجتزأ بالوقوف عند حدود التقسيم الكبير للكتاب، حين كسره على أربعة أقسام، وأنه لم يُتَح له بعد ذلك أن يُعنى بتنظيم التفريعات الصغرى في هذه الأقسام الكبرى؛ وأنَّ العماد لم يُتَح له أن يصقل كتابه وأن يعرضه العرضة الأخيرة، فظلَّ في نطاق العمل الذي يحس صاحبه الحاجة إلى أن يعيد النظر فيه ثمَّ لا تمكَّن له الأيام من الذي يريد.

وقد كان للدكتور شكري فيصل صلة قديمة بالخريدة تمتد إلى ما بين السنوات ١٩٤٨ و ١٩٥٢، حين كان في القاهرة يعدُّ رسالة الدكتوراه، وكان في ذلك الوقت يتصدَّى لتحقيق قسم مصر من الخريدة الدكتور أحمد أمين والدكتور شوقي ضيف والدكتور إحسان عباس، حتى إذا عاد إلى دمشق كلّفه رئيس المجمع الأستاذ محمد كرد علي أن يحقّق قسم شعراء الشام من الخريدة. وفي ذلك الحين كان المجمع العلمي العراقي ينشر قسم العراق منه<sup>(٤)</sup>.

وقد كان للدكتور شكري فيصل في تحقيق قسم شعراء الشام من الخريدة تجربة صدر فيها عن رؤية ومنهج، وكانت له فيها ممارسة ومعاونة يدلّ عليهما وجوه الخدمة التي ألقاها على النصِّ المحقّق، وتناولُ الزمن على تحقيق القسم بأجزائه الأربعة؛ إذ كان ما بين الجزء وتاليه منها أربع سنوات أو خمس. حتى إذا كان عام ١٩٦٨ م صدر الجزء الرابع الذي بدا

٤- حَقَّق القسم العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري في ستة أجزاء، وساعده في تحقيق الجزء الأول د. جميل سعيد، وصدر عن المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥، ١٩٦٤، ١٩٧٦، ١٩٧٨، ١٩٧٣، ١٩٨١. وحَقَّق قسم أصفهان وخراسان وفارس د. عدنان محمد آل طعمة، في ثلاثة أجزاء، وصدر في طهران - ١٩٩٩ م. وحَقَّق د. أحمد أمين ود. شوقي ضيف ود. إحسان عباس قسم شعراء مصر في جزأين ١٩٥١. وحَقَّق قسم شعراء المغرب (١) محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، تونس - ١٩٨٦، وقسم شعراء المغرب والأندلس (٢) آذرتوش آذرتاش، تونس - ١٩٨٦ م.

ما ساعده على ذكر الشعراء الذين كانوا بعد المئة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسة. وهي تجمع شعراء العالم الإسلاميّ كلّ «شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب». وهي إلى ذلك قريبة من كتب التراجم الموثوقة.

وتستمدّ الخريدة بعض أهمّيّتها من أنها حلقة متوسّطة في سلسلة من التآليف المتتابعة من قبل ومن بعد؛ فقد ذكروا أنه جعلها ذيلًا على (زينة الدهر) للحظيري الورّاق (ت ٥٦٨هـ) الذي جعل كتابه ذيلًا على (دمية القصر وعصرة أهل العصر) للباخرزي (ت ٤٦٧هـ)، الذي جعل كتابه ذيلًا على (يتيمة الدهر) للثعالبي (٣٥٠-٤٢٩هـ) الذي جعل كتابه ذيلًا على (البارع) لهارون بن علي المنجم (ت ٢٨٨هـ). ويبدو أنَّ العماد ذيل (الخريدة) بكتابه (السيل على الذيل). وللخريدة كما قال الدكتور شكري فيصل قيمة أدبيّة، وقيمة تاريخية، وقيمة ذاتية تتّصل بالعماد نفسه، وتعبّر عن أسلوبه في التآليف، ونهجه في الجمع، وطريقته في تزويد الخريدة بهذا الفيض من المختارات الشعرية حتى آلت هذه المجموعة الضخمة. وفيها ملاحظ نقدية كان ينثرها أحيانًا في أعقاب القصائد أو في مقدّماتها أو في أثنائها.

والخريدة في أربعة أقسام: الأوّل قسم العراق، والثاني قسم العجم وفارس وخراسان، والثالث قسم الشام، والرابع قسم مصر وصقلية والمغرب وبلاد الأندلس.

وقد بدا للدكتور شكري فيصل أنَّ العماد في خريدته لم يلتزم، في النسخ التي بين أيدينا، ما يجب أن يلتزم عادة من حسن التصنيف وتنسيق التآليف، فكان من ذلك وضّع بعض الشعراء في غير مواضعهم، وانقطاع وتداخل وتشتت. وغلب على ظنّه أنَّ العماد

معتمده الأكبر، ومنطلقه الدائم، على ما في أوله من نقص، وما كان في بعضه من خرم، مع الاستعانة بالأصول الأخرى، يستأنس بها على كل حال في تيسير القراءة، ويفيد من المقارنة بينها حيث يتحقق وجه الفائدة.

وإذا كان ذلك من أصول التحقيق العلمي فإن وصف النسخ أو الأصول الخطية التي كان استند إليها المحقق في إقامة النص على وجهه الصحيح، وضبطه كما ينبغي - وهو مما احتفل به كثيرًا، وأفاض فيه فيما كان يقدم به بين يدي الأجزاء الأربعة - ليس قطعة من بيان منهج التحقيق، بل هو عتبة من عتبات التحقيق.

ومن ثم ليس من المناسب أن نعجل ونتخذ من غياب ذلك (بيان المحقق لمنهجه في التحقيق) عن مصورة الجزء الأول تكأةً نحكم بها على أن الدكتور شكري فيصل غفل عن بيان منهجه الذي اتبعه في تحقيق القسم الذي حققه من الخريدة حيث كان يجب أن يعلنه؛ أي: فيما قدم به بين يدي الجزء الأول.

وعلى أن ذلك - لو كان - لا يعني أن المحقق هجم على النص يحققه كيفما اتفق دون منهج واضح مكتمل مستبين؛ لأن إجراءات التحقيق العملية ووجوه الخدمة التي خدم بها النص في هذا الجزء، ودل عليها النص وحواشيه وفهارسه، دالة على ملامح ذلك المنهج وأصوله، وأن منهج التحقيق كان فيما قام به واضحًا مثلئبًا.

ومما يدل على ذلك أن تجد الدكتور شكري فيصل يحيل وينبّه على تلك الإجراءات التي ذكرها وأنفذها في الجزء الأول، على وجه من الإجمال فيما قدم به بين يدي الجزء الثاني، إذ قال [٧ / ٢]: «أما عن النهج في تحقيق هذا الجزء فذلك هو الذي فعلت في الجزء الأول:

للدكتور شكري فيصل بعد نظر وفحص وتدبر أنه بداية قسم شعراء الشام، لا الجزء الرابع. وكثير من كلام الدكتور شكري فيصل في تلك الأجزاء، في الحواشي، وفي الفهارس، وفي المقدمات التي كان يسوقها بين يدي كل جزء من تلك الأجزاء شاهد على تلك الممارسة والمعاناة.

### منهج التحقيق:

من الأصول المنهجية المعروفة أن يعلن المحقق منهجه في التحقيق أول ما يعلنه في مقدمة تحقيقه للكتاب الذي حققه، أو في مقدمة الجزء الأول إذا كان ذلك الكتاب ذا أجزاء. وقد كان من أمري في هذه الكلمة أن وقفت على نسخة مصورة (Pdf) من هذا الكتاب الذي حققه الدكتور شكري فيصل، خلت مصورة الجزء الأول منها من كلام المحقق على منهجه، وبيان أصوله وضوابطه في ذلك. والعنصر الوحيد الذي ورد ثمة مما له صلة بذلك ما كان في بيان طريقتي في الإفادة من النسخ الخطية والجمع بينها في إقامة النص وبناءه على الوجه المناسب.

ذكر ثمة الأصول التي اعتمد عليها في ذلك، - وهي كما ذكر [١ / ٨-٩] مصورة نسخة المكتبة الوطنية بباريس (ب)، وهي الأصل الرئيسي؛ وجزء من الخريدة في معهد المخطوطات، مصور من مكتبة حسين جلبلي في بروسة تركية (ح)؛ وجزء آخر في معهد المخطوطات، مصور من مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا (ك)؛ وجزء صغير من الخريدة في معهد المخطوطات، مصور من مكتبة نور عثمانية (ن)؛ ومختصر الخريدة (عود الشباب) لعلي رضائي (ت ١٠٣٩هـ = ١٦٢٩م) (ع)؛ ووصفها [١ / ٩-١٤] كما يجب؛ ثم عقب على ذلك ببيان عمله الذي أعلن فيه [١ / ١٤] أنه جعل الأصل (ب)



على غيرها لسبب يعلنه؛ ففي الجزء الرابع مثلاً اعتمد على نسختين خطيتين: نسخة القرويين (قر)، ونسخة الأستاذ محمد التقي العلوي (تع)، وأثر النسخة الثانية، وكان أكثر اتكاله عليها كما قال [٤ / ٣٥]؛ «لأنها تفضل نسخة القرويين (قر) عتاقة أصل، وقرب عهد من المؤلف، ووضوح خط، وسلامة ورق، واهتماماً بالشكل أيّاً كان حظ هذا الاهتمام من الإصابة».

لكن الدكتور شكري فيصل لم يكتف بها؛ لما كان فيها من خروم في أربعة مواضع عينها ووصفها كما يجب [٤ / ٢٨ - ٢٩]، ولأن الإبهام في بعض المواضع يحتاج إلى نسخة أخرى تعين في توضيح ذلك وتبينه. قال ثمة: «إن كل هذه الصفات في (تع) لا تجزئ في الاكتفاء بها، ولا تنصرك في الاستغناء عن أختها؛ لأنها حيث تنصدع وتنخرم - وقد تحدّثت عن مواضع الخرم - لا يكون إلا الأخرى في سدّ الثغرة واستكمال النقص، وحيث تستبهم منها لفظة أو يستوعر تركيب، تكون الأخرى مساعدة على التسهيل والتوضيح... لقد كان إنجاز هذا الجزء رهناً بهما... وليس عليّ من بأس إن قلت: إنهما - على ما بينهما من فروق - متكاملتان، وإن تكاملهما لا يعني استواءهما في التقدير والتقييم».

ثم قال: «ومن هنا لم أثبت في المتن نسخة بعينها، وإنما أثبت ما بدا لي أنه الأصحّ والأصوب، وتركت للحواشي أن تشير إلى مواطن الاختلاف والافتراق، واحتمال وجوه أخرى من القراءات».

وهذا الذي أعلنه الدكتور شكري فيصل فيما قدّم به للجزء الرابع ذكر شيئاً منه فيما قدّم به للجزء الأول [١ / ١٤]، وتردّت أصدائه في النص المحقّق في أجزاء الأربعة جميعاً.

تحريّت وجه الصّحة، وأثبتت الخلاف بين النسخ، وشرحت ما وقع في نفسي ضرورة شرحه، ومهدت للنصّ حيث يجب التمهيد من حياة صاحبه أو من أحداث التاريخ، وساقني ذلك إلى التراجم والتعليقات والملاحظات التي يجدها القارئ في الهوامش المختلفة. ولجأت هنا إلى الذي لجأت إليه في الجزء الأول: استعنت بكلّ ما وقعت عليه من المصادر، وأوجزت أو أشرت إلى النقول عن الكتب المطبوعة المتداولة، ولكنني وقفت وقفة أكثر أناة وتمهلاً عند المصادر المخطوطة أو المصورة.

ولم أدخر جهداً في هذا السبيل، فتجاوزت في المصادر مخطوطات المكتبة الظاهرية، ومصوّرات مكتبة المجمع العلمي العربي إلى مصوّرات ومخطوطات الخزائن الخاصّة: خزانتي الأستاذ أحمد عبيد والدكتور يوسف العثّ.

وقد أكّد ذلك الدكتور شكري فيصل، وفصل فيه، وزاد عليه فيما قدّم به بين يدي الجزأين الثالث والرابع [٣ / ١٦ - ٢٠، ٤ / ٣٥ - ٣٧].

وإذا كان لك أن تجمع بين ما قاله الدكتور شكري فيصل فيما له علاقة بمنهج التحقيق، وإجراءاته العملية وتجلياته الظاهرة والدقيقة في النصّ وحواشيه وفهارسه = بدا لك منهجه يقوم على الأصول والأسس الآتية:

١- التوفيق بين النسخة الخطية المختارة أصلاً والنسخ الخطية الأخرى في إقامة النص على وجهه الصحيح الذي يقدره المحقّق. ذلك أنه لم يعتمد في أي جزء من الأجزاء الأربعة على نسخة بعينها على أنها أصل أو أمّ يستغني بها عمّا سواها، وتكفيه مؤونة اللجوء إلى النسخ الأخرى، وإن كان أكثر اتكاله واعتماده على تلك النسخة التي أثرها

: «(١٣) في الأصليين بتسهيل الهمزة في ألفاظ هذه الجملة. (١٤) في الأصليين: واسل. مع رأس همزة دقيقة فوق السين في «قر»». ولا شك أن مقصود المحقق من الحاشية الأولى هنا ألفاظ «الفضائل والخصائص والرذائل والنقائص». وقال [٤ / ٨٥] في التعليق على ما كان في البيت التالي من ألفاظ مهموزة:

### دع مهجة المشتاق مع أهوائها

يا لائمي ما أنت من نصحاءها

: «(٥) في الأصليين بالتخفيف: أهوايها، يا لائمي، نصحاياها. وكذلك القوافي كلها». ولي أن أنبّه على أن من فائت المحقق - رحمه الله - هنا أن ينبّه على تسكين عين «مع» في هذا البيت؛ فهو إمّا ضرورة وإمّا على لغة بعض العرب، وقد عزاها بعضهم إلى ربيعة وغمم.

وقد كان يكفي الدكتور شكري فيصل حيث وصف النسخ المخطوطة، وطريقة كتابتها، وما خالفت فيه قواعد الكتابة المألوفة في زماننا، أو حيث ذكر أصول منهجه في التحقيق = أن ينبّه على كتابة ما جرى في تلك النسخ على خلاف قواعد الكتابة في زماننا، حسب هذه القواعد؛ فذلك يغنيه عن التفصيل والتنبيه على ذلك حيث ورد موضعاً موضعاً. لكنّه كان كما تدلّ الحواشي حريصاً على بيان أكثر ما وقع في الأصول الخطيّة من وجوه الاختلاف الكتابية، كأنّه أراد بذلك وبغيره أن يُشعر القارئ بما كان منه في قراءة تلك المخطوطات من جهد ومعاناة، وما تبع ذلك من لذة ومتعة.

هذا إضافة إلى ما أراده ونصّ عليه فيما قدّم به بين يدي الجزء الرابع من التنبيه على بعض الصور الكتابية الدالّة على تطور الكتابة العربية.

## ٢- كتابة النصّ المحقق بحسب القواعد

الإملائية المتعارفة في زماننا، مع التنبيه على أصول تلك الكلمات المغيرة عن أصولها في النسخ الخطيّة إمّا بنقل صورها وإمّا بوصفها وصفاً دالاً على أحوالها. ولذلك كان مثلاً يردّ الكلمات المهموزة التي وردت في تلك النسخ على وجه من وجوه التسهيل والتخفيف - وهو في بعض النسخ كما يدلّ كلام الدكتور شكري فيصل غالب لا تحطئه العين - إلى وجه التحقيق، ويردّ الألف التي في آخر الكلمة إلى صورتها التي تقتضيها قواعد الكتابة المعتادة في أيامنا، ويحذف الألف الفارقة التي كانت تزداد أحياناً بعد واو الفعل المضارع الناقص الواوي، مع التنبيه على ذلك في الحواشي.

ومن أمثلة ذلك ما تراه في تعليق الدكتور شكري فيصل على كلمات «البأس، يعلو، أضحى، العمى» في مرثية العماد الأصفهاني للملك نور الدين [٤ / ٧٠-٧١]:  
ولما غاب نور الدِّي ن عنّا أظلم الحفل  
وزال الخصب والخير وزاد الشرُّ والمحلُّ  
ومات البأسُ والجودُ وعاش اليأسُ والبخلُ  
وكاد الدّين ينحطُّ وكاد الكفر أن يعلو  
ومن صلت به في الدّه ر أضحى وهو لي صلّ  
وماذا ينفع الأعـ ين من بعد العمى كحل  
إن قال معلقاً ثمة في الحواشي على تلك الألفاظ على التوالي:

«(٥) في الأصليين بالتخفيف.... (٩) في «قر»: يعل، وفي «تع»: يعلوا. ... (٢) في «تع»: أضحا، وفي «قر»: أضحى. ... (٥) رسمت في «تع»: العما».

وكان ممّا علق به على بعض ما في قول العماد [٤ / ٧٦]:  
«وقد خصصت الكتاب بذكر الفضائل والخصائص، ونزّهته عمّا عثرت عليه من الرذائل والنقائص، وأسأل الله تصويب قصدي، وتقريب رشدي».

في قول العماد [٢ / ١٠٦]: «ومن شعر أبي اليمن الرشيد بن علي بن المهنا في القطايف: شفاءً نفسي لو به أسعفت قطايف تعذب في اللقم يشهد بالشهد لناظها وباطن في اللون والطعم كأنها الإسفنج في مائه غريقة في دهنها الجم». والأصل فيها التحقيق: «القطائف»، وبذلك وردت في المعاجم.

٣- إقامة النصّ المحقق على وجهه الصحيح المناسب، وتحري ما يبدو للدكتور شكري فيصل أنه الأصح والأصوب اعتماداً على معارضة النسخ الخطية بعضها ببعض، وعلى مقابلة ذلك النصّ المحقق: مادته ونصوصه بما له صلة به من المصادر والأصول الأخرى المطبوعة أو المخطوطة.

وكان من أثر ذلك ومظاهره الدالة عليه إصلاح ما كان في الكلام من تصحيف وتحريف، وتصحيح أخطاء النسخ في الكتابة والضبط، وحذف الزائد الذي يختل به الكلام، والاستدراك على النصّ في النسخة المختارة بما ليس منها، إما بما ورد في النسخ الخطية والأصول الأخرى والمصادر التي لها صلة بالنص، وإما بما يقدره تقديراً يدعو إليه السياق أو على وجه من القياس.

ومن الأمثلة الدالة على بعض ذلك أن العماد اختار من قصيدة للأديب الغزيّ أبياتاً، منها ما صدرها العماد بفكرتها إذ قال [١ / ٢٠]: «ومنها في أن المستقيم لا يفوز بالغنى والحظ في الدنيا للمعوج:

واسم الغنى لا يفوز المستقيم به

كذلك الخط لا عجم على ألفه

«.....»

فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية «(٨) في الأصل: منها. وذكر البيت، ثم تابع: في أن... ويبدو أن ما أثبتناه أدنى إلى الاستقامة.»

قال في معرض بيان الخط وطريقة الكتابة في نسخة الأستاذ محمد العلوي «تع» التي يعود نسخها إلى القرن السابع الهجري [٤ / ٢٨]: «وقد أثبتت في الحواشي رسم كثير من الكلمات المهموزة التي تخالف أسلوبنا اليوم، رغبة في أن أضع أمام أولئك الذين يتتبعون تطور الكتابة العربية من هذا النحو، نماذج واضحة من رسم الهمزة في القرن السابع، وذلك من مثل: رجاءي = رجائي، تراءت = تراءت، الجأذر = الجأزر.»

ومن أمثلة ذلك ما كان في تعليقه [٤ / ٦٣، ٦٧] على كلمة «أصدقائي»:

قال في حاشية الموضوع الأول: «(١) في «قر»: أصدقاىى. وفي «تع»: أصدقاىى.»

وقال في حاشية الموضوع الثاني: «(٧) في الأصليين: أصدقاىى.»

وعلى أن الدكتور شكري فيصل لم يبلغ في ذلك حد الالتزام التام والتطبيق الشامل؛ فقد تردّد مثلاً في كتابة كلمة «مئة» وفروعها: كتبها غالباً بالألف «مائة»، وكتبها في مواضع من دون ألف «مئة»، والثاني هو الأنسب في زماننا.

ومن الأمثلة المخالفة أنه كتب بعض الكلمات المهموزة على التسهيل كما وردت في النسخ؛ فمن ذلك أنه ورد في كلام العماد [١ / ٢٧٦]: «فورد الخبر باستيلاء عسكره على مصر، فكتب إليه يهنّيه،...»

وكتابة «يهنّيه» على هذا الوجه متابعة لما في النسخ الخطية جارٍ على تسهيل «يهنّته». وقد ترك الدكتور شكري فيصل ذلك على حاله، مع أنه وقف على هذه الجملة، وعلق عليها بقوله: «لم ترد جملة «فكتب إليه يهنّيه» في «ح»...»

ومن ذلك ترك كلمة «القطايف» على وجه التسهيل

٥- إثبات الفروق بين النسخ والأصول الخطية وبعض المصادر التي كان لها صلة بالنص بوجه من الوجوه. وهذا الأصل من الأصول التي عني بها الدكتور شكري فيصل عناية كبيرة، فقد حرص على أن يسرد في الحواشي ما بين تلك النسخ والأصول وبعض المصادر من وجوه اختلاف: من زيادة ونقص، أو تصحيف أو تحريف، أو تقديم وتأخير. وقد ينقل من هوامش بعض تلك النسخ والأصول أو مما يدون فوق بعض الكلمات ما يفيد في شرح أو توضيح أو غير ذلك. ومن أمارات ذلك الاحتفال أن تجد حواشي الصفحات هنا وهناك تغصّ بتلك الفروق، متمخّصة لها؛ وأن يلتفت الدكتور شكري فيصل إلى رصد ما يصيب بعض الكلمات من إهمال حروفها أو إعجامها، ومن زوال بعض هذه الكلمة أو تلك بسبب الأرضة أو التصوير. وإثبات الفروق بين النسخ والأصول ليس عملاً حسيّاً آلياً، يقتصر على لحظ العين وتقييد القلم، بل ترى وراءه أحياناً من الدكتور شكري فيصل جهداً في الحكم العلمي على بعض الفروق، أو في التفسير والتعليل المناسبين.

وهذه أمثلة تدلّ على شيء من ذلك:

• علّق على آخر الأبيات الثلاثة التي ساقها العماد للحسن بن مسعود الحافظ في آخر ترجمته [١ / ٢٨٥] بقوله: «في هامش «ح» حول هذا البيت لفظة: «وله». كأنما كان يريد أن يستزيد من المختارات.».

• علّق بما ورد في نسخة الأصل من اختلاف، وبما في هوامشها من تعليقات على ما تحته خطّ في أبيات أبي الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري [١ / ٥٧٦-٥٧٨]:

تَجَنِّي وَتَلَزِمَنِي ذَنْبًا أَتَيْتَ بِهِ

ووجهُ غَدْرِكَ بادٍ ليس يلتئم

وقد كان من أمر الدكتور شكري فيصل إذا اختار العماد أبياتاً من قصيدة دون أبيات، وانتقل من بعضها إلى بعض دون التنبيه على ذلك بكلمة «ومنها» = أن يزيد تلك العبارة للدلالة على أنه اختار أبياتاً دون أبيات، وتجاوز بعضها، وللإشعار بما كان من انقطاع. كان يزيد تلك العبارة من نسخة من النسخ الخطية أو يزيدها من لدن نفسه يقدرها تقديرًا مراعاة للسياق، وقد يجعلها بين ( ) ، أو يتركها هملًا، وينبّه عليها في كلتا الحالتين في الحواشي. ولك أن ترى فيما اختاره العماد من شعر الغزّي نحوًا من عشرة أمثلة من ذلك [١ / ٩، ١٣، ١٦، ٥٠، ٦٥، ٦٨]، عبّ عليها الدكتور شكري فيصل في الحواشي ثمة بقوله: إضافة أو زيادة يقتضيها السياق، أو زيادة يقتضيها تتابع الأبيات في الديوان، أو أضفنا الكلمة أو اللفظة على الأصل؛ لأنّ في الديوان طائفة من الأبيات لم يخرتها العماد وتجاوزها. ومن زيادات الدكتور شكري فيصل - رحمه الله - التي ينبغي التنبيه عليها ذلك العنوان الفرعي الذي خلعه على الجزء الرابع، فقد نصّ في المقدمة التي قدّم بها لهذا الجزء أنه حار في تسمية هذا النصّ؛ لأنّ الذي استقرّ في ذهنه أنّ قسم الشام من الخريدة قد اكتمل بالأجزاء الثلاثة التي صدرت من قبل، فإذا بهذا الجزء الرابع يدفع تلك الطمأنينة، ويدحر اليقين الذي كان؛ لأنّ هذا الجزء كما ثبت بالبيّنات النصيّة الداخلية بداية قسم الشام من الكتاب. فما كان من المحقّق - رحمه الله - إلا أن يرى تسمية هذا الجزء من خلال مقدمة العماد التي كتبها والعناوين التي اصطنعها، فكان من تقديره ذلك أن تقرأ على غلاف هذا الجزء: «خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب - بداية قسم شعراء الشام: شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيوب».

وقد علّق الدكتور على الكلمات الأربع التي وضعت تحتها خطأً في الحواشي بقوله:  
 «(٦) في «ك»: وأنشد له...»  
 «(٧) في عود الشباب: صرط...»  
 «(٨) في طرف «ك»: نهر بدمشق...»  
 «(٩) في هامش الأصليين: نهر الأوساخ، وفي «ك» بإضافة: بدمشق...»

• ومن ذلك ما نراه في التعليق على قصيدة القائد سالم بن أبي سليمان، من عبيد مكة وقوادها، التي أنشدها الأمير عيسى بن فليته - وهو من أشرف مكة وولاتها- في العيد؛ فد علّق عليها وعلى سباقها بثلاث وعشرين حاشية، منها إحدى وعشرون حاشية متصلة بالفروق بين النسخ. من ذلك تعليقه على ما وضعت تحته خطأً في الأبيات التالية [٣ / ٤٥-٤٧]:

وكأنما بالظلم منها واللمى  
 عَذْبُ النَّمِيرِ وَقَهْوَةٌ صَهْبَاءُ  
 عيسى المتوجّج من علا قدرًا ومنّ  
 طابت بطيب مديحه الأنباء  
 هو نور ربّ العرش بين عباده  
 فليعلموا، والحجّة البيضاء  
 لله يأمر باطنًا أو ظاهرًا  
 فتصرف الأقدار كيف يشاء  
 لم يختلف خصمان في تفضيله  
 نطقت بذاك اللكن والفصحاء  
 بقوله في الحواشي: «(٦) في «ن»: اليم، وقد تقرأ كذلك في «ك»... (٣) لم يرد البيتان في «ن». (٤) في «ب» فيصرف. ولا نقط في «ك»... (١) بعد هذا البيت في «ن» لفظة «ومنها»؛ لأنّ النسخة تجاوزت البيت التالي إلى ما بعده...»  
 ثم علّق على البيت التالي للبيت الأخير هنا بقوله:  
 «(٣) لم يرد البيت في «ن»...»

قل للذي باعني بخساً بلا ثمن  
 بأيّ عُرْوَةٍ رِيحٍ أَنْتِ مُعْتَصِمٌ  
 فقلْتُ والعَدْلُ يَطْوِينِي وَيُنْشُرُنِي  
 أَكْفَفَ فَهَمْكَ لَا تُتْنِي لَهُ الْهَمَمُ  
 فأين كُنْتُمْ، وبيضُ الهند مُصَلَّتَهُ  
 والسَّمْهَرِيَّةُ والأَكْبَادُ تَنْحَطَمُ  
 قُمْنا وقد قَعَدَ الأَقْوَامُ أَجْمَعُهُمْ

فما تساوت به العقبان والرخم  
 فقال: «(٥) في الأصل: يلتتم... (٢) في الأصل: ريح. (٣) في الأصل: والعدل... (١) في هامش الأصل كتابة بخط مغاير، يبدو أنّها تفسير للفظتي: مصلته، وتنحطم. (٢) جاء في هامش الأصل، في سطرين الكلمتان التاليتان: أصل القوام. كأنّه يشير إلى الأصل الذي نقل عنه...»

• وعلّق على كلمتي «مصنعا» و«السما» من قول إسماعيل بن علي المعروف بابن العيزربي [٢ / ١٨٠]:  
 ويوم كساه الغيم ثوباً مصنّعاً وصاغت طرازيه  
 يدُ البرق عسجداً

كأنّ السّما، والرعد فيها، تذكر  
 هوى لهما فاستعبرت وتنهّدا  
 في الحاشيتين الثانية والثالثة ثمّة فقال: «(٢) في «ب»: مصنفا...» (٣) فوق هذه اللفظة في «ب» لفظة قصر. كأنّه يشير إلى قصر كلمة السماء في البيت...»

• ورد في الكلام على ابن أبي نجم الحلبي [٢ / ١٨٣]:  
 «قال ابن رُواحة الشاعر: ما رأيت أحداً أبلغ منه في محبة السنّة، وهو في حلب، وأنشدني له في شريف بدمشق:

أصبحت كالشك في أصله مُفْتَخِرًا  
 ويستحيل إلى ضرّ وتخليط  
 ما أنت إلا كباناس فأوّه  
 عذبّ فراتٍ ومنه ماء قلوّط...»



بعض المصوّرات كمصوّرة البرق الشاميّ، وبعض المطبوعات كالروضتين، أن أجد الطريق إلى استيفاء ما تجاوزه العماد في مختاراته، والتنبيه على ما قد يكون غفل أو تغافل عنه.».

وهذا الكلام في موضعه وسياقه يوحي بأن ذلك موصول بالجزء الرابع وحده، مختصّ بالمختارات الأدبية، لكنّ النظر في الأجزاء الأخرى يدلّنا على أنّ ذلك لم يقتصر على الجزء الرابع، ولا اختصّ بالمختارات، وإن كان الغالب أن يكون فيها.

ولهذه المقابلة فوائد يدلّ عليها النصّ المحقّق وهوامش التحقيق، منها إصلاح النصّ وإحكامه، وتوثيق المادّة، واستدراك ما فات، والتنبيه على تعدّد الروايات، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح وبيان، ونقل ما يكون فيه فائدة للقارئ.

ولك أن ترى من الأمثلة الدالّة على ذلك ما كان في ترجمة الأديب الغزّيّ [١ / ٣-٧٥]؛ إذ قابل الدكتور شكري فيصل كلام العماد في ذلك واختياراته من شعر الغزّيّ على مصوّرة ديوان الغزّيّ المنقولة من نسخة المكتبة الوطنية الأهليّة بباريس، التي كان يحتفظ بها مجمع اللغة العربيّة بدمشق (رقم ١١١ - خزّانة المجمع)، ومختارات البارودي من الديوان، وغيرهما؛ فكان من ذلك إصلاح واستدراك وتوضيحات.

ولي أن أذكر لك هنا هذين المثالين:

• اختار العماد [١ / ٦٠] من قصيدة للغزّيّ أبياتاً منها:

يُفْجَمِ النَّاطِقِينَ بِالْحَرْفِ، وَالْكَو

كَبُ مَهْمَا تَبَلَّجَ الصُّبْحُ غَارَا

ومتى حلّ مشكلات الخفيا

حلّ عن جيد فهمك الأزرارا

ثمّ قال: «ومنها في القلم:

والحاشية الأخيرة ممّا لا حاجة إليه، لدلالة الحاشية التي قبلها على ما فيها، ولذلك يمكن الاستغناء عنها.

• ومن ذلك ما كان في تعليقه على بعض ما ورد في نصّ قصيدة للمهديّ بن علي بن مهدي، أوّلها:

أَبْلَغُ قَرَى تَعَكَّرَ وَلَا جَرَمًا أَنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ قَدْ  
دَهَمَا

وَقَلَّ لَجَنَاتُهَا سَأْبَدَلُهَا

سَيلاً كَأَيَّامِ مَأْرَبٍ عَرَمَا

فقد علّق مثلاً على بعض ما في هذين البيتين بأربع حواشٍ، منها هاتان الحاشيتان اللتان لهما علاقة بما وضعت تحته خطاً:

«تحت اللفظة في «ب»: موضع. وفي معجم البلدان: قلعة حصينة عظيمة مكيّنة ليس باليمن قلعة أحصن منها فيما بلغني.».

«بعد هذا البيت في «ن»: ختامها: اسم موضع. والناسخ هنا ارتكب خطأ مضاعفاً، فقد قرأ لفظه موضع «الواردة في الحاشية ٦، والتي هي تحت كلمة تعكّر وفوق كلمة لجناتها»، ثمّ قرأ كلمة «لجناتها» خطأ: ختامها؛ ثمّ جمع بينهما وألف منهما هذه الجملة وأقحمها في متن النسخة.».

٥- ربط مادّة الكتاب، ولا سيّما النصوص

والمختارات الأدبية، بالمصادر التي عرضت لها أو توقفت عندها. وهذا الأصل ممّا نصّ عليه الدكتور شكري فيصل فيما قدّم به بين يدي الجزء الرابع، نصّ عليه وقيّده بالنصوص - التي ربّما أراد بها تلك (المختارات الأدبية) - في قوله [٤ / ٢٦]: «وربطت بين هذه النصوص وبين المصادر الأخرى التي عرضت لها أو وقفت عندها.. وقابلت بين النصّ هنا والنصّ هناك، حيث يشتركان أو حيث يفترقان. وأتاحت لي

## وله المزبر الذي ينظم الأح

رَفَ زَعْفًا، يثني بها الأقدارا،

فعلّق الدكتور شكري فيصل ثمة في الحاشية على عبارة «ومنها في القلم» بقوله: «البيتان متتابعان في الديوان، وعلى ذلك يبدو أن حاجة<sup>(٥)</sup> لقوله: ومنها».

• وحين ذكر العماد قول الغزّي [١ / ٧٤]:

والنصر ليس يبين حق بيانه

إلا إذا ستر الخميس القسطل

قال الدكتور شكري فيصل: «في هامش الديوان: الخميس من أسماء الجيش. والقسطل: الغبار» (المثار).

ولك أن ترى أمثلة أخرى في حواشي الدكتور شكري فيصل حيث ترجم العماد لفتيان الدمشقيّ [١ / ٢٤٧-٢٥٩]، فقد قابل النصر ثمة، ولا سيّما المختارات، بصورة من ديوان فتیان الدمشقيّ الشاغوري وصفها الدكتور بقوله: «وفي خزّانة مخطوطات المجمع العلمي العربي بدمشق صورة نسخة خطيّة نفيسة من الديوان رقم ١٤١، لعلّها النسخة الوحيدة، وهي من اختيار ابنه وجمعه، كتبت سنة ٦٢٢».

هذا، وقد تزرع مقابلة الدكتور شكري فيصل للنص على بعض المصادر في نفسه الشك، فتراه يرتاب فيما يكون في بعض النسخ المخطوطة، ويتردد في القطع فيه. ومن ذلك مثلاً أنّه ورد في الكلام على المهذب بن أسعد الموصليّ [٢ / ٢٨٨]: «وأنشدني له قصيدة عملها في الملك العادل نور الدين محمود بن زَنكي - رحمه الله - سنة أغارت الإفرنج على مُعسكره ومخيّمه بالبقية تحت حصن الأكراد، وكانت نوبة عظيمة على المسلمين، وأفلت في فلّ من عسكره...».

٥- كذا ورد، والصحيح: أن لا حاجة...

فقال الدكتور شكري فيصل في ضوء مقابلة النص على كتاب الروضتين: «هل هي قُلّ؟ ينقل صاحب الروضتين (ج ١ ص ١٣٣) في أحداث سنة ٥٥٩ عن العماد: وأفلت في أقلّ من عشرة من عسكره». ولو شرح الدكتور كلمة «فلّ»، فقال: الفلّ: المنهزم. «وقوم فلّ: منهزمون، يستوي فيه الواحد والجمع»؛ ثمّ ذكر عبارة صاحب كتاب الروضتين لكان أنسب؛ لأنّ كلمة «فلّ» بالفاء دالة على المعنى المقصود، والكلام بها لفظاً ومعنى مستقيم لا خلل فيه.

## ٦- التعريف حيث ينبغي بمن ذكره العماد في

الخريدة واختار من أدبه في صدر ترجمته، تعريفاً مستمداً من حياة صاحبها، أو من أحداث التاريخ. وهو ما أعلنه الدكتور شكري فيصل في مقدمة الجزء الثاني حيث قال [٢ / ٧]: «ومهدت للنصّ حيث يجب التمهيد من حياة صاحبه أو من أحداث التاريخ».

ولست أرى ما يدعو إلى تفسير كلمة «النص» في قول الدكتور شكري فيصل بالنصّ من المختارات الأدبية، ولا سيّما الشعرية؛ لأنّ ذلك التعريف كان في صدر ذكر أولئك المترجمين المذكورين، وغاب عن المواضع التي كانت تُسرّد فيها تلك النصوص (المختارات الأدبية). وعلى أن ذلك التعريف التمهيدي عند التحقيق لا يرقى إلى حدّ الوجوب، خلافاً لما ذكره المحقّق.

وهذا التعريف إذا وُضع في موضعه، حيث يجب، يساعد في ترميم ترجمة المعرفّ به، ويُغنيها، وتوثيق الترجمة من مظانّها من كتب التراجم والتاريخ.

## ٧- شرح ما يحتاج من ألفاظ النصّ المحقّق إلى

شرح. وقد شرح الدكتور شكري فيصل ما شرّحه، وذكر معناه معتمداً على ما وقر في محفّوظه، أو على ما كان في بعض معاجم العربية، وإن كان قليلاً ما ينصّ على هذا المعجم الذي نقل منه أو ذاك؛ أو على ما كان

«(١) في الهامش من «ب»: نث الخبر: أفشاه...»

«(٢) « » « » «: أي نحوه...»

وقد يقصد الدكتور شكري فيصل أحياناً بيان ما وراء المعنى المعجمي، ويبين المعنى السياقي أو المجازي. ومن ذلك مثلاً ما كان منه إذ شرح «الظلم» في قول الغزي [١ / ٦٣]:

**وَمَلِكٌ جُبْتُ نَحْوَهُ ظُلْمًا**

فزرتة مُشرق المنى، شحبا

قال: «الليالي الثلاث الأخيرة من الشهر، أو ج ظلمة بمعنى نهاب النور. ويقصد الشاعر إلى الطرق الصعبة والمسافات المهلكة التي قطعها...»

ومنه ما نقله من هامش (عود الشباب): الأصل الخطي الذي كان من مصادره في الجزء الأول في تفسير التعبير الوصفي: «فعل مضارع» في قول نصر الهيتي [١ / ٢٣٨]:

**وأفعاله في المكرمات كعزمه**

مواض، فما فيهن فعل مضارع

قال: «في هامش «عود الشباب» التعليقة التالية على لفظة «فعل مضارع»: فعل رضائي الاختيار...»

والمقصود بما في الحاشية الأخيرة أن الفعل المضارع محتمل، وليس واجب التحقق، فقد يقع وقد لا يقع.

٨- ترجمة الأعلام والتعريف بأصحابها.

وهذا أصل من أصول منهج الدكتور شكري فيصل نص عليه في غير موضع. وقد ذكر في مقدمة الجزء الثالث [٣ / ٢٠] أن «هنالك ترجمات لم أطل فيها، فقد عرفت بأصحابها تعريفاً سريعاً، ثم أطلت على مصادر الترجمة؛ على حين كان إلى جانبها ترجمات أخرى، أوليتها وقفة أطول واهتماماً أوفى، وتلك هي التي وقفت عليها في بعض المصورتات أو المخطوطات أو الكتب النادرة، فأثرت أن أترك القارئ بها، وأن أضعه أمامها بكل تفصيلاتها...»

في هوامش بعض النسخ والأصول الخطية، أو المصادر التي لها صلة بالنص.

والحكم على حاجة ما يحتاج من الألفاظ إلى شرح أمر «اعتباري» نسبي يقوم على الرأي والتقدير. وقد كان ذلك فيما نهض به الدكتور شكري فيصل منه بحسب ما بدا له ووقع في نفسه. قال في مقدمة الجزء الثاني [٢ / ٧]: «وشرحت ما وقع في نفسي ضرورة شرحه...»، وقال في مقدمة الجزء الثالث: [٣ / ١٩]: «وشرح ما بدا لي أنه في حاجة إلى شرح...»

ولذلك قد يبدو للقارئ هنا وهناك إذا نظر إلى الأمر بحسب تقديره هو خاصة أن الدكتور شكري فيصل ترك شرح ما يحتاج إلى شرح، وهذا ما يؤكده لك النص المحقق هنا وهناك؛ إذ قد تمر بك عشرات الصفحات المتتالية خالية من أي حاشية شارحة، قبل أن تصادفك من ذلك حاشية هنا وأخرى هناك؛ وقد يبدو لقارئ آخر بحسب تقديره أن الدكتور شكري فيصل قد شرح من الألفاظ ما لا يحتاج إلى شرح.

وإلى ذلك، ينبغي التنبيه على أنه ربما كان وراء ما نحا إليه الدكتور شكري فيصل من شرح بعض الألفاظ بما ورد في هوامش بعض النسخ الخطية حبه لتوظيف ما كان في تلك الهوامش مهما كان - وهذا بادٍ تفشي به حواشيه - ورغبته في إطلاع القارئ على ذلك.

• ومن ذلك مثلاً أنه علق في الحواشي على ما تحته خط من قول الأمير علي بن مرشد [١ / ٥٥٠]:

وكل من باح بالشكوى استراح ومن أخفى الجوى نث عنه شاهد البدن

**أرقت عيني بنوح لست أفهمه**

مع ما بقلبي من وجد يورقني

بما في هامش الأصل، فقال:

شكري فيصل ثمة حاشية قال فيها: «(٦) في كتب التراجم، في حدود الخمسمائة، اثنان بهذه النسبة أحدهما: أبو سعد بن أحمد بن أبي يوسف الهروي قاضي همدان (انظر ترجمته في طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٣١)، والثاني في الطبقات كذلك (ج ٤ ص ١٩٥) - ولعله هو المقصود - محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي القاضي أحد الفقهاء الرؤساء... قُتل سنة تسع عشرة وخمسمائة، وفي تاريخ الذهبي: سنة ثمان وعشرة، وفي تاريخه أيضاً أنه حنفي... إلخ». وقد نقل ترجمته من تاريخ ابن الأثير، والنجوم الزاهرة، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران.

وقد تجد الدكتور شكري فيصل ينمي ترجمة العلم إذا تردّد في الجزء الواحد أو في غير جزء من الأجزاء، يحيل في الموضوع التالي على الموضوع الذي ترجم له فيه أولاً، ثمّ يزيد في مصادر ترجمته ما لم يذكره، أو يزيد فيه ما لم يذكره في ترجمته في الموضوع السابق. وهذه ثلاثة أمثلة دالة على ذلك:

• ورد في أثناء الكلام على الحسن بن مسعود الحافظ [١ / ٢٨٥]: «أبو بكر محمد بن علي بن ياسر»، فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية ثمة: «انظر في التعريف به الهامش الثالث من الصفحة ٣٦، وأضف: ترجم له الذهبي في سير النبلاء «مخطوط» وذكر أنه ولد بجيآن في الأندلس في شعبان من سنة ٤٩٢، وتوفي في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة ٥٦٣...».

• ذُكر فخر الملك أبو عليّ عمّار بن محمد بن عمّار في الجزء الرابع [٤ / ١٥٣] في سياق سرد قصيدة لابن الخياط الدمشقيّ في مدحه؛ فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية ثمة: «سبق أن ترجمت له ترجمة حسنة في الهامش الأخير من الصفحة ٧٧ من الجزء الأول، ويحسن هنا أن أضيف ما يلي:...». ثمّ ذكر

وكلام الدكتور شكري فيصل حيث ذكر ذلك دالّ على أنّ ذلك مقتصر على بعض الأعلام، فقد قال [٣ / ٢٠]: «وإضافة بعض الهوامش الأخرى الموضحة، وهي هوامش تتناول بعض التراجم...»؛ في حين أنّ كلامه في مقدمة الجزء الرابع دالّ على أنّ ترجمته للأعلام الواردة في النصّ هو من قبيل الاستيعاب أو نحوه، فقد قال [٤ / ٣٤]: «واجتهدت هنا، على مثل ما اجتهدت من قبل في الترجمة للأعلام التي ترد في النصّ، والتعريف بأصحابها، مستفيداً ممّا بين يدي من مصادر مطبوعة أو مخطوطة أو مصوّرة...».

وقد نصّ في الموضوع الأخير على أنّه «حرص على أن تكون هذه التراجم أقرب ما تكون إلى الصحة والاستيفاء والوضوح»، وأنّه «دلّ على مصادرها عوناً لمن يستهويه أن يتوسّع في بعضها...». ونبّه على اجتزائه بالإحالة على من كان قد ترجم له في الأجزاء الأولى عن تجديد ترجمتهم.

والظاهر من ترجمة الأعلام فيما حقّقه الدكتور شكري فيصل أنّ ذلك كان غالباً أو أغلبياً، ولم يبلغ فيه حدّ الاستيعاب؛ لأنّ بعض من ورد في النصّ المحقق من الأعلام غفل عنهم، ولم يُعنَ بترجمتهم، ولك مثلاً من ذلك إهمال التعريف بالسيد أبي الرضا [١ / ٦]، وابن كاهويه [١ / ٧]، وابن فضلويه [١ / ٧، ٧٤].

وقد ترى الدكتور شكري فيصل يبني تعريفه ببعض المشتبه أو المبهم من الأعلام على وجه من الظنّ والتقدير، يقبّل العلم على ما يحتمله، ثمّ يعرف به على أظهر ما يقوى عنده أو يغلب فيه الظنّ.

من ذلك مثلاً القاضي زين الإسلام أبو سعد الهروي الذي هجاه الأديب الغزيّ ببيتين ساقهما صاحب الذخيرة [١ / ٤١]؛ فقد عقد له الدكتور

بعض الأماكن والبلدان بما نصّ عليه القدماء، ولا سيّما في (معجم البلدان) لياقوت الحمويّ الذي كان مصدره المعتمد في ذلك؛ بل كان يذكر أقوال القدماء في ذلك المكان واسمه تحقيقاً لصلته بالنصّ المحقّق، وما كان عليه عند القدماء؛ ثمّ يزيد على ذلك، فيذكر مآله ومصيره في العصر الحديث، إمّا تغيّرت حاله أو اختلف اسمه كتابةً أو نطقاً. وهذا مذهب حسن ينبغي أن يسلكه المحقّقون ما أمكن، أو حيث وجب.

ومن أمثلة ذلك أنّه قال في الحاشية يعرف بـ «تلّ الثعالب» الذي ورد في شعر ابن الفراء [١ / ٢٩٩]: «يبدو أنّه «صنعا» دمشق، وهي قرية دون المزة، خربت وآلت بساتين. (الدارس ج ١ ص ٥٠٣ وياقوت)».

وأنه قال في التعريف بـ «جيرون» [٤ / ١٩]: «تطلق، ويراد بها دمشق، أو بعض أبوابها». ثمّ نقل من (معجم البلدان) بعض ما فيه: «والمعروف اليوم أنّ باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو باب الشرقيّ، يقال له: باب جيرون، وفيه فوّارة...». وهنا عقّب الدكتور شكري فيصل بقوله: «وهو الباب الذي يسمّيه الدمشقيّون اليوم باب النوفرة، إذ يمتدّ وراءه حيّ واسع معروف بهذا الاسم».

وقال في تعريف «باناس» [٤ / ٢٠]، وهو من فروع نهر بردى، بعدما نقل من كلام ياقوت التعريف ببردى وصلة «باناس» به: «وباناس في لفظ الدمشقيّين اليوم بانياس».

وقال في التعريف بـ «القصير» إذ وردت في شعر العماد [٤ / ٢١]: «القصير: ضيعة، أول منزل لمن يريد حمص من دمشق. «ياقوت». قلت: وهو موضع شماليّ «دوما» لا يزال يعرف إلى زماننا هذا بهذا الاسم».

وقال يعرف بالسهم والمزة الواردين في قول العماد [٤ / ٢٣]:

من أمر بنبي عمّار أصلهم، وأنهم من طيّئ، وحكمهم لطرابلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وأول من استولى عليها منهم، إلى أن انتهى الأمر إلى فخر الملك؛ واستنبت من جملة أخباره بعض الأحداث الرئيسية التي ساقها، ووثق ذلك من مصادره.

• وذكر نظام الملك في أثناء الكلام على ابن الخياط الدمشقيّ [٤ / ١٩٩]: فقال الدكتور شكري فيصل ثمّة في الحاشية: «... وقد تقدّمت ترجمته في الجزء الثاني من خريدة الشام. (انظر الهامش الأول من الصفحة ٤١٧) وأضف إلى مصادر ترجمته المنتظم لابن الجوزي «ج ١ ص ٦٤» وانظر كذلك في الجزء ذاته الهامش الخامس من الصفحة ٣٤٩».

ولك أن ترى من هذا القبيل بعض ما كان يسرده في فهرس المستدرک في آخر كلّ جزء من الأجزاء.

وإذا كان من شأن الدكتور شكري فيصل أن يترجم لمن كان من الأعلام في كلام المصنّف العماد غالباً؛ فإنّه قد يترجم لبعض من ورد اسمه في المختارات الأدبية من شعر أو نثر، ويعرف به. ومن ذلك مثلاً ما كان في التعريف بـ «القائم» في قول القيسراني [١ / ١١٤]:

### وأظنّ أنّ الناس لما لم يروا

### عدلاً كعدك أرفجوا بالقائم

قال في الحاشية ثمّة: «هو المهدي المنتظر الإمام أبو القاسم، ولد سنة ٢٥٦ وتغيّب سنة ٢٦٥. ويعبرون عنه بصاحب العصر وقائم الزمان».

### ٩- التعريف بالأماكن والبلدان. وهو أصل

لم يصرح به الدكتور شكري فيصل، لكنّ هوامش التحقيق دالّة عليه. وهو داخل ضمناً فيما وصفه الدكتور شكري فيصل [٣ / ١٩] بالهوامش الموضحة. ولم يكن يكتفي الدكتور شكري فيصل في تعريف



## والأرزة فالسهم فالنيربان

## فجنات مزتها فالكفور

: «السهم: نعرفه اليوم في دمشق بعد «الجسر الأبيض»، في أوائل الطريق التي تنعطف نحو حيّ الشيخ محيي الدين. وهناك طاحونة تحمل هذا الاسم. وقريب منه السهم الأعلى فوق الجسر ودون العفيف. ويبدو أنّه كان من الأماكن النزهة، وكثيراً ما يذكره الشعراء....».

«والمزة قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق «ياقوت». قلت: وهي اليوم مأهولة، تشق فيها الطرق، وتقام عليها الأبنية، ويوشك أن يتصل البناء بينها وبين دمشق...». وكان قد عرفها قبل [١ / ٢٧٥] بقوله: «وهي اليوم من ضواحيها.».

ولو عاش الدكتور - رحمه الله - في زماننا لغير في بعض ذلك وبدل في الوصف والتعريف.

ولو كان للقارئ أن يقف ثمّة على النصّ وما ورد فيه لاستوقفه إعراض الدكتور شكري فيصل عن التعرّض ل«الأرزة» و«الكفور» بما ينبغي من التعريف والتبيين.

ومن هذا القبيل تعريفه ب«دوما» إذ وردت في شعر العماد [٤ / ٣٤]؛ قال: «عند ياقوت: دومة من قرى دمشق. قلت: وتكتب الآن دوما، كما في الأصليين، وهي شمالي دمشق في طريق حمص، وتعرف بكرومها ومزارعها.».

ومما كان يعرف به الدكتور شكري فيصل أحياناً المدارس. ومن ذلك مثلاً قوله معلقاً على ما قاله العماد في التعريف بالفقيه مسعود بن شجاع الحنفي [١ / ٣٠٧]: «مدرّس المدرسة النورية بدمشق.».

قال: «يريد النورية الكبرى، أنشأها الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي

بعد وفاة أبيه،... وهي بعض دار هشام بن عبد الملك، وكانت قديماً لمعاوية. أوّل من درّس بها بهاء الدين ابن العقادة، رئيس الحنفية بدمشق،... وكان شيخاً فاضلاً مشهوراً إلى أن توفّي سنة ٥٩٦، ثمّ درّس بها بعده برهان الدين مسعود الدمشقي... (انظر: الدارس ج ١ ص ٦٠٦ وابن كثير ج ١٢ ص ٢٤ وذيّل الروضتين ص ٧، ويسميه ابن العفارة).».

وقد يقلّب الدكتور شكري فيصل اسم المكان الذي يصادفه إذا أراد التعريف به على وجه الاحتمال والتقدير، دون جزم أو قطع. وهذا ما تراه مثلاً فيما فعل حين توقّف عند كلمة «المرج» في شعر العماد [٤ / ٢١]: فقال: «يطلق المرج في الشام على عديد من المواضع. ولعلّ المقصود به هنا المرج الذي في شرقي دمشق عند مصبّ بردى، أو مرج عذراء الذي ذكره ياقوت «مادة عذراء» فقال: «عذراء: قرية بغوطة دمشق، من إقليم خولان، معروفة، وإليها يُنسب المرج،...».

١٠- التعريف ببعض ما ورد في النص من أسماء الكتب وبيان حاله. وهذا أصيل لم يصرح به الدكتور شكري فيصل، لكنّ بعض الهوامش دالّ عليه، ولك أن تصله بما وصفه بالهوامش الموضحة. ومن الأمثلة الدالّة عليه ما كان في آخر الكلام على ابن ظفر الصقليّ، إذ قال ابن العماد [٣ / ٦٠]: «ولهذا حجة الدين كتب مصنّفه من جملتها درر الغرر وأودعه أبناء نجباء الأبناء.».

قال الدكتور شكري فيصل يعرف بذلك الكتاب، ويبيّن حاله: «الاسم المعروف للكتاب في نسخته المطبوعة (مطبعة التقدم مصر، بتحقيق السيد مصطفى بن محمد القباني وعلى نمة السيد محمد هاشم الكتبي) هو: أبناء نجباء الأبناء، ويقول المؤلّف في مقدمته: «...وبعد فهذا كتاب أودعته من أبناء

ومن أمثلة ذلك ما كان مثلاً في الجزء الأول أثناء ترجمة ابن الفراء؛ فقد نقل العماد عنه [١ / ٣٠٠]: «وقلت لما خرجت من حلب متوجّهاً إلى الملك الناصر صلاح الدين أدام الله دولته، وكان حينئذ بحمص، ولم يسمعا:

### سرى ما بيننا سرّ الغيوب

يبشّرنا بنصرك عن قريب»  
فعلّق الدكتور شكري فيصل ثمّ بما كان من أمر صلاح الدين إذ دخل دمشق، ورحل إلى حمص فحماة فحلب؛ ثمّ علّق بحاشية أخرى قال فيها: «من الخير في فهم هذه القصيدة الوقوف على بعض الحوادث التاريخية التي رافقت استيلاء صلاح الدين على حلب. ولعلّ الفصل الذي كتبه ابن أبي شامة في الروضتين بعنوان «فصل فيما جرى بعد فتح دمشق من فتح حمص وحماة وحلب» أفضل ما يساعد ذلك...» ثمّ ساق من ذلك [١ / ٣٠٠ - ٣٠٢] أزيد من ثلاثين سطراً.  
١٢- التعليقات والملاحظات. وهذا أصل نَبّه عليه الدكتور شكري فيصل حين تكلم على منهجه في غير موضع [٢ / ٧، ٣ / ١٩]. وقد قال في الموضوع الثاني: «وغرضه كلها - هذه التعليقات والهوامش والملاحظات - أن تكون أبعد المدى في استكمال ما بدا لي أنّه واجب المحقّق، وأفضل أساليبه إلى العمل المثمر.»

وإذا كان الدكتور شكري فيصل ينبّه فيما أعلنه من غرض هذه التعليقات والملاحظات على جانب الواجب والمسؤوليّة والأمانة فإنّ وراء تلك التعليقات والملاحظات عند التأمّل والتحليل خدمة للنصّ والقارئ؛ توضّح وتبيّن وتقرب، وتنبّه على ما قد يندّ هنا وهناك من أخطاء وأوهام وتصحّحها على الوجه العلمي المروم.

نجباء الأبناء ما هو كشررة من ضرام، بل كقطرة من رهام، لأنّي قصدت به تلقيح همّة غلام، وتنقيح فطنة كهام،... فافتتحته بذكر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم للتيمن بذكره...» ثمّ صنّف ما عمد لذكره في أربعة أصناف: «ثمّ ساق تلك الأصناف.

ومن ذلك ما كان منه في التعريف بكتاب «الوشاح لأبي الحسن البيهقي» الذي ذكّر في أثناء ترجمة محمد بن المبارك اليماني [٢ / ٦٣]، قال: «هو «وشاح دمية القصر» جعله البيهقي ذيلًا على الدمية للباخرزي في مجلد ضخّم، ثمّ صنّف بعده «درة الوشاح» تتمة للوشاح في مجلد خفيف. وقد فرغ الباخرزي من الدمية سنة ٤٦٦، وتوفي سنة ٤٦٧، وبدأ البيهقي تصنيف الوشاح سنة ٥٢٨ وفرغ منه سنة ٥٣٥. وانظر ص ٢٢٨ من الجزء الثاني من الخريدة.»

### ١١- وضع المختارات الشعرية في موضعها من الأحداث التي قادت إليها، وإضاءة تلك الأحداث. هذا ما نصّ عليه الدكتور شكري فيصل فيما قدّم به بين يدي الجزء الرابع؛ إذ قال: «وحرصت على أن أضع المختارات الشعرية موضعها من الأحداث التي قادت إليها حين تكون مرتبطة بحدث كما في شعر العماد في مدح نور الدين وصلاح الدين ووصف دمشق، وكما في شعر بعض الأمراء الأيوبيين... وألقيت على هذه الأحداث ما استطعته من أضواء حتّى يكون النصّ في ذهن القارئ بين الإشارة، مشرق الدلالة، متوهّجًا بالوضوح.»

على أنّ هذا ليس كما قد يخيل النصّ بموضعه وسياقه للقارئ مختصًا بما كان في الجزء الرابع؛ لأنّ النظر في الأجزاء الأخرى يدلنا على أنّ ذلك كان حاضرًا فيه، يُنفذه الدكتور شكري فيصل هنا وهناك تارةً وتارةً.

والنور: الأبيض من الزهر. والكمام: جمع كمامة وهو وعاء الزهر قبل أن يتفتح.

شبه النساء بالنور، والهودج بالكمام، ولما جعلها نوراً دعا لها بالسُّقيا، وجعله تحيةً لها، كما يحيي الصديق صديقه بالورد والريحان. ومعناه: رزقنا الله وصلك والتلذذ بطيبك.

ومثل آخر هذا البيت قول الآخر، وهو:

**ولم أر كأظعان يوم رحيلهم**

**وأحداهم تحكي الكمام في الورد».**

وقال ابن جنبي<sup>(٧)</sup>: «...والكمام: الأكمة، التي هي أوعية الزهر والنور قبل أن تتفتق، وواحد الكمام: كمامة، ويقال لها أيضاً: كُم، وجمعه أكمام، وجمع أكمام: أكاميم...».

ومن ذلك قوله تعليقاً على ما ورد في قول ابن

العينزربي [١٨١ / ٢]:

**لئن لم أسرُ سعياً إليك مبادراً**

**فكم لي بيت في مديحك سيّار**

: «كذا في الأصلين. والقاعدة أن الفصل بين كم

وبين تمييزها يوجب نصبه...».

وعلى أن القول بأنَّ النصب في ذلك أحسن أنسب من القول بوجوبه؛ لأنَّ الفصل بين «كم» الخبرية وتمييزها المجرور بالجار والمجرور جائز عند بعض العلماء لا يحتم خروج التمييز عن الجرِّ إلى النصب، وعليه يدل بعض كلام العرب.

ومنه قوله تعليقاً على «امحت» في قول فتیان

الدمشقي الشاغوري [٢٤٨ / ١]:

**لو بكت الورق ببعض دمعه**

**لامحت الأطواق من أعناقها**

وتلك التعليقات والملاحظات التي نثرها الدكتور شكري فيصل في هوامش تحقيقه ليست نوعاً واحداً، بل هي ضروب وألوان. ومن تلك الأنواع التي تراها:

**أ- التعليقات والملاحظات اللغوية والنحوية:**

كان الدكتور شكري فيصل أحياناً ينبّه على بعض ما شدّ في النص، ولا سيما في المختارات الشعرية، وخالف القاعدة، ويذكر فائدة لغوية هنا وفائدة هناك ممّا قاله العلماء، إمّا ساق إليها بعض ما في المختارات. ومن أمثلة ذلك أنه تعقّب جمع كمامة - وعاء الطلع: وعاء الزهر قبل أن يتفتّح - على كمام في قول الأديب الغزي [٧٢ / ١]:

**وظفرت من تقبيله مثلثاً**

**بجنى أقاح في بطون كمام**

بقوله: «والكمام: جمع الكمامة، وهي كالكيس يُجعل على منخر الفصيل، أمّا وعاء الطلع فجمعه أكمام وأكمة وكمام وأكاميم...».

وتعقّب ذلك الجمع في قول القيسراني [١٥٥ / ١]:

**غداة كأنّ الهام في كلّ قونس**

**كمام نبت بالسُّيوف حصاده**

بقوله: «لم أجد هذا الجمع في هذا المعنى. انظر ص

٧٢ هامش ١...».

والظاهر أن مقصود الدكتور شكري فيصل أنه لم يجده في معاجم اللغة العربية. وهذا صحيح؛ فقد خلت منه تلك المعاجم، لكنّه ورد في غير المعاجم، فقد ورد كثيراً في شعر الشعراء وكلام الأدباء، واستعملوه دون تحفظ أو تردد، ومنه مثلاً قول المتنبي:

**سقاك وحيانا بك الله إنّما**

**على العيس نوراً والحدور كمامه**

ورد في شرحه في (معجز أحمد)<sup>(٦)</sup>: «الهاء: للنور،

٦- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: معجز أحمد، أبو العلاء

المعري، تخ: د. عبد المجيد دياب، ٣ / ١٧.

٧- الفسر: شرح ابن جنبي الكبير على ديوان المتنبي، ابن جنبي،

تخ: د. رجب عثمان، ٣ / ٢٢٧.

: «في الأصلين: لامتح، وهي لغة ضعيفة. وما هنا عن مصوِّرة الديوان.»

ومنه ما كان في سياق ذكر بعض اختيارات الشيخ عبد الرحمن الواعظ [٢ / ٩٦]. قال العماد: «وممَّا أنشدنيه لنفسه ببغداد سنة خمسين وخمسائة بيتين في الطبقة العليا، في ذمِّ الدنيا، وهما:

أَفُ لِلدُّنْيَا وَأَفُ كُلُّ مَنْ فِيهَا يَلْفُ  
مِثْلُ خِيَاطِ حَرِيصٍ كُلَّمَا شَلَّ يَكْفُ

وآخران في وصف فرس أدهم:...

قال الدكتور شكري فيصل معلقاً على «وآخران»:

«كذا، وهو لا يستقيم إذا كانت الواو للعطف.»

هكذا قال، والصحيح أنه صحيح؛ لكن المخالفة كانت في قول العماد أولاً: «وممَّا أنشدنيه... بيتين...»؛ لأنَّ المناسب أن تكون الكلمة بالرفع «بيتان» مبتدأ مؤخرًا.

• وما قاله في التعليق على آخر قول المؤتمن

السَّاجِي [١ / ٢٨٧]:

وَقَالُوا كُنْ لَنَا خَدِنًا وَخِلَا

وَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ

قال: «في (ح): ما يشأ. وحذف نون الرفع من

المضارع يرد أحياناً بلا موجب ولا ضرورة، وعلى ذلك الحديث الشريف: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا،

ولا تؤمنوا حتى تحابوا...».

ب - التعليقات والملاحظات التنصّية:

كان الدكتور شكري فيصل أحياناً ينبّه على ما

اشتمل عليه بعض الأبيات من علاقات تضمين أو اقتباس، استحضرها استحضاراً أو دلّت عليها

هوامش بعض النسخ الخطيّة.

وهذه أمثلة تدلّ على شيء من ذلك:

• قال في التعليق على قول أسامة بن منقذ

[١ / ٥٣٥]:

وَمَا ظَنَنْتُكَ تَنْسِي حَقَّ مَعْرِفَتِي

إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ

«في هامش الأصل كلمة تضمين. يريد أن الشطر

تضمين لشطر المتنبي، من بيته:

وَبَيْنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً

إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ.»

• وعلّق بما ورد في هامش نسخة الأصل، أو

مستفيداً منه على بيتي أبي الثناء محمود بن نعمة بن

أرسلان الشيزري [١ / ٥٧٦-٥٧٨]:

كَأَنَّكَ الْقَوْسُ تُرْدِي وَهِيَ صَارِخَةٌ

وَمَا أَلَمَ بِهَا مِنْ غَيْرِهَا أَلَمٌ

بِئْسَ الْجَزَاءُ بِمَا أَوْلَيْتُ عَوْضَنِي

وَاللَّهِ يَكْرَهُ مَا يَأْتِيهِ وَالكَرَمُ

فقال: «في هامش الأصل (ب): أخذه من قول ابن

الرومي:

تَشْكِي الْمَحَبِّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ

كَالْقَوْسِ تَصْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ مَرْنَانٌ.»

«في هامش الأصل: تضمين. يريد الإشارة إلى

قول المتنبي:

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيَعْجِزُكُمْ

وَاللَّهِ يَكْرَهُ مَا تَأْتُونَ وَالكَرَمُ.»

• وقال في التعليق على الشطر الثاني من قول

الغزّي [١ / ٦٥]:

لَمْ يَقْنَعُوا بِحِجَابِ الْبَخْلِ فَاحْتَجَبُوا

كَمَا غَلَا بَعْدَ سُوءِ الْكَيْلَةِ الْحَشْفُ

: «إشارة إلى المثل: أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ؟. وَالْحَشْفُ:

أردأ التمر. يُضْرَبُ الْمِثْلُ لِمَنْ يَجْمَعُ خَلْتَيْنِ مَكْرُوهَتَيْنِ.»

• ومن ذلك ما ورد في التعليق على قول الغزّي

[١ / ٤١]:

## أيام خلع عذاره لا نعله

### يوطيه جانب مُشتهاه الأيمن

قال الدكتور شكري فيصل ثمة: «يستفيد البيت من الآيات الكريمة التي تتحدث عن قصة موسى: (فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) (طه: ١٢-١٣) (ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) (مريم: ٥٢) والآيات المماثلة في سورة القصص».

### ج - التعليقات والتنبيهات التاريخية:

كان الدكتور شكري فيصل ينبّه على ما أشارت إليه بعض الأبيات الشعرية المختارة من مواقف وحوادث تاريخية. وهذان مثالان على ذلك:

• ورد في قصيدة للأديب الغزي يمدح بها صاحب مُكرّم بكرمان [١٣/١٤]:

ومن قبلك الفاروق جاء بمثلها

وكان على عود المدينة خاطبا

دنت، يوم أومي، من نهاوند يثرب

فنادى: ألا ميلوا عن الطود جانبا

فعلّق الدكتور شكري فيصل على هذين البيتين بقوله: «في البيتين إشارة إلى ما كان من أمر فتح المسلمين لمدينتي فسا ودرّابجرد سنة ٢٣، بقيادة سارية بن زعيم: يذكرون أنّ عمر رأى فيما يرى النائم حرج موقف المسلمين، وأنّه لا بدّ من الاستناد إلى جبل من خلفهم يعصمهم من العدو، فنادى على منبر المدينة: يا سارية الجبل الجبل. وكان من تقدير الله أن يلجأ سارية إلى هذا التدبير فينتصر المسلمون. ومن الملاحظ أنّ الشاعر يذكر نهاوند على حين كان فتحها سنة ٢١، وليس بينها وبين حديث سارية نسب».

• وعلّق الدكتور شكري فيصل على ما ورد في مديح الأديب الغزي لابن مكرم، من قوله [١/٤٢]:

## ويا زمني لم أنت في الفضل طاعن

وما انت جساس ولا الفضل وائل

فقال: «إشارة إلى ما كان من قتل جساس بن مرة كليب بن وائل، وهي الحادثة التي استثارت الحروب الطويلة بين بكر وتغلب».

• ومن التعليقات الأخرى الدالة على فطنة وفقه وحسن تأتّ ما قاله في التعليق على كلمة «بتبت» في البيت الثالث من قول أبي عليّ الحسن بن عليّ الرحبيّ [٢/٢٤٤]:

ألم بنا بعد الهُجوع خيالها

فمزّق جنح الليل، والليل مُسودٌ

وطاب ثرى البيداء حتى كأنما

تضوّع من بوعائها المسك والندّ

وقال أصيحابي أنحن بتبت

فقلت لهم لا بل أملت بنا هند

قال: «الإشارة إلى ما عُرف عن تبت من كثرة ظباء المسك فيها. انظر ياقوت «معجم البلدان مادة تبت».

• ومن التعليقات التي نقلها من هامش الأصل، ما كان في دفع طعن العماد في دين أبي المواهب المعريّ الذي قال في الميلاد [٢/١١٧]:

يا حسنّها في ليلة راحت بها

في الله وهي كثيرة النيران

ميلاد من لم تشتهر أعمامه

لكن خؤولته بنو عمران

قال العماد: «هذا البيت يدلّ على قلّة دين قائله بل على المروق منه فإن عيسى عليه السلام لم يكن له أب، وهو يقول: لم تشتهر أعمامه».

قال الدكتور شكري فيصل ناقلاً وموثّقاً: «في



## لو بان أيسرُ ما أخفيه من جزع

لمات أكثر أعدائي من الفرح».

هذا ما كان، وليس فيه كما يبدو للقارئ ما يدعو إلى التعليق؛ لكنّ الدكتور شكري فيصل التقط عبارة: «وقد توفّي بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة»، فعلق عليها في الحاشية الأولى ثمة تعليقاً أصاب فيه الحقيقة، إذ قال: «الواو في «وقد توفّي» واو الحال، والضمير في الفعل «توفّي» يعود إلى والد عبدالله، أمّا عبدالله فقد توفّي سنة ٣٩٥، غير أن ياقوتاً - ويبدو أنّه نقل من الخريدة - وهم في هذه الواو فنذكر «ج ٣ ص ١١٠» أنّ وفاة عبدالله سنة ٣٧٧. وأخذ ناشرو الإنصاف والتحرّي «في كتاب التعريف بأبي العلاء» بتحديد ياقوت، وقادهم ذلك إلى التعليق على نصّ ابن العديم وتخطّته «انظر الهامش الأول من الصفحة ٩٣ من كتاب تعريف القدماء». وواضح أنّ نصّ ابن العديم لا غبار عليه، وأنّ في نصّ معجم الأدباء الذي بين أيدينا<sup>(٨)</sup> كثيراً من الاضطراب في هذه النقطة وفي نقاط أخرى كالمزج بين الحديث عن جدّ أبي العلاء وجدّ جدّه وجمعهما في ترجمة واحدة مخلّطة».

ولي أن أنبّه هنا على أنّه ربما كان من قبيل ما وصفه الدكتور شكري فيصل بالتخليط نسبةً هذين البيتين اللذين رثى بهما عبد الله والده سليمان إلى أبي العلاء؛ فقد ذكر ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ)

٨- من الواجب التنبيه هنا على أنّ الطبعة التي أرادها هنا الدكتور شكري فيصل من (معجم الأدباء) هي الطبعة التي نُشرت في مطبوعات دار المأمون في القاهرة سنة ١٩٦٦، وخرجت باسم أحمد فريد رفاعي في عشرين جزءاً. وهي لا تزيد على الطبعة الثانية للكتاب التي كانت ما بين سنتي ١٩٢٥ و١٩٢٧، وتعرّف بطبعة مرجليوث = إلاّ في كلمة الإهداء لرفاعي، وفي التعريف بالناشر الأول مرجليوث، وتميّزها بالشكل الكامل. انظر: معجم الأدباء لياقوت الرومي، إبراهيم الإبياري، ص ٣١.

هامش «ب» التعليقة التالية: «عماد الدين رحمه الله أساء في حقّ هذا الشاعر حتى نسبه إلى المروق من الدين وليس الأمر كما فهم؛ فإنّ معنى هذا: لا أعمام له فتشهر كما قال تعالى: (ولم يكن له وليّ من الذلّ) وكما قال: على لاحب لا يهتدى بمناره، و: لا ترى الضبّ بها يُجر، و: لا يغمز الساق من أين وصب، ومعانيها ظاهرة وأمّالها كثيرة». قلت: وهذه أنصاف أبيات لامرئ القيس، ولعمرو بن أحمر، ولأعشى باهلة، تجدها كاملة في أمالي الشريف المرتضى «ج ١ ص ١٦٥»، والصاحبي «باب التوهم والإيهام ص ١٩٢».

وفي بعض تعليقات الدكتور شكري فيصل التي زيّن بها الحواشي هنا وهناك تحقيقات وتصحيحات علميّة دالّة على ما وراءها من علم وفطنة ورويّة، وتدفع بعض الأوهام وتصحّح بعض ما كان في النصّ أو في المصادر التي لها صلة بالنصّ من أخطاء.

ومن ذلك مثلاً أنّ المصنّف ذكر في الجزء الثاني في كلامه على بني سليمان من أهل المعرّة التنوخيّين سليمان بن أحمد بن سليمان جدّ جدّ أبي العلاء قاضي المعرّة في سنة تسعين ومئتين، فولده محمّداً الذي تولّى قضاء المعرّة بعده، ثمّ ولده سليمان الذي تولّى قضاء حمص بعد قضاء المعرّة، ثمّ ولده عبد الله، والد أبي العلاء. وقد قال فيه المصنّف [٢ / ٥]: «ولعبدالله شعر في مرثية والده وقد توفّي بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة:

إن كان أصبح من أهواه مطرّحاً

بباب حمص فما حزني بمطرّح

من الأوهام التي تسرّبت إلى هذه الكتب وإلى معجم الأدباء والكتب التي نقلت منه بخاصّة، وقد أشرت إلى ذلك في خلال كثير من الهوامش والتعليقات.». ولي أن أذكر مثلاً آخر هنا دفع فيه الدكتور شكري فيصل ما كان من خطأ في تفسير كلمة «المَدَّان» في قول ابن الخياط الدمشقي في ديوانه، قال في التعليق على تلك الكلمة في قول ابن الخياط [١٨٨ / ٤]:

### أصحرت إذ مدّ بالمَدَّان سيْلُهُم

#### والليث لا يتقى من غير إصهار

: «في «قر»: بالميدان. وفي الديوان: بالمَدَّان، بكسر الميم. وفي هامشه: المَدَّان: الماء المالح. قلت: هو اسم لمكان بعينه. وانظر البيت الرابع من الصفحة ٥٧. وانظر كذلك ابن القلانسي ص ٢٧٢، ١٥١.». والبيت الذي أحال عليه هو قول العماد [٥٧ / ٤]:

### فاروا من الفوّار عند فرارهم

#### بالفور وامتدّوا إلى المدّان

على أنّ الدكتور شكري فيصل لم يعيّن ذلك المكان، أو يعرف به؛ وليس في كتب البلدان والمعاجم ذكر واضح له، أو ما يدلّ عليه. ولا يبعد عندي أن تكون الكلمة محرّفةً أصلها «المَرَّان» بالراء بفتح الميم أو بضمّها.

قال ابن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ)<sup>(١٠)</sup>: «المَرَّان - بالفتح ثم التشديد وآخره نون - على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. وقيل: بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً. وقيل: قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخل. قيل: لبني هلال.

في ترجمة المبارك بن محمد بن محمد الساوجي الخطيب<sup>(٩)</sup> أنه أنشد لأبي العلاء يرثي والده عبد الله بن سليمان بهذين البيتين، وساقهما. ومن ذلك ما كان في تعليقه حيث ورد قول القيسراني [١٢٨ / ١]:

### عاقرتُ مبهم عتبه حتى بدت

#### غرر الرضاء على خلال أبي الرضا

فقد عقب المصنّف عليه بقوله ثمّة: «هو جلال الدين أبو الرضا بن صدقة وزير المسترشد»؛ فما كان من الدكتور شكري فيصل إلا أن علّق على ذلك بقوله: «لم يرد هذا السطر في «ح». وقد وهم الكاتب، فالممدوح جلال الدين أبو الرضا محمد بن أحمد بن صدقة الوزير إنّما وزر للإمام الراشد بالله (٥٢٩ - ٥٣٠) ثمّ وزر للأمير عماد الدين أتاك سنة ٥٣٧. كان فيه خير ودين. توفي في شعبان سنة ٥٥٦ عن ثمان وخمسين سنة (انظر شذرات الذهب ج ٤ ص ١٧٧، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي). أمّا الذي وزر للمسترشد فهو أبو عليّ الحسن بن علي بن صدقة جلال الدين عميد الدولة سنة ٥١٢ (انظر معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزمامبور).».

وقد نبّه الدكتور شكري فيصل فيما قدّم به بين يدي الجزء الثاني [٦ - ٧] على شيء ممّا كان منه في تصحيح ما وقع في الذخيرة أو في كتب التراجم الأخرى، إذ قال: «على أنّ هذا الذي كشفت عنه هذه الجداول والتراجم والتحقيقات يتجاوز صنيع العماد إلى كتب التراجم الأخرى في طبعتها التي بين أيدينا.. فقد أتاح لي عملي هنا أن أقع على كثير

٩- مجمع الآداب ومعجم الألقاب، ابن الفوطي، تح: محمد الكاظم،

١٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ٣ / ١٢٥١.

فقال [٣ / ١٧-١٨]: «وكان لا بد لي من ألجأ إلى هذه التمهيدات في كل مرة ينتقل فيها العماد من جماعة الشعراء إلى جماعة، أو من طائفة من الأمراء إلى طائفة... فكان من ذلك كله هذا التمهيد الأول عن الأشراف العلويين ولاة مكة في الصفحات ٥-١٦، وهذا التمهيد الثاني عن الصليحيين في الصفحات ٧١-٧٣، وهذا التمهيد الثالث عن الدولة الزرعية في الصفحات ١٤٢-١٤٣، وآخرها عن بني أبي عقامة في الصفحات ٢٣٧-٢٣٩.

واضح إذن أن غرض هذه التمهيدات التاريخية إنما هو جلاء الجوانب المعتمدة من النصوص، وتمهيد الطريق بين يديها، ووضعها في مكانها من حياة الأفراد ومن حياة الجماعات، ووضع حياة الأفراد والجماعات في مكانها منها، حتى إذا قرأنا القصيدة يسر لنا ذلك أن لا نقف عند موضوعها العام وحسب، وإنما نجاوزه إلى أن ندرك روحها التي تكمن وراءها، وأن نألف مع جزئياتها المتعددة فيها، وأن نتجاوب مع أسماء الأمكنة والأشخاص، وأن تكون الإشارات التي تتخللها في تضاعيفها إشارات منيرة، تتيح للتاريخ أن يغنى بالشعر، وللشعر أن يتفتح عما فيه من روح التاريخ... إن التاريخ ماثل في كل صفحة تقريباً في هذا الجزء، ماثل في إشارات العماد حيناً، وماثل في المختارات الشعرية أحياناً، تستحضره وتلتفت إليه وتعيش عليه».

ثم نبه على مقصد آخر أراده من هذه التمهيدات فقال [٣ / ١٨]: «والحق أنني قصدت كذلك من هذه التمهيدات إلى شيء آخر... قصدت إلى التخفيف من الإحالة على الهوامش، وإلى التخلص من تكرارها،

ومرّان، بالضم، تثنية مرّ: بالشام قرب دمشق، يُنسب إليه دير، ذكر في دير المران.

: ماء ان لغطفان عند جبل لهم أسود...».

١٣- التمهيدات التاريخية. وهذا أصل جديد لجأ إليه الدكتور شكري فيصل في الجزء الثالث دون سائر الأجزاء، أعلنه فيما أعلنه في نهج تحقيق هذا الجزء واحتفل به [٣ / ١٦-١٩]: عرّف به، وبين هدفه وغرضه منه.

قال [٣ / ١٦]: «قلت: إن للخريدة هذه القيم الثلاث: الأدبية والتاريخية والذاتية.. وقد كان لإحساسي بهذه القيم، أو بالقيمة التاريخية بوجه خاص، أثر في طريقة إخراجها، وأسلوب تحقيقه. ذلك أن هذا التمازج بين الأدب والتاريخ، وهذا التكامل بينهما، دفعني إلى أن أتبع أسلوباً جديداً في إخراج هذا الكتاب، تمثل في هذه السلسلة من التمهيدات التاريخية التي قدمتها بين يدي هذه المجموعة أو تلك من شعراء الخريدة».

ثم بين بعض هدفه منها فقال [٣ / ١٧]: «وكان من هدفي في كل واحد من هذه التمهيدات أن أحل عقد الأحداث التاريخية التي تشير إليها مختارات العماد، وأسماء الأعلام التي توردها... فكثيراً ما تكون هذه الإشارة إلى الأحداث خافية أو خافتة، وكثيراً ما تكون هذه الأسماء موجزة أو مبتسرة، وكثيراً ما يكون هنالك هذه الصلات المتصلة بين الأسماء وبين الأحداث، وبين الذين يقولون الشعر وبين الذين يقال فيهم الشعر، والأحداث التي تدفع إلى هذا الشعر».

ثم ذكر المواضع التي لجأ فيها إلى هذه التمهيدات

نصّ ثمّة [٢ / ٤] على أنّ الجزء الثاني من الخريدة ينفرد عن سابقه «في أنّه يتحدّث عن أسر كاملة فشا فيها الشعر، وتوارثت نسجه وقوله، وأخذها الناشئ المحدث عن الكبير المتقدّم، ودار هذا الفن من القول بين الأجداد والآباء، والأبناء والأحفاد، حتى أضحت تراثًا يغنى مع الزمن، ويزداد مع الأيام، وحتى أضحت رسائل ما بين أفراد هذه الأسر وحديثهم وعتابهم وحنينهم شعرًا يحفظ لنا العماد في خريدته طرفًا صالحًا منه. فإذا نحن أمام مجموعات من الشعراء ذات لون معيّن، وأمام مجموعة من الشعراء لا تربطهم قرابة الأدب فحسب، وإنّما تربطهم قرابة النسب، ولا تصل بينهم تقاليد المعاصرة وإنّما تجمعهم كذلك تقاليد الأسرة الآسرة، وإذا ذلك يدفعني إلى ميادين مختلفة من التنقيب كنت في بعضها كالذي يحاول أن يلتقط حجرًا بعينه من بئر سمحة غزيرة، وكنت في بعضها كالذي لا يرضيه الضوء الضئيل بين يديه، فيحاول أن يخرج الفتيل بأصبعه فتأخذ فيها النار، فلا هو أحيانًا أبقى عليه أصبعه، ولا هو في أحيان أخرى أفاد ضوءًا جديدًا».

وبينّ أنّه لم يشأ أن يترك هذه الأسماء التي عرضها العماد دون إحكام الربط بينها، وتعرّف أو اصر القربى التي تشدّها، وأنّه حاول أن يوضّح ويصحّح ما يقال فيها؛ ثمّ بين ما لقي من مشقّة في سبيل ذلك، فقال [٢ / ٤-٥]: «وكننت من ذلك في عمل شاقّ متّصل جمعت جزئياته وبنيتها من كلّ مصدر كما يجمع الأثري قطع بناء متناثرة ثمّ يحاول أن يردّها إلى أصلها في صبر ودأب وكثير من شقاء..

أو من تكرار بعض ما فيها، ومن تباعدها، وتشابك بعضها، وانقطاع ما بينها، وإحالة بعضها على بعض... فكان التمهيد التاريخي ينتظم التاريخ، ويعرضها في تتابعها وارتباطها، حتى الشعر في مكانه منها».

ثمّ ذكر ثمّة أنّه كان حريصًا على إظهار تلك التمهيدات بهذا المظهر دائميًا، بيد أنّ ذلك فاتته في موضعين عدل فيهما إلى إخراج هذه التمهيدات مخرج الهوامش: في الحديث عن تتابع بني مهدي في الصفحة ٦٤، وفي الحديث عن تتابع بني زياد في الصفحة ٨٤.

#### ١٤- جداول الأسر. وهذا فرع آخر جديد نصّ

عليه الدكتور شكري فيصل فيما ذكره في نهج تحقيق الجزء الثالث، وألحقه بالتمهيدات التاريخية؛ فقال [٣ / ١٨]: «وقد ساق التمهيدات إلى شيء آخر.. ودفعت الرغبة في وضوح الأسماء، وتيسير التعرّف إليها، وإدراك صلة المتأخّر بالمتقدّم، والسلف بالخلف، إلى رسم جداول بعض الأسر الشريفة أو الحاكمة، معتمداً على ما في كتب التراجم والتاريخ والأنساب.. وهي جداول أحسب أنّ الذين يعانون العمل في مثلها يدركون أيّ صبر تقتضيه، وأيّ جهد تستنقذه».

على أنّ هذه الجداول التي كان يذيل بها الدكتور شكري فيصل تلك التمهيدات التاريخية، ويلحقها بها، كانت ممّا نهض إليه، وعُني به في الجزء الثاني. وقد بينّ -رحمه الله- فائدتها وأثرها في تقريب التراث، والجهد الذي يبذل فيها فيما قدّم به بين يدي الجزء الثاني [٢ / ٤-٦].

والكتب ما كان في المتن والهوامش، وقد ميّز ما كان في المتن ممّا كان في غيره بعلامات دالّة، أو نصّ على ذلك نصّاً؛ إلاّ في فهرس الأماكن الذي خلا من ذلك خلواً يجعل من الصعب في بعض المواضع أن تقدّر مجيء هذه المادّة أو تلك في المتن أو في الحاشية.

وقد صنّفت موادّ كلّ فهرس من تلك الفهارس فيه تصنيفاً هجائياً معيّناً بحسب ضوابط نصّ عليها في مواضعها. وقد بالغ الدكتور شكري فيصل في عنايته بفهرسة الأعلام مبالغة جعلته يردّد الكلام عليه في غير موضع، ودفعته إلى أن ينمّي ويضيف إليه.

قال في مقدمة الجزء الثاني مثلاً في كلامه على الفهارس [٢ / ٨]: «أمّا الفهارس فقد نهجت في وضعها منهج فهارس الجزء الأوّل، غير أنّي لم أقف عند أسماء الأعلام وإنّما تجاوزتها إلى أسماء آبائهم وأجدادهم مهما يطل نسبهم، وإلى صناعاتهم وألقابهم، وإلى كناههم وشهرتهم، وإلى مدنهم التي ينسبون إليها ومذاهبهم التي يعرفون بها.. فذكرت مثلاً أبا الحسن سعد الله بن محمد بن علي المقرئ الدقاق، في: الدقاق، والمقرئ، وسعد الله، وأبي الحسن، كما أثبتته في محمد بن علي، على أنّه والد له.. وذكرت الشريف عليّ بن محمد بن أبي زيد العباسي المالكي في: الشريف، وعلي، والعباسي، والمالكي، كما أثبتته في محمد بن أبي زيد على أنّه والد له.»

ثمّ قال: «وقد اقتضاني ذلك أن أسرف على نفسي وعلى من كان يساعدني في إعداد الفهرس من طلابي الذين آثرت من أجلهم ضراوة المراجعة وقسوتها

حتى استوى لي من كلّ ذلك هذه الجداول التي أرفقتها بهذا الجزء، فجلوت هذه الأسر وعرفت بأفرادها، وحرصت ما استطعت على ضبط الكنى والألقاب، وتحديد الأعمار، وتمييز القرابات.»

ونبّه على أهميّة ذلك وفائدته في تقريب تراثنا القديم، وتيسير الانتفاع به، ووضع نتائج موضع النظرة السريعة القريبة، وأنّ هذا الصنيع يشبه في كثير من وجوهه ما كان من أثر الفهرسة والفهارس؛ وأنّ الفائدة تكون مضاعفة في المنشورات التي تتوفّر لها جداولها، وبين أنّ تنسيق هذه الجداول كشف عمّا كان في صنيع العماد في بعض كتابه في النسخ التي بين أيدينا من وجوه خلل في التصنيف والتأليف.

١٥- فهرسة مادّة الكتاب. فهرسة ما يحتاج من مادة الكتاب المحقّق إلى فهرسة تتمّة من تتمّات التحقيق التي قد تبلغ مبلغ الأصل في عين المحقّق والقارئ إذا ما أُعدّت على أصولها متقنة محكمة، وكانت محقّقة للفائدة. وقد ذكر الدكتور شكري فيصل [٢ / ٤] أنّ الفائدة تتضاعف في الكتاب المحقّق مع الفهرسة والفهارس. ولذلك عني بفهرسة ما رأى الحاجة إلى فهرسته من مادّة الكتاب، فكان في كلّ جزء فهرس لأبواب الكتاب وأسماء المترجمين الذين ترجم لهم العماد واختار من أدبهم، وكانت ثمة فهارس أخرى: فهرس للمختارات الشعرية، وفهرس للمختارات النثرية، وفهرس للأماكن، وفهرس للأعلام، وفهرس للمراجع والكتب.

وقد جمع الدكتور شكري فيصل في فهارس المختارات الشعرية والأماكن والأعلام والمراجع



لأتيح لهم فرصة المران .. ولكني أمّلتُ من هذا الإسراف كمال الخير وتمام الفائدة إذ كان في نيتي دائماً، وأنا أفعل ذلك، أنّ الخريدة ليست مجموعة شعرية فحسب، ولكن قيمتها الكبرى في أنّها كتاب تراجم اعتمد عليه المؤثّقون من رجال هذا الفن ونقلوا منه، فمن حقّنا إذن أن نيسّر الاطلاع على كلّ ما ورد فيه من أسماء وأن نسهل سبيل التعرف إليها، سواء أكانت أسماءً أصلية أم كانت في سياق الأسماء الأصلية.. ومن يدري كيف يقع الباحث على طلبته، وهو يقلّب هذا التراث أو أين يقع عليها؟».

هذا ما قاله. وإضافة الأسماء الواردة في أنساب هذه الأعلام كما قال - رحمه الله - وصنع، وتجاوز اسم الشخص إلى ما يكون قد ذُكر في ترجمته من أسماء آبائه وأجداده = ربّما أفضى إلى شيء من التشتت والإرباك، ولو ذُكر العلم المقصود بنسبه المذكور مرّة واحدة دون بعثرة ما يكون فيه من أسماء آباء وأجداد هنا وهناك لكان ذلك أوجزاً، وكان للقارئ فيه وجه من الاختصار المفيد والبلوغ السريع. على أنّ هذا في كلّ حال دالٌّ على ضرب من الاجتهاد رامه وابتدعه، وعلى رغبة صادقة في النهوض بالواجب، وأداء الأمانة، وخدمة التراث العربي على وجه المناسب الذي يقدره له تقديرًا.

هذا أظهر ما يبدو في منهج تحقيق الدكتور شكري فيصل من أسس وأصول تدلّ كينوناتها وتجلياتها في النصّ المحقّق وحواشيه وفهارسه ومقدّماته على أنّه لم يكن تقليدياً شكلياً محضاً، وأنّه كان له فيه شيء من تجريب وتجديد؛ وكان مخلصاً لما نهض له أميناً فيه.

### المصادر والمراجع:

- أعلام مجمع اللغة العربية في مئة عام، إعداد الأستاذ مروان البواب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١، ٢٠١٩م.
- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني: قسم شعراء الشام، تح: د. شكري فيصل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ج ١- ١٩٥٥، ج ٢- ١٩٥٩، ج ٣- ١٩٦٤، ج ٤- ١٩٦٨.
- ذيل الأعلام، أحمد العلاونة، دار المنارة - جدة، ط ١، ١٩٩٨م.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي: معجز أحمد، أبو العلاء المعري، تح: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، ط ٢، ١٩٩٢م.
- شكري فيصل: العالم والأديب والمجمعيّ، د. محمد مطيع الحافظ، دار القلم - دمشق، ط ١، ٢٠١٠م.
- الفسر: شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، ابن جني، تح: د. رضا رجب، دار الينابيع - دمشق، ط ١، ٢٠٠٤م.
- مجمع الآداب ومعجم الألقاب، ابن الفوطي، تح: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ط ١، ١٤١٦هـ.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحقّ، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- معجم الأديب لياقوت الرومي، إبراهيم الإبياري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

# العلامة الدكتور محمّد أحمد الدّالي

## فارس تحقيق التراث

(١٣٧٢ - ١٤٤٣هـ / ١٩٥٣ - ٢٠٢١م)

أيمن بن أحمد ذو الغنى\*

من حقّ أبناء هذا الجيل علينا، أن نُبرزَ لهم سيرَ سلفهم من أعلام أمتنا وعلمائها، ومن رجالاتها الأخيار ونُبلائها؛ ليكونوا لهم في سيرهم العلميّة والعملية، منارات هادية، وصوَى مُرشدة. وقد غبرَ زمانٌ تلمّس فيه الباحثون سُبُلَ تحقيق تراثنا العربي؛ الأدبي منه والعلمي، بالرجوع إلى ما خلفه لنا الأجداد من أصول علمية بيّنة؛ في الرواية والتلقي، والتحقّق والتثبّت. حتى استقام فنُّ التحقيق على سُوّقه، ونضجت طرائقه، ورسخت قواعده، وبانت سبيله. فمضى عليها أفذاذُ المحقّقين، ونزلوا بها من ميدان التنظير إلى ميدان التطبيق، بأمانة وحزم، فزادت الجادّةُ لُحوبًا، والطريقُ وضوحًا.

ومن أعلام العربية في عصرنا، وفرسان التحقيق في زماننا، أستاذنا العلامة اللغويّ النحويّ الثبّت النّقاب الدكتور أبو أحمد محمّد أحمد الدّالي رحمه الله تعالى، الذي تخرّج بشيخ العربية في الشام العلامة أبي عبد الله أحمد راتب النفاخ، وتقبّل مناهج الأكابر من شيوخ التحقيق في دهرنا؛ عبد العزيز الميمني الرّاجكوتي، وأحمد محمد شاكر، ومحمود محمد شاكر، وعبد السلام هارون، والسيد أحمد صقر، وحمل الراية عنهم كابرًا عن كابر.

### سيرة العلامة الدّالي<sup>(١)</sup>

من العسير حقًا الإحاطة بترجمة الأستاذ الجليل في صفحات قليلة، وبيان منزلته الرفيعة في علوم العربية، وعلوّ كعبه في الإحاطة بالمكتبة العربية والإسلامية، وبلوغه الغاية في تحقيق التراث؛ اللغوي والأدبي والنحوي، وفي علوم

\* باحث في التراث العربيّ وتحقيق النصوص وطبقات الرّجال.

١- أفدتُ فيها من صلتى الطويلة بالأستاذ، ومعرفتي بكتبه وآثاره، ومن سيرته الذاتية بخطّ يده، ومن كتاب أستاذنا مروان البوّاب (أعلام مجمع اللغة العربية بدمشق في مئة عام) ص ٢٩٣-٢٩٦، ومن التواصّل مع ولده الأخ الطبيب د. أحمد الدّالي، شكر الله له.



القرآن؛ تفسيره وغريبه ومعانيه وإعراجه. ولكن كما قيل: إن القطرة لا تُغني غناء الينبوع، لكنّها تدلُّ عليه!  
**ولادته ونشأته:**

وُلد الأستاذُ في بلدة مصياف، وهي مركز زراعيّ وتجاريّ من أعمال محافظة حماة السّورية، في العشرين من ذي القعدة ١٣٧٢هـ = ١ / ٨ / ١٩٥٣م، لأبٍ مثقّفٍ امتهنّ التجارة، لكنّها لم تصرّفه عن شغفه بالقراءة وجمع الكتب في فنون شتى؛ من علوم العربيّة وآدابها والتاريخ والشريعة والفلسفة والتصوّف. وكان حريصاً على تعليم ولده وتثقيفه، فدفع به إلى من يُلقّنه أفصح بيان، كتاب الله العظيم القرآن، فحفظه جُلّه في نعومة أظفاره، ولا تسَل عن أثر ذلك في كلفه بالعربيّة، واستقامة جنانه، قبل لسانه وبنانه.

#### دراسته ونفوّه:

في هذه البيئّة الثقافية الصالحة نشأ الطفلُ محمد الدّالي، فتجلّت في مخاليه أماراتُ النّجابه والتميّز، فكان الأوّل في المرحلة الابتدائية على طلاب بلده في (مدرسة سيف الدولة الحمّداني)، و(مدرسة المؤمن)، التي نال شهادتها عام ١٩٦٦م. ثم مضى

في جميع مراحل الدراسة متفوّقاً سابقاً؛ فدرّس المرحلة الإعدادية في (مدرسة مصياف الرسميّة)، ونال شهادتها عام ١٩٦٩م. ودرّس المرحلة الثانوية في (مدرسة زكي الأرسوزي) ببلدته، ونال شهادتها (الفرع العلمي) عام ١٩٧٢م.

وفي تلك المراحل كلّها كانت مادّة اللغة العربيّة أحبّ الموادّ إليه، وكان فيها مُبرّزاً مُجليّاً؛ حتى إن أستاذه في الثانوية سليمان سليمان تنبأ له بالتخصّص في العربيّة، والانقطاع للنحو واللغة. ورغب الشابُّ الطلعة في أن يحقّق نبوءة أستاذه وينتسب إلى قسم اللغة العربيّة، بيد أن شروط الانتساب إلى الجامعة في تلك السّنة، لم تسمح لطلاب الثانوية العلميّة بدراسة العربيّة! فاضطرّ إلى الانتساب إلى كليّة العلوم (فرع العلوم الطبيعيّة) بجامعة دمشق، على كره منه، فلم يُتمّ دراسته، وأعاد اختبار الثانوية العامّة في العام



أمّا بعدُ الأساتذة فيه أثرًا فهم: العلامة أبو عبد الله أحمد راتب النّفّاخ، ود. شاکر الفحّام، وأبو يحيى د. عبد الحفيظ السّطلي، وأبو صفوان الأستاذ محمد علي حمد الله، رحمهم الله جميعًا.

في ذرّ العلامة النّفّاخ<sup>(٢)</sup>:

وجد الدّالي في العلامة النّفّاخ جبل العلم الذي يؤوی إليه، والعود الذي يزاحم به<sup>(٣)</sup>، فلازمه مُلازمة العين لأختها في الجامعة وخارجها على مدار سبعة عشر عامًا؛ ليُشبع من علوم العربيّة نهمته، ويروّي من

٢- انظر (فقيد العلم العلامة أحمد راتب النّفّاخ) للدكتور محمد أحمد الدّالي، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، المجلد السابع والستون، الجزء الثالث، المحرّم ١٤١٣هـ / تموز (يوليو) ١٩٩٢م، ص ٥٤٨-٥٥٤.

٣- من أمثال العرب: (زاحم بعود أو فدع) والعود: الجمل المسنن. ويضرب هذا المثل: للحث على الاستعانة في الأمور بدوي السن والتجربة والخبرة. وفي هذا المعنى تقول العامة: من ليس له كبير ليس له تدبير!

التالي، فنال شهادتها (الفرع الأدبي) في دراسة حرّة، عام ١٩٧٣م.

### تحصيله وشهادته:

تحقّقت أمنيّته؛ فالتحق بكلية الآداب في جامعة دمشق، قسم اللغة العربيّة وآدابها عام ١٩٧٤م، فشمّر عن ساعد الجدّ، وانكبّ على أصول العربيّة تعلّمًا وتحصيلًا، وكان الأوّل على طلاب دُفعته في جميع سني دراسته، حتى تخرّج ونال الإجازة (ليسانس) في الآداب بتقدير ممتاز، ومجموع عام قدره ٨١,٨١٪، عام ١٩٧٨م. ثم التحق بدبلوم الدراسات العليا اللغوية، لينال شهادتها من جامعة دمشق، بتقدير جيّد جدًا، عام ١٩٨٠م.

ثم أغدّ السّير لإكمال دراسته العليا، فشملته أستاذه العلامة الجليل الدكتور شاکر الفحّام برعايته وتوجيهه، وغمره بفضله ونبله، حين أشرف على رسالته العلميّة لنيل شهادة العالميّة (الماجستير) من جامعة دمشق، وعنوانها: (سفر السّعادة وسفير الإفادة، لعلم الدين السّخاوي- تحقيق ودراسة)، وناقشه فيها كلٌّ من: الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السّطلي، والأستاذ الدكتور محمد علي سلطاني، وحصل على الشهادة بتقدير ممتاز ودرجة ٨٦ من مئة، عام ١٩٨٢م.

ثم نال شهادة العالميّة العليا (الدكتوراه) من جامعة دمشق، بتقدير شرف ودرجة ٩٥ من مئة، عام ١٩٨٨م، عن رسالته الموسومة بـ (الكشف، لجامع العلوم عليّ بن الحسين الأصبهاني- تحقيق ودراسة)، بإشراف أستاذه العلامة الفاضل الدكتور عبد الحفيظ السّطلي، وناقشه كل من الأساتذة الكبار: د. شاکر الفحّام، ود. مازن المبارك، ود. عمر موسى باشا، ود. محمد رضوان الدّاية.

في كلام المتقدّمين، وأمّات مصادر التّراث العربي الإسلامي، والقراءة الناقدّة البصيرة المتأنيّة فيها. ولم يكتف بما تلقّاه عنه في الجامعة، فاختلّف إليه في بيته في سفّح قاسيون (حيّ الشيخ محيي الدين)؛ ليحمل عنه من علومه وخلقه الأصيل وأمانته ودقّته، ما تجلّى في أعماله بعد. وقد حظي لدى الشيخ فخصّه بما لم يُخصّ به أترابه؛ من كريم الرعاية والحدب، وصادق النّصح والتوجيه. وقد عبّر الدّالي عن إجلاله لأستاذه في كثير مما كتب، وأكتفي بذكر كلمات خطّها في رسالة خاصّة منه إليّ، يوم غادرنا إلى قطر مدرّساً مُعَاراً إلى جامعتهَا، قال عنه برّد الله مَضْجَعَهُمَا<sup>(٤)</sup>:

«كان شيخنا وأستاذنا العلّامة أحمد راتب النّفّاخ - رحمه الله وطيب ثراه وأجزل مثوبته - مَفخرة الشّام وعين علمائها، بذل علمه لطلابه أيّ بذل، وكان العلّامة العارف الثقة الإمام. فمَن تلقى عنه وقد رغب في العلم، اختصر له الأستاذُ علمَ نصف قرن، فإن جدّ ودرس وحصل أمّهات المصادر، كان أهلاً لأن يكون من تلامذة الأستاذ الإمام.

وأول ما تتعلّمه منه أخلاق العلماء، ويدلّك على مفاتيح العلوم. وأنّى لك بمثله؟ ولا يُذكر أكثر من تعرف ومَن لا تعرف معه!».

#### ٥) وظائفه وتعليمه:

غبّ حصوله على (الماجستير) عُين معيداً في قسم اللغة العربيّة من كليّة الآداب بجامعة دمشق، عام ١٩٨٤م، ومضى في عمله الوظيفي بجدارة وإتقان، يبذل لطلابه كلّ بذل، ويحرص على مَن يشيّم فيهم نجابة وإقبالا، أخذاً بأيديهم في دروب العلم والفهم، غير ضنين عليهم بإرشاد ونصح، مع حُنو ظاهر

٤- من الرسالة المذكورة بتاريخ: ١٤ رمضان ١٤١٣هـ / ٧ آذار

# جوامع المسائل العشرية

لابن بركي

المسائل العشرية للشيخ  
أبي بكر بن بركي  
مؤيد بن بركي عن أبيه  
مؤيد بن بركي عن أبيه

عقدت على يد  
الدكتور محمد أحمد الدّالي  
إستاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة قطر

مسائلها عطشّه. فكان النّفّاخ أخصّ شيوخه، وأقرب أساتذته إلى نفسه؛ به تخرّج، وعلى يديه تدرب، ومن معين علمه غرّف، ومن بصيرته بالعربيّة استحصد، ومن سداد منهجه في تحقيق التّراث نهض واستحكم. وكان من تمام نعم الله عليه أن درّسه النّفّاخ في جميع سنوات الدراسة؛ ففي السنة الأولى درّسهم: مادّتي علم العروض والمكتبة العربيّة والأدب القديم. وفي السنة الثانية درّسهم: نصوصاً من كتاب (الكامل) للمبرّد. وفي السنة الثالثة: مادّة علوم اللغة العربيّة في كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام الأنصاري. وفي سنة الدبلوم: مادّة الموضوع اللغوي، بشرح أبواب من (الخصائص) لابن جنّي، وأملى عليهم فوائد مما انتهى إليه في القراءات القرآنية. وكانت تلك الموادّ كلّها وسيلة إلى بيان أصول النظر



دكتوراه شجرتا واستاذة جامعة البصرة - كلية اللغة العربية - جامعة البصرة  
 مخرجة - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم  
 العرف المقتضى - من شق حقه وقررت في العلم - مخرجة القسم - مخرجة القسم  
 قسم - مؤن جد ودين - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم  
 المخرجة - مؤن جد ودين - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم  
 مخرجة القسم - مؤن جد ودين - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم  
 المخرجة - مؤن جد ودين - مخرجة القسم - مخرجة القسم - مخرجة القسم

وكتب  
 الدكتور محمد الخالدي  
 البصرة - ٢٠٢٠ م  
 ١٤ / ١٢ / ٢٠٢٠

ما أخذ به نفسه من مشاريع علمية في تحقيق تراث الأسلاف، وإخراج ما تحت يده من بحوث ودراسات، وكانت الاستقالة في صيف عام ٢٠٢٠م.

### ٦) في مجمع الخالدين:

إن المكانة العلمية التي تبوأها العلامة الدالي أهلتها لأن يسلك في سلك الخالدين من سدنة العربية وحماها، فانتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ٢٧ من رمضان ١٤١٨هـ (٢٥ / ١ / ١٩٩٨م)، خلفاً لأستاذه عبد الهادي هاشم رحمه الله. وصدّر المرسوم الجمهوري بذلك في عاشر جمادى الأولى ١٤٢١هـ (١٠ / ٨ / ٢٠٠٠م)، وأقيم حفل استقباله في قاعة المجمع مساء الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ (٥ / ٩ / ٢٠٠١م)، وألقى فيه كلمةً بليغة بعنوان (عضوية المجمع أمانة ورسالة)، عبر فيها عن اعتزازه بثقة أساتذته في المجمع به، وعرف بسلفه الأستاذ هاشم، ومما قاله في ختامها: «وبعد، فقد قدر لي أن أحل في هذا الصرح الشامخ من صروح الأمة محلّه، وأسد فيه مسدّه. ولئن كنت أقل من أن أسد جانباً من جوانب مكانه فيه = إني لأحاول أن أخلص في عملي إخلاصه، وأسير في الطريق الذي سار فيه. وعسى أن يوفّقني الله فيما أحاول مع أساتذتي الأجلاء أعضاء المجمع، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه».



ولين جانب، كيف لا، وهو الرجل السّمحُ الهينُ الموطأُ الأكناف!؟

ثم لم يلبث في عُقب حصوله على (الدكتوراه) أن عُين مدرساً للنحو والصرف في القسم نفسه عام ١٩٨٩م. ثم تدرّج في السلم الوظيفي الرسمي؛ فرقي إلى مرتبة أستاذ مساعد عام ١٩٩٤م، ثم إلى مرتبة أستاذ (بروفيسور) عام ٢٠٠٠م.

ولم يقتصر عطاؤه ونفعه على طلاب العربية في الشام، فقد أُعير إلى جامعة قطر من عام ١٩٩٢ إلى ١٩٩٧م. ثم عاد كرتة أخرى إلى دول الخليج ليتولّى العمل أستاذاً في قسم اللغة العربية بجامعة الكويت عام ٢٠٠١م. ولم يزل ناهضاً لتعليم العربية فيها حتى أثار الاستقالة بعد زهاء عقدين<sup>(٥)</sup>؛ رغبةً في العكوف على

٥- رجّح أستاذنا الكبير د. مكي الحسني الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، ضبط العقد العددي بالكسر، انظر كتابه (نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية) ص ١٧٠ - ١٧١.

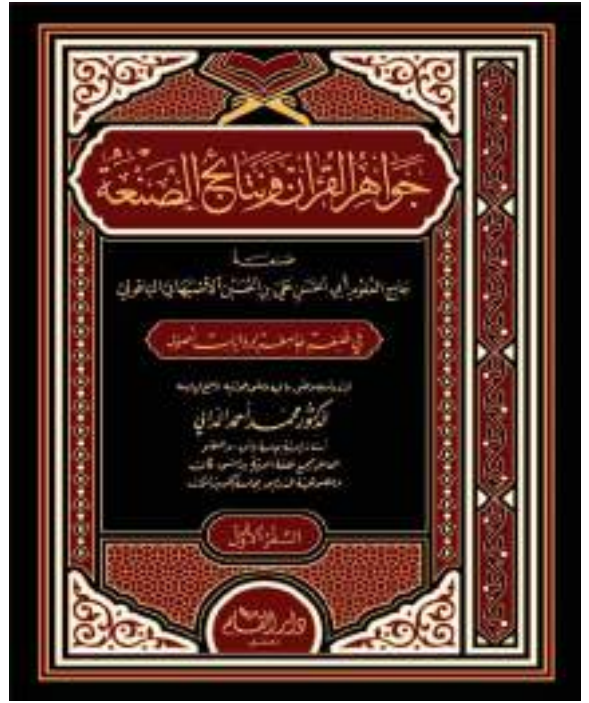
يُصابُ بداء العَصْرِ العِيَاءِ كورونا (كوفيد ١٩)، على أخذه بأسباب الوقاية وشِدَّة احتياطة، ولكن كما قيل: لا يُغني حذرٌ من قدر! وألمَّ الوباءُ برئتيه ففتكَّ بهما وبرَّحه، وما أسرعَ أن حَطَفته يدُ المنون! ليلقى وجهَ ربِّه الرحيم صباحَ يوم الأحد سادسَ عشرَ ربيع الآخر ١٤٤٣هـ (٢١ / ١١ / ٢٠٢١م). تغمّده الباري بعفوه ورحمته، وأخلفَ على الأمة من أمثاله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

#### ٨) شهادات عارفيه:

حَسْبِي أَنْ أُورِدَ ثَلَاثَ شَهَادَاتٍ تُغْنِي عَمَّا سِوَاهَا، لثَلَاثَةٍ مِنْ فُحُولِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَسَاتِيذِهِ؛ فَإِنَّ شَهَادَاتِ الْأُسْتَاذِينَ أَصْدَقُ وَأَبْلَغُ، وَأَبْعَدُ عَنْ شُبْهَةِ الْمَجَامِلَةِ وَالْمَصَانِعَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ هُمْ: د. شَاكِرُ الْفَحَّامِ، وَالْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ عَلِيَّ حَمْدُ اللَّهِ، وَد. مَازِنُ الْمُبَارَكِ.

أَمَّا الْفَحَّامُ فَوْصَفَ تَلْمِيذَهُ الدَّالِيَّ يَوْمَ قَدَّمَ لِرِوَاغٍ مِنْ بَوَاكِرِ أَعْمَالِهِ، وَهُوَ كِتَابُ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ عِلْمِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ (سِفْرُ السَّعَادَةِ وَسَفِيرُ الْإِفَادَةِ)، بِقَوْلِهِ: «لَقَدْ انْتَدَبَ الشَّابُّ مُحَمَّدُ الدَّالِيَّ، وَهُوَ الْمَكْتَهَلُ فِي شَبِيبَتِهِ جِدًّا وَرِصَانَةً، وَانْصَرَفًا إِلَى الْعِلْمِ، وَحُبًّا لِأَثَارِ السَّلَفِ، لِتَحْقِيقِ هَذَا الْأَثَرِ الْغَالِي مِنْ أَثَارِ السَّخَاوِيِّ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَأَخَذَ نَفْسَهُ أَخْذًا غَيْرَ رَفِيقٍ بِقَوَاعِدِ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوطَاتِ، غَيْرَ مُتَنَاسِ الْأَصُولِ الَّتِي خَلَفَهَا لَنَا الْأَجْدَادُ فِي الضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ وَالْأَمَانَةِ فِي نَقْلِ النُّصُوصِ؛ خَشِيَّةً أَنْ يَعْثَبَ بِهَا عَابَثٌ. وَهَيَّا لِعَمَلِهِ كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَدْنُو بِهِ إِلَى النِّجَاحِ، وَسَهَرَ وَنَصَبَ لِتَذْلِيلِ الْعَقَبَاتِ... وَطَافَ وَحَوِّمَ لِيَرِدَ الْمَاءَ صَفْوًا لَا كَدَرَ فِيهِ»<sup>(٦)</sup>.

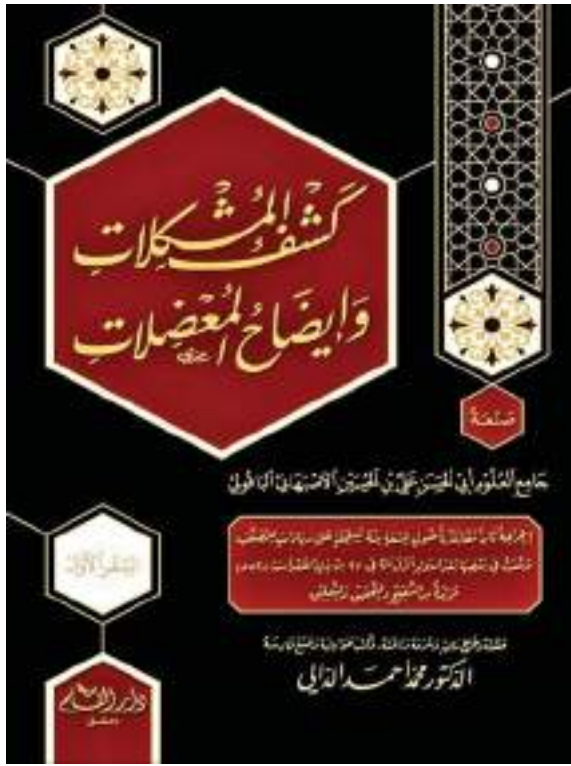
٦- انظر تقديمه لكتاب (سِفْرُ السَّعَادَةِ وَسَفِيرُ الْإِفَادَةِ) ص ٩-١٠.



والدّالي ابنُ المجمع الوفيُّ، شارك في أعماله وندواته، ونشرَ له المجمعُ رسالتيه للماجستير والدكتوراه، فضلاً عن غير قليلٍ من النصوص والبحوث من عيون العربية ومساثلها في مجلته. غيرَ أن ظروفَ اغترابه في الكويت، وبُعدَ الشُّقَّةِ، وانشغاله بالتدريس الجامعي ثَمَّة = أجاأته إلى تقديم استقالته من عضوية المجمع في ٤ / ٨ / ٢٠٠٨م؛ لأن من شروط العضوية العاملة فيه حضورَ جلساته الدورية، وصدرَ مرسومٌ قبول استقالته في ٥ / ١١ / ٢٠٠٨م.

#### ٧) اعتلاله ووفاته:

ألمعتُ آنفاً أن الأستاذَ آثرَ التفرُّغَ لمشاريعه العلمية، فاستقالَ وغادرَ الكويت؛ ليُلْقِيَ عصا الغربة الطويلة في بلدته الأثيرة مصيفاً، وذلك في ١٥ / ١٠ / ٢٠٢٠م. وقد كان مُبْتَهَجًا بقراره الذي اتخذه، راضياً كلَّ الرضا عن انقطاعه التامَّ للعلم، وعُكوفه على دواوين العربية؛ تحقيقاً ودراسةً وشرحاً. ولكنَّ إرادةَ الحكيم الخبيرِ قَضَتْ بِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ أَلَا يَتِمُّ لَهُ حَوْلٌ حَتَّى



١٩٨٤م، متزوجة. وهدى الدّالي، حاصلة على إجازة في اللغة الإنكليزية من قسم اللغويات بجامعة الكويت، وماجستير في الترجمة من جامعة بورتسموث ببريطانيا، تعمل مدرّسة في الكويت، من مواليد سنة ١٩٨٦م.

### منهج العلامة الدالي في التحقيق

قدّم العلامة الدّالي للمكتبة العربيّة أعلاماً نفيسةً وكنوزاً ثمينةً من أصول العربيّة واللغة والأدب، وما كان لها أن تخرج بالصورة التي خرجت به من الإتيان والإحكام، لولا ما بذل في تحقيقها من جهدٍ مضمّنٍ ظاهرٍ للعارفين وذوي البصائر في صنعة التحقيق!

وإن آفاق الكلام على منهج الأستاذ في التحقيق رحبةٌ واسعة، وجديرٌ بها أن تُخصَّصَ بمقالةٍ مفردة، تتناول بالتفصيل ما كان يتحرّاه من أمانة ودقّة في اختيار النسخ الخطيّة، وفي دراستها وتقديم ما ينبغي أن يكون أصلاً منها، وفي طريقتة في النسخ والمعارضة،

وأما حمد الله فقد كنتُ حضرتُ معه يوماً مناقشةً رسالة دكتوراه في قسم اللغة العربيّة بجامعة دمشق، وكان الدّالي عضواً في لجنّتها، فجلا في ملحوظاته عن سعة اطلاع، وبصيرة وحذق، وبراعة في التعقّب والاستقصاء، مع عناية بالأصول العلميّة المنهجية في البحث. ولما فرغ سألتُ أستاذنا حمد الله عن رأيه بملحوظات الدّالي، فالتفت إليّ قائلاً: «محمد الدّالي شيخُ النحاة في سوربة اليوم».

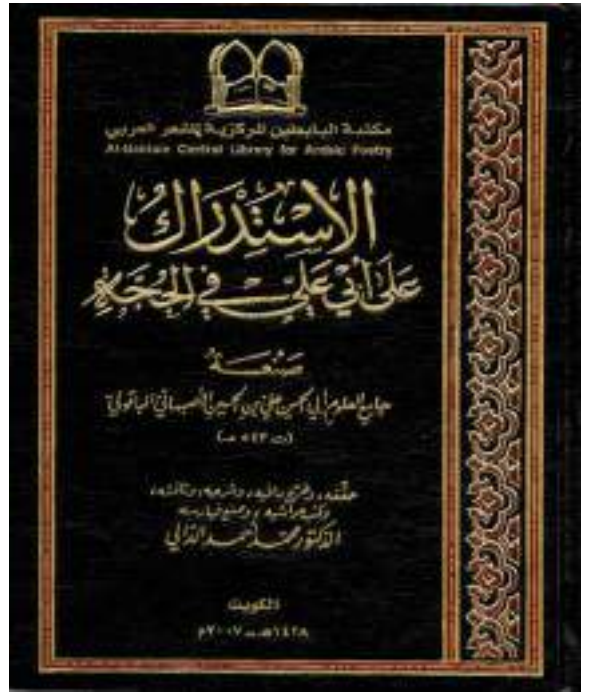
وأما المبارك فكتب بحروف يعتصرها الألم عقيب رحيل الدّالي قائلاً: «رحمك الله يا أبا أحمد، فما حزنتُ لفقد أحدٍ في هذه الأيام حزني لفقدك؛ فقد فقدتُ العربيّة بفقدك فارسها المجلي، وجوهرتها النادرة، وخسرتُ الأمّة العلم الذي انطوى، والعلم الذي هوى، وخسرتُ الخلق والنبل والوفاء، وكل ما عرفت به من شمائل العلماء، وصفات الفضلاء... وأين ذلك كله مجتمعاً في أحدٍ من علماء هذه الأيام؟! لقد فقدنا عالماً لم يطغه الغرور، ولم يخدعه حبُّ الظهور، ولم تغره المناصب، ولم تستعبده الدنيا. وأين من يجمع اليوم الخلق القويم إلى العلم وسعته، وعمقه ودقته، وصدقه وأمانته؟!»<sup>(٧)</sup>.

### ٩) أسرته وأولاده:

تزوَّج الدّالي عام ١٩٨٣م السيدة الفاضلة سامرة بنت محمد وحيد بازو (من مصياف)، وله منها ابنان وابنتان؛ هم: د. أحمد الدّالي، طبيبٌ مخبري يعمل في ألمانيا، من مواليد سنة ١٩٩٠م. والمهندس إياد الدّالي، مهندس حواسيب يعمل في الكويت، من مواليد سنة ١٩٩٥م. وسارة الدّالي، حاصلة على إجازة في اللغة العربيّة من جامعة الكويت، من مواليد سنة

٧- من كلمته (مات الغالي العالم الدالي)، المنشورة في شبكة الألوكة الإلكترونية.





يُشبع التعليق عليها إبانة وكشفًا، وجلاءً وإيضاحًا، مع التوسّع في الإحالة على كلام أهل العلم، وكأن المكتبة العربيّة كلّها بين عينيه! وأدّاه طول تأمله في كتب العربيّة وعميق نظره في أسفار الأئمّة، إلى أن يُدليّ بدلوه؛ تقويمًا وتسديدًا، وتصويبيًا واستدراكًا، ولهذا ما تراه يُثبت على أغلفة كثير من كتبه عبارة: (حقّقه وخرّج ما فيه وشرّحه وناقشه وكتب حواشيه وصنّع فهرسه) وهي ألفاظ نازلة في حاقّ موضعها غير شك<sup>(٨)</sup>.

ثم تراه بعد ذلك كلّه على سجيّته من التواضع والتطامن، والنأي عن التباهي والانتباج، ليُنصّ على أن عمله لا يعدو أن يكون استدراكًا على علمهم بعلمهم، واعتراضًا على أقوالهم بأقوالهم؛ يقول رحمه الله<sup>(٩)</sup>: «وما عملي... إلا آثارٌ ونتائجٌ عن محاولتي فهم

ثم تخريج المسائل وتفسير الغريب، وبيان كلّ ما ينبغي بيانه، والتعليق والتعقب والاستدراك على المصنّفين، ثم فهرسة الكتاب فهرسةً شاملةً دقيقة، لا تدع شيئًا من موضوعاته الكلّية والجزئية إلا أحاطت به.

لقد مضى الأستاذ في التحقيق على جادة قويمه هي امتدادٌ لمنهج الأكابر من المحقّقين؛ على ما ألعنت في صدر المقالة. ولو سبّرت صنيعه ورزت حواشيه وأنعمت النظر في مقدّماته، لأدركت أنني لم أغادر الحقيقة؛ فهو ينسج على منوال من التثبّت التامّ في كلّ ما يخطّ بِنانه، حتى إنه عارض كلّ كتاب من مصنّفات جامع العلوم التي أخرجها حرفًا حرفًا بغيرها من مؤلّفاته، وبمواردها من كتب أبي عليّ وابن جنّي ومن قبلهم إمام النحاة سيبويه، وغيرهم من أئمّة الصنعة وجلة شيوخ العربيّة.

بل إن صنيعه يتجاوز التحقيق المتقن العالِي؛ ليكون شرحًا وتبيينًا لمراد المصنّف، فهو لا يمرُّ على مسألة مُعضلة، أو عبارة غامضة مُشكلة، دون أن

٨- انظر مقالتي (محمد الدّالي وجامع العلوم) المنشورة في مجلة المخطوطات الثقافية، الصادرة عن معهد المخطوطات العربيّة بالقاهرة، العدد (٢)، شعبان ١٤٤٠هـ / مايو ٢٠١٩م.  
٩- في مقدّمة تحقيقه (الإبانة في تفصيل مااءات القرآن) ص ٩.

# آثار العلامة الدالي

تأليف  
أبي محمد عبد الله بن محمد بن عثمان  
(٢١٣ - ٢٧٦ هـ)

مصحّحه وعلّقها عليه ووضع فهرسه

محمد الدالي

مؤسسة الرسالة



التراث اللغوي) في قسم اللغة العربية من كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة البصرة في العراق، بإشراف الأستاذ الدكتور سامي علي جبار.

## آثار العلامة الدالي

سأقتصرُ منها على الكتب المحقّقة دون سواها من البحوث والدراسات والمقالات المنشورة في المجلات والدوريات المحكمة والعلمية المتخصصة، وهي كثير؛ فإنها جميعاً صدرت بين دفتي كتابه (الحصائل) على ما سيأتي.

### أولاً- في التحقيق:

- (المجتنى) لابن نريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، ط ٢، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، لم يُثبت اسمه على غلافها، وذكره الناشر في مقدّمته. دار الجفان والجابي بدمشق وقبرص، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، نصّ على أنها الطبعة الأولى المحقّقة والمنقّحة، وأنها تجبُّ ما قبلها، وأنه غير راضٍ عن صنيعه في تلك الطبعة.

كلامهم، ومعارضة أقوالهم في تصانيفهم، ومعرفة أخذ بعضهم عن بعض، واختيار بعضهم قولاً على قول. فمن كلامهم علقت... ومن كلامهم استدركت عليهم، ومن كلامهم اخترت ما اخترت، ومما بسطوه من أصول العربية خالفتهم فيما خالفوه منها في بعض أقوالهم، ورأيت غير ما رأوا».

ورأته في هذا قول الإمام ابن جنّي<sup>(١)</sup>: «وإذا صحّ لإنسان قول يقتضيه محض القياس فليس ينبغي أن يحجم عن القول به؛ لأنه لم يقله من قبله من الشيوخ. ولو كان هذا مذهباً صحيحاً لما كان للثاني أن يزيد على الأول، ولا أن يأتي بما لم يأت به، وكان هذا مدعاة إلى العي والحصر».

ولا يفوتني أن أذكر أخيراً أن طالبة ضياء جخير كاظم قدّمت أطروحةً للماجستير بعنوان (جهود الدكتور محمد أحمد الدالي في اللغة والنحو وتحقيق

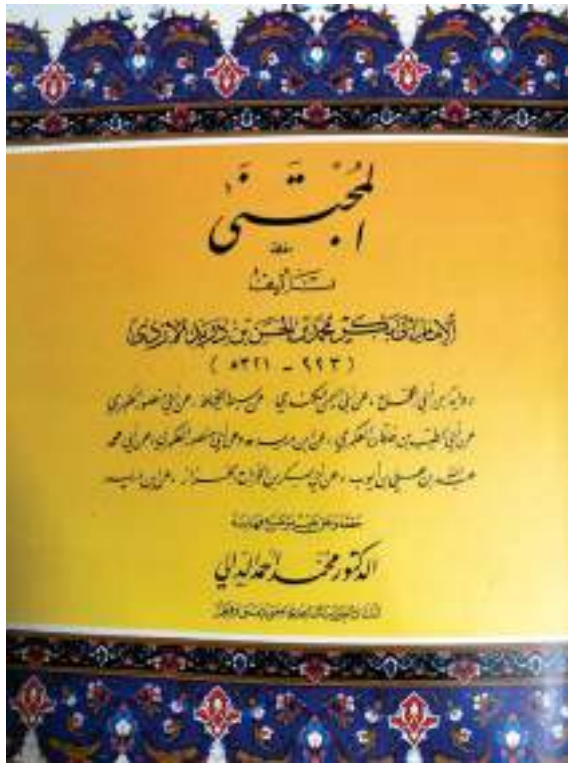
١٠ النصف ٣ / ١٣٣، نقلًا عن مقدّمة (الإبانة) ص ١٠.





- (أخبار في النحو) رواية أبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم (ت ٣٤٩هـ) عن شيوخه، دار الجفّان والجابي بدمشق وقبرص، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- (كشف المُشكلات وإيضاح المُعضلات) لجامع العلوم الأصبهاني الباقولي (ت ٥٤٢هـ)، ط١، مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ط٢، دار القلم بدمشق، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م، في أربعة مجلّدات.
- (جواب المسائل العشر) لابن برّي (ت ٥٨٢هـ)، دار البشائر بدمشق، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (الإقناع لما حوى تحت القناع) لبُرهان الدين المُطرّزي (ت ٦١٠هـ)، حقّقه بالاشتراك مع د. سلامة عبد الله السويدي، مركز الدراسات والوثائق الإنسانية بجامعة قطر، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- (أدب الكاتب) لابن قتيبة الدّينوري (ت ٢٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م، ط٣، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، في مجلّد كبير.
- (سفر السعادة وسفير الإفادة) لعلم الدين السّخاوي (ت ٦٤٢هـ)، ط١، مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ط٢، دار صادر ببيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، في ثلاثة مجلّدات.
- (الكامل في اللغة والأدب) لأبي العبّاس المُبرّد (ت ٢٨٦هـ)، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ط٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، في أربعة مجلّدات.
- (مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العبّاس) رواية أبي بكر الختلي (ت ٣٦٥هـ) وأبي طاهر ابن العلاف (ت ٤٤٢هـ)، دار الجفّان والجابي بدمشق وقبرص، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.



العلوم الأصبهاني (ت ٥٤٢هـ)، ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ط ٢، دار البشائر بدمشق، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، في مجلّد كبير.

● (جواهر القرآن ونتائج الصّنعَة) لجامع العلوم الأصبهاني (ت ٥٤٢هـ)، دار القلم بدمشق، ط ١، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م، في أربعة مجلّدات.

#### ثانياً- في التّأليف:

لم يُعَنَ الأستاذُ بالتّأليف ابتداءً، غيرَ أن ما نشره في مجلّاتٍ علميّة مرموقة؛ من دراسات وبحوث ومقالات علميّة، ورسائلٍ محقّقة ونصوص مجموعة، وعلى رأسها مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، بلغت مبلغاً كبيراً، فجمعها كلّها في كتابه (الحصائل في علوم العربيّة وتراثها)، الذي صدر عن دار النوادر بدمشق وبيروت والكويت، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، في ثلاثة مجلّدات.

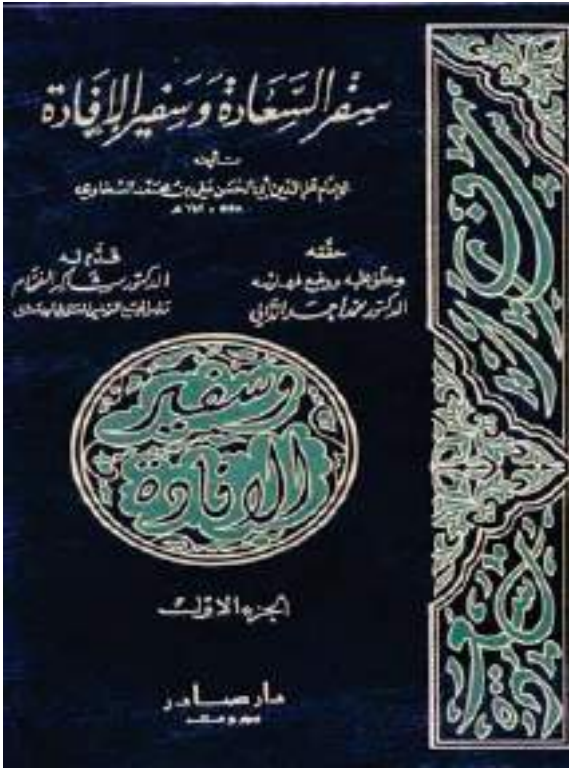


● (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) من (أ - ح)، لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ)، دار الفكر بدمشق، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، وعلّق بخطّ يده عند تاريخ الطبعة بقوله: "فُرغ من طبعه في أوائل أيلول ٢٠٠١م" قلت: ويوافقُه جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ، في مجلّد كبير.

● (تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية) لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، دار البشائر بدمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

● (الاستدراك على أبي عليّ الفارسيّ في الحجّة) لجامع العلوم الأصبهاني (ت ٥٤٢هـ)، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي في الكويت، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، في مجلّد كبير.

● (الإبانة في تفصيل ماءات القرآن، وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصّناعة) لجامع



وأبي عبّيدة معمر بن المنثى (ت ٢٠٨هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٥هـ) حَقَّقَه وكشَفَ غوامِضَه، وعلَّقَ عليه، ووصلَه وذيَّلَ عليه. قدَّرَ له أن يكونَ في أربعة مجلِّدات.

● (الملخَّص في الوقف والابتداء) لجامع العلوم الأصبهاني (ت ٥٤٢هـ)، قدَّرَ له أن يكونَ في ١٢٠٠ صفحة.

ت- وممَّا عزمَ على تحقيقه، وجمعَ نسخَه الخطيَّة، وهيَّأ أسبابَ العمل فيه:

- (المخصَّص) لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).
- (الكامل في اللغة والأدب) للمبرِّد (ت ٢٨٦هـ)، نشرة جديدة ناسخة للقديمة.
- (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، نشرة جديدة ناسخة للقديمة.
- (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) لابن السِّيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ).

### ثالثاً- آثار مخطوطة:

خَلَّفَ الأستاذُ رحمه الله عدداً من الكتب؛ منها ما هو مجهَّزٌ للنشر، ومنها ما قطعَ شوطاً بعيداً في تحقيقه، ومنها ما مهَّد للعمل فيه.

أ- ممَّا أعاد تحقيقه، بالاعتماد على أصول خطيَّة لم يكن وقفَ عليها من قبل، وهو مجهَّزٌ للنشر:

- (المجتنى) لابن دُرَيْد الأزدِي (ت ٣٢١هـ).
- (مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس).
- (الإقناع لما حوى تحت القناع) لبُرْهان الدين المَطْرُزي (ت ٦١٠هـ).
- وستصُدِّرُ ثلاثتها عن دار القلم بدمشق، إن شاء الله تعالى.
- ب- وممَّا قطعَ شوطاً بعيداً في تحقيقه والتعليق عليه:
- (ديوان الفرزدق) صنَّعَه أبي سعيد السُّكْرِي (ت ٢٩٠هـ)، برواية المُفضَّل الضَّبِّي (ت ١٧٨هـ)،

# نشرات (الكتاب) لسبيويه

(ت ١٨٠ هـ)

عرض وتقويم: د. محمد عماد سمير بيازيد\*

كتاب سبيويه أَجَلُّ مصادر العربيَّة، وهو قرآن النحو، والنبع الذي انفجرت منه جداول النَّحو والصَّرْف، حتى غدا كل كتاب وُضع في هذا الفنَّ عالَّةً عليه؛ ماتحاً برشائه، قادحاً بزنده، لا يبغي عنه حوَّلاً، استقصى فيه صاحبه أصولَ النحو وفروعه استقصاءً بهرَ فيه معاصريه ومنَّ جاء بعدهم. وقد أفاض النَّاسُ في الثناء على الكتاب وتقريظه؛ فالمبرِّدُ كان يقول لمن أراد أن يقرأ عليه: هل ركبت البحر؟ يعني كتاب سبيويه إعظاماً له، واستصعاباً لما جاء فيه. وقال المازني: «من أراد أن يعمل كتاباً في النحو بعد سبيويه فليستح»، وقال أبو الطَّيب اللُّغوي: «وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألَّفَ كتابه الذي سمَّاه النَّاسُ قرآنَ النَّحو، وعقد أبوابه بلُفظة وَلَفْظِ الخليل». ولما كانت للكتاب هذه المنزلة المرموقة وهو ركن العربيَّة الركين هبَّ العلماء العرب والمستشرقون إلى نشره وإذاعته منذ أطلَّ عصر الطَّباعة، وفيما يأتي بيان هذه النشرات التي قدَّمت كتاب سبيويه مطبوعاً بين أيدي النَّاس.

## ١. نشرة (دي ساسي) الفرنسية:

أول ما انتهى إلينا من (الكتاب) مطبوعاً هو ثلاثة عشر باباً منه<sup>(١)</sup>، توفّر عليها المستشرق الفرنسي أنطوان دي ساسي (١٧٥٨ - ١٨٣٨)، ونشرها في باريس عام (١٨١٢) مع أبواب من كتب أخرى، طبعت جميعاً تحت عنوان: مختارات نحوية عربية (انظر: الصورة ١).

\* باحث في التراث العربيّ.

١- هي الأبواب الآتية: باب علم ما الكلم من العربية، باب المسند والمسند إليه، باب اللفظ للمعاني، باب ما يكون فيه اللفظ من الأعراس، باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكن تمكته، باب ما يكون فيه الاسم مبنياً على الفعل قَدْ أَوْ أُخْرَ وما يكون فيه الفعل مبنياً على الاسم، باب ما يختار فيه إعمال الفعل ممّا يكون في المبتدأ مبنياً عليه الفعل، باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل، باب ما يضمّر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي، باب من إذا أردت أن يضاف لك من تسأل عنه، باب إجرائهم صلة (مَنْ) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) وإذا عنيت جميعاً كصلة (الذين)، باب ما تلحقه الزيادة في الاستفهام إذا أنكرت أن تثبت رأيه على ما ذكر أو تنكر أن يكون رأيه على خلاف ما ذكر، باب ما أعرب من الأعجمية.



نشرة علمية له<sup>(٤)</sup>. عنوان هذه النشرة: «كتاب سيبويه المشهور في النحو واسمه الكتاب»، لها مقدّمة باللّغة الفرنسيّة<sup>(٥)</sup> تخلّلتها عباراتٌ وجملٌ بالعربيّة، جاءت في نهاية الجزء الأوّل في نحو (٤٤) أربع وأربعين صفحةً. اعتمد درنبرغ في إخراج هذه النشرة على ما يأتي<sup>(٦)</sup>:

١. نسخة (A)، وهي مخطوطة باريس رقم (١١٥٥) من الملحق العربيّ، نسخها أحد العلماء عن أصل لأبي عليّ الفارسيّ، وعني بمقابلتها على أصولٍ مختلفة ولا سيّما في التّلاثين الأوّل والثّاني من الكتاب، وأضاف إلى جزئها الأوّل تعليقاتٍ وحواشي مختلفة. لم يعرف تاريخ نسخها، والرّاجح أنّه يعود إلى منتصف القرن الثّامن الهجريّ. اتّخذ درنبرغ هذه النّسخة أصلاً.

٢. نسخة (B)، وهي نسخة المتحف الآسيويّ بالأكاديمية الإمبراطوريّة للعلوم في سانت بطرسبرغ الروسيّة، رقمها (٤٠٣)، غُفّل من الضّبط ما عدا الشّعير في النّصف الثّاني منها، فيها أسقاطٌ بانتقال النّظر، يرجع تاريخها إلى سنة (١١٣٨ هـ). ما تنماز به هو أنّها خلّو من الإضافات المقحمة.

٣. نسخة (C)، وهي أيضاً من مخطوطات سانت بطرسبرغ الروسيّة، مودعة في المكتبة الإمبراطوريّة العامّة برقم (١٦١)، وهي أصحّ سائر النسخ بعد

٤ لأنّه يعتمد على أصل واضح (A) يمكّن الباحث من التّأكد من النّصّ الذي جرت مقابلته على الأصول الثلاثة الباقية. أمّا عبد السّلام هارون، فإنّ نشرته لا تسمح للباحث بالتّأكد من أصل القراءات التي اختارها في نشرته؛ لأنّه اعتمد على نشرة باريس من دون ذكر هوامشها. وأمّا نشرة البكّاء، فهي أكثر دقّة لكنّه اعتمد على نسخ غير عالية. انظر: كتاب سيبويه بين أيادي المستشرقين والعرب ١٢.

٥ تقف على ترجمة صدرها إلى العربيّة عند هارون. انظر: الكتاب (مقدّمة المحقّق) ١ / ٤٥.

٦ انظر أيضاً: مقدّمة عبد السّلام هارون للكتاب ١ / ٤٦ - ٥٠.

وذكر (دي ساسي) أنه اعتمد في نشر هذه الأبواب على نسخة مخطوطة واحدة في المكتبة الملكية الفرنسيّة لا تحمل رقمًا. وفيما نشره وصف لهذه النسخة (انظر: الصورة ٢).

## ٢. نشرة (سانت بطرس) الروسيّة:

نشر المستشرقان الروسيان الرّوسيان فلاديمير جيرجاس (١٨٣٥ - ١٨٨٧) وفكتور روزن (١٨٤٩ - ١٩٠٨) أربعة أبواب<sup>(٧)</sup> من كتاب سيبويه، طبعت مع سواها عام (١٨٧٥) تحت عنوان: (مختارات عربيّة). اعتمد الروسيان فيما نشرها من (الكتاب) على نسخة مخطوطة واحدة رقمها (١٦١) في المكتبة الروسيّة الوطنيّة في سانت بطرس، برواية أبي عليّ الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، مؤرّخة في (٢١) المحرم من عام (٥٤٧ هـ). وسيأتي أنّ هذه النسخة التي اعتمدا عليها هي النسخة (C) عند هرتويغ درنبرغ. وهذا نموذج مما نشرها (انظر: الصورة ٣).

## ٣. نشرة (هرتويغ درنبرغ) الفرنسيّة:

تواضع المشتغلون بـ(الكتاب) على وسم الطّبعة التي حقّقها المستشرق الفرنسيّ هرتويغ درنبرغ (١٨٤٤ - ١٩٠٨)، وصدر جزؤها الأوّل عام (١٨٨١)، ثم جزؤها الثّاني عام (١٨٨٥)<sup>(٨)</sup> = (طبعة أو نشرة باريس). وهذه النشرة هي أوّل نشرة تامّة تصدر للكتاب، وما زالت حتّى الآن عند بعض الباحثين أعلى

٢ هي ما يأتي: باب علم ما الكلم من العربيّة، باب مجاري أو آخر الكلم من العربيّة، باب ما يحتمل الشعر، باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما يجري في غيره مجرى الفعل.

٣ هذا ما على غلاف النشرة التي بردت في يدي. على أنّ درنبرغ أرخ مقدّمته للجزء الثّاني بـ(١١ / ٢ / ١٨٨٩). هذا، وتقف على مقدّمة الجزء الثّاني مترجمة إلى العربيّة عند هارون. انظر: الكتاب (مقدّمة المحقّق) ١ / ٥١ - ٥٣.



٦. أشار في حواشيه إلى النسخ التي اعتمد عليها في المقابلة، وكان يذكر أرقام الأسطر حين التنبيه على الفروقات، وفي حواشيه أيضاً تعليقات بالفرنسية.

٧. حاول ما وسعه الحوال تمييز ما أقحم في الكتاب مما ليس لسبويه، وأشار إلى ذلك في حواشيه.

٨. ذكر البحور العروضية لشواهد سبويه الشعرية.

أعاد الناشر الألماني جورج أولس نشر تحقيق درنبورغ هذا بالأوفست عام (١٩٧٠) في نيويورك بأمريكا.

وهذا غلاف أول نشرة تامة للكتاب، ونموذج من عمل درنبرغ (انظر الصور: ٤ و ٥ و ٦).

#### ٤. نشرة (كَلَكْتَا) الهنديّة:

ثاني نشرة تامة لكتاب سبويه. صدرت في مجلد واحد (١١٠٥ صفحات) عام (١٨٨٧) بعنوان: «هذا كتاب اسمه الكتاب وهو في النحو مثل أم الكتاب للشّيش الإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسبويه». اعتنى بها الهندي كبير الدين أحمد، وليس يُعرف الأصل الذي اعتمد عليه في إخراجها؛ إذ ليس لها مقدّمة، وهي خلوّ من الفهارس الفنيّة الكاشفة. في نشرته هوامش قليلة وأخطاء مطبعية. تعدّ اليوم من المطبوعات النادرة، وتقف عليها مصورة على الشّابكة.

وهذا غلافها، ونموذج من عمل صاحبها (انظر: الصورتين ٧ و ٨).

#### ٥. الترجمة الألمانية:

ترجم المستشرق الألماني غوستاف يان (١٨٢٧ – ١٩١٧) كتاب سبويه إلى اللغة الألمانية، معتمداً على النشرة الباريسية التي توفر عليها (هرتويغ درنبرغ)، واضعاً أرقام صفحاتها في جوانب صفحات

نسخة الإسكوريال الإسبانية. وهي نصف الكتاب الأوّل برواية أبي عليّ الفارسيّ، مؤرّخة في (٢١) المحرم من عام (٥٤٧ هـ). احتاط ناسخها لما أقحم فيها؛ فوضع (لا) في أوّل الشّروح أو التّعليقات أو التّأويلات، و (إلى) في آخرها.

٤. نسخة (D)، وهي مخطوطة المكتبة الملكية بفيينا النمساوية، رقمها (٧٦٩)، تحوي ثلث الكتاب الأخير بدءاً من باب الهمز<sup>(٧)</sup>. لم يذكر تاريخ نسخها.

٥. النسخ (E) و (F) و (G)، وهي من دار الكتب المصرية، أرقامها على الترتيب: (١٣٩ م نحو)، (١٤٠ نحو)، (١٤١ نحو). لم ينتفع بها المحقق في المقابلات إلا قليلاً.

٦. نسخة الإسكوريال الإسبانية (L)، أفاد منها في الجزء الثاني من التحقيق.

٧. نسخة الإسكوريال الإسبانية (M)، وهي شرح أبيات سبويه لمؤلف مجهول، أفاد منها في الجزء الثاني من التحقيق.

٨. شرح كتاب سبويه لأبي سعيد السّيرافي (ت ٣٦٨ هـ)، نسخة دار الكتب المصرية، رقمها (١٣٦). ومن عمله في هذه النشرة أنه:

١. رقم أبواب الكتاب، وفصل بينها بخط صغير يضعه فوق الباب.

٢. لم يميّز تراجم الأبواب من مسائلها، واكتفى بفواصل صغير (مسافة) بين ترجمة الباب ومسائله.

٣. خلت نشرته من علامات التّرقيم.

٤. ضبط غير قليل من نصّ الكتاب.

٥. على الجانب الأيمن من كلّ صفحة كان يضع أرقام الأسطر على النحو الآتي: (٥، ١٠، ١٥، ٢٠).

٧ انظر: الكتاب (باريس ١٦٨/٢) = (بولاق ١٦٣/٢) = (هارون ٥٤١/٣).

١. وضعت تراجم الكتاب بين قوسين مزهرين من دون ترقيم.
٢. ضبطت الكلمات نفسها المضبوطة في نشرة باريس؛ فكاد ضبط النَّصِّ في نشرتي باريس وبولاق يكون واحدًا.
٣. أهملت علامات التَّرْقِيم كما أهملت في نشرة باريس؛ فجاء نصَّ الكتاب خلواً منها.
٤. ذكرت البحور العروضية لشواهد سيبويه الشعريّة.
٥. جعلت في هوامشها تقاريراً وُزِدَ من شرح أبي سعيد السّيرافي لكتاب سيبويه.
٦. نيلت صفحاتها بشرح أبيات سيبويه للأعلم الشنتمريّ: «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب».
- والنشرة خلواً من الفهارس الفنيّة الكاشفة؛ وهذا ما جعل الانتفاع بها عسيراً. وقد أعاد قاسم محمّد الرّجب (١٩١٩ - ١٩٧٤) صاحب مكتبة المثني ببغداد نشرها بالأوفيسست من دون أن يذكر محلّ النّشر وسنته، ورجّح كوركيس عواد<sup>(٩)</sup> أنّه نشرها في إيران.
٧. نشرة (هارون) المصريّة:
- نشر عبد السّلام محمّد هارون (ت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) كتاب سيبويه مُنجمًا في خمسة أجزاء (خامسها للفهارس التحليليّة للكتاب) على النحو الآتي:
١. الجزء الأوّل: صدر عن دار القلم في القاهرة عام ١٩٦٦.
٢. الجزء الثّاني: صدر عن دار الكتاب العربيّ في القاهرة عام ١٩٦٨.
٣. الجزء الثّالث: صدر عن الهيئة المصريّة العامّة للكتاب عام ١٩٧٣.

٩. انظر: سيبويه إمام النّحاة في آثار الدّارسين ٣٤.

ترجمته. والألمانيّة، فيما أعلم، هي اللّغة الوحيدة التي تُرجم إليها كتاب سيبويه كاملاً. حرص هذا المستشرق على أن يهدي التّرجمة قبل ظهورها إلى دار الكتب المصريّة؛ فقيدت أوّل قطعة منها في رصيد الدّار في ٢٨ نيسان / أبريل من عام ١٨٩٤، وظلّ يوالي الدّار بسائر القطع حتّى تمّ الكتاب مترجمًا في خمسة مجلّدات عام ١٩٠٠. في هذه التّرجمة تعليقاتٌ بالعربيّة مُستلّة من: شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السّيرافي، وشرح أبيات سيبويه لابن السّيرافي (ت ٣٨٥هـ) والأعلم الشنتمريّ (ت ٤٧٦هـ)، وشرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، وخزانة الأدب للبغداديّ (ت ١٠٩٣هـ)، وتاج العروس للزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، وسواها. تقف على هذه التّرجمة في دار الكتب المصريّة تحت رقم (PH.AR.272)، وفي الخزانة التّيموريّة تحت رقم (٥٢٩ نحو)، وفي مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٤٩٢/٧٥).

#### ٦. نشرة (بولاق) المصريّة:

أصحّ نشرات الكتاب عند المستشرق الألمانيّ كارل بروكلمان<sup>(٨)</sup> (١٨٦٨ - ١٩٥٦)، مع أنّها اتّخذت نشرة باريس أصلًا لها. عنوان هذه النّشرة: «كتاب علم الأعلام إمام كلّ إمام مالك أزمّة الأدب وملك علوم العرب أبي بشر عمرو الملقّب سيبويه». صدر عن المطبعة الأميريّة في بولاق بالقاهرة جزؤها الأوّل (٤٩٢ صفحة للمتن إضافةً إلى ١٥ صفحةً لثبّت موضوعات الكتاب) عام (١٨٩٨)، ثمّ جزؤها الثّاني (٤٣١ صفحةً للمتن إضافةً إلى ٨ صفحات لثبّت موضوعات الكتاب) عام (١٩٠٠). أشرف على نشرها محمود مصطفى. وفي هذه النّشرة:

٨. انظر: تاريخ الأدب العربيّ لكارل بروكلمان ٢/١٣٦. وذكر كرنكو أنّها أكثر ضبطاً ودقّة من طبعتي باريس وبرلين. انظر: معجم المطبوعات العربيّة والمعربة ١/١٠٧٠.

بخط عبد اللطيف بن إبراهيم سلطان سنة (١٣٠٥) هجرية.

٦. مخطوطة دار الكتب رقم (٥٢٨ نحو تيمور).  
٧. نسختان من شرح السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) للكتاب: الأولى رقمها (١٣٦ نحو)، والثانية (١٣٧ نحو).

٨. نسخة من شرح الكتاب لأبي الحسن الرماني (ت ٢٨٤ هـ)، أصلها في مكتبة فيض الله بتركيا تحت رقم (١٩٨٤ - ١٩٨٧)، منها مصورة في مكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة رقمها (١٨٣ نحو).

٩. قطعة من شرح الصفار البطليوسي (ت ٦٣٠ هـ)، محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٩٠٠ نحو).

١٠. طبعة باريس التي توفّر عليها درنبرغ، ورمز لها بـ(ط)، وجعلها أساساً في المعارضة، وأثبت الزيادات التي وجدها فيها بين معقوفتين [ ] من دون تنبيه.

ومن عمله في هذه النشرة أنه:

١. ضبط النصّ وخلصه من أخطاء الضبط الطباعي في النشرات السالفة.

٢. راعى علامات الترقيم التي خلت منها النشرات السالفة.

٣. خرّج الشواهد القرآنية والشعرية والأمثال ونحوها.

٤. صحّح غير قليل من نصوص الشعر والرجز، ونسبه إلى صاحبه.

٥. شرح غوامض الكتاب في أحايين.

٦. جعل شرح أبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥ هـ) الذي انمازت به بعض النسخ المخطوطة = في حواشي الكتاب.

٤. الجزآن الرابع والخامس: صدرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٧.

ثم جمعت هذه الأجزاء في نشرة صدرت طبعتها الثالثة عن مكتبة الخانجي في القاهرة عام (١٩٨٨). وهذه النشرة هي أكثر نشرات الكتاب انتشاراً، وعليها المعول عند الإحالة في غير قليل من الدراسات. اعتمد هارون في إخراج هذه النشرة على ما يأتي:

١. مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٦٥ نحو م)، من رواية أبي عبد الله محمد بن يحيى الرباعي (ت نحو ٣٥٨ هـ) عن أبي القاسم بن ولاد عن أبيه أبي الحسين (ت ٢٩٨ هـ) عن المبرد (ت ٢٨٦ هـ). ومن روايته أيضاً عن أبي جعفر بن النحاس (ت ٣٢٨ هـ) عن الزجاج (ت ٣١١ هـ) عن المبرد. والمبرد يروي الكتاب عن المازني (ت ٢٤٧ هـ) عن الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) عن سبويه. وهذه النسخة لم يطلع عليها درنبرغ، وهي مجهولة الكاتب والتاريخ. عبّر عنها هارون بـ(الأصل) إلى نحو ثلثي الجزء الأول من المطبوع، ثم رمز لها بـ(ب).

٢. مخطوطة دار الكتب رقم (١٤١ نحو)، من رواية الرباعي أيضاً. تاريخها ٢٨ جمادى الأولى سنة ١١٣٩ هجرية، وهي النسخة التي اعتمدها أصلاً؛ إذ ظهر له أنها أصح من النسخة السالفة. وقد أفاد منها درنبرغ، ورمز لها بـ(G).

٣. مخطوطة دار الكتب رقم (١٤٠ نحو)، من رواية الرباعي أيضاً. أفاد منها درنبرغ، ورمز لها بـ(F).

٤. مخطوطة دار الكتب رقم (١٣٩ م نحو)، وهي نسخة لا تصلح لغير الاستئناس، والانتفاع بها جدّ عسير. اطلع عليها درنبرغ، ورمز لها بـ(E)

٥. قطعة من الكتاب رقمها (١٢ نحو ش)، وهي

فَكَانَ جَهْدًا مِضَافًا (لِلتَّيْقِنِ أَنَّهُ) <sup>(١٠)</sup> يَعْمَلُ فِي الْكِتَابِ نَفْسَهُ.

أَعْتَمَدَ الْبَكَاءَ فِي إِخْرَاجِ هَذِهِ النَّشْرَةِ عَلَى مَا يَأْتِي:  
 ١. مخطوطة مكتبة الأوقاف في بغداد، رَقْمُهَا (١٣٥١)، كُتِبَتْ سَنَةَ (١١٣٢ هـ)؛ فِيهَا أَقْدَمُ تَأْرِيخًا مَنِ النَّسْخَةِ الْأَصْلِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا هَارُونَ. وَهِيَ تَامَةٌ نَفِيْسَةٌ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ نَشَرَ الْكِتَابَ قَبْلَهُ، فِيهَا إِضَافَاتٌ مَهْمَةٌ وَمَخَالَفَةٌ لغيرها. وَهَذِهِ النَّسْخَةُ هِيَ الْأَصْلُ عِنْدَهُ.  
 ٢. مخطوطة مكتبة الأوقاف العامّة في الموصل، رَقْمُ السَّجَلِ الْعَامِّ (٦١٨٤)، وَالرَّقْمُ الْعِلْمِيُّ (١٤ / ١١ صائغ). اعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي مَقَابَلَةِ النَّسْخَةِ السَّالِفَةِ، وَرَمَزَ لَهَا بـ(م). وَهَذِهِ النَّسْخَةُ أَيْضًا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِمَّنْ نَشَرَ الْكِتَابَ قَبْلَهُ.

٣. مخطوطة قديمة وَجَدَهَا فِي مَكْتَبَةِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ فِي صِنْعَاءَ، فِيهَا الْجِزَانُ الرَّابِعُ وَالثَّامِنُ، كُتِبَا بِحَطِّ كُوْفِيٍّ بِتَارِيخَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ أَقْدَمُهُمَا لِلثَّامِنِ سَنَةَ (٣٠٤ هـ) <sup>(١١)</sup>. رَمَزَ لَهَا بـ(ص).  
 ٤. طبعة بولاق الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَى طَبْعَةِ بَارِيْسِ، وَرَمَزَ لَهَا بـ(ب).

٥. طبعة هَارُونَ، أَفَادَ مِنْهَا فِي تَخْرِيجِ بَعْضِ الْأَبْيَاتِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالتَّرَاجِمِ وَالتَّعْلِيْقَاتِ، وَنَسَبَ إِلَى هَارُونَ مَا نَقَلَهُ عَنْهُ. رَمَزَ لَهَا بـ(هـ).

١٠ وَضَّحَ مُرَادَهُ فِي تَسْجِيلِ مَرْتَبِيٍّ مَشْهُورٍ عَلَى (YouTube) بِتَارِيخِ ٥ / ٧ / ٢٠٢٠ تَحْتَ عُنْوَانِ: «مَجْلِسُ تَرَاتِيٍّ مَعَ الْمُحَقِّقِ الْعِرَاقِيِّ مُحَمَّدِ كَازِمِ الْبَكَاءِ مُحَقِّقِ كِتَابِ سَيْبَوِيَّةٍ»؛ فَقَالَ مَا نَصُّهُ: «... ثُمَّ قَلْتُ: لِمَا لَا أُضِيفُ إِلَى هَذِهِ النَّسْخَةِ [يَعْنِي نَشْرَةَ هَارُونَ] نُسْخًا أُخْرَى حَتَّى تَكُونَ لِسَدِّي قِنَاعَةً بِالْعِبَارَةِ الَّتِي أَرَادَهَا سَيْبَوِيَّةٌ مِنْ كِتَابِهِ؟ وَهَذِهِ هِيَ مَهْمَةُ التَّحْقِيقِ... وَالنَّسْخَةُ الَّتِي هِيَ أَقْدَمُ [يَعْنِي نُسْخَةَ بَغْدَادِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى نُسْخِ هَارُونَ] شَجَّعْتَنِي عَلَى أَنْ أَحَقِّقَ... وَأَجْزِمَ قَاطِعًا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجِدَ نُسْخَةً أُخْرَى تُغَيِّرُ مَا فِي كِتَابِ سَيْبَوِيَّةٍ مِمَّا كُتِبَتْهُ». وَجَزَمَهُ الْأَخِيرُ هَذَا مَحَلُّ نَظَرٍ !!  
 ١١ الْغَرِيبُ أَنَّ الْجِزَاءَ الرَّابِعَ كُتِبَ سَنَةَ (٤٣٢ هـ).

٧. اعْتَمَدَ فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ سَيْبَوِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ عَلَى شَرْحِ الْأَعْلَمِ الشَّنْتَمَرِيِّ مِنْ دُونَ أَنْ يَشِيرَ إِلَى ذَلِكَ أَحْيَانًا.

٨. ذَكَرَ الْبَحُورَ الْعُرُوضِيَّةَ لِلشُّوَاهِدِ الشُّعْرِيَّةِ فِي فَهْرَسِ الشُّعْرِ.

٩. عَلَى جَوَانِبِ النَّصِّ الْيَمْنِيِّ وَالْيَسْرِيِّ وَضَعَ أَرْقَامَ صَفْحَاتِ نَشْرَةِ بُولَاقِ.

ذَيْلُ الْكِتَابِ بِالْفَهْرَاسِ الْفَنِّيَّةِ الْكَاشِفَةِ، وَتَرْجَمَ مَسَائِلَ الْعَرَبِيَّةِ فِيهَا وَأَبْوَابَهَا بِالْمِصْطَلِحَاتِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهَا أَوْضَاعُ النَّحْوِ.

#### ٨. نَشْرَةُ (إِمِيلِ يَعْقُوبِ) الْلُبْنَانِيَّةِ:

عَنْ دَارِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ فِي بَيْرُوتِ صَدَرَ عَامَ ١٩٩٩ نَشْرَةُ كِتَابِ سَيْبَوِيَّةِ فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ (خَامِسُهَا لِلْفَهْرَاسِ الْفَنِّيَّةِ) أَعْدَاهَا إِمِيلُ بَدِيْعِ يَعْقُوبِ، وَهِيَ نَشْرَةٌ تِجَارِيَّةٌ اعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى نَشْرَتِي هَرْتُوِيْنِغِ دَرَنْبِرْغِ الْبَارِيْسِيَّةِ وَعَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدِ هَارُونَ الْمِصْرِيَّةِ. صَدَرَتِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ لِهَذِهِ النَّشْرَةِ عَامَ ٢٠٠٩، وَالتَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ عَامَ ٢٠١٦.

#### ٩. نَشْرَةُ (الْبَكَاءِ) الْأُرْدُنِّيَّةِ تَمَّ الْلُبْنَانِيَّةِ:

صَدَرَ عَنْ دَارِ الْبَشِيرِ فِي الْأُرْدُنِّ مَعَ مَوْسَسَةِ الرِّسَالَةِ فِي بَيْرُوتِ عَامَ (٢٠٠٤) نَشْرَةُ لِكِتَابِ سَيْبَوِيَّةِ جُزْئِيَّةٌ مَقْصُورَةٌ عَلَى قِسْمِ النَّحْوِ (فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ خَامِسُهَا لِلْفَهْرَاسِ الْعَامَّةِ وَالتَّفْصِيْلِيَّةِ)، تَوَفَّرَ عَلَيْهَا أَسْتَاذُ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ فِي جَامِعَةِ الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ كَازِمُ الْبَكَاءِ. ثُمَّ تَمَّ الْكِتَابُ وَصَدَرَ عَنْ مَنَشُورَاتِ زَيْنِ الْحَقُوقِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ فِي بَيْرُوتِ (فِي سِتَّةِ أَجْزَاءٍ سَادِسُهَا لِلْفَهْرَاسِ الْعَامَّةِ وَالتَّفْصِيْلِيَّةِ) عَامَ (٢٠١٥). وَذَكَرَ الْبَكَاءُ أَنَّ الْهَدَفَ الرَّئِيسَ مِنْ هَذِهِ النَّشْرَةِ هُوَ تَوْضِيْحُ مَنَهْجِ سَيْبَوِيَّةِ فِي كِتَابِهِ وَتَرْتِيبُ أَبْوَابِهِ، أَمَّا التَّحْقِيقُ

ولا يَسْتَقِيمُ نَحْوُ هَذَا التَّأْوِيلِ فِي (خَلَا) وَ(سَمْنَا) وَإِنْ أَشْبَهَا (خَزَا).

- جاء في هارون (٢ / ١٦٤): «والاسمُ المُنُونُ يُفْصَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ؛ تَقُولُ: (هَذَا ضَارِبٌ بِكَ زَيْدًا) وَلَا تَقُولُ: (هَذَا ضَارِبٌ بِكَ زَيْدٍ)». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٣ / ٥٣)، فَهُوَ: «والاسمُ المُنُونُ قَدْ يُفْصَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ؛ تَقُولُ: (هَذَا ضَارِبٌ بِكَ زَيْدًا) وَلَا تَقُولُ: (هَذَا ضَارِبٌ بِكَ زَيْدٍ)». فَالسَّاقِطُ مِنْ هَارُونَ: (قَدْ)، وَلَيْسَ يَخْفَى مَا فِي إِثْبَاتِهَا مِنْ مَعْنَى.

- جاء في هارون (٢ / ٢٨٣): «وَعَلِمَ أَنَّ الْمَنْفِيَّ الْوَاحِدَ إِذَا لَمْ يَلِ (لَكَ)؛ فَإِنَّمَا يَذْهَبُ مِنْهُ التَّنْوِينُ كَمَا أَذْهَبَ مِنْ [آخِرِ] خَمْسَةِ عَشَرَ، كَمَا أَذْهَبَ مِنَ الْمُضَافِ». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٣ / ٢١٥)، فَهُوَ: «وَعَلِمَ أَنَّ الْمَنْفِيَّ الْوَاحِدَ إِذَا لَمْ يَلِ (لَكَ)؛ فَإِنَّمَا يَذْهَبُ مِنْهُ التَّنْوِينُ كَمَا أَذْهَبَ مِنْ آخِرِ خَمْسَةِ عَشَرَ، لَا كَمَا أَذْهَبَ مِنَ الْمُضَافِ». فَالسَّاقِطُ مِنْ هَارُونَ: (لَا)، وَإِثْبَاتُهَا هُوَ الصَّوَابُ.

- جاء في هارون (٣ / ٣٨): «وَنَلِكُ قَوْلُكَ: (إِنَّهُ عُنْدَنَا فَيُحَدِّثُنَا)، وَ(سَوْفَ آتِيهِ فَأُحَدِّثُهُ)، لَيْسَ إِلَّا». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٤ / ١٥٧)، فَهُوَ: «وَنَلِكُ قَوْلُكَ: (إِنَّهُ عُنْدَنَا فَيُحَدِّثُنَا)، وَ(سَوْفَ آتِيهِ فَأُحَدِّثُهُ)، لَيْسَ إِلَّا الرَّفْعُ». فَالسَّاقِطُ مِنْ هَارُونَ: (الرَّفْعُ).

- جاء في هارون (٣ / ٥٨ - ٥٩): «(فَ حَيْثُ) كَهَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي تُبْتَدَأُ بَعْدَهَا الْأَسْمَاءُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا يَكُونُ هَذَا مِنْ حُرُوفِ الْجَزَاءِ». وَالصَّوَابُ مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٤ / ١٨٦): «(فَ حَيْثُ) كَهَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي تُبْتَدَأُ بَعْدَهَا الْأَسْمَاءُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا يَكُونُ هَذَا فِي حُرُوفِ الْجَزَاءِ».

وعلى ما سلف؛ يقرر البُكَاءُ في أحيانٍ أن هارون قد سها، في حين أن السَّاهِي هُوَ الْبُكَاءُ نَفْسُهُ. مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا مَا جَاءَ عِنْدَهُ فِي (٤ / ٢٢): «وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا وَجَدُوا (إِنَّكَ

٦. نَسَخَ مَخْطُوطَةً مِنْ شُرُوحِ الْكِتَابِ.

وَنُسَخَتْ مَكْتَبَةُ الْأَوْقَافِ الْعَامَّةِ فِي بَغْدَادَ وَمَكْتَبَةُ الْأَوْقَافِ الْعَامَّةِ فِي الْمَوْصِلِ اللَّتَانِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِمَا الْبُكَاءُ = أَبَانَتَا مَا فِي نَشْرَةِ هَارُونَ مِنْ تَحْرِيفٍ وَسَقَطٍ وَسَهْوٍ؛ مِنْهُ مِثْلًا:

- جاء في هارون (١ / ١٠): «وَوَافَيْتُ الْمَازِنِيَّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ: (هَذَا بَابٌ مَا يَرْتَفِعُ بَيْنَ الْجَزَائِنِ)». صَوَابُهُ مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (١ / ١٠): «وَوَافَيْتُ الْمَازِنِيَّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فِي الْجَزَاءِ: (هَذَا بَابٌ مَا يَرْتَفِعُ بَيْنَ الْجَزْمَيْنِ)».

- جاء في هارون (١ / ٤٠): «وَلَمْ تُرِدْ أَنْ تَجْعَلَ الْأَوَّلَ فِيهِ الشُّكُّ أَوْ تَقِيمَ عَلَيْهِ فِي الْيَقِينِ». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (١ / ٦٥)، فَهُوَ: «وَلَمْ تُرِدْ أَنْ تَجْعَلَ الْمَفْعُولَ الْأَوَّلَ فِيهِ الشُّكُّ أَوْ تَعْتَمِدَ عَلَيْهِ فِي الْيَقِينِ».

- جاء في هارون (٢ / ٤١): «وَكَأَنَّهُ قَالَ: (انْطَلِقُوا)؛ فَقِيلَ لَهُ: (مَنْ؟)؛ فَقَالَ: (بَنُو فُلَانٍ)». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٢ / ١١٤)، فَهُوَ: «كَأَنَّهُ قَالَ: (انْطَلِقُوا)؛ فَقِيلَ لَهُ: (مَنْ هُمْ؟)؛ فَقَالَ: (بَنُو فُلَانٍ)».

- جاء في هارون (٢ / ١١٧ - ١١٨): «هَذَا بَابٌ مَا يَنْتَصِبُ؛ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ أَنْ يَكُونَ صِفَةً؛ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: (هَذَا رَاقِدٌ خَلَاً) وَ(عَلَيْهِ نَحْيٌ سَمْنَا)... وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَيَكُونُ حَالًا؛ فَالْحَالُ قَوْلُكَ: (هَذِهِ جُبَّتُكَ خَزَا)... وَلَا يَكُونُ صِفَةً فَيُشَبَّهُ الْأَسْمَاءَ الَّتِي أُخِذَتْ مِنَ الْفِعْلِ». أمَّا مَا جَاءَ عِنْدَ الْبُكَاءِ (٢ / ٢٢٠ - ٢٢١)، فَهُوَ: «... وَلَا يَكُونُ صِفَةً فَيُشَبَّهُ الْأَسْمَاءَ الَّتِي أُخِذَتْ مِنَ الْفِعْلِ وَمَا أَشْبَهَهَا». فَالسَّاقِطُ مِنْ هَارُونَ: (وَمَا أَشْبَهَهَا)، وَيُرِيدُ سَبِيوِيَهُ أَنْ يَقُولَ: (إِنَّ خَلَاً) وَ(سَمْنَا) أَشْبَهَا (خَزَا) مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْجَمِيعَ جَوْهَرٍ (ذَاتٍ). عَلَى أَنَّ (خَزَا) يُمْكِنُ أَنْ تُؤَوَّلَ هُنَا بِ(لَيْئَةٍ) فَهِيَ تُشَبَّهُ الْأَسْمَاءَ الَّتِي أُخِذَتْ مِنَ الْفِعْلِ،



وتعدّ نشرته هذه تطبيقاً عملياً للمادّة النظريّة في رسالته.

٢. قسم الكتاب قسمين: المقدّمة وأبواب النّحو (في أربعة أجزاء)<sup>(١٤)</sup>، أبواب الصّرف والأصوات (في ثلاثة أجزاء)<sup>(١٥)</sup>؛ ثمّ صنّف أبواب كلّ قسم في أجزاء، وكلّ جزء في موضوعات، وسماها.

٣. رقم الشّواهد الشعريّة والأمثلة في كلّ باب.

٤. اقتبس نصوصاً من شروح كتاب سبويه المخطوطة؛ لتوضيح بعض أقوال صاحب الكتاب.

٥. اعتمد في شرح شواهد سبويه الشعريّة على شروح من مثل الشّرح المنسوب للنّحاس (ت ٣٣٨ هـ)، وشرح ابن السّيرافي (ت ٣٨٥ هـ)، وشرح الأعمى الشّنتمريّ.

٦. ذكر البحور العروضيّة للشّواهد الشعريّة في متن الكتاب ووضعها بين معقوفتين [ ]، وذكرها أيضاً في فهرس الشّعر.

٧. علّق على بعض أقوال سبويه، وبسط الكلام في توضيحها وشرحها.

ذيل الكتاب بالفهارس العامّة والتّفصيليّة، ومنها فهرس المقابلة بين نسخ الكتاب (بولاق، هارون، البكاء).

١٤ على النّحو الآتي:

مقدّمة الكتاب (أبواب الكلم والكلام)، أنواع الإسناد: إسناد الفعل.

أنواع الإسناد: إسناد الاسم وإجراؤه على ما قبله.

أنواع الإسناد: الإسناد الذي بمنزلة الفعل.

أحكام الإسناد مع بدائل الاسم المظهر: الضّمائر، الاسم الناقص، المنوع من الصّرف، الأسماء في باب الحكاية.

١٥ على النّحو الآتي:

ما يعرض للفظ (عند صوغه على بعض الأبنية: النسب، التثنية، جمع التّصحيح...).

تأدية اللفظ (ما يقع للفظ عند التلقّف به وتأديته كما في باب الإمالة).  
بنية اللفظ (ما يكون عليه الكلم وأحواله، والزيادة، والتّضعيف...).

فيها) و(ضربهُ زَيْدٌ)، وَلَمْ يَنْقُضْ مَعْنَى مَا أَرَادُوا لَوْ قَالُوا: (إِنَّ فِيهَا إِيَّاكَ) وَ(ضَرَبَ زَيْدٌ إِيَّاكَ)؛ اسْتَغْنَوْا بِهِ عَنْ (إِيَّا).» علق البكاء على: (إِنَّكَ فِيهَا) في الهامش (١٤): «هـ [يعني هارون] (إِنَّكَ زَيْدٌ) هُوَ سَهُوٌّ». وما جاء في هارون (٢ / ٣٦١) هو: (إِنَّكَ فِيهَا) لا (إِنَّكَ زَيْدٌ)؛ فَتَأَمَّلْ!

وقد أحصيت المواطن التي أشار فيها البكاء (في قسم النّحو) إلى التّحريف أو السّقط أو السّهو الواقع في نشرة هارون؛ فانتهيت إلى أنّها (١٩٥) موطناً جاءت في (١٨٤)<sup>(١٢)</sup> صفحة، واكتفى البكاء بـ(هـ) من دون أن يذكر رقم الجزء والصفحة.

ومن عمله في نشرته هذه أنّه:

١. اعتمد على التّصنيف المنهجيّ لأبواب الكتاب على ما اتّضح له في رسالته لنيل درجة الدّكتوراه: «التّقويم النّحويّ للأساليب في كتاب سبويه»<sup>(١٣)</sup>.

١٢ / ١، ٦، ٨، ١٠، ١٨، ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٥١، ٦٥، ٦٩، ٧٤، ٨٥، ٩٧، ١١٨، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٩، ١٥١، ١٨٤، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٩٦، ٤٧١، ٤٩١، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٥ / ٢، ١٩، ٤٠، ١١٤، ١٢٩، ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٣٥ / ٣، ٢٤، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٨، ٥٦، ٥٦، ٨٠، ٩٨، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٤، ١٨٢، ١٩٥، ٢١٥، ٢٧٠، ٤ / ٥، ١٨، ٢٢، ٢٨، ٥٣، ٦٠، ٦٢، ٧٣، ٧٨، ٨٧، ١١١، ١١٤، ١١٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٧١، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٧، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٦٥.

١٣ نوقشت في كليّة الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٨٥، وصدرت طبعها الأولى عن دار الشؤون الثقافيّة العامّة في بغداد عام ١٩٨٩ بعنوان: «منهج كتاب سبويه في التّقويم النّحويّ».

ملحق الصور

١٠. نشرة (حَمْزة) المِصْرِيَّة:

عن مكتبة الآداب في القاهرة صدر في مجلدين اثنين عام (٢٠١٥) نشرة لكتاب سبويه، في هامشها زُبدٌ من شرح أبي سعيد السِّيرافي وشرح شواهد سبويه للأعلم الشنتمري، دققها محمد فوزي حمزة، وذكر أنه اعتمد في إخراجها على نشرة بولاق وعلى نسخة مخطوطة من مكتبة الرياض وصفها بأنها قديمة مع أن تاريخها (١٢٩٥ هـ) !! أمَّا رقمها ف(٤١٥ / ك). وهي نشرة للكتاب تجاريَّة لا يُلْتَقَت إليها.

١١. التَّرْجَمَة الرُّوسِيَّة:

وقفت على ترجمة روسية للأبواب السبعة الأولى من كتاب سبويه صدرت عام (٢٠١٨) عن معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية في جامعة موسكو، توقّر عليها جماعة من الروس اعتمدت نشرة بولاق أصلاً لهذه الترجمة. جاءت في (١٤٣) صفحة، فيها مقدّمة عن الكتاب: متى أُلّف وأهميته وكيف انتهى إلينا ونشراته ومادته وما يفجأ دارسه من صعوبات ومزال، وصاحبه: سيرته وشيوخه؛ وذيّلت بالنص المترجم نفسه (١٣١ - ١٤٣) = (١) - (١٣ من بولاق).

هذا، ويتوقّر أستاذ النحو والصرف في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عبد العزيز بن سليمان العيوني على تحقيق كتاب سبويه على أكثر من خمسين نسخة أنتقاها انتقاءً بعد أن درس ما طالته يده من نسخ الكتاب ووازن بينها من حيث الفروق والروايات. وقد نشر العيوني حواشي كتاب سبويه التي جمعها أبو عليّ الفارسي من نسخ شيوخه وغيرهم، ثمّ أضاف إليها الرّمخسري (ت ٥٣٨ هـ) ومن بعده العيوني نفسه حواشي كثيرةً وجدها في نسخ الكتاب.

384  
STAVATH.  
M. Et. Quantenon qui me l'a fait connaître. Ce manuscrit est précieux, parce qu'il contient beaucoup de notes critiques, de variantes, et d'additions ou retranchements dans les plus célèbres grammaires, qui ont tout fait le ce livre la base de nos études. Je crois devoir mentionner ici la note qu'on lit sur la première feuille de ce manuscrit.

تعلّق هذه النسخة من أصل منقول من أصل إلى عليّ الفارسي مقروء عليه وهذه الترجمة مثبته فيه هكذا بخط كاتبه نعت هذه الترجمة من أصل القصرى الذي كان يفتد عليه أبو عليّ أعلم أن ما كان علامته في غير نسخة للمؤرّد بخط يده وما كان علامته في غير نسخة إلى اصحاب الزجّاج وفي نسخة وقعت إلى عليّ مُسَلَّطاً بخط الزجّاج وذلك أنه كان للزجّاج نعتان فالأولى عارض بها اصحاب الورّاق وما كان قديماً من زيادة فقد بيته الصمّاع والورّاق وعارض أبو عليّ بالنسخة الثانية وما كان فيها من زيادة فقد بيته وجعل علامته ح عارض أبو عليّ أيضاً كتابه بنسخة أبي بكر بن السراج التي ندها من نسخة إلى الجلسي وما كان فيها من زيادة فقد بيته وجعل علامته ح وقرا أبو عليّ كتابه على ابن بكر وأبو بكر ينظر في كتابه فما كان من زيادة فقد بيته وجعل علامته عنده وما كان علامته فأفاته من كلام إلى عليّ وإنما جعل هذه علامته لانه يريد فترن انا قال لنا أبو الحسن عليّ بن عيسى ما أراد هذا ولكنه علامة من فارس أعلم أن الصمّاع الورّاق نسخ من الكتاب الرسالة وبعض الغامل من نسخة الكلابدى بالمصرّة ثمّ نسخ باقي الكتاب إلى آخره من نسخة الزجّاج وقراها عليه وما كان علامته نسخة فانه من النسخ الصغولة وهذه النسخ الصغولة منعا عن فارس عارض به أبو عليّ كتابه وهو مُعَلَّمٌ ومنعا ما ليس بفارس بل ببغداد عارض أبو عليّ به كتابه فعلامته نسخة مملّعة وما كان علامته فأفاته من نسخة كانت عند بني طاهر مقروءة على عليّ بن عبد الله بن هلال

• Le présent exemplaire a été fait d'après une copie qui avait été faite elle-même sur un original appartenant à Abou-Abi Farès, et qui avait servi à ses leçons. On y lit la note suivante, que nous transcrivons telle quelle y a été écrite.  
• J'ai copié l'article qui suit de l'original de Kadhaf, personnage dans Abou-Abi Farès.  
• Sachez que ce qui est marqué ح en pris de l'exemplaire de Moharred,

الصّورة (١): غلاف ما نشره المستشرق الفرنسي دي ساسي، وفيه (١٣) باباً من (الكتاب)

# ANTHOLOGIE GRAMMATICALE ARABE,

OU MORCEAUX CHOISIS

DE DIVERS GRAMMAIRIENS ET SCHOLIASTES ARABES,

AVEC UNE TRADUCTION FRANÇAISE ET DES NOTES;

POUVANT FAIRE SUITE

A LA CHRESTOMATHIE ARABE,

PAR M. LE BARON SILVESTRE DE SACY.

...وصارت اصطلاحات خاصة بهم فقيدها  
بالكتاب وجعلوها صناعة مخصصة واصطلاحوا  
على تسميتها بعلم النحو  
Ebn-KHALDOUN.

Ebn-KHALDOUN.

PARIS.

IMPRIMÉ PAR AUTORISATION DU ROI,  
A L'IMPRIMERIE ROYALE.

1829.

الصورة (٢): وصف للنسخة التي اعتمد عليها (دي

ساسبي).

من الكتاب

لبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه

هذا باب علم ما التكم من العربية

فالتكلم اسم وفعل وحرف جملة لعنى ليس باسم ولا فعل فالتكلم نكول  
وقرئ واما الفعل فمثلة أخذت من لغة أحداث الآساء ونبت لما معنى ولا  
يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع فلما بناء ما معنى فسبح وذهب ونكبت  
وحيد واما بناء ما لم يقع فهو فرك آبراً اذهب وانتل واشرب ونجراً يذهب  
ويشرب ويقتل ويشرب وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن اذا اشربت  
(قال ابر الحسن بنى امثلة ما لم يقع يكون اذا اشربت لما هو كائن لم ينقطع  
ولذا امرت لم يكن كذلك) فهذه الامثلة التي أخذت من لغة أحداث الآساء  
ولها ابناء كثيرة شين ان شاء الله و الأحداث نحو الضرب والقتل والحمد  
واتا ما جاء لعنى وليس باسم ولا فعل فهو تم وسوف وقد ولا نعم و أجل  
وداو القسم ولم الحز لم الاضافة (كل هذه الحروف ونحوها حروف جاءت لعنى)

الصورة (٣): نموذج مما نشره الروسيان من (الكتاب)،

وطبع عام ١٨٧٥.

الجزء الأول

كتاب سيبويه

للمشهور في النحو والاصطلاح

وقد اصنفه سيبويه

العمدة الفخرية له

محمد بن عبد الرحمن



طبع

في مدينة باريس المرموقة

بالمطبع المعتبر في فرنسا

في سنة ١٨٨١

الصورة (٤): غلاف الجزء الأول من النشرة التامة

الأولى للكتاب، المطبوع عام ١٨٨١.

هذا كتاب عربي  
الكتاب  
المختار في النحو مثل أم الكتاب  
للشيخ الإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف

بسمبويه

طبع

باهر الدواة في مطبع أزدركاؤيد الواقعة في

كلكته

بتصحيح المفتقر الى الله الاحد

كبير الدين احمد

سنه ١٨٨٧ ع

الصورة (٧): غلاف النشرة الهندية التي توفر عليها

كبير الدين أحمد، وصدرت تامة عام ١٨٨٧.

الجزء الثاني  
كتاب سبويه  
المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع



طبع

في مطبعة باريس الهروسية

بمطبع المصطفى القزويني

و سنة ١٨٨٠

الصورة (٥): غلاف الجزء الثاني من النشرة التامة

الأولى للكتاب، المطبوع عام ١٨٨٥.

هذا كتاب سبويه  
المشهور في النحوي واجه القباب

بسم الله الرحمن الرحيم وقد استعمل

هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع  
هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع

هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع  
هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع

هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع  
هذا كتاب سبويه المشهور في النحوي واجه القباب  
وقد اعتمده بنصحه  
العمدة المفسر في وجه ربه  
مترجم دبر نبرع

الصورة (٦): نموذج من عمل درنبرغ.



### هذا باب علم ما الكلم من العربية

فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل - فالاسم  
 وجل و فرس \* و اما الفعل فامثلة اخذت من لفظ أحداث الاسماء و بنيت  
 لها مضى - و لها يكون و لم يقع - و لها هو كالم لم ينقطع - فاما بناء  
 ما مضى فذهب و سَمِعَ و مَكْتُبٌ و حَمْدٌ - و اما بناء ما لم يقع فانه  
 قولك امرا اذهب و اذلل و اضرب - و مغذبرا يذهب و يضرب و يقتل  
 و يضرب - و كذلك بناء ما لم ينقطع فهو كالم اذا اخبرت - فهذه الامثلة  
 التي اخذت من لفظ أحداث الاسماء و لها ابنية كثيرة ستبين انشاء الله \*  
 و الأحداث نحو الضرب و القتل و الحمد \* و اما ما جاء لمعنى و ليس  
 باسم و لا فعل فذخائم و سوف و رار القسم و لام الاضافة و نحوها \*

### هذا باب مجاري اواخر الكلم من العربية

وهي تجري على ثمانية مجاري على النصب و الرفع و الجر و  
 الجزم و الغنم و الضم و الكسر و الوقف - و هذه المجاري الثمانية  
 يجمعها في اللفظ اربعة اضرب فالنصب و الغنم في اللفظ ضرب واحد

الصورة (٨): نموذج من عمل كبير الدين أحمد.



# هاخذُ الثعالبيُّ اللُّغويَّةُ في كتابه (اليتيمة) على شعرِ أبي الطَّيِّبِ المِنتَبِيِّ

(عَسْفُ اللُّغَةِ وَالْإِعْرَابِ)

د. إبراهيم محمد محمود\*

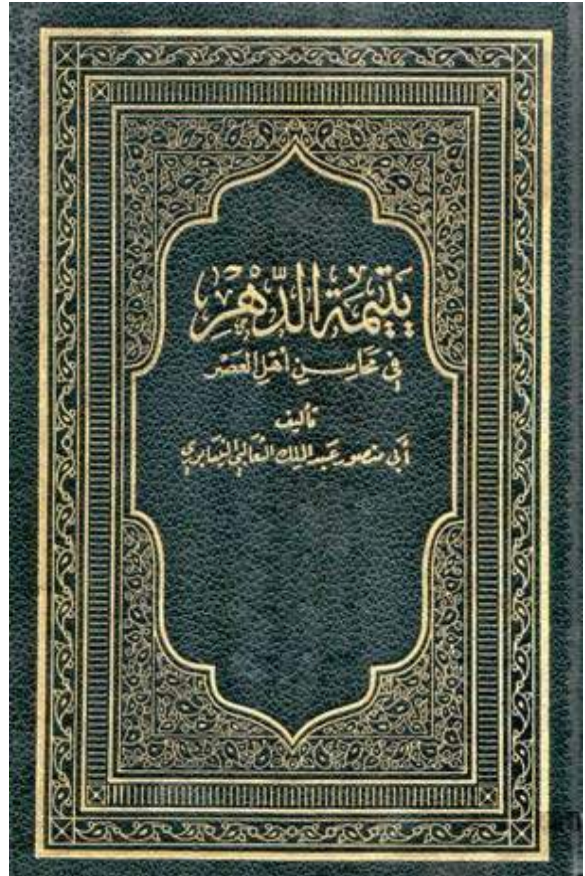
## أبو الطَّيِّبِ المِنتَبِيِّ

أبو الطَّيِّبِ المِنتَبِيِّ<sup>(١)</sup>: أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الجُعْفِيِّ الكِنْدِيُّ الكُوْفِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِئَةٍ، وَتُوِّفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ. وَهُوَ الشَّاعِرُ الفَحْلُ الَّذِي زَخَرَ شِعْرُهُ بِأَلْوَانِ الجَمَالِ وَالْإِبْدَاعِ، وَاعْتَنَى بِاللُّغَةِ وَالبَلَاغَةِ وَكَثِيرٍ مِنْ فُنُونِ العَرَبِيَّةِ؛ فَقَدْ «اشْتَغَلَ بِفُنُونِ الأَدَبِ وَمَهَرَ فِيهَا، وَكَانَ مِنَ المُكْثَرِينَ مِنْ نَقْلِ اللُّغَةِ وَالمُطَلِّعِينَ عَلَى غَرِيبِهَا وَحُوشِيِّهَا، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ بِكَلَامِ العَرَبِ مِنَ النُّظْمِ وَالنَّثْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وَلَا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ أَهْلِ العَرَبِيَّةِ تِلْكَ المَكَانَةُ السَّامِقَةُ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِي الطَّيِّبِ المِنتَبِيِّ، وَذَلِكَ الإِبْدَاعُ وَالجَمَالُ فِي شِعْرِهِ. وَهَذِهِ المَكَانَةُ العَالِيَةُ وَصَلَتْ إِلَى دَرَجَةِ الإِحْتِجَاجِ بِبَعْضِ أَيْبَاتِهِ -وَإِنْ كَانَ يُصَنَّفُ فِي المَوْلِدِينَ- لَيْسَ فِي مَسَائِلِ فِي العَرَبِيَّةِ فَحَسْبِ، بَلْ قَدْ احْتَجَّ بِكَثِيرٍ مِنْ أَيْبَاتِهِ أَيْضًا فِي تَقْوِيَةِ المَعَانِي. وَقَدْ كَانَ ابْنُ جَنِّي (ت ٣٩٢هـ) يذودُ عَنْهُ، وَيَحْتَجُّ لِمَا يَكْتَنِفُ شِعْرَهُ مِنْ قَضَايَا العَرَبِيَّةِ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا؛ فَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ صَاحِبِهِ<sup>(٣)</sup>: «وَلَا تَقُلْ مَا يَقُولُهُ مَنْ ضَعَفَتْ نَحِيذَتُهُ، وَرَكَتْ طَرِيقَتُهُ: هَذَا شَاعِرٌ مُحَدَّثٌ، وَبِالأَمْسِ كَانَ مَعْنَا، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ؟ فَإِنَّ المَعَانِي لَا يَرْفَعُهَا تَقْدُمٌ، وَلَا يُزْرِئُ بِهَا تَأَخُّرٌ»<sup>(٤)</sup>: إِنَّ المِنتَبِيَّ «قَرِيعٌ دَهْرُهُ فِي الشَّعْرِ، وَنَسِيحٌ وَحْدَهُ، لَا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِفَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَجُودَةِ نَقْدِهِ الشَّعْرَ؛ فِي رِصَانَةِ لَفْظِهِ، وَمُخْتَرَعٍ كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ. وَلَوْ تَنَاسَبَ شِعْرُهُ لِالحَقِّ الصِّدْرِ مِنَ المُحَدَّثِينَ، وَجَاوَزَ كَثِيرًا مِنْهُمْ».

\* باحث في التراث العربي وتحقيق النصوص.

- ١- انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ١ / ١٣٩، وتاريخ بغداد ٥ / ١٦٤، وتاريخ دمشق ٧١ / ٧٦، ونزهة الألباء ٢١٩، ووفيات الأعيان ١ / ١٢٠، وتاريخ الإسلام ٨ / ٦٥، والوفاء بالوفيات ٦ / ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٥٥، ولسان الميزان ١ / ٤٤٠، والأعلام ١ / ١١٥، وغير ذلك كثير.
- ٢- وفيات الأعيان ١ / ١٢٠.
- ٣- المحتسب ١ / ٢٣١.
- ٤- تفسير أرجوزة أبي نواس ٤٠-٤١.



### أبو منصور الثعالبي

الثعالبي<sup>(٥)</sup>: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور النيسابوري، الأديب الشاعر. كان يُلقَّبُ بجاحظٍ أوّانه. وُلِدَ سنةَ خمسين وثلاثمئة، وتوفي على الصحيح سنة ثلاثين وأربعمئة، وقيل: سنة تسعٍ وعشرين وأربعمئة.

وللثعالبي التصانيفُ الكثيرة الجياد، من أشهرها: «فقه اللغة وسرُّ العربية»، و«تَمَارِ الْقُلُوبِ فِي الْمُضَافِ وَالْمَنْسُوبِ»، و«التَّمثِيلُ وَالْمُحَاضِرَةُ»، و«سِحْرُ الْبَلَاغَةِ»، و«مَنْ غَابَ عَنْهُ الْمُطْرِبُ».

٥- من المصادر التي ترجمت للثعالبي: نزهة الألباء ٢٦٥، وتاريخ إربيل ٢ / ٣٤٠، ووفيات الأعيان ٣ / ١٧٨، وتاريخ الإسلام ٩ / ٤٦٤، ٤٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٢٧، والوفاء بالوفيات ١٩ / ١٣٠، والأعلام ٤ / ١٣٦.

وما يزالُ مالئُ الدنيا وشاغِلُ الناسِ يَمَلَأُ الآفَاقَ بِشِعْرِهِ، وَيَشْغَلُ الخَلْقَ فِي تَفْسِيرِ ظَوَاهِرِهِ، وَتَأْوِيلِ مُشْكَلِهِ. وَلَا يَبْعَدُ أَنْ نَقُولَ: لَمْ يَتَعَرَّضْ شِعْرُ شَاعِرٍ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا لِمَا تَعَرَّضَ لَهُ شِعْرُ هَذَا الرَّجُلِ شَرَحًا وَنَقْدًا، وَتَتَبَعًا وَقَدْحًا، وَتَنَاءً وَمَدْحًا.

هذا، وقد انقسم الناس حول المُتَنَبِّي إلى ثلاثة فرقاء: الفريق الأول: منافع عنه ومدافع، كابن جنّي (ت ٣٩٢هـ). والفريق الثاني: ناقدٌ مُتَتَبِعٌ أو مُتَحَامِلٌ شَانِي، كالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ). وأما الفريق الثالث فهو مُنْصِفٌ ذَاكِرٌ لِلْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي، كالقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ). ومن الفريق الأخير أديبٌ عَصْرِهِ أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ).

\* \* \*

فالثعالبي يستند في حكمه إلى السماع، وأمّا القياس فيدفع ما ذهب إليه، وأصل كلامه في (الوساطة) (٩)، وزاد القاضي الجرجاني أن «هذا الباب يُستغنى فيه بالقياس عن السَّماع لِأَطْرَادِهِ، وَاتِّساقِ أَمْرِهِ عَلَيِ الاِعْتِدالِ، فَكُلُّ «فَعَلَ» فِي الكِلامِ يِقْتَضِي التَّصْرِيفَ إِلى (فَاعِلٍ) وَ(مَفْعولٍ)، وَكُلُّ «أَفْعَلَ» فَلَهُ (مُفْعَلٍ) وَ(مُفْعَلٍ)، وَلَسْنَا نَحْتَاجُ فِي مِثْلِ هَذَا إِلى التَّوَقُّفِ وَاتِّبَاعِ المِسموعِ. وَهَذَا أَشْبَهُ بِمَذاهِبِ القِياسِ، وَالأَصْلِ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ اللُّغَةِ».

ف «جائذ» اسم فاعل من: جادَ يَجُودُ، وَهَذَا ما عَلَيْهِ القِياسُ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ عِلْمُ الصَّرْفِ؛ إِذْ إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَطْراداً صَوِّغَ اسمَ الفاعلِ واسمَ المفعولِ مِنَ الفِعْلِ، وَإِنْ كانَ قِسمٌ مِنْ هَذِهِ التَّصاريفِ لَمْ يُسْمَعْ أَوْ لَمْ يُسْتَعْمَلِ، أَوْ اسْتَعْمَلَ ثُمَّ أَهْمَلَ.

\* \* \*

ومن الاستعمالات اللغوية التي عابها الثعالبي على أبي الطيب تشديد النون من الظرف «لَدُنْ» في قوله في صباه (١٠):  
فَأَرْحَامُ شِعْرِ يَتَّصِلُنْ لَدُنَّهُ

وَأَرْحَامُ مَالِ ما تَنِي تَنْقَطِعُ  
قال الثعالبي (١١): «وتشديد النون من «لَدُنْ» غيرُ معروف في لغة العرب».

والمشهور في الظرف «لَدُنْ» تخفيف نونه، ولم تتضمن اللغات الواردة فيه تشديد النون منه؛ لذا فإن تشديدها مخالف لما جاء عن العرب فيه.

قال ابن جني في توجيه هذا الاستعمال في بيت أبي الطيب (١٢): «وقوله: «لَدُنَّهُ» فيه قُبْحٌ وَبِشَاعَةٌ؛ لِأَنَّ

و«عَرَّرَ أَخْبَارَ مُلوكِ الفُرْسِ»، وَ«اللطفِ وَاللِطائِفِ»، وَ«الإعجازِ وَالإيجازِ»، وَ«خاصَّ الخاصِّ»... وَكِتابِهِ الضَّخْمُ مَدُونَةٌ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ «يَتِيمَةُ الدَّهْرِ فِي مَحاسِنِ أَهْلِ العَصْرِ» الَّذِي مِنْهُ مادَّةُ هَذَا المِقالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

وقد كان للثعالبي مأخذ على شعر أبي الطيب بوبها في اليتيمة، وتناولت جوانب نقدية متنوعة، منها: قُبْحُ المِطالِعِ، وَاتِّبَاعُ الفِقرةِ العَرَاءِ بِالكَلِمَةِ العَوْرَاءِ، وَاسْتِكرَاهُ اللَّفْظِ وَتَعقِيدُ المَعْنَى، وَعَسْفُ اللُّغَةِ وَالإِعرابِ، وَالخُرُوجُ عَنِ الوِزَنِ، وَاسْتِعمالُ الغَرِيبِ الوَحْشِيِّ، وَالرَّكَاكَةُ وَالسَّفْسَفَةُ بِألفاظِ العَامَّةِ وَالسُّوقَةِ وَمَعانِيهِمْ.... وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا سَطَّرَهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي التَّرجمةِ المَوْسَعَةِ الَّتِي أَفْرَدَهَا لِلْمِتنَبِيِّ وَذَكَرَ مَحاسِنَ شِعْرِ وَمَقابِحِهِ. وَسَيَقْتَصِرُ هَذَا المِقالُ عَلى الحَدِيثِ عَنِ «عَسْفِ اللُّغَةِ وَالإِعرابِ».

### عَسْفُ اللُّغَةِ وَالإِعرابِ

حَدَّثَهُ الثَّعَالِبِيُّ بِقَوْلِهِ (١٦): «وَهُوَ مِمَّا سَبَقَ إِلى القُلُوبِ إِنكارُهُ وَإِنْ كانَ عِنْدَ المَحْتَجِّينَ عِنْدَهُ الاِعْتِذارُ لَهُ وَالْمِناضَلَةُ دُونَهُ».

وقد استهزل تلك المآخذ باعتراضه على استعمال اسم الفاعل «الجائذ» في قول أبي الطيب (٧):

فَدَى مَنْ عَلى الغَبْرَاءِ أَوْلُهُمْ أَنَا

لِهَذَا الأَبِيِّ المَاجِدِ الجائِدِ القَرْمِ  
قال الثعالبي (٨): «وَلَمْ يُحَكَّ عَنِ العَرَبِ «الجائذ»، وَإِنما المَحْكِيُّ: رَجُلٌ جَوادٌ، وَفِرْسٌ جَوادٌ، وَمِطَرٌ جَوادٌ».

٩- الوساطة ٤٧٠.

١٠- ديوان المتنبي ٢٤.

١١- اليتيمة ١/ ١٩٣.

١٢- الفسر ٢/ ٣٥٨ باختصار مواضع منه. وعنه في: أمالي ابن

الشجري ١/ ٣٥٥، والتبيان ٢/ ٢٤٠-٢٤٢.

٦- اليتيمة ١/ ١٩٣.

٧- ديوانه ٧٤. الغبراء: الأرض. القرم: السيد. والبيت من

قصيدة في مدح الحسين بن إسحاق التنوخي.

٨- اليتيمة ١/ ١٩٣.

ومن الأبيات التي اشتملت على (عسف الإعراب) كما ذكر الثعالبي قول أبي الطيب<sup>(١٥)</sup>:

بِيضَاءُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلُّهَا

تِيهَا وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسَا

قال الثعالبي<sup>(١٦)</sup>: «فَنَصَبَ (تَمِيسَ) مَعَ حَذْفِ (أَنْ)، وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَكْثَرِ النُّحَوِيِّينَ».

والمتنبّي جارٍ في هذا النصب على عرق له في ذلك؛ فإعمال «أَنْ» محذوفة مذهب الكوفيين، ولا يُعملها البصريون إلا أن يعوّض عنها بالفاء أو الواو<sup>(١٧)</sup>.

على أن ابن جنّي قد ذكر أن حذف (أَنْ) في المواضع التي يكثر فيها ظهورها ليس بخطأ، واحتج لأبي الطيب بشواهد كثيرة على حذف (أَنْ) وإعمالها مضمرة، أو تقديرها وترك إعمالها، بل إن (أَنْ) مع صلتها كأحد أجزاء الكلمة الواحدة، والعرب قد تحذف بعض الكلم ضرورة. وذكر أبو الفتح أيضاً أن شيخه أبا علي كان يستسهل حذف (أَنْ)، «وَيَزْعُمُ أَنَّ أَصْحَابَنَا قَدْ أَنْسُوا بِهِ»<sup>(١٨)</sup>.

وذكر أبو العلاء<sup>(١٩)</sup> أن أبا الطيب «جمع ههنا بين شيتين:

أحدهما: كالضرورة، وهو حذفه «أَنْ» في الموضع الذي يجب دخولها منه؛ لأنّ الوجه أن يقول: يَمْنَعُهَا أَنْ تَكَلَّمَ.

والآخر: ضرورة، وهو نصبه الفعل بالعمل المحذوف، وفعل ذلك في موضعين من هذا البيت.

١٥- ديوان المتنبّي ٥٣. دلّها: دلالتها. تَمِيس: تنمائل وتتيه. والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن زريق الطرسوسي.

١٦- اليتيمة ١/١٩٣.

١٧- انظر: الكتاب ٣/٩٩، وأمالي ابن الشجري ١/١٢٤،

٣/٢٠٩، ٢١٠.

١٨- الفسر ١/٢٨٦.

١٩- اللامع العزيمي ٦٠٩.

النُّونَ إِنَّمَا تُشَدَّدُ إِذَا كَانَتْ بَعْدَهَا نُونٌ، نَحْوُ: لَدُنِّي وَلَدُنَّا. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهَا نُونٌ فَهِيَ خَفِيفَةٌ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل: ٦). وأقرب ما يُصرف هذا إليه أن يقال: شَبَّهُ بَعْضَ الضَّمِيرِ بِبَعْضِ ضَرُورَةٍ، فَكَمَا أَنَّهُ يَقُولُ: مَنْ لَدُنِّي، كَذَلِكَ قَالَ أَيضًا: لَدَنَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْهَاءِ مَا فِي النُّونِ مِنْ وَجُوبِ الْإِدْغَامِ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثَقُلَ النُّونِ ضَرُورَةً، لَا لِصَاحِبَتِهَا الضَّمِيرِ».

وقد بنى ابن جنّي توجيهه السابق على أصل من أصول العربية جليل، وهو الحمل على الشبه، فضلاً عن أن من أصولهم أن الضرورة الشعرية تُبيح للشاعر ما لا تُبيح لغيره. وقد ضرب أبو الفتح لهذه الضرورة جملةً صالحةً من الأمثلة للحجاج عن صاحبه أبي الطيب.

وذكر القاضي الجرجاني<sup>(٢٠)</sup> أن تشديد النون غير معروف في لغة العرب، وروى عن المتنبّي خبراً مهماً يقول فيه: إِنَّ أبا الطيب «خُوطِبَ فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَ مَكَانَ «لَدَنَّهُ»: «بِبَابِهِ». قَالَ: قَدْ يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِ، لَا لِلِاضْطِرَارِ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ لِلاتِّسَاعِ فِيهِ، وَاتِّفَاقِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، فَيَحْذَفُونَ وَيَزِيدُونَ».

على أن البيت قد روي روايةً أخرى تُخرجه من ارتكاب الضرورة؛ إذ روي<sup>(٢١)</sup>:

فَأَرْحَامُ شِعْرِ يَتَصَلْنَ بِجُودِهِ

وَأَرْحَامُ مَالٍ مَا تَنِي تَتَقَطَّعُ

\* \* \*

١٣- في الوساطة ٤٥٠. وانظر: أمالي ابن الشجري ١/٣٣٨.

١٤- وهي إحدى روايتي الفسر ٢/٣٥٨. وذكر هذه الرواية

أيضاً صاحب المعجز ١/١١٥.



وما رآه الثعالبيُّ ضعيفاً وغير سديدٍ في صناعة الإعراب؛ حملة ابنُ جنيٍّ على أصلٍ جليلٍ من أصول العربية، وهو (الحمل على المعنى)، فالرُّكَبَاتُ في ظاهره جمعٌ إلا أنه في المعنى يدلُّ على مثنى؛ إذ إنَّ للناقاة ركبتيْن، وأبو الطيب حمل الفعل (تقعان) في شطره الثاني على المعنى؛ «لأنه رَجَعَ إلى الرُّكْبَتَيْنِ في الحقيقة، وترك المجاز، وهذا فيه ضعفٌ عندنا في صناعة الإعراب أن يحمل على المعنى ثم يعود إلى اللفظ<sup>(٢٢)</sup>». أو أن المتنبى «جمع الرُّكْبَتَيْنِ وما يليهما، أو يكون سَمَى كل جزء منها ركبة، كما يُقال: شابت مَفَارِقُهُ.. وإنما له مَفْرَقٌ واحدٌ<sup>(٢٤)</sup>». وهذا كله من باب الاتِّساع.

وذكر أبو العلاء<sup>(٢٥)</sup> أن بعض الناس ينشد البيت:

وَتَكَرَّمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ

تَحْتَلُّ فِيهِ وَلاَ يَسَّ مَسْكَاً أَدْفَرَا

فراراً من الوقوع في حمل الاثنين على الجماعة. قال المعري: «جرت العادة أن يُخبر عن الاثنين بخبر الجمع، كما جاء في الكتاب الكريم: ﴿قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ (سورة ص: ٢٢)، فأما رُدُّهم الجمع إلى الاثنين فمفقود». على أن الآية الأخرى التي تذكر لفظ الخصمين في كتاب الله الكريم قد أخبر فيها عن لفظ الاثنين بالجمع؛ إذ قال الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (سورة الحج: ١٩). وهذا فيه أيضاً الحمل على المعنى؛ لأن المقصود بالخصمين الفريقان المتخاصمان. والحمل على المعنى كما ذكر ابن جني في (الخصائص)، وقد أفرد فيه فصلاً كاملاً لهذا الأصل

٢٢- الفسر ٢ / ١٩٤.

٢٤- الفسر ٢ / ١٩٣.

٢٥- اللامع ٥٧٢.

والرُّوَاةُ يَنْصِبُونَ (تَكَلَّمَ)، وما أجدرَ أبا الطَّيِّبِ أن يكونَ على ذلك وَضَعَهُ؛ ليساويَ بينه وبين قولهِ: (تَمِيسَ). ولو رفعَ «تَكَلَّمَ» لم يكن فيه إلا ضرورةٌ واحدة، وذلك أحسنُ من ضرورتين.

ولعلَّ أكثرَ الشواهد دوراناً في كتب العربية حول ما رآه الثعالبيُّ عسفاً في الإعراب ورود الفعل (أَحْضَرَ) منصوباً في إحدى روايتي بيت طرفة<sup>(٢٠)</sup>:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الوَغَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللِّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخَلِّدِي

يريد: أن أَحْضَرَ. وقد ساوى طرفة بين طرفي البيت، على ما رأى أبو العلاء قبل قليل؛ إذ نصبَ «أَشْهَدَ» نصباً صريحاً يقوي به نصب «أَحْضَرَ» نصباً غير صريح الأداة. بخلاف ما وقع في بيت أبي الطَّيِّبِ المَتَنَّبِيِّ.

\* \* \*

ومن الأبيات التي رأى الثعالبيُّ أنها تنكبت عن جادة (صناعة الإعراب) قول أبي الطَّيِّبِ<sup>(٢١)</sup>:

وَتَكَرَّمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكِ

تَقَعَانِ فِيهِ وَلاَ يَسَّ مَسْكَاً أَدْفَرَا

قال الثعالبي<sup>(٢٢)</sup>: «فجمع الرُّكْبَاتِ، ثم انتقل إلى التثنية فقال: (تَقَعَانِ)، وهو ضعيفٌ وغير سديدٍ في صناعة الإعراب».

الرُّكْبَاتُ: جمع رُكْبَةٍ. والبيت في وصف ناقاة أبت أن تبرك إلا على المسك الأذفر، وهو الشَّدِيدُ الرَّائِحَةِ نَكِيْهَا؛ لأنها في حَضْرَةِ ملوك.

٢٠- في ديوانه ٣١. والبيت من معلقته الشهيرة، وهو في الكتاب ٩٩/٣، ١٠٠، والمقتضب ٢/٨٥، ١٩٣، والفسر ١/٣٨٥، وسر الصناعة ٢٨٥، وأمالى ابن الشَّجَرِيِّ ١/١٢٤، ٣/٢١٠، وشرح التسهيل ٤/٥٠.

٢١- ديوان المتنبى ٥٤١.

٢٢- اليتيمة ١/١٩٤.



عاملة كـ «إن» ونحوها. وقد أنشدوا بيتاً وصلت فيه «إلا» بالكاف، وهو<sup>(٣٢)</sup>:

فَمَا نَبَايَ إِذَا مَا كُنْتَ جَارَتَنَا  
أَلَّا يُجَاوِرَنَا إِلَّا كِ دَيَّارُ  
وهو شاذٌّ، لا يُقاسُ عليه».

فقد قصر ابن جني وغيره من علماء العربية ما ارتكبه المتنبّي على الضرورة؛ إذ القياس في ذلك أن يكون الضمير منفصلاً؛ لما علّله أبو الفتح من كون «إلا» ضعيفة قاصرة عن العمل الذي تعمله الأفعال، فتتصل بها ضمائر النصب كالهاء والياء والكاف، وهي تشبه إن وأخواتها في عدد الحروف، لكنها لا تعمل عملها فتتصل بها الضمائر أيضاً.

ومن الحجج التي تؤيد انفصال الضمير بعد «إلا»؛ أنها لغة القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة يوسف: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء: ٦٧]. على أن القاضي الجرجاني<sup>(٣٣)</sup> رأى في هذا البيت الذي وصفه ابن جني بالشاذ؛ حجة لبيت المتنبّي لا عليه؛ إذ إن الفراء قد رواه، وقد «احتج به أبو الطيب، واحتذى عليه... وأنا أرى ألا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة. وناهيك بالفراء!».

٣٢- قال البغدادي في خزانته ١ / ٢٨٠: «وهذا البيت قلما خلا عنه كتاب نحوي. والله أعلم بقائله». والبيت في: شرح كتاب سيبويه ٣ / ١٢٣، والخصائص ١ / ٣٠٨، ٢ / ١٩٧، والوساطة ٥٧٧، وما يجوز للشاعر في الضرورة ٢٣٨، واللامع ٨٦٧، والفتح على أبي الفتح ١٩١، والتبيان ٢ / ٣٨٢، وضرائر الشعر ٢٦٢، والتذليل ٢ / ٢٣٣، ٤ / ٢٢١، ٨، ١٨٨، ١٩٨، والارتشاف ٩٣٣، ٤٦٤٦، وتمهيد القواعد ٥٢٩، ١١٦٠، ٣٠٥٣، والمقاصد الشافية ١ / ٢٦٢، ٣ / ٣٥١، والخزانة ٥ / ٢٧٨، ٣٢٥.

٣٣- الوساطة ٤٥٦-٤٥٧.

الجليل، قال فيه<sup>(٣٦)</sup>: «اعلم أن هذا الشرح<sup>(٣٧)</sup> غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن، وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكّر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغير ذلك» اهـ.

\* \* \*

ومن الأبيات التي اشتملت على (عسف الإعراب) كما ذكر الثعالبي قول أبي الطيب<sup>(٣٨)</sup>:

لَيْسَ إِلَّا كَيْ عَلِيٍّ هُمَامٌ  
سَيْفُهُ دُونَ عَرْضِهِ مَسْئُولُ  
وقوله أيضاً<sup>(٣٩)</sup>:

لَمْ تَرَمَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا

لَا لِسَوَى وَدَكَ لِي ذَاكَ  
قال الثعالبي<sup>(٣٠)</sup>: «فوصل الضمير يالاً، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى: ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء: ٦٧]».

قال ابن جني<sup>(٣١)</sup>: «وقوله: «إلا كَا» قبيح، لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، والوجه أن يقال: إلا إياك؛ لأن «إلا» ليست لها قوة الفعل، ولا هي

٢٦- انظر الخصائص ٢ / ٤١٣

٢٧- الشرح: الضرب. عن اللسان (شرح).

٢٨- ديوان المتنبّي ٤٢٩.

٢٩- ديوان المتنبّي ١٤٢.

٣٠- اليتيمة ١ / ١٩٤.

٣١- الفسر ٢ / ٦٢٨. وممن وافق مذهب ابن جني: صاحب الكشف عن مساوئ شعر المتنبّي ٦٠، وابن وكيع في المنصف ٦٦٥، وأبو العلاء في اللامع ٨٦٧ وقد نقل كلام صاحب المنع، ورد كلامه بجواز الوجهين، والمعجز ٢ / ١٩٨، وعن أبي العلاء في اللامع: أبو المرشد المعري في تفسير أبيات المعاني ١٦٣، والتبريزي في الموضح ٤ / ٢٦، وعن ابن جني العكبري في التبيان ٢ / ٣٨٣.

شَاعِرٍ فَصِيحٍ فَإِنَّمَا جَازَ لكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذِينَ  
الْحَرْفِينَ...».

وَقَدْ رَأَى أَبُو الْفَتْحِ أَيضًا أَنَّ «أَفْعَلَ» الَّذِي مُؤَنَّثُهُ  
«فَعْلَاءٌ»، مِنْ قَبِيلِ الْوَصْفِ الْمُحْضِ، كَقَوْلِكَ: أَبْيَضُ  
وَبِيضَاءٌ، وَلَيْسَ أَفْعَلَ الْمُرَادُ بِهِ التَّفْضِيلُ، نَحْوَ: أَحْسَنُ  
مَنْكَ، وَأَكْرَمُ مَنْكَ.

وَقَدْ نَقَلَ كَلَامَ ابْنِ جَنِّي خَلَقَ كَثِيرًا، وَمِنْ هَؤُلَاءِ  
الْوَاحِدِي فِي شَرْحِ دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّيِّ؛ إِذْ قَالَ (٣٧): «وَجَمِيعُ  
مَنْ فَسَّرَ هَذَا الشَّعْرَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ: «لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي  
عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ»: إِنْ هَذَا مِنَ الشَّاذِّ الَّذِي أَجَازَهُ  
الْكُوفِيُّونَ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ (٣٨):

أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ.»

فَمَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ (٣٩) أَنَّهُ لَا يُصَاغُ اسْمُ التَّفْضِيلِ  
مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي يَكُونُ الْوَصْفَ مِنْهُ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلَ»  
الَّذِي مُؤَنَّثُهُ «فَعْلَاءٌ»، مِثْلَ: أَسْوَدٌ وَسُودَاءٌ، وَأَشْقَرٌ  
وَشَقْرَاءٌ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ لَوْنًا أَوْ عَيْبًا أَوْ حَلِيَّةً.

وَقَدْ لَخَّصَ صَاحِبُ (التَّبْيَانِ) مَذْهَبَ أَصْحَابِهِ  
الْكُوفِيِّينَ (٤٠) فِي إِجَازَةِ الصِّيَاغَةِ الْمُبَاشِرَةِ مِنْ دُونِ  
اللَّجْوِ إِلَى الْفِعْلِ الْمُسَاعِدِ؛ إِذْ قَالَ تَعْلِيْقًا عَلَى الْبَيْتِ:  
«وَأَمَّا قَوْلُ أَصْحَابِنَا الْكُوفِيِّينَ فِي جَوَازِ مَا أَفْعَلَهُ! فِي  
التَّعْجِبِ مِنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ خَاصَّةً مِنْ دُونِ سَائِرِ

وَمِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي اسْتَدْرَكَهَا الثَّعَالِبِيُّ، وَأَثَارَتِ  
الْجِدَلَ بَيْنَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ فِي صَبَاحِهِ  
يَخَاطِبُ الشَّيْبَ (٣٤):

إِبْعَدْ بَعْدَتْ بِيَاضًا لَا بِيَاضَ لَهُ

لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ  
قَالَ الثَّعَالِبِيُّ (٣٥): «وَأَلْفُ التَّعْجِبِ لَا تَدْخُلُ  
عَلَى (أَفْعَلَ)، وَإِنَّمَا يُقَالُ: أَشَدُّ سَوَادًا وَحُمْرَةً  
وَخُضْرَةً.»

يُصَاغُ اسْمُ التَّفْضِيلِ وَفِعْلُ التَّعْجِبِ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى  
وِزْنِ «أَفْعَلَ» ضَمْنِ شُرُوطِ ذِكْرَتِهَا كَتَبِ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِذَا  
تَحَقَّقَتِ الشُّرُوطُ جَمِيعُهَا جَاءَتِ الصِّيَاغَةُ مُبَاشِرَةً،  
وَإِذَا اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ جِيءَ بِالْفِعْلِ  
الْمُسَاعِدِ مُتَبَوِّعًا بِمَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمُرَادِ التَّعْجِبِ مِنْهُ أَوْ  
الْمُفَاضَلَةِ بِهِ.

وَقَدْ خَالَفَ الْمُتَنَبِّيُّ الْمَشْهُورَ مِنَ الْقِيَاسِ فِي صِيَاجَتِهِ  
اسْمَ التَّفْضِيلِ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلَ» صِيََاغَةً مُبَاشِرَةً مَعَ أَنَّهُ  
اخْتَلَّ شَرْطٌ مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ؛ إِذْ إِنَّ مَا يَدُلُّ عَلَى لَوْنٍ  
أَوْ عَيْبٍ أَوْ حَلِيَّةٍ لَا يُصَاغُ مِنْهُ اسْمُ التَّفْضِيلِ - وَكَذَلِكَ  
التَّعْجِبِ - إِلَّا بِاسْتِقْدَامِ الْفِعْلِ الْمُسَاعِدِ، فَلَا يُقَالُ:  
أَخْضَرُ مِنَ الْعُشْبِ؛ إِذْ إِنَّ قِيَاسَهُ: أَشَدُّ أَخْضَرَاءً،  
وَلَا مِنَ السَّوَادِ، فَلَا يُقَالُ: أَسْوَدُ مِنَ الظَّلَامِ؛ بَلْ أَكْثَرُ  
سَوَادًا... وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ جَنِّي فِي تَوْجِيهِ هَذِهِ الصِّيغَةِ (٣٦): «وَلَا  
يَقُولُونَ: أَنْتَ أَسْوَدُ مِنْ كَذَا، وَلَا أَحْمَرُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ  
الْأَلْوَانَ وَالْعُيُوبَ لَا يُبْنَى مِنْهَا فِعْلُ التَّعْجِبِ وَلَا  
مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ. عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْكُوفِيِّينَ قَدْ حَكِيَ  
عَنْهُمْ: مَا أَسْوَدَ شَعْرَهُ وَأَبْيَضَهُ! وَإِنْ جَاءَ عَنْ

٣٤- ديوان المتنبي ٢٩.

٣٥- البيهية ١/ ١٩٤.

٣٦- الفسر ٣/ ٤٤٧. وانظر توجيه البيت في: اللامع العزيزي

١٢٩٣، ومعجز أحمد ١/ ١٢٩، والموضح ٥/ ٧٧، والتبيان ٤/ ٣٤.

٣٧- في شرح ديوان المتنبي له ٥٣، وعنه في: التبيان ٤/ ٣٤،

والخزانة ٨/ ٢٣٩-٢٠٤.

٣٨- البيت في وصف جارية، يُنسب لرؤية، وهو في ملحق ديوانه

ص ١٧٦؛ وهو شاهد سيار في كتب العربية، انظر منها: الأصول

١/ ١٠٤، والمنصف لابن جني ١/ ٣١١، وما يجوز للشاعر في

الضرورة ١١٥، ٣٣٧، وأما المرتضى ١/ ٩٢، ٢/ ٣١٧، والتبيين

٣٩٣، والإنصاف ١/ ١٢١، والتذليل ١٠/ ٢٣٣، والارتشاف ٨٢٣،

والمقاصد الشافية ٤/ ٤٧٦، ٥٧٣، والخزانة ٨/ ٢٣٠.

٣٩- ذكرت مصادر البيت السالفة مذهب الفريقين: البصريين والكوفيين.

٤٠- وممن مال من البصريين إلى مذهب الكوفيين ابن الحاج

تلميذ السلوطين. انظر المقاصد الشافية ٤/ ٤٧٥.

بِهَا التَّعْجِبُ مِنَ الْأَلْوَانِ، وَتَصِحُّ كُلُّهَا إِذَا أُرِدَتْ بِهَا  
التَّعْجِبُ مِنْ سُودِ زَيْدٍ، وَمَنْ سَمَرَ عَمْرُو، وَمَنْ  
صَفِيرِ الطَّائِرِ، وَمَنْ كَثْرَةَ بَيِّضِ الْحَمَامَةِ».

على أنني وقفت على كلام لابن سيده<sup>(٤٥)</sup> يرى أنَّ  
المخالفة في هذا البيت للقياس، والتخطئة لاستعمال  
«أسود»؛ جاءت من كون: «فَعَلَ» «أَفْعَلُّ» هذا على  
أكثر من ثلاثة أحرف، وهو «أَسُودٌ»؛ فلا تقع  
المفاضلة فيه إلا بـ«أَشَدُّ» و«أَبْيَنُّ» وغيرهما  
من الأفعال الثلاثية التي تصاغ ليوصل بها إلى  
التعجب من الأفعال التي على أكثر من ثلاثة».

فهو لا يرى أنَّ المخالفة آتية من صياغة هذا الاسم  
لكون فعله يدل على اللون، بل رأى أنَّ الشرط الذي  
اختلف في هذا الفعل هو عدد الحروف؛ إذ يشترط في  
هاتين الصيغتين - أعني: التعجب والتفضيل - أن  
يكون الفعل ثلاثياً، وابن سيده رأى أنَّ «أَسُودٌ» في بيت  
أبي الطيب مأخوذ من الفعل فوق الثلاثي «أسود».

وقد ذكر ابن جنِّي<sup>(٤٦)</sup> تأويلاً آخر لهذا الاستعمال  
يخرجه من التفضيل، فقال: «وقد يُمكنُ أن يكونَ:  
«لَأَنْتَ أَسُودٌ فِي عَيْنِي» كَلَامًا تَامًّا، ثُمَّ ابْتِدَاءً  
بِصِفَةِ<sup>(٤٧)</sup>: «مَنْ الظُّلْمِ، كَمَا تَقُولُ: هُوَ كَرِيمٌ مِنْ  
أَحْرَارٍ، وَسَرِيٌّ مِنْ أَشْرَافٍ، وَوَضِيْعٌ مِنْ لِنَامٍ».

على أنَّ تعدد توجيهات هذا البيت، وتلمس ما يقعد  
هذا الاستعمال الذي أورده أبو الطيب يدل على سعة  
العربية ورحابة أمدائها، وأنَّ عوالم الشعر تبيح مثل  
هذه السعة، وأنَّ المعنى إذا هجم على الشاعر ربما قيده  
دون أن يابَهَ لقياس اللفظ أو النحو.

٤٥- في شرح المشكل من شعر المتنبي ٨٨.

٤٦- الفسر ٣/ ٤٤٧.

٤٧- وعنه المرتضى في أماليه ١/ ٩٤، ٢/ ٣١٧، وإلى ذلك ذهب  
الحريري في درة الغواص ٣٨، وابن هشام في المغني ٧٠٣، وعنه  
البغدادي في الخزانة ٨/ ٢٤٠.

الألوان؛ فالحجة لهم فيه مجيئه نقلاً وقياساً؛ فأما  
النقل فقول طرفة، وهو إمامٌ يُستشهد بقوله.. وأما  
القياسُ فإنما جوزناه في السواد والبياض؛ لأنهما  
أصلاً الألوان، ومنهما يتركب سائر الألوان، وإذا  
كانا هما الأصلين للألوان كلها جاز أن يثبت لهما ما  
لم يثبت لسائر الألوان».

فأما بيت طرفة الذي أشار إليه فهو قوله<sup>(٤٨)</sup>:

إِذَا الرَّجَالُ شَتَوْا وَاشْتَدَّ أَكْلُهُمْ

فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالِ طَبَاخٍ

وقد شدّد البصريون هذا الشاهد، ومنهم من ذكر  
أنَّ «أَبْيَضَ» هنا ليس المراد به التفضيل<sup>(٤٩)</sup>، وإنما  
حُمل على أنه صفة من الصفات، كأن يتأول «أبيض»  
بـ«مبيض»، وأسود بـ«مسود».

وأما القياس الذي اقتاسه صاحب (التبيان) فقد  
ردّه العكبري في (التبيين)<sup>(٥٠)</sup>؛ إذ نفى أن يكون السواد  
والبياض أصلي كل الألوان، ولو قدر ذلك لصار كل  
لون بعد تركبه أصلاً جديداً. ولو فرض أنهما أصلان  
إذن لكانت الأصول أولى بمراعاة الأحكام من الفروع.  
وذكر الحريري<sup>(٥١)</sup> عن أحد شيوخه في توجيه هذه  
الصياغة كلاماً يختصر المسألة معولاً على المعنى المراد  
من هذه الصيغ، فرأى «أَنَّكَ إِذَا قَلْتَ: مَا أَسُودَ زَيْدًا!  
وَمَا أَسْمَرَ عَمْرًا! وَمَا أَصْفَرَ هَذَا الطَّائِرَ! وَمَا أَبْيَضَ  
هَذِهِ الْحَمَامَةَ!...؛ فَسَدَتْ كُلُّ مَسْأَلَةٍ مِنْهَا مِنْ  
وَجْهِ، وَصَحَّتْ مِنْ وَجْهِ، فَتَفْسَدُ جَمِيعُهَا إِذَا أُرِدَتْ

٤٨- طرفه في ديوانه ١٥٠، مع اختلاف في رواية البيت ولا سيما  
شطره الأول. والبيت في: ما يجوز للشاعر في الضرورة ٣٣٦، وأمالي  
المرتضى ١/ ٩٢، واللامع العزيمي ١٢٩٤، والتبيين ٢٩٣، والتذييل  
١٠/ ٢٣٤، والارتشاف ٢٠٨٣، ٢٢٢٨، والمقاصد الشافية ٤/ ٤٧٥،  
٥٧٣، والخزانة ٨/ ٢٣٠، وغير ذلك كثير. السربال: الثوب.

٤٩- انظر: التذييل ١٠/ ٢٣٣، والارتشاف ٢٠٨٣.

٥٠- التبيين عن مذاهب النحويين ٢٩٤.

٥١- في درة الغواص ٣٨.

وقد ذكر القاضي الجرجاني<sup>(٥٢)</sup> أنَّ «ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب (النوادر)<sup>(٥٣)</sup>».

وقد قال الواحدي في توجيه البيت<sup>(٥٤)</sup>: «وليس حذفها هنا كحذفها من قوله<sup>(٥٥)</sup>:

لَمْ يَكْ شَيْءٌ يَا إِلَهِي قَبْلَكَ  
لَأَنَّهَا ضَارَعَتْ بِالْمَخْرَجِ وَالسُّكُونِ وَالغُنَّةِ  
حُرُوفَ المَدِّ، فَحَذَفَتْ كَمَا يُحَذَفْنَ، وَهِيَ فِي «فَلْيَكُنِ  
التَّبْرِيحُ» قَوِيَّةً بِالحَرَكَةِ؛ لِأَنَّ سَبِيلَهَا أَنْ تُحْرَكَ،  
فَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يُحَذَفَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَدِ بِالحَرَكَةِ فِي  
النُّونِ لَمَّا كَانَتْ غَيْرَ لَازِمَةٍ ضَرُورَةً.... وَمِنْ أَيْبَاتِ  
الْكِتَابِ<sup>(٥٦)</sup>:

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ  
وَلَاكَ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ  
وَإِذَا جَازَ حَذْفَ النُّونِ مِنْ: «وَلَكِنْ»، مَعَ أَنَّهُ  
حُذِفَتْ مِنْهُ نُونٌ أُخْرَى؛ كَانَ جَائِزًا حَذْفُهَا مِنْ:  
«فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ».

٥٢- الوساطة ٤٤١.

٥٣- النوادر ٢٩٥.

٥٤- في شرح ديوان المتنبي له ١٠٧.

٥٥- عبد الله بن عبد الأعلى كما في الكتاب ٢ / ٢١٠. والبيت في: المقتضب ٤ / ٢٤٧، وشرح أبيات سيوييه ٢ / ٤٣، وسر الصناعة ٥٤١، والفسر ١ / ٧٢٤، والتبيان ١ / ٢٤٣، وشرح التسهيل ٤ / ٦٤، والمغني ٣٦٨، وتمهيد القواعد ٩ / ٤٣١٢، ٤٣١٤، ٤٣١٨، والمقاصد الشافية ٤ / ٦٠، ٥ / ٢٣٦، ٦ / ١٠٠.

٥٦- الكتاب ١ / ٢٤، وشرحه ١ / ٢١٤، ٢٥٤، وشرح أبياته ١ / ٢٧، والبيت للنجاشي الحارثي قيس بن عمرو بن مالك في ديوانه ٨٤، وهو في: الشعر ١١٣، وأمالي ابن الشجري ٢ / ١٦٧، ومصادر محققهما الطناحي، رحمه الله، وزد عليها: الوساطة ٤٤١، والفسر ١ / ٧٢٥، وسر الصناعة ٥٤١، واللامع ١٣٤٨، وتفسير أبيات المعاني ٧٠ / ١، والموضح ٢ / ٢٨، والتبيان ١ / ٣٥٠، والتذييل ٥ / ١١٧، ١١، والارتشاف ٥ / ٢٤١٢، وتمهيد القواعد ٩ / ٤٦٦٨.

ومن الأبيات التي رأى فيها الثعالبي (عسف الإعراب) قول المتنبي<sup>(٤٨)</sup>:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ  
أَغْدَاءُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ  
قال الثَّعَالِبِيُّ<sup>(٤٩)</sup>: «وحذف النون من (يكن) إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين؛ لأنها تتحرك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت». ولحذف نون «يكون» شروط، وهي: أن تكون بصيغة المضارع، وأن تكون مجزومة بالسكون وليس بحذف النون، وألا يتلوها حرف ساكن ولا ضمير متصل. وقد خالف المَتَنَّبِيُّ الشرط الأخير؛ إذ تلا النون ساكن، وكان القياس أن يحركها بالكسر لا أن يحذفها.

قال ابن جني<sup>(٥٠)</sup> في توجيه حذفها: «وهي في «فَلْيَكُنِ التَّبْرِيحُ» قَوِيَّةً بِالحَرَكَةِ؛ فَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يُحَذَفَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْتَدِ بِالحَرَكَةِ فِي النُّونِ لَمَّا كَانَتْ غَيْرَ لَازِمَةٍ ضَرُورَةً». ومع ذلك استساغ ابن جني هذا الحذف؛ لأنه قد ورد شيء منه في الشعر العربي، منه قول الشاعر<sup>(٥١)</sup>:

لَمْ يَكُ الحَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ  
رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّتْ بِالسَّرْرِ

٤٨- ديوان المتنبي ٥٩. الجلل: الأمر العظيم، وهو من الأضداد. والتبريح: الشدة. الرشأ: الظبي. والأغن: الذي في صوته غنة. الشَّيْحُ: نبت. والبيت هو مطلع قصيدة يمدح بها مساور بن محمد.

٤٩- اليتيمة ١ / ١٩٤.

٥٠- الفسر ١ / ٧٢٥-٧٢٥.

٥١- البيت في: النوادر ٢٩٥، والشعر ١١٤، وسر الصناعة ٤٤٠، ٥٤٠، والخصائص ١ / ٩١، واللامع العزيزي ٢٧٤، وتفسير أبيات المعاني ٦٩، والموضح ٢ / ٢٨، والتبيان ١ / ٢٤٣، وضرائر الشعر ١١٥، والتذييل ٤ / ٢٣٦، ٢٣٧، والارتشاف ٥ / ٢٤١٢، وتمهيد القواعد ٣ / ١١٧٦، والمقاصد الشافية ٢ / ٢١٣، ٨ / ٣٣١، والخزانة ٩ / ٣٠٤. وقد عَزَى البيت إلى حُسَيْلِ بن عُرْفُطَةَ، ونَصَّ في النوادر على أنه: حَسِيل، بفتح الحاء. والسَّرْر: موضع.

ففصل الشاعر بين المضاف «كف»، والمضاف إليه «يهودي» بالظرف، وهو قوله: «يومًا». وقد فصلوا بين المتضايقين بالظرف، والمصدر، وحروف الجر، وبالمفعول<sup>(٦٣)</sup>. وهذه الشواهد كلها تؤكد أن المتنبي جار على عرق له في هذا الفصل، وإن كان ضرورة يلز إليها ضيق المقام.

هذا، وقد أجاز ابن مالك<sup>(٦٤)</sup> الفصل بين المتضايقين بغير الأجنبي في حال السعة في مواضع، وتابعه على ذلك ابن عقيل<sup>(٦٥)</sup>، كأن يكون الفاصل جملة قسم، كحكاية الكسائي: هذا غلام - والله - زيد، أو أن يكون المضاف مصدرًا مضافًا إلى فاعله مفعولًا بمفعوله. وذكر ابن عقيل أن ذلك لا يختص بالشعر خلافًا لأكثر النحويين، والعمدة قراءة ابن عامر<sup>(٦٦)</sup>: ﴿قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وهي قراءة تعددت فيها آراء النحاة. ونقل أبو حيان الأندلسي<sup>(٦٧)</sup> أن الكوفيين أجازوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الجر؛ في الشعر، وفي الكلام. وقد سار المتنبي على نهج أصحابه وبلدييه.

فإذا كان الفصل بين المتضايقين كثيرًا في كلام العرب، وثبت من مذاهب النحويين ما يجيز إباحت ذلك، وكانت ضرورة الشاعر تجوز له هذا الفصل؛ فإن أبا الطيب لم يبتعد كثيرًا عما عهدته العرب في كلامهم.

\* \* \*

وقد أخذ الواحدي كلام ابن جني السالف وتوسع فيه، بل إنه رأى في حذف النون في قول المتنبي «فليك التبريح» وجهاً آخر، وهو أنه حذف النون مع الإدغام، وهذا لا يعرف؛ لأن من قال في بني الحارث: «بلحارث»؛ لم يقل في بني النجار: «بنجار»، إلا أن يكون المتنبي حذف النون من قبل، ثم جاء بالمدغم بعد<sup>(٥٧)</sup>.

\* \* \*

وأما البيت الذي ختم به الثعالبي حديثه عن (عسف الإعراب) فهو قول المتنبي<sup>(٥٨)</sup>:

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ ثَنَانِي حَدِيقَةً

سَقَاها الْحَجَابُ سَقِي الرِّيَاضِ السَّحَابِ  
قال الثعالبي<sup>(٥٩)</sup>: «أي: سقي السحاب الرياض».

ووجه اعتراض الثعالبي أن أبا الطيب فصل بين المضاف «سقي» والمضاف إليه «السحاب» بالمفعول الذي هو «الرياض». قال ابن جني<sup>(٦٠)</sup>: «والفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أسهل منه بالمفعول؛ لكثرة الظروف في الكلام؛ ولأنه قد جاء الفصل بها في مواضع لا يجوز الفصل بها بالمفعول». وقد ذكر ابن جني سبعة شواهد لهذه الظاهرة<sup>(٦١)</sup> جلها من كتاب سيبويه، منها بيت أبي حية النميري<sup>(٦٢)</sup>:

كَمَا خَطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا

يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ

٥٧- شرح ديوان المتنبي للواحدي ١٠٧.

٥٨- ديوان المتنبي ٢١٢. والبيت من قصيدة له في مدح طاهر بن الحسين. الحجا: العقل.

٥٩- اليتيمة ١ / ١٩٥.

٦٠- الفسر ١ / ٥٢٩.

٦١- الفسر ١ / ٥٢٧-٥٢٩.

٦٢- الكتاب ١ / ١٧٩. والبيت في: الخصائص ٢ / ٤٠٥، والفسر

١ / ٥٢٩، ومصادر محققه، والموضح ١ / ٣٧٤، والارتشاف ١٨٤٣،

٢٤٢٩، ومصادر محققه.

٦٣- اللامع العزيزي ١٦٣.

٦٤- في شرح التسهيل له ٣ / ٢٧٥-٢٧٦.

٦٥- في المساعد له ٢ / ٣٦٩-٣٧٢. وانظر: ما يجوز للشاعر في

الضرورة ١٠١، والارتشاف ١٨٤٦.

٦٦- انظر قراءة ابن عامر في: السبعة ٣٧٠، والبحر المحيط

٤ / ٢٢٩. وقد ضعفتها ابن جني في المحتسب ١ / ٣٣، واحتج بها في

الخصائص ٢ / ٤٠٧.

٦٧- في الارتشاف له ١٨٤٦.



١١. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
١٢. التَّبْيَانُ فِي شَرْحِ الدِّيْوَانِ الْمُنْسُوبِ لِأَبِي الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيِّ، تحقيق مصطفى السَّقَّا وصاحبِيه، دار المعرفة، بيروت.
١٣. التَّبْيَانُ عَنْ مَذَاهِبِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكَوْفِيِّينَ لِلْعَكْبَرِيِّ، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م.
١٤. التَّذْيِيلُ وَالتَّكْمِيلُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّسْهِيلِ لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ، تحقيق د. حسن هندأوي، صدر مُنْجَمًا عَنْ دَارِي الْقَلَمِ بِدَمَشْقٍ وَكُنُوزِ إِشْبِيلِيَّةِ بِالرِّيَاضِ، فِي الْأَعْوَامِ ١٩٩٧-٢٠٢١م. وَلَمَّا يَتَمَّ.
١٥. تَفْسِيرُ أَبْيَاتِ الْمَعَانِي مِنْ شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي لِأَبِي الْمُرْشِدِ الْمَعْرِيِّ، تحقيق مجاهد الصواف ومحسن غياض، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٩م.
١٦. تَفْسِيرُ أَرْجُوزَةِ أَبِي نُوَاسٍ فِي تَقْرِيطِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ لِابْنِ جَنِّي، تحقيق محمد بهجة الأثري، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٩٧٩م.
١٧. تَهْيِيدُ الْقَوَاعِدِ بِشَرْحِ تَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ لِنَاظِرِ الْجَيْشِ، تحقيق د. علي محمد فاخر وأصحابه، دار السَّلَامِ، الْقَاهِرَةَ، ط١، ٢٠٠٧م.
١٨. خَزَانَةُ الْأَدَبِ وَلِبِّ لِبَابِ لِسَانِ الْعَرَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَةَ، ١٩٨٩م.
١٩. الْخِصَائِصُ لِابْنِ جَنِّي، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
٢٠. نُرَّةُ الْغَوَاصِّ فِي أَوْهَامِ الْخَوَاصِّ لِلْحَرِيرِيِّ،

## فهرس المصادر والمراجع

١. ارتشاف الضَّرَبِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَةَ، ط١، ١٩٩٨م.
٢. الْأَصُولُ فِي النَّحْوِ لِابْنِ السَّرَّاجِ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٩٩م.
٣. الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٤. أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ، تحقيق د. محمود محمد الطَّنَاحِي، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَةَ، ط١، ١٩٩٢م.
٥. أَمَالِي الْمُرْتَضَى (غَرَرُ الْفَوَائِدِ وَدَرَرُ الْقَلَائِدِ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٤م.
٦. الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيِّ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٩٦١م.
٧. الْبَحْرُ الْمَحِيطُ لِأَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ، دار إحياء التراث العربي (مَصُورَةٌ عَنْ طَبْعَةِ مَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ)، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
٨. تَارِيخُ إِرْبِلَ لِابْنِ الْمُسْتَوْفِيِّ، تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، الْعِرَاقَ، ١٩٨٠م.
٩. تَارِيخُ الْإِسْلَامِ وَوَفِيَّاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٠. تَارِيخُ بَغْدَادَ، لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣١. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري، تحقيق د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦ م.
٣٢. شرح كتاب سيبويه للسيراني، تحقيق أحمد حسن ورفيقه؟ دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٣٣. شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده، تحقيق مصطفى السقا، ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
٣٤. الصبح المنبئ عن حيثية المتنبي ليوסף البديعي، المطبعة العامرة، ط ١، ١٣٠٨ هـ.
٣٥. ضرائر الشعر لابن عصفور، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢ م.
٣٦. الفتح على أبي الفتح لابن فورجة، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ٢، ١٩٨٧ م.
٣٧. الفسر لابن جني، تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط ١، ٢٠٠٤ م.
٣٨. الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
٣٩. كتاب الشعر لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨ م.
٤٠. الكشف عن مساوي شعر المتنبي للمصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٥ م.
٤١. اللامع العريزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز تحقيق عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.
٢١. ديوان رؤبة بن العجاج، صححه وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت.
٢٢. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
٢٣. ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٢٤. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تصحيح فريدريك ديتريشي، نشرة برلين، ١٨٦١ م. ونشرة أخرى تحقيق د. ياسين الأيوبي، ود. قصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.
٢٥. ديوان عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق د. حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠ م.
٢٦. ديوان النجاشي الحارثي، تحقيق د. عدنان محمد أحمد، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٢٧. السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠ م.
٢٨. سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق د. حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٤ م.
٢٩. سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٣ م.
٣٠. شرح أبيات سيبويه لابن السيراني، تحقيق د. محمد الربيع هاشم، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

٥١. المُنْصِفُ لابنِ جُنِّيِّ، تحقيقِ إبراهيمِ مصطفى  
وعبدِ اللهِ أمينِ، مطبعةُ البابيِ الحلبيِ، القاهرة،  
١٩٥٤م.
٥٢. المُنْصِفُ للسارقِ والمسروقِ منه في إظهارِ  
سرقَاتِ أَبِي الطَّيِّبِ المُنْتَبِيِّ لابنِ وكيعِ، تحقيقِ عمرِ  
خليفةِ بنِ إدريسِ، جامعةُ قاتِ يونسِ، بنغازي، ط١،  
١٩٩٤م.
٥٣. المَوْضِحُ في شرحِ شعرِ أَبِي الطَّيِّبِ المُنْتَبِيِّ  
للخطيبِ التَّبْرِيْزِيِّ، تحقيقِ د. خلفِ رشيدِ نعمانِ، دارِ  
الشُّؤْنِ الثَّقَافِيَّةِ العامَّةِ، بغداد، ط١، ٢٠٠٠م.
٥٤. نَزْهَةُ الأَلْبَاءِ في طبقاتِ الأُدبَاءِ لابنِ الأَنْبَارِيِّ،  
تحقيقِ د. إبراهيمِ السامرائيِّ، مكتبةُ المنارِ، الأردنِ،  
ط٣، ١٩٨٥م.
٥٥. النُّوَادِرُ في اللُّغَةِ لأبي زَيْدِ الأَنْصَارِيِّ، تحقيقِ  
د. محمدِ عبدِ القادرِ أحمدِ، دارِ الشُّرُوقِ ببيروتِ  
والقاهرة، ط١، ١٩٨١م.
٥٦. الوَافِي بِالوَفَايَاتِ للصفديِّ، تحقيقِ د. إحسانِ  
عباسِ، دارِ صادرِ، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
٥٧. الوَسَاطَةُ بَيْنَ المُنْتَبِيِّ وَخُصُومِهِ للقاضيِ  
الجرجانيِّ، تحقيقِ محمدِ أبو الفضلِ إبراهيمِ  
وعليِّ محمدِ البجاويِّ، مطبعةُ عيسى البابيِ  
الحلبيِّ، مصر.
٥٨. وَفَايَاتُ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أبنَاءِ الزَّمَانِ، لابنِ  
خلكانِ، تحقيقِ د. إحسانِ عباسِ، دارِ صادرِ، مصوِّرةٌ  
عن دارِ الثقافةِ، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
٥٩. يَتِيمَةُ الدَّهْرِ في محاسنِ أهلِ العَصْرِ للثَّعَالِبِيِّ،  
تحقيقِ د. مفيدِ قميحةِ، دارِ الكتبِ العلميَّةِ، بيروت،  
ط١، ١٩٨٣م.
- الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة، الرِّياضِ،  
ط١، ٢٠٠٨-٢٠١٢م.
٤٢. لسانُ العربِ لابنِ منظورِ، دارِ صادرِ،  
بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
٤٣. لسانُ الميزانِ لابنِ حَجَرِ العسقلانيِّ، تحقيقِ  
عبدِ الفتاحِ أبو غدةِ، دارِ البشائرِ الإسلاميَّةِ، بيروت،  
ط١، ٢٠٠٢م.
٤٤. ما يجوزُ للشاعرِ في الضَّرُورَةِ للقَزَّازِ  
القيروانيِّ، تحقيقِ د. رمضانِ عبدِ التَّوَابِ، ود. صلاحِ  
الدينِ الهاديِّ، دارِ العروبةِ، الكويتِ، ٢٠٠٨م.
٤٥. المُحْتَسَبُ في تبيينِ وجوهِ شواذِ القراءاتِ  
والإيضاحِ عنها لابنِ جُنِّيِّ، تحقيقِ عليِّ النجديِّ ناصفِ،  
وعبدِ الفتاحِ إسماعيلِ، ود. عبدِ الحلِيمِ النجارِ، المجلسِ  
الأعلى للشُّؤْنِ الإسلاميَّةِ، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
٤٦. المُسَاعِدُ على تسهيلِ الفوائدِ لابنِ عقيلِ،  
تحقيقِ محمدِ كاملِ بركاتِ، مركزِ البحثِ العلميِّ  
وإحياءِ التراثِ الإسلاميِّ، جامعةُ الملكِ عبدِ العزيزِ،  
١٩٨٠م.
٤٧. معجزُ أحمدٍ = شرحُ ديوانِ أَبِي الطَّيِّبِ  
المُنْتَبِيِّ.
٤٨. مغنيُّ اللبيبِ عن كتبِ الأعرابِ، لابنِ هشامِ،  
تحقيقِ د. مازنِ المباركِ، ومحمدِ عليِّ حمدِ اللهِ، دارِ  
الفكرِ، ط١، ١٩٩٨م.
٤٩. المقاصدُ الشافيةُ في شرحِ الخلاصةِ الكافيةِ  
للشاطبيِّ، تحقيقِ د. عبدِ الرحمنِ العثيمينِ، جامعةُ أمِّ  
القرى، مَكَّةُ المَكْرَمَةُ، ط١، ٢٠٠٧م.
٥٠. المُقْتَضِبُ للمُبَرِّدِ، تحقيقِ محمدِ عبدِ الخالقِ  
عزيمةِ، عالمِ الكتبِ، بيروت.

# ابتكارات تقنية من المخطوطات العربية

د. مها الشعار\*

مقدمة:

يتناول البحث الابتكارات التقنية التي ضمتها المخطوطات العربية بين دَفْتَيْهَا موثقة تاريخ تطور العلوم والمعارف كلها في ظل الحضارة العربية/ الإسلامية، والمخطوطات العربية كالبهر العميق بحاجة إلى من يغوص في أعماقه بحثاً عن كنوزه، وقد استهواني الغوص في بطون بعض من هذه المخطوطات بحثاً عن اختراعات عملية لعلمائنا ومهندسينا أهل ذكراها، وقد انتقلت إلى الغرب بطرائق عدة، فارتكز عليها علماءهم مستفيدين منها، مطورين لها دون ذكر أصلها.

الابتكار كلمة مشتقة من البكر: أول كل شيء، وكل فعلة لم يتقدمها مثلها، وابتكر الشيء: ابتدعه غير مسبق إليه<sup>(١)</sup>، وابتكر الجهاز: اخترعه، ابتدعه واستنبطه غير مسبق إليه<sup>(٢)</sup>، أما التقنية فهي مشتقة من تقن، وتقن الشخص العمل: أحكمه وأجاده، وتقانة: هي تطبيق العلم والهندسة لتطوير الآلات والإجراءات من أجل تجويد أو تحسين الظروف الإنسانية أو رفع فعالية الإنسان من وجهة ما، وهي علم الصنائع والفنون والأساليب المستخدمة في مختلف فروع الصناعة<sup>(٣)</sup>.

نستعرض فيما يلي بعض من هذه الابتكارات لعلمائنا نستحث همة بعض الباحثين المهتمين بالمنجزات العلمية للحضارة العربية/ الإسلامية للبحث عن المزيد منها فيما يتوفر بين أيديهم من مخطوطات.

## أولاً-قلم الحبر الجاف:

بدأنا البحث بالحديث عن اختراع القلم لأهميته في تسجيل ما مر على البشرية من حوادث وأخبار، وقد تحدث القلقشندي عن القلم ومكانته قائلاً: (اعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها رتبة، إذ المباشر للكتابة دون غيره،

\* أستاذ مساعد في معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب.

١- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، جمهورية مصر العربية، باب الباء، مادة «بكر»، ص٦٧.

٢- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، حرف الباء، مادة «بكر»، ص٢٤.

٣- عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف التاء، مادة «تقن»، ص٢٩٥.

به، فيكون آلة عجيبة لم نعلم أننا سبقنا إليها ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها، فقلت: ويكون هذا يا مولانا؟! قال: يكون إن شاء الله. فما مر بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة، به، معمولاً من ذهب، فأودعه المداد وكتب به فكتب، وزاد من المداد على مقدار الحاجة، فأمر بإصلاح شيء منه، فأصلحه وجاء به يقرب في اليد، ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء من المداد، فإذا أخذه الكاتب وكتب به أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد.

فرايت صنعة عجيبة لم أكن أظن أنني أرى مثله، وتبين لي مثل حسن في أنه لا يسمح بما عنده إلا عند طلب ذلك منه، وفيما يعود بالنفع مما جعل سبباً له، ولا وجود لغير مبتغ ولا يرجى ما فيه إلا لمن يجب إخراج ذلك له لمن يحب، ولا يخرج منه ما يضر فيلطم يد من يمسكه أو ثوبه أو ما لصق به، فهو نفع ولا ضرر، وجواد لمن سأل، وممسك لمن لم يسأل، ومستغن بما فيه عن غيره أن يستمد منه<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن هذا الاختراع بقي حبيس القصر الفاطمي، إذ لم نجد له ذكراً بعد ذلك، فلو كان انتشر بين الناس لضجت المخطوطات بالحديث عنه، لكن عاد ذكر هذا الابتكار مرة أخرى على يد ابن عساكر أثناء حديثه عن صاعد بن الحسن بن صاعد المتطبب (كان حياً سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧٢ م) الذي ينتسب إلى مدينة رحبة مالك الواقعة بين الرقة وبغداد على شاطئ نهر الفرات؛ إذ ذكر أن صاعداً صنع قلماً من الحديد

وغيره من آلات الكتابة كالأعوان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فأقسم به، وذلك في غاية الشرف<sup>(٤)</sup>.

ظهرت الحاجة إلى القلم عندما رغب الإنسان في حفظ الحوادث التي مرت عليه، وكان القصب المجوف من أوائل المواد التي استعملها الإنسان لصنع الأقلام منذ ٤٠٠٠ ق.م، ثم استعمل ريش الأجنحة لطيور الإوز والبجع خلال القرن السادس قبل الميلاد، فكان يتم تقوية قصب الريشة أولاً، ثم يقطعون طرفها الأسفل ويشقونه كي يصبح صالحاً للكتابة، وكان يتم غمسه في الدواة ليتم الكتابة به<sup>(٥)</sup>، وقد وجب على الكاتب أن يحمل الدواة والقلم أينما ذهب، لكن كان عليه الانتباه جيداً كيلا يلوث أكماله وثيابه بحبر الدواة.

بقي هذا التلوث يقض مضجع الكتاب، مما جعل المعز لدين الله الفاطمي (حكم بين سنتي ٣٤١هـ - ٣٦٥هـ / ٩٥٣م - ٩٧٦م) يطلب صنع قلم ذي مواصفات خاصة ذكرها القاضي النعمان بن محمد في مادة (في صناعة القلم الذي اخترعه الإمام المعز) في مخطوطته (المجالس والمسائرات) بقوله إن المعز لدين الله ذكر القلم: (فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم، ثم قال: نريد أن نعمل قلماً يكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمدته وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم ناشفاً منه، يجعله الكاتب في كمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه، ولا يرشح شيء من المداد عنه، ولا يكون ذلك إلا عندما يبتغي منه ويراد الكتابة

٤- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، ج٢، الباب الثاني، ص٤٣٥.

٥- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، مج١، مادة «القلم»، ص٢٩٨.

٦- النعمان بن محمد، القاضي (ت سنة ٣٦٣هـ)، كتاب المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شُبوح ومحمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٧٨م، ص٣١٩ - ٣٢٠.



## ثانياً-طواحين المد والجزر:

اخترعت الطاحونة منذ أقدم العصور، وقد ظهر هذا الاختراع وتطور لتلبية حاجة الإنسان من مادة الطحين الأساس في صناعة رغيف الخبز.

كانت الطاحونة الرائجة من طواحين طحن الحبوب المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي الطاحونة المائية الثابتة التي كانت تُبنى على ضفاف الأنهار، وتعتمد على قوة تدفق مياه النهر لتشغيل الطاحونة، ويعيد بعضهم اختراع الطاحونة المائية إلى الرومان (والمرجح أن العجلة المائية، جرى اختراعها حول عام ١٠٠ ق.م في مكان ما من الدولة الرومانية للإفادة من طاقة الأنهار المناسبة بتحويلها إلى قوة يمكن استخدامها عملياً، وكان تيار النهر المناسب بقوة يدير العجلة المائية وهي عجلة خشبية كبيرة ركبت عليها ريش خشبية كبيرة، شكلت كل ريشة منها على هيئة الجاروف، وكانت هذه العجلة المائية تحرك الطواحين فتطحن الحبوب، وتنتج الدقيق، وتيسر للناس الحصول على لقمة العيش)<sup>(١٠)</sup>.

لكن في مدينة البصرة العراقية التي بُنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن ممكناً بناء مثل هذه الطواحين لأن ميل الأراضي في منطقة البصرة كان قليلاً<sup>(١١)</sup>، فكانت قوة جريان المياه في الأنهار ضعيفة لا يمكن الاستفادة منها في إدارة الطواحين، لذا لجأ أهل مدينة البصرة إلى ابتكار طريقة جديدة لإيجاد طاقة تدير طواحينهم، إذ أثارت حركتنا المد والجزر اللتان تحدثان مرتين في كل يوم

١٠- لارسن، إيجون، تاريخ التكنولوجيا، ج١، ترجمه عن الألمانية مصطفى ماهر، إعداد وإخراج حلمي مراد، ص ٣٨-٣٩.  
١١- الشعار، مها، «المخطوطات العربية وتأريخ المشاريع الهندسية»، مجلة المخطوط العربي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، العدد ٢، ص ٧٢ وما يليها.

يُملاً حبراً ويخدم نحو شهر(وكان يُغرب<sup>(٧)</sup> في أشياء اخترعها منها: ميزان عمله يشيل الحجارة الثقال، وقلم حديد للجف يملؤه ماداً يخدم قريباً من شهر لا يجف، وأشياء من هذا الفن)<sup>(٨)</sup>.



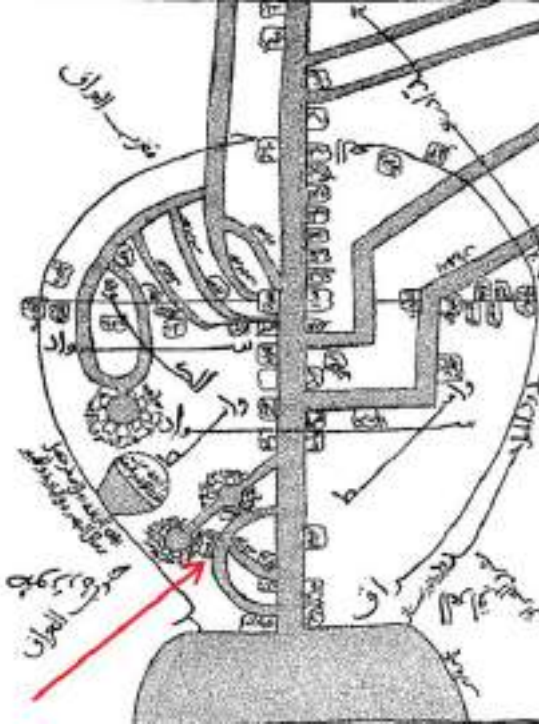
وهكذا يمكننا القول إن القلم المخزن للحبر، الذي صنع في عهد المعز لدين الله الفاطمي، وأعاد صنعه صاعد، إبداع عربي منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>(٩)</sup>، أي قبل ثمانية قرون من أول قلم حبر خزان عُرف في أوروبا، وهو قلم F.B.Foelsh سنة ١٨٠٩ م، وقلم J.Scheffer سنة ١٨١٩ م

٧- غرب الشيء كان غير مألوف ولا مأنوس.

عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج٢، حرف الغين، مادة «غرب»، ص ١٦٠١.

٨- ابن عساكر، علي بن الحسن، تهذيب تاريخ ابن عساكر، هذبه ورتبه ابن بدران، منشورات المكتبة العربية، دمشق، ١٣٤٩ هـ، الجزء السادس، الصفحة ٣٦٠.

٩- موالدي، مصطفى، مادة «صاعد بن الحسن بن صاعد»، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، المجلد الثاني عشر، ص ١٢.



خريطة العراق كما رسمها ابن حوقل توضح موقع مدينة البصرة والأنهار الواصلة إليها ومدى تأثير البحر في أنهارها<sup>(١٥)</sup>.

### ثالثاً- الطاحونة القارب-العروب:

العروب عبارة عن قوارب مصنوعة من الخشب والحديد توضع في وسط النهر الشديد الجريان، وتثبت في قعر النهر بسلاسل حديدية كيلا يجرفها التيار، ويبدو أن اسمها مشتق من كلمة العربة التي تعني النهر الشديد الجرية<sup>(١٦)</sup>.

١٥- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٩.

ملاحظة: اعتاد الجغرافيون العرب رسم الخرائط مقلوبة، أي اتجاه الشمال إلى الأسفل واتجاه الجنوب إلى الأعلى، وقد قمنا بقلب الخارطة كي تتضح لنا.

١٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وذكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، حرف العين، مادة «عرب»، ص ٧٤٨.

وليلة اهتمام أهل المدينة، ففي أثناء عملية المد تدخل مياه البحر إلى مجاري الأنهار التي تنحسر مياهها، وفي أثناء عملية الجزر تنحسر مياه البحر، وتعود مياه الأنهار إلى مجاريها، فقرروا الاستفادة منها بتركيب أرحية على أفواه الأنهار تعمل بالطاقة المائية الناتجة عن حركة الأمواج الداخلة والخارجة<sup>(١٣)</sup>.

ذكر ابن حوقل مدى قوة المد والجزر في البصرة في مخطوطته (صورة الأرض) قائلاً: (ويتشعب فوق البصرة ومن تحتها أنهار كثيرة...، وهذه الأنهار الكبار كلها متخرقة بعضها إلى بعض، وكذلك عامة أنهار البصرة حتى إذا جاءهم مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير تكلف، وإذا جزر الماء عنها وانحط خلت منه البساتين والنخيل، وبقيت أكثر الأنهار فارغة)<sup>(١٣)</sup>.

وذكر المقدسي ابتكار أهل البصرة في مخطوطته (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) قائلاً: (المد والجزر أعجوبة على أهل البصرة ونعمة، يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى، فإذا جزر أفاد أيضاً عمل الأرحية لأنها على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها)<sup>(١٤)</sup>.

وعليه يمكن اعتبار أهل البصرة سابقين في استغلال الطاقة الناتجة عن المد والجزر التي يطالب باستغلالها الآن كثير من الدول المتقدمة كطاقة بديلة.

١٣- مترن، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٣.

١٣- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٢١٢-٢١٣.

١٤- المقدسي، أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليون، مطبعة برييل، ١٨٧٧م، ص ١٢٤-١٢٥.

ونصب العربات وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة، وتنقل من موضع إلى موضع<sup>(١٨)</sup>. ويبدو أن هذه التقنية انتشرت في العالم الإسلامي انتشاراً واسعاً، فذكرها ياقوت الحموي (٥٧٤-٦٢٦ هـ / ١١٧٩-١٢٢٩م) في مخطوطته (معجم البلدان) قائلاً: (والعربة بلغة أهل الجزيرة: السفينة تعمل فيها رعى في وسط الماء الجاري مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه، وهي مولدة فيما أحسب)<sup>(١٩)</sup>، وذكر أنه في مدينة بصرى، وهي (مدينة من نواحي الأهواز صغيرة، ولهم نهر يسمونه دجلة بصرى، فيه سبعة أرحية في السفن، والنهر منها على رمية سهم)<sup>(٢٠)</sup>.

وقد وصل انتشار هذه التقنية إلى مدن الأندلس، إذ ذكر الإدريسي في مخطوطته (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وجود هذه الطواحين في مدينة مرسية الأندلسية، فقال: (مدينة مرسية قاعدة أرض تدمير، وهي في مستو من الأرض على النهر الأبيض، ولها ربح عامر أهل، وعليها وعلى ربحها أسوار حصينة وحظائر متقنة، والماء يشق ربحها وهي على ضفة النهر المعروف، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب، ولها أرحاء طاحنة في المراكب مثل طواحين سرقسطة التي هي تركب في مراكب تنتقل من موضع إلى موضع)<sup>(٢١)</sup>، كما تم استعمال

استفاد أهالي المدن الواقعة بين نهري دجلة والفرات من طاقة جريان الأنهار بقوة لطحن الحبوب، ولكن بطريقة مختلفة عن الطواحين الثابتة، إذ ثبتت أحجار الطواحين على القوارب المثبتة بسلاسل حديدية وسط مجرى النهر الشديد الجريان، فكانت الطاقة المائية الناتجة عن تدفق المياه الشديد تدير أحجار الطواحين.

ذكر ابن حوقل في مخطوطته (صورة الأرض) أنها موجودة في عدة مدن ولا سيما الواقعة في منطقة الجزيرة: (وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقل نظيرها في كثير من الأرض لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية، موثقة بسلاسل الحديد، في كل عربة منها أربعة أحجار، ويطن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين قرًا، وهذه العروب من الخشب والحديد، وربما دخل فيها شيء من الساج، وكانت ببلد المدينة التي عن سبعة فراسخ منها عروب كثيرة دارت إعمالاً وجهازاً إلى العراق، وبمدينة الحديثة منها عداد تعمل في وسط دجلة، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل وسائر ديار ربيعة، وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار، وكان بالفرات للرقعة وقلعة جعبر ما لا يداني هذه العروب ولا كثرتها، وبمدينة تفليس في نفس الكرّ منها شيء به تقوم أقوات أهل تفليس، وهي دونها في الفخم والعظم وبتكريت وعكبرا والبردان منها شيء باق، ... وليس ببغداد شيء منها)<sup>(١٧)</sup>.

وقد أكد القزويني في مخطوطته (آثار البلاد وأخبار العباد) وجود هذه الطواحين في الموصل: (وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها، ونصب النواعير على الماء يديرها الماء بنفسه،

١٨- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٤٦١-٤٦٢.

١٩- ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج ٤، باب العين والراء وما يليهما، مادة «عَرَبَات»، ص ٩٦.

٢٠- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، باب الباء والصاد وما يليهما، مادة «بصرى»، ص ٤٤٢.

٢١- الشريف الإدريسي، محمد بن محمد (من علماء القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٥٥٩.

١٧ (( ابن حوقل، صورة الأرض، ج ١، ص ١٩٨.



طاحونة القارب في كتاب فاوستو فيرانزيو  
رابعاً-تقنية نقل الرمال:

تميزت منطقة سيستان التي سُميت بالعربية: سجستان، وهي منطقة حدودية في شرق إيران وجنوب غرب أفغانستان<sup>(٢٤)</sup> كما ذكر ياقوت الحموي بأن: (أرضها كلها رملة سبخة، الرياح فيها لا تسكن أبداً، ولا تزال شديدة تُدير رحبهم، وطحنهم كله على تلك الرحي)<sup>(٢٥)</sup>.



خريطة توضح موقع إقليم سيستان (سجستان).

٢٤- موسوعة المعرفة، مادة «سيستان»،

<https://www.marefa.org>

٢٥- ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب السين والجيم وما

يليهما، ج ٢، مادة «سجستان»، ص ١٩٠.

هذه الطواحين في مدينة طرطوشة القريبة من مدينة بلنسية في الأندلس: «وفي واديهما الحوت الطيب من البوري والشوري الذي يكون في الواحد قنطار، ويخرج منه السمور، وفيه أرحاء في القوارب يكون بيت الرحا في القارب، والدولاب يدور خارج القارب بالماء، فإن شاء صاحبها ينقل القارب من موضع إلى موضع. ومثل هذا بالموصل كثير في دجلة، وهم يسمونه العربة»<sup>(٢٢)</sup>.

وربما كان مشاهدة هذا الابتكار في المدن الأندلسية هو السبب الرئيس لانتقاله إلى أوروبا، فنجد رسوماً له في بعض كتب علمائهم، إذ عثر على شرح مفصل لطاحونة القارب كما وصفها ابن حوقل في كتاب نوافي ماشيناي المؤلف عام ١٦١٥ م لـ فاوستو فيرانزيو<sup>(٢٣)</sup>.



نموذج طاحونة القارب من معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في ألمانيا.

٢٢- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤

23- Sezgin, F., Science and Technology in Islam. the Institute for the History of Arabic-Islamic Science. Frankfurt am Main. 2010. V. 5. P. 31.

انظر محيّد، يحيى، استخدام مصادر الطاقة في التراث العلمي العربي حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بإشراف أ.م.د.مها الشعار، ٢٠٢٠م، ص ١٢٨ وما يليها.



هذا ما حققه الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموي في قصره الذي بناه في مدينة الزهراء الأندلسية. يقع قصر الخلافة في مدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر عام ٣٢٥هـ / ٩٣٦م، (تحت جبل العروس من قبلة الجبل، وشمال قرطبة، وبينها وبين قرطبة ثلاثة أميال أو نحو ذلك، وأتقن الصنعة فيها، وجعلها متنزهًا ومسكنًا)<sup>(٢٧)</sup>، وقد وصفت أبنية المدينة بأنها من عجائب أبنية الدنيا، كانت المدينة تقع على ثلاثة مدرجات، فكانت القصور تحتل المدرج الأعلى، ذكر الحميري في مخطوطته (صفة جزيرة الأندلس) أن الزهراء (مدينة في غربي قرطبة، بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد، بينها وبين قرطبة خمسة أميال، وكانت في ذاتها، مدرجة البنية، وهي مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى على الحد الأوسط، وسطح الثلث الأوسط على الثلث الأسفل، فكان الحد الأعلى منها قصورًا يعجز الواصفون عن وصفها)<sup>(٢٨)</sup>.



خريطة توضح موقع مدينة الزهراء.

٢٧- المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ج ١، ص ٥٢٣.  
٢٨- الحميري، محمد بن عبد الله، صفة جزيرة الأندلس، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ. لافي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م، ط ٢، حرف الزاي، مادة «الزهراء»، ص ٩٥.

لكن رغم أهمية تلك الرياح في إدارة طواحين الحبوب كانت تتسبب بأذى كبير لأهل المنطقة؛ إذ إنها كانت تحمل معها كميات كبيرة من الرمال التي كانت تترسب عندما يصادفها أي عائق كجدار بيت أو سور عال، ولما لم تكن تلك الرياح تهدأ أبدًا كان باستطاعتها في مدّة زمنية قصيرة أن تطمر مدن وقرى بأكملها تحت كثبان الرمال، لذا كان لا بد لأهل المنطقة من ابتكار تقنية تحميهم من الدفن تحت الرمال.

ذكر أن الأهالي عندما كانوا يرغبون بنقل كتيب من الرمل تشكل قرب بيوتهم كانوا يحيطون ذلك الكتيب بجدار من الأشواك والأخشاب أعلى من الكتيب، ثم يفتحون بابًا أسفل ذلك الجدار، فتدخل الرياح إلى المنطقة المحصورة فتثير زوبعة رملية حاملة تلك الرمال بعيدًا عن البيوت؛ (تشتد رياحهم وتدوم على أنهم قد نصبوا عليها أرحية تدور بها، وتنقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها لطمست على المدن والقرى، وبلغني أنهم إذا أحيوا نقل الرمل من مكان إلى مكان من غير أن يقع على الأرض التي إلى جانب الرمل، جمعوا حول الرمل مثل الحائط من حطب وشوك وغيرهما بقدر ما يعلو على ذلك الرمل، وفتحوا إلى أسفله بابًا، فتدخله الرياح، فتطير الرمال إلى أعلاه مثل الزوبعة، فيقع على مد البصر حيث لا يضرهم)<sup>(٢٦)</sup>.

وهكذا استغل أهل منطقة سجستان طاقة الرياح في إدارة طواحينهم، وفي الوقت نفسه لتخلصهم من الكثبان الرملية التي كانت تترسب في قرَاهم ومدنهم. **خامسًا- المسبح الخاص:**

من منا لا يحلم بامتلاك مسبح خاص به في أوقات الحر القانظ يُبرد فيه جسده، ويبعد عنه التعب والإرهاق الذي يصيبه جراء درجات الحرارة المرتفعة،

٢٦- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٠.



أمين الخليفة الحكم، لا رابع لهم، فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقاراً، وأقصر عنه إقصاراً، فأمر الخليفة حاجبه جعفرًا بسبقه بالنزول في الصهرج ليسهل الأمر فيه على القاضي، فبادر جعفر لذلك، وألقى بنفسه في الصهرج، وكان يحسن السباحة، فجعل يجول يميناً وشمالاً، فلم يسع القاضي إلا إنفاذ أمر الخليفة، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر، ولاذ بالقعود في درج الصهرج، وتدرج فيه بعض تدرج، ولم ينبسط في السباحة، وجعفر يمر مصعداً مصوباً، فدسه الحكم على القاضي، وحمله على مساجلته في العوم وهو يعجزه في إخلاذه في القعود، ويعابثه بإلقاء الماء عليه والإشارة بالجدب إليه، وهو لا ينبعث معه ولا يفارق موضعه<sup>(٣٢)</sup>.

بُدى بإنشاء أحواض السباحة العامة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، وكان الغاية منها في البداية دينية، وأقدم حمام سباحة عام معروف في العالم موجود في موهين جو دارو في باكستان، الذي يقدر أنه بني في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وقد استعمل للتطهير، ويمكن القول إنه لنفس الهدف بنيت أحواض كوتام بوكونا في سريلانكا القديمة في القرن الرابع قبل الميلاد<sup>(٣٣)</sup>، لكن منذ القرن الثامن قبل الميلاد استُخدمت المسابح العامة عند اليونان للاستحمام والصحة والاحتفال الديني والتعارف<sup>(٣٤)</sup>، كما تذكر كتب التاريخ أنه كان يوجد

كان عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي استلم الحكم عام ٣٠٠هـ / ٩١٢م، ودام حكمه خمسين عاماً من أزهى العهود في تاريخ المسلمين بالأندلس<sup>(٣٩)</sup>، وقد كان الناصر كلفاً بعمارة الأرض، وإقامة معالمها، وانبساط أمرها، واستجلابها من أبعد بقاعها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة<sup>(٣٠)</sup>.

كانت بساتين القصر واسعة، أقام الناصر فيها (محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج، ومسارح للطيور مظلة بالشباك)<sup>(٣١)</sup>، وما يلفت الانتباه أنه في موضع آخر من بستان الزهراء أقام حوضاً للسباحة وسط الرياض، وزوده بدرج ليسهل بواسطته النزول في الماء والصعود منه، وقد أشار الفتح بن خاقان في مخطوطته (مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس) إلى هذا الحوض في معرض حديثه عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي في عهد الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر، فقال: (حضر عند الحكم المستنصر بالله يوماً في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة، ووسط روضة نافحة، في يوم شديد الوهج، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة، فشكا إلى الخليفة من وهج الحر الجهد، وبث منه ما تجاوز الحد، فأمره بخلع ملابسه والتخفيف عن جسمه، ففعل ولم يُلطف ذلك ما به، فقال له: الصواب أن تنغمس في وسط الصهرج انغماسة يبرد بها جسمك، وليس مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلي

٣٢- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت ٥٢٩هـ) /

١١٣٥م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٥٦.

33- Misachi. John. The Oldest Swimming Pools in the World. <https://www.worldatlas.com>

34- The History of Pools. <https://www.swimmingpool.com>

٢٩- كولان، ج. س، الأندلس، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٩٨٠م، ص ١٢٢.

٣٠- المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص ٥٧٠.

٣١- المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١، ص ٥٦٦.

٨٠ إلى ١٠٠ م، ويجلس الشخص أو يستلقي على مقعد خشبي، ثم يبدأ بالتعرق، ويُنظف حمام السونا الجسم من الأدران والوسخ المتمكن في الجلد أكثر من الحمام العادي، وربما الشخص بالعافية والهدوء<sup>(٣٧)</sup>.

أما في الموسوعة البريطانية فقد ذُكر أن السُّونا هي: (حمام بخار من المياه الملقاة على أحجار ساخنة، وقد تكون السُّونا مستمدة من الحمامات التي وصفها هيرودوت، الذي يخبرنا أن سكان سيثيا في وسط أوراسيا ألقوا الماء والقنب على الحجارة الساخنة لخلق بخار، وترتبط السُّونا بالشعب الفنلندي، إذ بنى الفنلنديون حاويات خشبية بالقرب من حافة البحيرات، وفي الداخل توجد صفوف من الحجارة المسطحة تشبه الأرفف، ويوجد بها مكان لإشعال نار تحتها، حيث تم حرق الخشب لتسخين الحجارة، وعندما تكون الحجارة ساخنة يتم إلقاء الماء البارد عليها لتوليد البخار)<sup>(٣٨)</sup>.

ما ذكر في الفقرة السابقة يُدعى بغرفة البخار، وهناك اختلاف بين السُّونا وغرفة البخار، ففي السُّونا تُستخدم الحرارة الجافة، بينما في غرفة البخار يتم الاعتماد على حرارة بخار الماء المشبع بذررات الماء والنتائج عن إلقاء الماء على الحجارة الساخنة، والاختلاف الآخر أن درجات الحرارة في السُّونا تصل إلى ٧٠-٨٠ درجة مئوية، بينما تكون في حمام البخار نحو ٤٠ درجة مئوية، لذا فالناس الذين لا يستطيعون تحمل حرارة عالية في الساونا يفضلون الذهاب لغرف البخار<sup>(٣٩)</sup>.

٣٧- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مج ١٣، حرف السين، مادة «سونا»، ص ٢٧٢.  
38- Eldridge. Alison. «sauna - bath», Encyclopedia Britannica .  
<https://www-britannica-com.translate.google/topic/sauna>

٣٩- الفرق بين غرفة البخار والساونا، ٢٠٢١،  
<https://ar.weblogographic.com/difference-between-steam-room-and-sauna->

مغاطس مياه راكدة جماعية في الحمامات الرومانية<sup>(٣٥)</sup>، وتزخر كتب التاريخ بوصف البرك المنشأة في حدائق القصور ودور الأغنياء بهدف الاستمتاع بمنظر مياهها، ولكن أقدم إشارة عثرنا عليها حتى الآن في المصادر العربية تشير بوضوح إلى إنشاء مسبح منزلي خاص بهدف الاستمتاع بالسباحة هو مسبح قصر الخلافة في الزهراء بعد أن زُوّد بدرج لتسهيل نزول السباحين إلى الماء وصعودهم منه، ويبدو أنه كان واسع الدرجات بحيث استطاع القاضي الجلوس عليها وعدم مغادرته لها رغم كل إغراءات الخليفة وأمينه له، ويظهر من الكلام الوارد سابقاً أنه أنشئ في منطقة منعزلة من حديقة القصر ليستمتع الخليفة وخاصته بالسباحة فيه بعد أن يخففوا من ملابسهم دون أن تراهم العين الفضوليين.

#### سادساً- الحمام اليابس (السُّونا الآن):

تُعرّف السُّونا بأنها نوع خاص من الاستحمام لتنظيف الجسم والاسترخاء، ويُسمى أيضاً حمام البخار، وفيه يتصعب العرق من الجسم نتيجة التعرض للحرارة الجافة، وتعني كلمة السُّونا غرفة أو حماماً عمومياً، أو المكان الذي يُستخدم للاستمتاع بحمام جاف<sup>(٣٦)</sup>.

والمعلومات التي نتحدث عن أصل السُّونا قليلة، وأحياناً متضاربة، فبعضهم أعاد أصلها إلى الشعب الفنلندي، وبعضهم أعادها إلى الحمامات الرومانية، وفيما يأتي مختصر لما توصلنا إليه:

ذُكر في الموسوعة العربية العالمية: (صارت السُّونا تقليداً في فنلندا منذ ألف عام، وفي السونا تُسخن الحجارة على الفرن، فيصبح متوسط درجة حرارة الغرفة بمعدل

٣٥- كواكبي، سعد زغلول، «الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب»، عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي، الكتاب الأول، ١٩٧٥، ص ١٥٣.

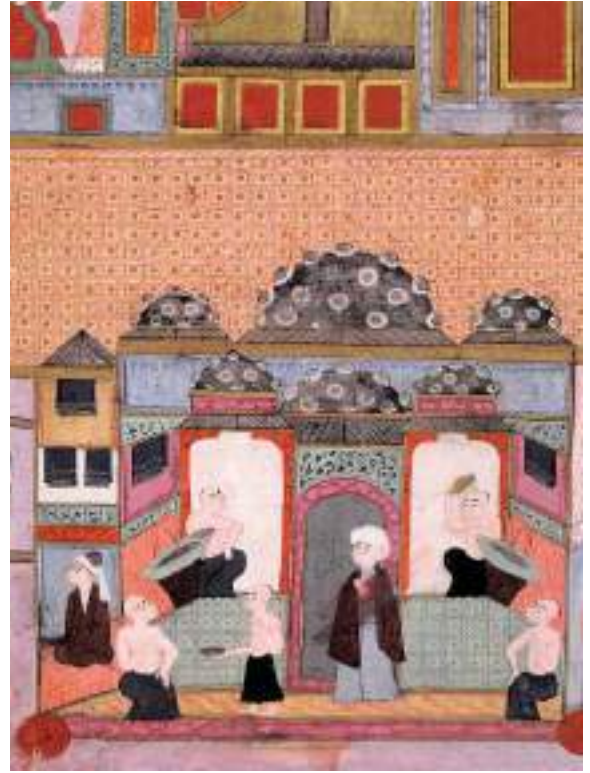
٣٦- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مج ١٣، حرف السين، مادة «السُّونا»، ص ٢٧٢.

ومن خلال وصف فيتروفينوس لطريقة بناء الحمامات الرومانية كي تحظى بتدفئة كاملة نجده يذكر المواصفات الواجب توافرها في غرفة التعرق التي تُعدُّ قسماً رئيساً من الحمام، فيشرح أنه كان يتم بناء الأرضيات المعلقة لغرف الحمامات الساخنة بطريقة مد أرض الحمام السفلية بحيث تكون مائلة باتجاه الأتون، وبذلك تنتشر حرارة النار بشكل أسرع تحت الأرضية المعلقة، ثم يتم فوقها بناء دعائم من الطوب، وتوضع على مسافات متساوية بعضها إلى بعض، ثم تُغطى بالبلاط، ويجب أن تكون غرفة التعرق الجافة دائرية المسقط، وذلك لكي تتمكن قوة النار والحرارة أن تنتشر انتشاراً متساوياً من المركز إلى المحيط<sup>(٤١)</sup>.



أرضية حمام روماني في بومبي تظهر فيها الدعائم الحاملة لأرضية الحمام لتأمين مرور البخار الساخن بينها.

بالمقابل كانت المنطقة الواقعة في الطرف الآخر من البحر المتوسط مثل سورية (التي أصبحت مركزاً للحكم الأموي فيما بعد) خاضعة للحكم الروماني، وقد استفاد العرب المسلمون من المباني والمنشآت التي وجدوها بعد فتحهم لهذه البلاد كالحمامات الرومانية المنشأة في عهد الإمبراطورية الرومانية التي كانت عبارة عن مجمع من المباني الفخمة، فيه غرفة متوسطة الحرارة تسمى تيبدياريوم، وغرفة بخار ساخن تسمى كالداريوم، وغرفة ذات بركة ماء بارد تسمى فريجيداريوم، وقد ورث العرب الذين سكنوا هناك تقاليد الحمام وطورها<sup>(٤٢)</sup>، ثم انتقلت تلك الحمامات فيما بعد إلى أنحاء العالم العربي / الإسلامي كلها.



منمثلة تظهر أجزاء من الحمام العام الذي كان منتشرًا في أنحاء العالم الإسلامي.

٤١- فيتروفينوس، الكتب العشرة في العمارة، إعداد يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠٠٩، الفصل العاشر: الحمامات، ص ١٥٤ وما يليها.

٤٢- مجموعة من المؤلفين، ألف اختراع واخترع، المحرر المسؤول سليم الحسني، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، المملكة المتحدة، مادة «الحمامات العامة»، ص ٢٢٠.

وفيما يلي وصف ابن مندويه الدقيق لهذا الحمام: «صفة الحمام اليابس: تؤخذ إجانة<sup>(٤٣)</sup> واسعة الرأس مثل إجانة القصارين<sup>(٤٤)</sup>، ويكون قعرها أيضاً في السعة مثل رأسها، وفي جوفها مثل كرسي يجلس عليها الإنسان، ويكون لرأسها غطاء مهندهم بنصفين، وفي الوسط من مُلتقى النصفين تقوير على قدر ما يسع فيه عنق الإنسان، فيحفر في الأرض حفرة هي في العمق والسعة على قدر تلك الإجانة، ثم يهيئ فيها الإجانة، ويترك حولها مقدار فراغ من الأرض، ثم يُحفر حفراً مدوراً بمقدار ذراع من الأرض في السعة إلى أن يتجاوز أسفل الإجانة بشبر أو نحوه، فإذا احتيج إليه أوقد في هذه الحفرة المدوّرة إلى أن تنفذ الحرارة إلى الإجانة، ويصير بحيث لا يحرق، ثم يدخل الإنسان في الإجانة، ويجلس على الكرسي الذي فيها ويغطي رأس الإجانة بنصفين كما يكون رأسه خارجاً منها، ويلبث كذلك إلى أن ينصبّ عرقاً ثم يخرج»<sup>(٤٥)</sup>.

وعليه نرجح أن الحمام اليابس الذي وصفه الطبيب ابن مندويه في مخطوطته «الأطعمة والأشربة» هو اختراع أصله غرفة التعرق التي كانت موجودة في الحمامات المنتشرة في عصره، إلا أنه طورها، فجعلها سهلة الصنع، رخيصة التكاليف، أجزاءها متوفرة في متناول اليد، يمكن إقامتها في أي مكان، وقد توصل إلى طريقة لحفظ الحرارة داخل

وقد وجدنا في مخطوطة (الأطعمة والأشربة) التي كتبها الطبيب ابن مندويه الأصفهاني<sup>(٤٦)</sup> (عاش في القرن الرابع-الخامس للهجرة) وصفاً دقيقاً للحمام اليابس، أو ما يُعرف اليوم باسم السّونا الجاف، لكن بشكل مبتكر جديد، تكلفته بسيطة، ومواده متوفرة، ومخصص لمعالجة شخص واحد<sup>(٤٧)</sup>.

ذكر ابن مندويه أنه يجب إحضار وعاء يشبه الوعاء الذي يستعمله القصارون في تبييض الثياب، واسع، له نفس السعة من الأعلى إلى الأسفل، مفتوح من الأعلى، وتُغطى فتحته بغطاء مقسوم إلى نصفين، وفي الوسط عند نقطة التقاء النصفين توجد فتحة تسع عنق الإنسان، ثم يُحفر في الأرض حفرة يوضع فيها الوعاء، ويترك فراغ حول الحفرة، ثم يُحفر حفرة مدورة حول الوعاء بعمق ذراع أي ما يعادل ٥٠ سم تقريباً حتى تصبح أعمق من أسفل الوعاء بمقدار شبر، أي ما يعادل ٢٢ سم في الوقت الحاضر، وتشعل النار في الحفرة المدورة، فتنفذ الحرارة إلى الوعاء بحيث تكون مقبولة لا تتسبب بأي حرق للجسم، ثم يوضع كرسي في الوعاء ليجلس عليه المريض، ويوضع الغطاء على الوعاء، فيبقى رأس المريض فوق الغطاء بينما جسمه داخل الوعاء المحكم الغطاء، فيتصيب جسد المريض عرقاً.

٤٢- ابن مندويه: هو الطبيب أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه ولد في أصفهان، وكانت له أعمال مشكورة في صنعة الطب، عمل في بيمارستان أصفهان، وذاعت شهرته حتى وصلت إلى عضد الدولة فناخسرو (٣٣٩ - ٣٧٣ هـ / ٩٥١ م - ٩٨٣ م) الذي قام بإنشاء البيمارستان العضدي في بغداد سنة (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م)، واختار (٢٤) طبيباً من كل موضع، وكان ابن مندويه أحدهم. تترفادي، محمد، تحقيق ودراسة مخطوط الأطعمة والأشربة لأحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بإشراف أ.م.د. مها الشعار، ٢٠٢٠م، ص وما يليها.

٤٣- إجانة: إناء تُغسل فيه الثياب.

مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، باب الهمة، مادة «أجن»، ص ٧.  
٤٤- القصارين: من فعل قصر، قصر الثوب: دقّه وبيّضه فهو مُقَصَّرٌ، وقصر الثوب قَصارة: دقه وبيّضه، وقصر اللون أزاله أو خففه.  
مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، باب القاف، مادة «قصر»، ص ٧٣٨  
٤٥- ابن مندويه الأصفهاني، أحمد بن عبد الرحمن، مخطوطة «الأطعمة والأشربة»، مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم (٢٠٤٠) ضمن مجموعة من ٩٩٩-١٠٤١، ومنها نسخة مصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي في حلب تحت رقم (٢٤ / ٤٥٧)، فصل في أشياء لا بد منها في كل وقت، مادة «الحمام اليابس»، الورقة ٦٧ (ظ).



ثامناً-الآبزن (حوض الاستحمام- البانيو  
الآن):

كلمة آبزن فارسية الأصل، ويبدو أنها مشتقة من كلمة (آب بَازْ)، معناها غواص، سباح، (لاعب ماء)<sup>(٤٧)</sup>، والآبزن: إناء من حديد أو من نحاس مصنوع على شكل التابوت على قدر قامته الإنسان أو أقصر منه عليه غطاء مثقوب يضع فيه الأطباء المريض ويُخرجون رأسه من الثقب فيداونه بصب المطبوخات أو الماء المغلي بالأدوية الحارة، ويطلق آبزن بالفارسية أيضاً على الحوض الصغير أيضاً، ومنه عُرب (الآبزن) وهو حوض يُغتسل فيه، ويُعرف بالمغتس وقد يُتخذ من نحاس، وأهل مكة يقولون بازناً للحوض الذي يأتي إليه ماء العين عند الصفاء لأنه شبه حوض»<sup>(٤٨)</sup>.

لا نعلم متى عُرف الآبزن في فارس، ولكن نجد ابن مندويه قد شرح ماهية الآبزن بشكل مفصل في مخطوطته مما يعني أنه لم يكن معروفاً في ذلك الوقت في بغداد، وقد شرحه رغبة منه في نشر استعماله في معالجة المرضى، وقد ذكر موضعاً أنه حوض طويل بمقدار طول الإنسان، وعمقه بمقدار طول جسم الإنسان إذا كان جالساً فيه شرط أن يبقى رأسه خارجاً منه، ويوضع على فتحة الحوض غطاء مهندم بقدر الفتحة، وفي وسط الغطاء فتحة قطرها كاف ليخرج الإنسان رأسه منها، ويمكن أن يُبنى الآبزن في الحمام ثم يُملأ ماءً، وللمريض حرية الجلوس فيه أو أن يضطجع فيه، وإذا أردنا نقله من مكان لآخر

٤٧- كسرائي، شاکر، قاموس فارسي عربي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، حرف آ، مادة «آب باز»، ص٨

٤٨- شير، إدي، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٧-١٩٨٨م، باب الهمزة، ص٧.

الوعاء بصنع غطاء محكم لفتحة الوعاء مع إخراج رأس الشخص من فتحة في وسط الغطاء، مما يجعل المريض يتنفس براحة دون أن يتضايق من الحرارة، وهو بذلك جعل هذا الحمام متاحاً لجميع المرضى حتى المرضى ذوي القلب الضعيف الذين لا يتحملون الحرارة العالية، وهذا تطوير واضح لغرفة الساونا التي ذكرنا سابقاً أن هناك أناساً لا يتحملون البقاء فيها لشدة الحرارة، كما توصل ابن مندويه إلى طريقة نشر الحرارة فيها بشكل متساو عندما قرر أن تكون الوعاء في مركز الحفرة التي توجد فيها النار الدائرية الشكل وعمقها أكثر من منسوب أرضية الحمام بنحو شبر، وبذلك حول ابن مندويه حمام التعرق (الحمام اليابس) من العمومية إلى الخصوصية لمعالجة شخص مريض واحد فقط.

سابعاً-طريقة أخرى لحمام يابس:

ذكر ابن مندويه طريقة أخرى للحصول على حمام يابس يمكن اللجوء إليها في حال صعوبة القيام بالحل الأول، وهو أن يُسخن التنور حتى تصبح حرارته يطبقها جسم الإنسان، ثم تُطفأ النار، ويُدخل المريض جسده إلى التنور، ويجلس على لبنة ليكون جسده بعيداً عن أرض التنور، ويبقى رأسه خارج التنور، ثم تُسد فوهة التنور حول رأسه بالثياب لمنع تسرب الحرارة من التنور، ويبقى المريض جالساً في التنور حتى يتصبب جسده عرقاً «وقد يعرّق الإنسان بغير هذه الحيلة، وهو أن يُسخن التنور ويُنزع عنه النار، ويُدخل الإنسان فيه إلى عنقه، ويكون رأسه خارج التنور، ويُغطى رأس التنور بثياب، ويجلس فيه على لبنة موضوعة حتى يعرق كيف شاء»<sup>(٤٦)</sup>.

٤٦- ابن مندويه الأصفهاني، مخطوطة «الأطعمة والأشربة»، فصل (في أشياء لا بد منها في كل وقت)، مادة «الحمام اليابس»، الورقة ٦٧ (ظ).



عمره بعد وفاة والده، فسكن في قصر أبيه، فغير وزاد وهدم منشآت أبيه ليعيد بناءها على نطاق أوسع.

من ضمن المنشآت الجديدة التي أمر خمارويه بإقامتها في حديقة في القصر بركةً مربعة الشكل، طول ضلعها ٥٠ ذراعاً أي ما يعادل ٢٥م تقريباً، أي بلغت مساحة البركة ٦٢٥م<sup>٢</sup>، ويبدو أنها كانت عميقة وإن لم يُذكر مدى عمقها، إلا أن ابن تغري بَردي ذكر في مخطوطته (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) أن خمارويه أنفق أموالاً عظيمة من أجل عمل هذه البركة وإكساء جدرانها بمواد عازلة تمنع السوائل من التسرب، ثم ملئت بالزئبق بعد أن رُكبت سلك فضية في زواياها، وتُبت فيها حلقات ضخمة من الفضة، ثم أمر بعمل فراش من الجلد، وأمر بنفخه بالهواء حتى يمتلئ بشكل جيد، فيُحك عندئذ سده، ثم ألقى هذا الفراش على سطح بركة الزئبق بعد أن شد من أطرافه بزنانير حديدية مبروطة بإحكام في الحلقات الفضية، فكان خمارويه ينزل فيستلقي عليه، (وجعل بين يدي هذا القصر فسقية مملأها زئبقاً، وسبب ذلك أنه اشتكى إلى طبيبه كثرة السهر وعدم النوم، فأشار عليه بالتكبيس، فأنف من ذلك وقال: لا أقدر على وضع يد أحد علي، فقال له الطبيب: تأمر بعمل بركة من زئبق، فعمل البركة المذكورة، وطولها خمسون ذراعاً في خمسين ذراعاً عرضاً ومملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالاً عظيمة، وجعل في أركان البركة سلكاً من فضة، وجعل في السكك زنانير من حديد محكم الصنعة في حلق من فضة، يُحشى بالرياح حتى ينتفخ فيُحك حينئذ شده، ويُلقى على تلك البركة الزئبق ويشد بالزنانير الحديد التي في حلق الفضة المقدم نكرها، وينزل خمارويه فينام على هذا الفرش، فلا

فيجب صنعه من المعدن كالفضة أو النحاس أو أي معدن آخر.

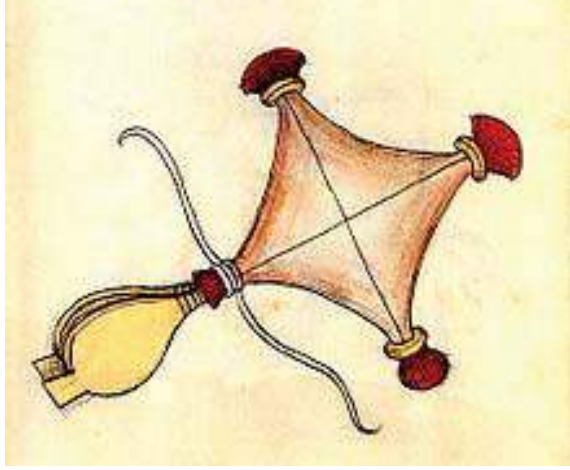
«صنعة الأبن: الأبن حوض مطوّل على مقدار طول الإنسان يُبنى في الحمّام، فيملاً ماء، ويجلس العليل ويضطجع فيه، وقد يتخذ للنقل من مكان إلى مكان من فضة أو نحاس أو غيرهما، وتكون جوانبه على مقدار إذا جلس فيه العليل كان رأسه خارجاً منها في الفضاء، ويكون لرأسه طبق مهندم على مقدار مقوّر من الطّرف الذي يلي رأس الإنسان حتّى إذا جلس، ووضع عليه الطّبق صار عنقه في ذلك التقوير ورأسه خارجاً منه»<sup>(٤٩)</sup>.

#### تاسعاً- السرير الهوائي (المرتبة الهوائية)<sup>(٥٠)</sup>:

استلم أحمد بن طولون حكم مصر في الفترة (٢٥٤-٢٧٠هـ / ٨٦٨-٨٨٤م)<sup>(٥١)</sup>، فشهدت البلاد على يديه عهداً جديداً، فقد كان سياسياً قديراً خبيراً، استقل ذاتياً بأمر البلاد، وترك عدة منشآت عمرانية مهمّة في مصر، منها: القصر الطولوني في القاهرة الذي بناه فوق ربوة صخرية تُدعى بجبل يشكر الواقع في الجهة الجنوبية من القاهرة -حي السيدة زينب اليوم<sup>(٥٢)</sup>، وبعد وفاته تولى حكم مصر والشام والثغور ابنه أبو الجيوش خمارويه (حكم ٢٧٠-٢٨٢هـ / ٨٨٤-٨٩٦م)، وهو لا يزال في العشرين من

٤٩- ابن مندويه الأصفهاني، مخطوطة «الأطعمة والأشربة»، فصل (في أشياء لا بد منها في كل وقت)، مادة «صنعة الأبن»، الورقة ٦٧ (ظ).

٥٠- الشعار، مها، «عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني»، مجلة إحياء التراث العلمي العربي، العدد الخاص بوقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي) لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٥٦٩-٥٨٤ صفحة. ٥١- عكوش محمود، تاريخ ووصف الجامع الطولوني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، ط١، ص١١٤ وما يليها. ٥٢- عكوش، تاريخ ووصف الجامع الطولوني، ص١٥.



صورة للفراش الهوائي الذي نسب اختراعه لكونراد كييسر.

عاشراً- استخدام معدن الفضة لتعقيم المياه<sup>(٥٦)</sup>:

تحتوي المياه الملوثة كثيراً من الجراثيم والفيروسات الضارة التي تسبب كثيراً من الأمراض مثل التيفوئيد والكوليرا والزحار والتهاب السحايا وشلل الأطفال وغيرها، والأمراض المتعلقة بالماء هي من أبرز المشاكل الصحية في العالم في وقتنا الحاضر، لذلك نالت الآليات المتبعة لتعقيم المياه وتطويرها اهتمام الحكومات والعلماء، هذا الاهتمام جعل معظم الناس يعتقدون أن تقنية تعقيم المياه هي تقنية حديثة، وربما يعود السبب في هذا الاعتقاد عدم قدرة القدماء رؤية تلك الكائنات الدقيقة، لكن بالعودة إلى المصادر العربية القديمة وجدنا أن العلماء القدماء أدركوا وجود هذه الكائنات، وحاولوا التخلص منها بعدة طرائق، بعضها كان ناجحاً، وبعضها يمكن عدّه أساساً لتقنيات حديثة.

56- AL-SHAAR, Maha. «Water Sterilization Technology in the History of Arabic/ Islamic Sciences». The Iranian Journal for the History of Science (Tarikh-e Elm). University of Tahrán-Institute for the History of Science. Vol. 12. NO.1. Spring& Summer 2016. Pp. 1-15.

يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه، وكانت هذه البركة من أعظم الهمم الملوكية العالية، وكان يُرى لها في الليالي القمرية منظر عجيب إذا تألف نور القمر بنور الزئبق<sup>(٥٣)</sup>.

ربما كانت الإشارة التي وردت في النص السابق أول إشارة ترد في كتب التاريخ عن السيرير الهوائي (المرتبة الهوائية)<sup>(٥٤)</sup> الذي يوضع على وجه الماء (هنا كان الزئبق)، ويستعمل للاستلقاء عليه، والذي انتشر في وقتنا الحاضر انتشاراً واسعاً جداً، وأصبح جزءاً من الأدوات التي نستخدمها حين نذهب في رحلات الاستجمام على شواطئ البحر، وتكثر مواقع الشبكة العنكبوتية التي تتحدث عن التجارب الحديثة؛ قيد التجربة حالياً؛ والتي تبين أن السيرير الهوائي له فوائد طبية كثيرة خاصة للمرضى الذين يعانون آلام الظهر، ولكن تعيد المراجع الأجنبية الفضل باختراعها إلى كونراد كييسر (ولد في سنة ١٣٦٦، ومات بعد ١٤٠٥)، وهو مهندس عسكري ألماني انضم للحملة الصليبية ضد الأتراك، وألف كتاباً عن التكنولوجيا العسكرية (نحو ١٤٠٥م)، وكان هذا الكتاب شائعاً خلال القرن الخامس عشر<sup>(٥٥)</sup>.

٥٣- ابن تَغْرِي بَرْدِي جمال الدين يوسف (٨١٣-٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ج٣، ما وقع من الحوادث سنة ٢٧٠، ص٥٥.

٥٤- المرتبة الهوائية: هي كيس قابل للطي يملأ بالهواء ليأخذ شكل المرتبة العادية، ويستعمل في الرحلات السياحية ورحلات الكشافة ورحلات الصيد، ويستعمله كذلك في أحواض السباحة الكبار والأطفال كوسيلة للترفيه.

Wikipedia the Free Encyclopedia , Air mattress , <https://en.wikipedia.org>

55- Wikipedia the Free Encyclopedia . Konrad Kyeser. <https://en.wikipedia.org>

وقد لوحظ أن تأثير الفضة المبيد للجراثيم يتعلق بتركيز شوارد الفضة أكثر من علاقته بالطبيعة الفيزيائية لمصدر هذه الشوارد<sup>(٦٠)</sup>، ودفعت هذه الخاصية العلماء في الوقت الحاضر إلى دراسة تأثير شوارد الفضة على الجراثيم والميكروبات الضارة الموجودة في المياه في محاولة لاستعمال الفضة بديلاً عن الكلور في عملية تعقيم المياه، فيذكر الدكتور المهندس بسام العجي<sup>(٦١)</sup> في مقالة له بعنوان «مشاكل استخدام الكلور الفعّال في تطهير مياه الصرف الصحي» أن استخدام كميات غير كبيرة من أيونات الفضة والنحاس والذهب يقود إلى تطهير المياه، فمثلاً تحتاج لتطهير المياه من الأحياء الممرضة باستخدام أيونات الفضة ذات التركيز ٠,١٥ مغ / ل إلى مدّة تماس للمياه مع هذه الأيونات لا تقل عن أربع ساعات.

تسمى هذه الطريقة في الوقت الحاضر بعملية **كاتادين**، وهي تعتمد في التعقيم على إزالة البكتريا بفعل بعض شوارد المعادن كشوارد الفضة Ag، ولهذا يلزم كميات قليلة من الفضة<sup>(٦٢)</sup>.

وفيما يأتي بعض محسنات استعمال شوارد الفضة لتعقيم المياه:

١- الاكتفاء بجرعات صغيرة من الفضة لإزالة الجراثيم العادية إذا استعملت بدقة ومهارة.

تمر المياه غير المعقمة بعدة مراحل لمعالجتها حتى تصبح نقية صافية صالحة للشرب، وقد تبين للعلماء نتيجة الدراسات الحديثة أن **أيونات الفضة** تأثيرات مثبتة قوية على الجراثيم الممرضة، وأظهرت الفضة فعالية كبيرة في معالجة الحروق، والتهاب العظم والنقي المزمن الشديد، والمسالك البولية، والتهابات القسطرة الوريدية المركزية<sup>(٥٧)</sup>، وقد أجريت بعض الأبحاث لمعرفة التأثير الدقيق للشوارد في بعض أنواع البكتيريا، ومن هذه الأبحاث الدراسة المنشورة في مجلة Journal of Biomedical Materials Research، وتبين أن هذه الشوارد قادرة على التأثير في جدران الخلية الجرثومية<sup>(٥٨)</sup>، فعمل الفضة يكون (على سطح الخلية) حيث تبقى هذه المواد على الغشاء الخلوي، فتؤثر في نفاذيتها، فيتحول من نفاذية اختيارية إلى نفاذية عشوائية، ومن ثمّ يُفضي ذلك إلى دخول المواد السامة إلى الخلية أو خروج مواد وعناصر ضرورية للخلية.

عرف الإنسان هذه الخاصية لمعدن الفضة، فاستعملها الإنسان منذ القديم لمعالجة الجروح الملتهبة، وأدخلها في تركيب بعض المراهم المضادة للالتهابات، ذكر ابن البيطار في مخطوطته (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) أن الفضة تفيد في علاج «العلل المتكونة من العفونة»<sup>(٥٩)</sup>.

57- (1) Q. L. rang, «A Mechanistic Study of the Antibacterial Effects of Silver Ions on Escherichia coli and Staphylococcus aureus», Journal of Biomedical Materials Research. Volume 52, Issue 4, 15 December 2000, P. 662.

58- (2) Q. L. rang, «A Mechanistic Study...» p 665.

٥٩- ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة المثنى، بغداد، المجلد الثالث، مادة «فضة»، ص ١٦٤.

٦٠- حجار، سلوى، معالجة مياه الشرب، منشورات جامعة

حلب، كلية الهندسة المدنية، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٢

٦١- العجي، بسام، «مشاكل استخدام الكلور الفعّال في تطهير

مياه الصرف الصحي»، موقع الهندسة المدنية في الجامعة الهاشمية،

الأردن، الموقع الإلكتروني <http://civil.8k.com/articles/water3.htm>

٦٢- حجار، معالجة مياه الشرب، ص ٢٦٥.



صورة لقربة الماء المصنوعة من جلد الشاة.

#### الخاتمة:

قدمنا في هذا البحث نماذج لابتكارات تقنية أصيلة أنجزت في ظل الحضارة العربية / الإسلامية اخترعها أسلافنا من علماء وأطباء ومهندسين، لكن جرى تجاهل أسمائهم ونُسبت أعمالهم لغيرهم، وكان للسيطرة الإعلامية العالمية للدول الغربية الكبرى ومحاولتها طمس هويتنا الحضارية أكبر أثر في خلق فجوة كبيرة بين جيل الشباب وبين معارفهم التاريخية العلمية والتقنية، إذ باتوا يعرفون عن حضارات الشعوب والبلاد الأخرى أكثر مما يعرفونه عن حضارتهم، وحتى المعارف الضئيلة التي يتذكرونها عن حضارتهم تشوبها معلومات مغلوبة وغير صحيحة، ولرفع الغشاوة عن عيونهم وزيادة الوعي الحضاري عندهم وجب البحث عن طرائق جذابة تشير اهتمامهم، وتبرز الجوانب العلمية والهندسية في حضارتنا العريقة مثل إنشاء متحف للعلوم الهندسية العربية يضم نماذج متنوعة من منجزات أسلافنا التي تظهر مدى تقدمهم وإبداعهم في مجال العلوم التقنية والتطبيقية ودورهم في تقدم الحضارة الإنسانية العلمية وتطورها، ويكون هذا المتحف مفتوحاً للعامة ولطلاب المدارس والجامعات، مما يزيد من الوعي الجماهيري، ويزيد من الحس الوطني لدى أجيال المستقبل.

٢- أثر متبّقٍ مديد وقوي في كبح نمو الجراثيم وتثبيته.

٣- تمنع نمو الطحالب والفتور.

٤- لا تؤثر تغيرات تركيز العضويات في سعة إبادة الجراثيم لشوارد الفضة<sup>(٦٣)</sup>.

وقد عُرِف أن شوارد الفضة حين تكون بتراكيز ضعيفة قاتلة للجراثيم ومبيدة للطحالب بشكل قوي، وقد لوحظ اختفاء متعضيات السببيروجيرا من الماء الذي يحتوي على كمية قليلة من الفضة المترسبة من بعض أملاحها.

لم تُذكر طريقة استخدام الفضة بكميات قليلة لتعقيم المياه في الحضارات القديمة إلا عند العرب الذين أدركوا قدرة الفضة الفائقة على قتل البكتريا والكائنات الدقيقة والطحالب، فكانوا يستعملون القرب<sup>(٦٤)</sup> المصنوعة من جلد الشاة لحمل الماء اللازم في الأسفار، فكانت القربة تُمَلَأ ما يقرب من ثلاثة أرباعها بالماء، والباقي هواء، ويوضع في الماء قطع معدنية من عملات الفضة، وفي أثناء الرحلات الطويلة المسافات تهتز المياه، وتختلط بالفضة في القربة، فتحتك القطع بعضها ببعض مما ينتج عنه ذوبان جزء بسيط من الفضة في الماء في صورة مسحوق فائق النعومة يؤدي إلى قتل البكتريا وتطهير الماء<sup>(٦٥)</sup>.

٦٣- حجار، معالجة مياه الشرب، ص ٢٤٢ وما يليها.

٦٤- القرب: جمع قربة وهي ظرف من الجلد يُخْرَز من جانب واحد، وتستعمل لحفظ الماء أو اللبن ونحوهما.

مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، باب القاف، مادة «قرب»، ص ٧٢٣.

٦٥- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، مادة «الفضة»، // http://

ar.wikipedia.org

## المصادر والمراجع

-الشعار، مها، «عجائب هندسية وتقنية من القصر الطولوني»، مجلة إحياء التراث العلمي العربي، العدد الخاص بوقائع المؤتمر الدولي العلمي الثالث (الافتراضي) لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٥٦٩-٥٨٤ صفحة.

-الشعار، مها، «المخطوطات العربية وتأريخ المشاريع الهندسية»، مجلة المخطوط العربي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، العدد ٢، ٧٢-٨٩ صفحة.

-شير، إدي، الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٧-١٩٨٨ م.

-عكوش، محمود، تاريخ ووصف الجامع الطولوني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، ط١.

-عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

-فاخوري، محمود وخوام، صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

-فيتروفيسوس، الكتب العشرة في العمارة، إعداد يسار عابدين وعقبة فاكوش وياسر الجابي، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ٢٠٠٩.

-القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م.

-القرزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.

-كسرائي، شاكر، قاموس فارسي عربي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

-كواكبي، سعد زغلول، «الحمامات في حلب عبر التاريخ والأدب»، عاديات حلب، معهد التراث العلمي العربي، الكتاب الأول، ١٩٧٥.

-كولان، ج. س، الأندلس، كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

-لارسن، إيجون، تاريخ التكنولوجيا، ترجمه عن الألمانية مصطفى ماهر، إعداد وإخراج حلمي مراد.

-ابن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة المثني، بغداد.

-ابن تَغْرِي بَرْدِي، جمال الدين يوسف (٨١٣-٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

-ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

-ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله (ت ٥٢٩هـ / ١١٣٥م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

-ابن عساكر، علي بن الحسن، تهذيب تاريخ ابن عساكر، هذبه ورتبه ابن بدران، منشورات المكتبة العربية، دمشق، ١٣٤٩هـ.

-ابن مندويه الأصفهاني، أحمد بن عبد الرحمن، مخطوطة «الأطعمة والأشربة»، مكتبة أحمد الثالث بإستانبول رقم (٢٠٤٠) ضمن مجموعة من ٩٩٩-١٠٤١، ويوجد منها نسخة مصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي في حلب تحت رقم (٤٥٧ / ٢٤).

-تلفراي، محمد، تحقيق ودراسة مخطوط الأطعمة والأشربة لأحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بإشراف أ.م.د. مها الشعار، ٢٠٢٠م.

-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٢هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، راجعه واعتنى به محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

-حجار، سلوى، معالجة مياه الشرب، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة المدنية، ٢٠٠٦م.

-الحميري، محمد بن عبد الله، صفة جزيرة الأندلس، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيتها إ.لافي بروفنصال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م، ط٢.

-الشريف الإدريسي، محمد بن محمد (من علماء القرن السادس الهجري)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.



in Islam. The Institute for the History of Arabic-Islamic Science. Frankfurt am Main. 2010. V. 5.

- AL-SHAAR. Maha. «Water Sterilization Technology in the History of Arabic/ Islamic Sciences». The Iranian Journal for the History of Science (Tarikh-e Elm). University of Tahran- Institute for the History of Science. Vol. 12. NO.1. Spring& Summer 2016. Pp. 1-15.

### المراجع الإلكترونية:

- العجي، بسام، «مشاكل استخدام الكلور الفعال في تطهير مياه الصرف الصحي»، موقع الهندسة المدنية في الجامعة الهاشمية، الأردن، الموقع الإلكتروني <http://civil.8k.com/articles/water3.htm>

- الفرق بين غرفة البخار والساونا، ٢٠٢١، <https://ar.weblogographic.com/difference-between-steam-room-and-sauna->

- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، مادة «الفضة»، <http://ar.wikipedia.org>

- موسوعة المعرفة، مادة «سيستان»، <https://www.marefa.org>

Eldridge, Alison. «sauna - bath», Encyclopedia Britannica.

<https://www-britannica-com.translate.goog/topic/sauna>

- The History of Pools. <https://www.swimmingpool.com>

- Misachi. John. The Oldest Swimming Pools in the World. <https://www.worldatlas.com>

- Wikipedia the Free Encyclopedia. Air mattress. <https://en.wikipedia.org>

- Wikipedia the Free Encyclopedia. Konrad Kyeser. <https://en.wikipedia.org>

-متن، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد أبو رييدة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة.

-مجموعة من المؤلفين، ألف اختراع واخترع، المحرر المسؤول سليم الحسني، مؤسسة العلوم والتكنولوجيا والحضارة، المملكة المتحدة.

-مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، جمهورية مصر العربية.

-مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- محييد، يحيى، استخدام مصادر الطاقة في التراث العلمي العربي حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، بإشراف أ.م.د.مها الشعار، ٢٠٢٠م.

- المقدسي، أبو عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧٧م.

-المقري، أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وتحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

-موالدي، مصطفى، مادة «صاعد بن الحسن بن صاعد»، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، المجلد الثاني عشر.

-النعمان بن محمد، القاضي (ت سنة ٣٦٣هـ)، كتاب المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شُبُوح ومحمد اليعلوي، منشورات الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ١٩٧٨م.

-ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

### المراجع الأجنبية:

- Q. L. rang, «A Mechanistic Study of the Antibacterial Effects of Silver Ions on Escherichia coli and Staphylococcus Aureus», Journal of Biomedical Materials Research. Volume 52, Issue 4, 15 December 2000.

- Sezgin. F., Science and Technology

# مقدمة نادرة لمخطوطة رياضية في القرن الثالث عشر الهيلادي

(علمية - أدبية)

د. مصطفى موادي\*

امتاز معظم العلماء العرب خلال فترة الحضارة العربية / الإسلامية بتعدد اهتماماتهم العلمية، وتمكنهم من أدواتهم المنطقية: العلمية واللغوية والأدبية، وكمثال عن هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم، تقدم للباحثين مقدمة نادرة لمخطوطة رياضية وضعت في القرن الثالث عشر الميلادي بعنوان: (أساس القواعد في أصول الفوائد) لكمال الدين الفارسي (-عالم الرياضيات والفيزياء- توفي ٧١٨هـ / ١٣١٩م)، وهي مقدمة فريدة لمخطوطة رياضية تربط الرياضيات بالأدب في عرض سلس، وتعرض أفكاراً أصيلة باستخدام المصطلحات الرياضية بأسلوب أدبي يتوغل في خبايا النفس البشرية، وتستكمل الأسس العلمية المطلوبة لتقديم كتاب يحاكي كتاباً في عصرنا الحالي من حيث المنهج والمحتوى.

ولعرض البحث سنتبع المخطط الآتي:

أولاً- تقديم المخطوطة: «أساس القواعد في أصول الفوائد».

ثانياً- التعريف بمؤلف المخطوطة ومؤلفاته:

١-٢- مؤلف المخطوطة.

٢-٢- مؤلفات المؤلف.

ثالثاً- طريقة تحقيق مخطوطة: «أساس القواعد في أصول الفوائد».

رابعاً- النص المحقق.

خامساً- الأفكار الرئيسية في مقدمة مخطوطة «أساس القواعد في أصول الفوائد».

سادساً- الخاتمة.

\* أستاذ في معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب.

تتألف مخطوطة «أساس القواعد...» من مقدمة وخمس مقالات: تعالج الحساب، والمعاملات وقوانين البيوعات، وأنواع المساحات للسطوح والمجسمات، والمقالتان الأخيرتان حول الجبر.

ولمخطوطة «أساس القواعد...» أهمية خاصة في تاريخ الرياضيات العربية، لأنها تعطينا فكرة دقيقة عن الرياضيات عامة بكل فروعها خلال القرن الثالث عشر الميلادي.

ألف كمال الدين مخطوطته بل موسوعته الرياضية بدقة بالغة وبوضوح جلي، فقد برهن المسائل والقوانين الرياضية وفصلها ووضّحها وحلّها وطوّرها وشرحها، وأعطى أمثلة عديدة وأضاف إليها دراسات مهمة، وانتقد ابن الخوام البغدادي أحياناً، وصحح أخطاءه.

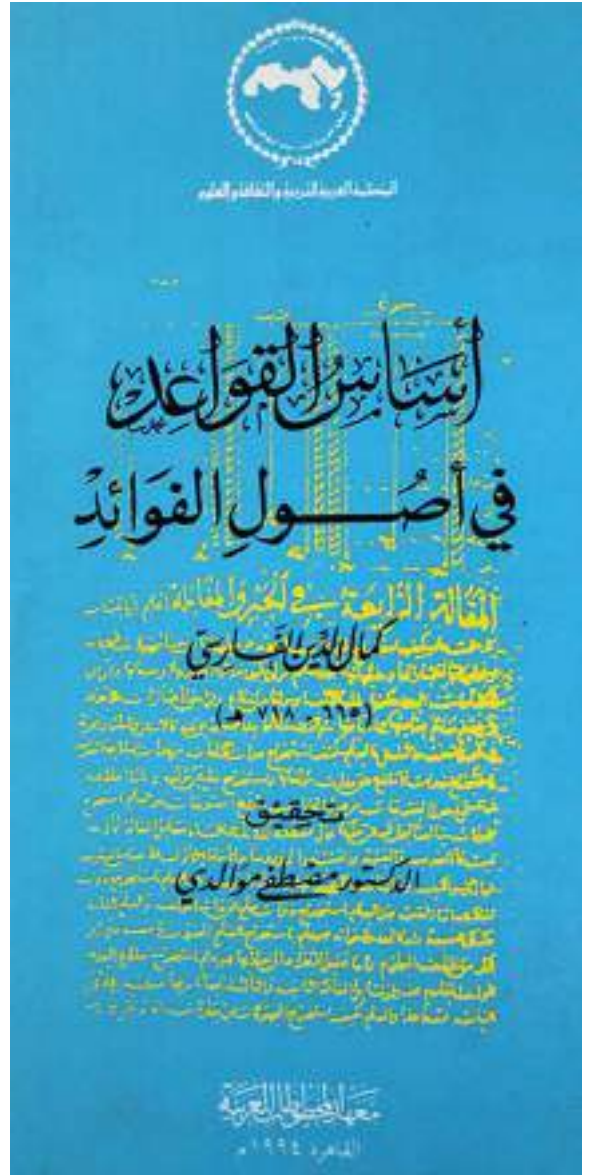
تأثر بعض الرياضيين العرب بأعمال الفارسي مثل: عماد الدين يحيى الكاشي (القرن الرابع عشر الميلادي)، وجمشيد الكاشي (بين القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر الميلادي)، واليزدي (القرن السابع عشر الميلادي)، ويعدون ورثة طريقة الفارسي الذي تأثر بالجبر الحسابي حسب تقليد الكرجي ومدرسته.

إن محتوى مخطوطة كمال الدين وتعدد نسخ مخطوطة «أساس القواعد...»، تكشف عن أهمية هذه المخطوطة في العالم العربي / الإسلامي وانتشارها، مما يؤكد أن الفارسي رياضياً لا يقل عنه عالماً بصرياً.

### ثانياً - التعريف بمؤلف المخطوطة ومؤلفاته: ٢-١- مؤلف المخطوطة:

ولد كمال الدين الحسن بن علي بن الحسن الفارسي<sup>(٢)</sup> سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦ - ١٢٦٧م في بلاد فارس، وقد سافر كثيراً طلباً للعلم لدى العلماء

٢- الفارسي، أساس القواعد...، المصدر السابق، ص ٩-١٧.



### أولاً- تقديم مخطوطة: «أساس القواعد في أصول الفوائد»<sup>(١)</sup>:

إن مخطوطة «أساس القواعد في أصول الفوائد» هي شرح لمخطوطة «الفوائد البهائية في القواعد الحسابية» لعبد الله بن محمد الخوام البغدادي (ولد في سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).

١- الفارسي، كمال الدين، أساس القواعد في أصول الفوائد، تحقيق مصطفى موالدي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٥-٧.

وفلسفته من جهة، ولبحثها في ماهية الزاوية - أحد المفاهيم الرياضية الفلسفية- عند العلماء العرب من جهة أخرى.

ح - تحرير كمال الدين الفارسي لبرهان الأبهري للمصادرة الخامسة في المتوازيات<sup>(٦)</sup>: يعدُّ تحرير كمال الدين الفارسي لبرهان أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري (المتوفى عام ١٢٦٣م) للمصادرة الخامسة في المتوازيات محاولة من المحاولات التي قام بها الرياضيون عبر قرون عديدة لبرهنة صحة المصادرة الخامسة.

- أعمال رياضية أخرى<sup>(٧)</sup>.

ثانياً- الفيزيائية (علم الضوء):

أ- تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر<sup>(٨)</sup>: يُعد كتاب «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر» من الذخائر القيمة في التراث العلمي الذي خلفه العلماء العرب؛ وذلك لأنه شرح وإيضاح وإضافة لكتاب «المناظر» للحسن بن الهيثم (نحو ٣٥٤-٤٣٠هـ / ٩٦٥-١٠٣٩م)، يكشف لنا كمال الدين ما تضمنه كتابه من موضوعات، فيقول: (نبدأ بما هو المقصود من تلخيص مقاصد الكتاب فيقول: إن ابن الهيثم -رحمه الله- قد جعل كتابه سبع مقالات)،

٦- موالدي، مصطفى، «تحرير كمال الدين الفارسي لبرهان الأبهري للمصادرة الخامسة في المتوازيات»، المؤتمر السنوي الثامن عشر لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في حلب ١٠-١٢ تشرين الأول ١٩٩٥م. ونشر في كتاب: أبحاث المؤتمر السنوي الثامن عشر لتاريخ العلوم عند العرب، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ٢٠٠٨م، (باللغة العربية: ص ص: ٨١-٩٤).

٧- الفارسي، أساس القواعد... المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص ص ١٥-١٦.

٨- موالدي، مصطفى، رسالة معهد التراث العلمي العربي، رقم ٦٧، تموز ١٩٩٦م، إصدار معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب- حلب- سورية، ص ص ١٩-٢٠.

العظماء، كعبد الله بن محمد الخوام البغدادي، وقطب الدين الشيرازي (١٢٣٦-١٣١١م).

توفي كمال الدين الفارسي في يوم الجمعة التاسع عشر من ذي القعدة / ٧١٨هـ / الموافق للثاني عشر من كانون الثاني / ١٣١٩م / في بلدة تبريز بإيران، وكان عمره / ٥٣ / سنة قمرية.

٢-٢- مؤلفات المؤلف:

أبدع كمال الدين الفارسي في مجالي: الرياضيات والفيزياء، ووضع مؤلفاته الموسوعية في هذين العلمين، وهي:

أولاً- الرياضية:

أ- أساس القواعد في أصول الفوائد (مقدمة المخطوطة وهي موضوع المقالة).

ب- تذكرة الأحباب في بيان التحاب:

حقق الأستاذ الدكتور رشدي راشد<sup>(٩)</sup> النص، فقد حسب كمال الدين الفارسي<sup>(٤)</sup> (المتوفى سنة ١٣١٩م) في تذكرته الثنائية من الأعداد المتحابية (١٧٢٩٦ و ١٨٤١٦) التي ينسبها المؤرخون إلى الرياضي الفرنسي بيير دو فيرما (Pierre de Fermat ، ١٦٠١-١٦٦٥م).

ج- رسالة في الزاوية<sup>(٥)</sup>:

تُعد مخطوطة «رسالة في الزاوية» من المخطوطات النادرة في موضوعها المتعلق بعلم تاريخ الرياضيات

٢- راشد، رشدي، «التحليل التوافقي، والتحليل العددي، التحليل الديوفنطسي ونظرية الأعداد»، موسوعة تاريخ العلوم العربية، (الجزء الثاني: الرياضيات والعلوم الفيزيائية)، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م، الصفحة ٥.

٤- موالدي، مصطفى، «من إنجازات العلماء العرب في الرياضيات وأثرها على علماء عصر النهضة الأوروبية»، المؤتمر السنوي الحادي والثلاثون لتاريخ العلوم عند العرب، ١٠-١٢ أيار ٢٠١٦م، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، الصفحة ٢٣.

٥- الفارسي، كمال الدين، رسالة في الزاوية، تحقيق مصطفى موالدي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٤م.

- الاختلافات بين النسخ التي حدثت خلال النسخ.

#### (أ) المخطوطات المستعملة:

ولا بد في البداية من الإشارة إلى النسخ المستعملة في التحقيق ورموزها وهي:

- الشرح: «أساس القواعد في أصول الفوائد»:

١- مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٣٢ - إستانبول - تركيا - رمزها: أ.

٢- مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٤٠ - إستانبول - تركيا - رمزها: ح.

٣- مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٥٥ - إستانبول - تركيا - رمزها: م.

٤- مخطوطة مكتبة ملي - رقم ١٣٠٧ - طهران - إيران - رمزها: ن.

٥- مخطوطة مكتبة الوزير شهيد علي باشا - رقم ١٩٧٢ - إستانبول - تركيا - رمزها: و.

٦- مخطوطة المكتبة الظاهرية - رقم ٧٥٤٢ - دمشق - سورية - رمزها: ظ.

٧- مخطوطة مكتبة خدابخش بننه - رقم ٢٠١٢ - الهند - رمزها: خ.

٨- مخطوطة مكتبة آستان قدس رضوي - رقم ٥٦٤١ - مشهد - إيران - رمزها: د.

٩- مخطوطة مكتبة آستان قدس رضوي - رقم ٥٥٧٨ - مشهد - إيران - رمزها: ق.

١٠- مخطوطة مكتبة كوبرولو - رقم ١، ٩٤١ - إستانبول - تركيا - رمزها: ك.

- النص المشروح: «الفوائد البهائية في القواعد

الحسابية»:

١- نسخة المكتبة البريطانية - شرقيات رقم ٥٦١٥ - رمزها: ف.

وأضاف كمال الدين إلى مقالاته السبع خاتمة وذيلاً ولواحق.

وقد كان لآراء ابن الهيثم والفارسي في الضوء آثاراً واضحة على العلماء العرب والغربيين الذين اتخذوا منها أساساً لدراساتهم ومباحثهم في علم الضوء.

ب- كتاب البصائر في علم المناظر<sup>(٩)</sup>:

قسم كمال الدين الفارسي كتابه: «البصائر في علم المناظر» إلى قسمين رئيسين وخاتمة.

يعدُّ كتاب البصائر في علم المناظر<sup>(١٠)</sup> من الكتب النادرة والمتخصصة في مجال علم الضوء، وتتبع أهمية الكتاب من كثافة الموضوعات الرئيسية في هذا العلم وعمقها ونضجها وترابطها ترابطاً منطقيّاً.

أخيراً<sup>(١١)</sup> إن كمال الدين الفارسي من خلال مؤلفيه: «تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر»، و «كتاب البصائر في علم المناظر»، استطاع أن يضيف إلى علم المناظر (علم الضوء) إضافات قيّمة أدت إلى تطوره وإحيائه وانتشاره.

ثالثاً- طريقة تحقيق مخطوطة «أساس القواعد في أصول الفوائد»:

لدراسة تاريخ النص كان هدفنا إعادة بناء نص أقرب ما يكون إلى النص الأصلي للفارسي. ولهذا اعتمدنا على وسيلتين:

- المخطوطات نفسها: الورق، والحبر، والجلد، والأبعاد، والخطوط، وتاريخ كتابة النسخة ومكانها، واسم الناسخ، والترقيم، وصفحتا العنوان والخاتمة.

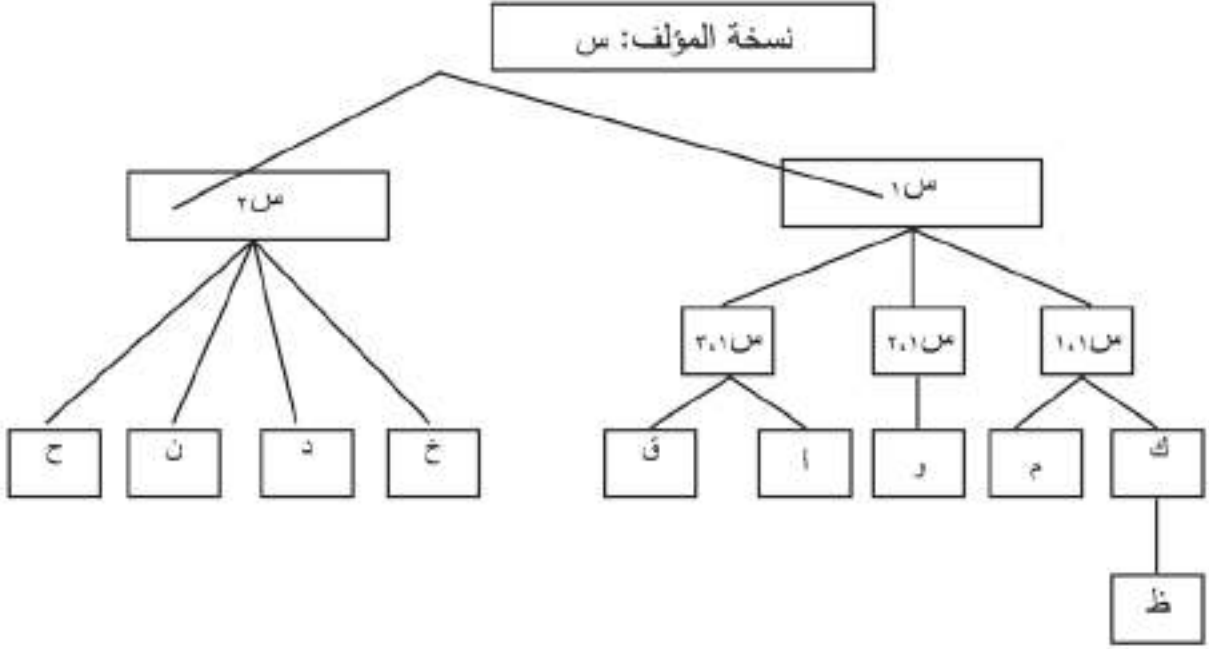
٩- الفارسي، كمال الدين، كتاب البصائر في علم المناظر، تحقيق مصطفى موالدي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٩م، ص ٤٢-٥٧.

١٠- الفارسي، كتاب البصائر...، المصدر السابق، ص ٤٥-٥٧.

١١- الفارسي، كتاب البصائر...، المصدر السابق، الصفحة ٥٧.



## (ب) شجرة المخطوطات:



شعر:

فلو أنّ لي في كل منبت شعرة

لساناً يبثُّ الشكر كنتُ مقصراً

-الأول الذي لا يعدّه عددٌ، والآخر الذي لا يحده

أمدٌ.

-الواحد الذي لا يتطرق إليه قسمةٌ بضربٍ من

الضروب امتناعاً.

-الأحد الذي لا يُنسب إليه كثرةٌ بوجهٍ من الوجوه

إلا إبداعاً.

-الفرد الذي خلق الأزواج كلها، فتارةً جمع

نظمها، وتارةً فرّق شملها، ألف بين البسائط المتباينة،

فتوافقت التئاماً وانضماماً، وصورها بدقائق تكميله

على تفاضل درجات تفضيله تفضلاً وإحكاماً، ثم شتت

ائتلافها واصطحابها، ونكت تعادلها وتحابها إعادةً

واختتاماً، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويُنشئه ثم

يبيده، مواهبه تامّة لا يشوبها نقصان، وأمدادُ نعمه

لم نشر في المقدمة المحققة - والمنشورة في هذه  
المقالة - إلى الفروق بين النسخ، لأنها نُشرت سابقاً  
ضمن تحقيق المخطوطة الكاملة، واقتصرنا على  
تصحيح بعض الأخطاء وتحديد بدايات المخطوطات  
وبعض الحواشي، لأن هدفنا الكشف عن الأفكار  
الرئيسية الواردة في المقدمة فقط.

رابعاً- النص المحقق:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

&lt; مقدمة &gt;

نحمد الله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية  
المتكاثرة، ونشكره على جميل بلائه وجزيل عطائه حمد  
مشمول بفقون من عوارفه وصنوف من عواطفه، لم  
ينتهض لنشر محمّدة على سوابق آلائه إلا وأدركه قبل  
بلوغ أدنى غاياتها لواحق نعمائه، وشكر غريق في بحار  
فضله وإحسانه لم يتشمر لبث شكر على تلاد ودائعه  
إلا وغمره قبل أن تجاوز مبادئه طرائف صنائعه.

فهداني /<sup>(١٧)</sup> إلى معاقده ومُشكلاته، ونبهني على مراده من لطائف قيوده، وفوائد كلماته. ثم بعد ذلك أبدى الزمان مما يديه من تقلب الأحوال، /<sup>(١٨)</sup> فحيل بيني وبين سعادة الاتصال، ولم أزل بعد ذلك أشتغل بممارسة هذا الفن، وأستعين على استحضاره بمدارسته، وطالعت غيرها من الكتب الحسابية، /<sup>(١٩)</sup> وتبينت مباني قواعدها، فوجدت جميعها مسائل /<sup>(٢٠)</sup> متلقنة غير مبيّنة وقضايا متلقفة غير مبرهنة، ووجدت في كتاب إقليدس في الأصول مبادئ براهينها، فاقترحت على نفسي أن تبين دعاويها وتفصل فحاويها ببيانات عديدة وتقارير واضحة جلية وخاصة /<sup>(٢١)</sup> بمسائل هذا الكتاب على علمي بأني فيما قصدته عمّن اقترحته: مصراع<sup>(٢٢)</sup>:

### تكلّفت إبراءً بمقدحة صلّد

لكنني كلّفتها بذل جهدها وصرف وكدها.

شعر:

### ليبلغ عذراً أو ينال رغبة

ومبلغ نفس عذرها مثل منجح<sup>(٢٣)</sup>

١٧- بداية ٢ ك (و).

١٨- بداية ٢ و (ظ).

١٩- بداية ٢ ح (و).

٢٠- بداية ٢ أ (ظ).

٢١- بداية ٢ د (و).

٢٢- تكلّفت... صلّد: عجز بيت من الشعر، ونجد في هامش المخطوطات ح، ن، ك، صدر البيت وهو «طلبت وفاء الغانيات وإنما». ٢٣- ليبلغ... منجح: بيت من الشعر للشاعر الجاهلي «عروة بن الورد»، وهو في ديوانه صفحة ٤ / من قطعة له تقع في ستة أبيات وهو من الشعراء الصعاليك بل هو زعيمهم.

وطبعة ديوانه هي: ديوان عروة بن الورد - شرح ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ، حققه عبد المعين الملوحي - مطبوعات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٦. ويذكر كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي ١٨ / ٥، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥ م تاريخ وفاة ابن الورد، نحو ٣٠ قبل الهجرة / ٥٩٤ م.

زائدة مدى الدهور والأزمان، فالصم الصلاب /<sup>(١٢)</sup> منطقة بتمجيده، وألسنة الرعود مسبحة بتحميده.

ونصلي على رسوله المصطفى ونبيه /<sup>(١٣)</sup> المجتبي محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وأصحابه صلاة لا ينتهي عددها، ولا ينقضي مددها أطيب نشرًا من ربا الأنوار وألطف نسيمًا من أنفاس الأسحار.

وبعد فإن الكتاب الموسوم بالفوائد البهائية في القواعد الحسابية من تصانيف مولانا الإمام زبدة أفاضل الأنام، قدوة المحققين، أسوة المدققين، وحيده عصره وفريد دهره، عماد الملة والدين زين الإسلام والمسلمين، عبد الله بن محمد الخوام البغدادي، /<sup>(١٤)</sup> أيّد الله تعالى معاليه، وقرن /<sup>(١٥)</sup> باليامن أيامه ولياليه، وإن كان صغيراً في حجمه فهو بديع في ترصيفه ونظمه، درج محتو على نفائس جواهر الحساب، ودرج منطو على غرائب النكات في هذا الباب، إذا ذكرت كتب هذا الفن فهو لها عين، وإن ذكر عيونها فهو لها إنسان، قواعدها محكمة مدغمة، وفوائدها معربة غير معجمة.

ولما وفقني الله تعالى إلى الاشتغال بخدمته عنفوان الشباب وإقباله عليّ بالإفادة وخاصة في علم الحساب، ولازمت ذراه سنين متوالية وأزمنة متماضية، فلم يزل إذا آنست ناراً من أشعة علمه هداني لاقتباسه، أو استرويته ظمًا إلى رشحات فضله أرواني بفضل كأسه، أو خمد في لهب الطلب /<sup>(١٦)</sup> أنكاه بميامن أنفاسه، إلى أن درست هذا الكتاب آخرًا بتمامه،

١٢- بداية ٢ و (و).

١٣- بداية ٢ أ (و).

١٤- بداية ٢ ح (و).

١٥- بداية ٢ ن.

١٦- بداية ٢ ق (و).

- أقول: افتتح الكتاب بحمد الله والأول من أسمائه الحسنى والصفات العلى: ومعناه أنه لا يسبقه شيء بوجه من الوجوه، بل هو الموجود قبل كل موجود، والآخر كذلك، ومعناه أنه الموجود بعد كل موجود.

ومعنى قوله: «بلا عدد»، هو أنه متجاوز حد عدد البشر وإحصائه، لا أن الحمد لا عدد له: فإنه وإن مُتَّاهي الأفراد لزمه العدد / (٢٩) والأمد: الغاية.

واعلم أنه قال: «للأول»، ولم يقل: لله، على ما فيه من موافقة كلام الله واستعمال الجمهور والتبرك باسم الذات لوجوه من الآداب واللطائف:

- الأول: أن نذكر الشيء مبهمًا أولاً أوقع في نفس / (٣٠) المخاطب من ذكره صريحًا.

- الثاني: أن المشهور لكثرة استعماله وتداوله لا بد وأن تمتلئ منه الأسماع وتميل عنه / (٣١) الطباع، / (٣٢) فالعدول عنه إلى غيره آتق للسمع وأنس للطبع.

- الثالث: / (٣٣) أن ذكر العظام ببعض صفات جلالهم دون أسمائهم من كمال الأدب وخصوصًا لمن كان يقصد الثناء عليهم، فإن / (٣٤) في ذلك توطئة حسنة لذلك، وخصوصًا لمن كان يشعر بأن المذكور على ترصيف كلامه وتصريفه شهيد [ما يلفظ من قول إلا لذي رقيب عتيد] (٣٥).

- الرابع: أنه أتى بلفظ الأول المشترك بين المعنى المراد وبين المعنى العددي المصطلح عليه، وهو العدد

فابتدأت طالبًا من الله التوفيق من أولها و أتيت على جميعها، وأثبت ما تيسر لي، وأبنت عما تعسر عليّ، فلما فرغت من تسويده شرفه بعض الأفاضل الحذاق بنظره، فاستحسنه / (٢٤) تطفًا وتكرماً منه لحسن سيره.

ولما كان / (٢٥) بعض الأعمال الصعبة، وخصوصًا مسائل المقالة الخامسة إلى آخر الكتاب مشروحًا غاية الإيضاح أشار إليّ بشرح باقي الأعمال وتفصيل عبارات فيها إجمال ليكون وافيًا بحل الكتاب شافيًا لغيل الطلاب، فامتثلت رسمه، وأعدت النظر على المسائل من أولها ولم أَلْ جُهدًا في حل ما رأيته من مشكلاتها، ووسمته بأساس القواعد في أصول الفوائد، وأضفت إلى ما في الكتاب مباحث شريفة اتخذتها وسائل لبيان المسائل، وتنكبت عن التطويل بما ليس / (٢٦) فيه طائل، وما هُديت إليه من البراهين فأوردته على ما سنع، وما لم أهدت إليه فطلبت في كتب القوم واستكشفتها حتى اتضح، ثم نقلته مشيرًا إلى المنقول تحرزًا عن أن ينسب إلى المنحول.

وها أنا أستعين الله فيما أنا بصده أن يعصمني من الزلل، ويهديني سواء السبيل في القول والعمل، وألتمس من الناظرين فيه من الفضلاء أن يصلحوا منه ما فسد وينظموا منه ما تبدد، ثم أشرع في بيان مقدمته التي / (٢٧) صدر بها الكتاب، وأذكر لفظ الكتاب / (٢٨) أولاً ثم أشرحه بتيسير الله وحسن توفيقه.

- قال: أدام الله أيامه: الحمد للأول بلا عدد والآخر بلا أمد.

٢٩	بداية ٢ق (ظ).
٣٠	بداية ٢ك (ظ).
٣١	بداية ٢خ (و).
٣٢	بداية ٤ن.
٣٣	بداية ٢و (ظ).
٣٤	بداية ٢ح (ظ).
٣٥	ما يلفظ من قول إلا لذي رقيب عتيد: الآية القرآنية رقم ١٨ / من سورة ق.

٢٤	بداية ٢خ (ظ).
٢٥	بداية ٣ن.
٢٦	بداية ٣و (و).
٢٧	بداية ٣أ (و).
٢٨	بداية ٢م (و).

على غيره، لأن القياس /<sup>(٣٩)</sup> إنما يطرد إذا كان بين المقيسين جامع يصلح لعلية الحكم، وهو تعالى مقدس عن أن يجمعه وغيره جامع وجودي /<sup>(٤٠)</sup> يكون مبدأ لثبوت حكم، فلا يطرد فيه القياس.

- قال: ولا تبلغه ثواقب الأفهام ولا تلحقه صوائب الأوهام.

- أقول: لأنهما لا يبلغان إلا ما فيه شوب من خواص الأجسام، فضلاً عن الإمكان الذي لا يحوم حول سُرَادِقِ قُدْسِهِ شَيْءٌ من ذلك.

- قال: بل رجعت عن كنهه /<sup>(٤١)</sup> صفاته الألاحظ /<sup>(٤٢)</sup> حاسرة، ووقفت في إدراك ذاته الأفكار حائرة.

- أقول: وذلك لأن ألاحظ عيون الطالبين وأفكارهم لما لم يكن لها مطمح وراء ملاحظة صفاته وملمح سوى معاينة ذاته. وذلك جناب لا يُرام إليه الوصول. مصراع:

منيع يرد الطرف وهو كليل<sup>(٤٣)</sup>

فلا بد لها من الحسور لتعبها والحيرة في طلبها.

- قال: قد زادها ما استعرضته قُصوراً /<sup>(٤٤)</sup> عما التمسته.

٣٩ بداية ٥ ن.

٤٠ بداية ٣ خ (ظ).

٤١ بداية ٤ أ (و).

٤٢ بداية ٣ ق (و).

٤٣ منيع...كليل: عجز بيت من الشعر، ونجد في هامش

المخطوطات ح، م، ن، ك، صدر البيت وهو: لنا جبل يحتله من نجيره-

ومذكور في «حماسة أبي تمام» الجزء الأول صفحة ٥٢ في قصيدة

للسموءل معروفة ومطلعها (إذا المرء لم يدينس من اللؤم عرضه فكل

رداء يرتديه جميل) - ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي- علق عليه

وراجعه: محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة- ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م-

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، وذكر الزركلي في الأعلام الجزء

الثالث صفحة ٢٠٤ أن وفاة السموءل بن غريص بن عادياء نحو سنة

٦٥ ق هـ / نحو ٥٦٠م.

٤٤ بداية ٣ ح (و).

الذي لا يعده إلا الواحد، وذلك من أقسام الإيهام، وهو من أطف صنائع البديع وأعلقها بالطباع، وخصوصاً إذا كان إيهاماً إلى معانٍ قصدها بتأليفه ليكون أول ما يقرع الأسماع /<sup>(٣٦)</sup> ألفاظ متداولة بين أهل هذا العلم، فيكون أنسب بنظم الكتاب، وقد التزمها في خطبته كما ستقف عليه.

- الخامس: أنه لو قال: الحمد لله الأول بلا عدد

للجمع بين الفائدتين لكان:

- إما أن يأتي بلفظ الله في قرينتها فيوقع التكرار.

- أو لا يأتي بها فيصير طرني [كذا] نظم القرينتين غير متجاوبين، وتفوت صنعة الموازنة فيهما.

- وأما الفوائد المهجورة /<sup>(٣٧)</sup> فلما كان العدول

عنها إلى ما يحل محلها دون إخلال بما هو مهم مع الاشتمال على الفوائد المذكورة فلا بأس بها.

- قال: صاحب القدرة القاهرة والحكمة الباهرة.

- أقول: «القدرة القاهرة»: هي التي يوجد بها ما

يشاء كما يشاء ويتصرف فيها على ما يشاء. والحكمة:

إدراك الأشياء على ما هي عليه، ووضع الصنائع على

أفضل أنحائها وأكمل وجوها، و«الباهرة»: الغالبة،

يعني أنه تعالى غلب بحكمته كل شيء، وأحاط به علماً

وفعل به ما هو أليق وأولى به كرمًا منه وتفضلاً.

- /<sup>(٣٨)</sup> قال: الذي لا تدرکه الحواس.

- أقول: وهي المشاعر الظاهرة والباطنة. وإنما

تنزه عن إدراكها لكونه منزهاً عن الجسمانيات التي

ينحصر مدركات الحواس فيها.

- قال: ولا يطرد فيه القياس.

- أقول: معناه أنه لا يمكن إثبات صفة له قياساً

٣٦ بداية ٣ أ (ظ).

٣٧ بداية ٢ د (ظ).

٣٨ بداية ٤ و (و).

إلا أنه تزداد /<sup>(٤٩)</sup> الكسور المضافة إلى الصحيح من الجذر أنواعاً، وبها يزداد الجواب قرباً من الصواب غير منتهٍ إليه أبداً.

قال بعضهم: لا شك في أن له جذراً، فإنه بالخطوط يمكن استخراجهُ /<sup>(٥٠)</sup> على ما تبين من أشكال إقليدس، فعدديته مجهولة للبشر، فهو من العلوم التي استأثر الله بها، ولذلك كان بعض الحكماء يواظب في أوراده على هذه الكلمة: «سبحان من يعلم جذر العدد الأصم، سبحان من يعلم نسبة القطر إلى الدائرة».

وكذلك الكلام في الكعب، هكذا ظن بعضهم إلا أن فيه نظراً، فإنه قد تبين /<sup>(٥١)</sup> بالبرهان العددي أنه لا يمكن أن يكون للصحاح التي بين مجذورين متواليين جذراً عددياً البتة كما سنبينه /<sup>(٥٢)</sup> آخر مباحث الجذور إن شاء الله تعالى.

قال: العالم بسهل الحساب وصعبه، والصلاة على المخصوص بأشرف نسبة وأعدل قسمة محمد شفيع الأمة ونبي الرحمة، وعلى آله الأنجاب صلاة دائمة إلى يوم الحساب.

أقول: أما كون نسبته أشرف نسبة فذلك في الإشهار أوضح من النهار لكونها إلى عظماء الأنبياء وزعماء الأنعام من لدن آدم إلى زمانه عليهما السلام، فكأنها المعني بها في قول الشاعر:

(نسب أضاء عموده في رفعة)

كالصبح فيه ترفع وضياء

وشمائل شهد العدو بفضلها

والفضل ما شهدت به الأعداء<sup>(١)</sup>

وأما كون قسمة أعدل قسمة فلأن المراد بها

أقول: الاستعراض طلب العرض، وفاعل زاده هو الضمير العائد /<sup>(٤٥)</sup> إليه سبحانه وما في ما استعرضته للدوام، يعني أنه يزيد الأفكار ما دامت تطلب الوقوف على كنهه قصوراً عما التمسته.

قال: مُبدع الآحاد.

أقول: يعني آحاد المخلوقات؛ فإن الإبداع قد يُطلق بمعنى الخلق.

قال: ومؤلف الأعداد.

أقول: يعني مؤلف البسائط المتعددة لتوليد /<sup>(٤٦)</sup> المركبات المتزجات منها.

قال: ومقسمها إلى الأزواج والأفراد.

أقول: كجعله عدد السيارات فرداً وعدد الطبايع زوجاً.

ويمكن حمل القرائن الثلاث على المعاني العددية، فهي محتملة معنيين وهو الإيهام التام.

قال: المحيط بجذر الأصم وكعبه.

أقول: العدد قسمان:

مجذور وهو الذي يتولد من ضرب عددي مثله، مثل: الأربعة والتسعة. والمولد يسمى جذراً، والمجذور يسمى منطقاً.

وغير المجذور مثل الصحاح التي بينهما في الترتيب الطبيعي كالخمسة والستة وغيرهما ويسمى أصم. واعلم أن الخمسة /<sup>(٤٧)</sup> جذرها أكثر من اثنين وأقل من ثلاثة.

ثم لا يمكن استخراج عدد إذا ضرب في نفسه حصل خمسة تحقيماً، ولو أن محاسبي العالم أفنوا مدد أعمارهم في طلب ذلك بأي طريق سلخوا نحوه، /<sup>(٤٨)</sup>

٤٩- بداية ٢م (ظ).

٥٠- بداية ٤خ (و).

٥١- بداية ٣د (و).

٥٢- بداية ٥و (و).

٤٥- بداية ٣ك (و).

٤٦- بداية ٤و (ظ).

٤٧- بداية ٦ن.

٤٨- بداية ٤أ (ظ).



ممنوّ بمشاغل والتفاتات نحو مقاصد توجب الذهول عن شرائط الصواب، ولذلك اختلف المنطقيون في كثير من المسائل، ومعلوم أن لكل من القوى العمالة أنحاء من الحركات والأعمال إذا تمرنت بنحو من تلك الأنحاء صارت لها ملكة بها تعمل على النحو المعين بلا روية، فكذلك المفكرة إذا قصرت برهة من الزمان على الأفكار الصائبة المستقيمة وكلياتها، وذلك كمن أراد تركيب الكلام بالعربية فإنه لا يُغني عنه تعلم النحو أولاً ثم تركيب المفردات على قانونه غناء اعتنائه بتتبع تراكيب العرب وحفظها، فإنه بذلك يقتدر<sup>(٦٠)</sup> على التراكيب.

وإن كان ذلك لا يُغني عن تعلم النحو في تحقيق بعض المواضع، فكذلك الأفكار الصحيحة إذا ارتاضت المفكرة بها طبعت على الصواب طبعاً ما، وكان ذلك أعون على صونها عن الخطأ من تعلم المنطق فقط، وإن كان لا يغني عنه في تحقيق مواقع الخطأ والصواب.

/ <sup>(٦١)</sup> ثم لما كان العدد والمقادير أموراً جلية عند الأذهان / <sup>(٦٢)</sup> سهلة التصور، وكان ترتيب المسائل فيها ترتيباً ذا اتساق وانتظام، وقياساتها صحيحة مطردة تساعد في مقدماتها الوهم العقل صارت كالمراقبة للمفكرة إلى المطالب التي لا يهتدي إليها الوهم سبيلاً. فلذلك

- قال: كان من أعظم / <sup>(٦٣)</sup> الذرائع إلى تكميل / <sup>(٦٤)</sup> الفضيلة الإنسانية وأكبر الوسائل إلى تحقيق السعادة الأبدية.

٦٠- بداية أ٥ (ظ).

٦١- بداية ن٨.

٦٢- بداية و٦ (و).

٦٣- بداية ح٤ (و).

٦٤- بداية د٣ (ظ).

القسمة المشروعة بين الناس في تعيين / <sup>(٥٣)</sup> السهام وتخصيصها، / <sup>(٥٤)</sup> كما في المواريث وغير ذلك، ولا شك أنها قسمة حقة فرضها الله تعالى الذي هو المقسط العدل في فيض الفضل والحكم فيما فرض وأبرم ونقض.

ثم استعمال الآحاد والأعداد والأزواج والأفراد والقسمة والنسبة ويوم الحساب، كلها تتضمن / <sup>(٥٥)</sup> صنعة الإيهام كما ذكر قبل.

- / <sup>(٥٦)</sup> قال: وبعد فلما كان أنفُس الرغائب / <sup>(٥٧)</sup> وأعظم المواهب هو العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية. - أقول: وذلك لكونها هي التي تُستكمل النفس

بها، فنكتسب الأخلاق الفاضلة، وتقوى بها على الأفعال الجميلة، وبها تُستحصل السعادة الأخروية.

- قال: وكان علم القوانين الحسابية والمسائل العددية في تقوية النفس وإصلاح الفكر في المكانة العليا والرتبة القصوى.

- أقول: لما كان الإنسان إنما يتم أمره في تحصيل سعادة الدارين باكتساب / <sup>(٥٨)</sup> العلوم والمعارف، وذلك مما لا يتأتى للأكثر إلا باستعمال الفكر، وذلك / <sup>(٥٩)</sup> مما ليس يقع صواباً دائماً، فاحتاج في ضبط حركة المفكرة نحو المطالب إلى آلة قانونية تعصمها مراعاتها عن الضلال، وهي المنطق إلا أن مراعاتها أيضاً، أعني تحصيل المطابقة بين مواد الفكر الجزئية وصورها الكلية المنطقية، صعبة المرام لأن الذهن

٥٣- بداية ح٣ (ظ).

٥٤- بداية ق٣ (ظ).

٥٥- بداية أ٥ (و).

٥٦- بداية ن٧.

٥٧- بداية ك٣ (ظ).

٥٨- بداية ه٥ (ظ).

٥٩- بداية ع٤ (ظ).

-أقول: والذرائع: جمع ذريعة، وهي الوصلة والوسيلة. وهذه الجملة جزاء لقوله: فلما كان / (٦٥) أنفس الرغائب.

-قال: ومن أجل شرف ثمرته ووثاقته أدلته، دلّ النقل على شرف منزلته.

-أقول: يعني بالنقل: القرآن المجيد.

-قال: وشهد العقل بتمام فضيلته حتى مدح

به الرحمن / (٦٦) نفسه في قوله تعالى: [وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ] (٦٧).

-أقول: وذلك قوله تعالى: [وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ] (٦٨)، وذلك يدل على أنه سبحانه أظهر بها كمال إحاطته بكل شيء وإحصائه لكل شيء، فالعلم بالإحصاء وكيفيته وتدقيق النظر فيه هو من العلوم التي بها يُتشبه بالباري / (٦٩) وَيُسْتَسْعَدُ بِهَا فِي الدارين.

-قال: وقوله تعالى: [وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ] (٧٠).

-أقول: وذلك يدل على أن / (٧١) سرعة الحساب كمال، فلو لم يكن في أصل الحساب شرف لما اعتدّ السرعة فيه كمالاً.

-قال: وقال تعالى في محكم الكتاب: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ (٧٢).

٦٥- بداية ٤ق (و).

٦٦- بداية ٥خ (و).

٦٧- وكفى بنا حاسبين: نهاية الآية القرآنية رقم ٤٧ من سورة الأنبياء.

٦٨- وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ... وكفى بنا حاسبين: مقطع آخر من الآية

القرآنية رقم ٤٧ من سورة الأنبياء.

٦٩- بداية ٣م (و).

٧٠- وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ: نهاية الآية القرآنية رقم ٦٢ من

سورة الأنعام.

٧١- بداية ٤ك (و).

٧٢- لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ: مقطع من الآية القرآنية

رقم / ٥ من سورة يونس.

-أقول: / (٧٣) وذلك قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ] (٧٤).

جعل تعلم عدد السنين والحساب غاية لجعل الشمس ضياءً والقمر نوراً. ولا شك في شرف العلة، فلا ريب في شرف الغاية.

-قال: / (٧٥) وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٧٦) أي حاسبٌ كاتبٌ.

-أقول: وذلك قول يوسف صلوات الله عليه لعزير مصر [اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ] (٧٧)، وذلك يدل على أنه تسلق بالكتابة والحساب أعلى ذرا الولاية الدنيوية، فنعمت الوسيلتان هما إلى هذه السعادة.

- / (٧٨) قال: وقد جرت عادة الحكماء من المحدثين والقدماء بتقديم تعليم الرياضيات على الإلهيات والطبيعيات لإشحاذها للقوة الفكرية وإعدادها للقوة النظرية.

-أقول: أما تشحيذها للقوة الفكرية فللرياضيات بالدلائل الكثيرة المقدمات المنتقلة فيها من لوازم وملزومات إلى لوازم وملزومات وتأليف مقدمات إلى مقدمات، وعند هذا النوع من الرياضة يتولد القوة الحدسية وتتقوى، ثم بها تصل النفس إلى غوامض لا تستجليها العيون ولا تترامى نحوها الظنون. وأما

٧٣- بداية ١٦أ (و).

٧٤- هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً... لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ

والْحِسَابِ: مقطع آخر من الآية القرآنية رقم / ٥ من سورة يونس.

٧٥- بداية ١٦و (ظ).

٧٦- إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ: نهاية الآية القرآنية رقم / ٥٥ من سورة

يوسف.

٧٧- اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ: من الآية القرآنية

رقم / ٥٥ من سورة يوسف.

٧٨- بداية ١٩ن.

وَضَعُ عَلَى الْأَخْفِ يَتَعَادَلَا، فَكَأَنَّهُ /<sup>(٨٤)</sup> يقول: أَخَذًا  
من العناية نحو الإكثار إليها نحو الإيجاز.  
- قال: وَأَمَطْتُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَمْثَلَةِ.  
- أقول: الإِطَاةُ: التَّحِيَّةُ.

- قال: واقتصررت الطرق اقتصاراً مهدياً بنور  
الخاطر /<sup>(٨٥)</sup> لا مقتدياً بمسطور الدفاتر، وخدمت به  
خزانة المولى صاحب الأعظم والمخدوم المعظم ملك ملوك  
المسلمين ومخدوم أهل العالمين آصف الزمان /<sup>(٨٦)</sup> واحد  
نوع الإنسان.

- أقول: «واحدُ نوع الإنسان»: مثل قولهم: /<sup>(٨٧)</sup>  
نسيجٌ وحده.

- قال: ولي الأيادي والنعم صاحب السيف والقلم،  
المؤيد من السماء، المظفر على الأعداء، بهاء الملة  
والدولة والحق والدين، شمس الإسلام والمسلمين  
محمد بن المولى صاحب الأعظم، والمخدوم المعظم،  
سلطان وزراء العالم شرقاً وغرباً، صاحب ديوان  
الممالك بعداً وقرباً، شمس الملة والدولة والحق والدين  
بهاء الإسلام والمسلمين ملجأ الضعفاء والمساكين  
محمد بن محمد الجويني<sup>(٨٨)</sup>، لا زالت الأيام متجملة  
برئاستهما والأقدار جارية بإرادتهما بحق الحق  
ونبيه القائل بالصدق.

- أقول: وإنهما في الشهرة /<sup>(٨٩)</sup> بأعلى مكان،  
والشمس لا تخفى بكل مكان، وأما الآن فقد صاراً  
اسمين لكان، وغدر بهما الزمان فلم يغادر منهما إلا

٨٤- بداية ٤ ق (ظ).

٨٥- بداية ٤ د (و).

٨٦- بداية ١٠ ن.

٨٧- بداية ٤ ك (ظ).

٨٨- إهداء الكتاب لشمس الدين محمد بن محمد الجويني، كان  
الوزير أو صاحب الديوان أو ما يسمى بوزير المالية في الوقت الحاضر  
تحت حكم ثلاثة منال الايليخانات المغول، أعدم عام ١٢٨٥ م.

٨٩- بداية ٧ و (ظ).

إعداد القوة النظرية فيتصور دعاوى ومطالب غامضة  
دقيقة وراء مطامح الأوهام ومطامح الأفهام.  
- قال: وكنت ممن وصل إلى غاياته وتسنم أعلى  
درجاته.

- أقول: أما هذا فلا يفي بياني بشرحه، فإنه بين  
علماء هذا الفن في رفعة مرتبته وعلو درجته.  
شعر:

### كالبدر من بين النجوم، إنارة

والشمس، رابعة النهار، ضياء  
/<sup>(٧٩)</sup> وهذا الكتاب قد كفاني فيه /<sup>(٨٠)</sup> تفصيل  
الجميل.

### في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زحل<sup>(٨١)</sup>

- قال: ورأيت خلوا العصر عن تأليف فيه كاف  
ذي بيان شاف، فألفت كتاباً /<sup>(٨٢)</sup> جامعاً /<sup>(٨٣)</sup>  
محيطاً بهذا الفن دقيقه وجليله، مشتملاً على جملة  
وتفاصيله، خالياً عن الإسهاب الممل والتقصير المخل  
أخذاً عن الإكثار المُسَمِّ إلى الإيجاز المفهم.

- أقول: «الإسهاب»: التطويل. وقوله: «أخذاً عن  
الإكثار إلى الإيجاز»، يعني مُعْرَضاً عن ذلك متوجهاً  
إلى هذا، وكأنه في الحقيقة منقول عن قولهم: خذ عن  
ذلك الموضع وضع في الآخر، يقال: خذ من الأثقل

٧٩- بداية ٥ خ (ظ).

٨٠- بداية ٤ ح (ظ).

٨١- في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زحل: عجز بيت من الشعر،

والبيت بكامل روايته فهو:

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ  
وهذا البيت للمتنبى وهو في ديوانه صفحة / ٣٥١ / وعنوان  
الديوان مع الشرح هو: «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب:  
للشيخ ناصيف اليازجي»- طبعة مصورة- لم يذكر عليها تاريخ الطبع  
ولا مكانه-.

٨٢- بداية ٦ أ (ظ).

٨٣- بداية ٧ و (و).

-إما أن يوجد بين أجزائه حدٌ مشتركٌ ويسمى المتصل، وقد يسمى المقدار على بعض / (٩٥) الاصطلاحات، وينقسم إلى: الخط والسطح والجسم التعليمي والزمان.

-أو لا يُوجد، ويسمى المنفصل وهو العدد، ورسموه بأنه الكمية المجتمعة من الآحاد، ورسموا الواحد بأنه الذي لا ينقسم إلى / (٩٦) أمور يشاركه في تمام ذاته ليشمل جميع أقسام الواحد، وكل ذلك مبيّن في العلم الأعلى.

-ثم العدد ينقسم أقساماً:

-يحلّ بعضها منه محلّ الأنواع الحقيقية: كاللاثنين / (٩٧) والثلاثة والعشرة، وسائر ما يُعتبر بأحاديها.

-وبعضها محلّ الأنواع الإضافية أو الأعراض العامة لها: كالزوج وزوج الزوج، والمضروب / (٩٨) والمنسوب والأول والثاني، وسائر ما ليس يمنع نفس مفهومه أن يشمل عدّة من الأعداد النوعية، وبعضها محلّ الخواص لها، ككون بعضها نصف بعض، أو مضروب بعض في بعض. ويبحث عن العدد بوجهين: -فالأول من حيث أن يثبت لها أو يُسلب عنها أعراض ذاتية، فتكون مسائلها من / (٩٩) العلوم النظرية، وهو جدير بأن يسمى: علم العدد.

-والثاني من حيث أن يتوصل من معلوماته إلى ما لم يُعلم من خواصه ولوازمه، فيبحث عن كيفية ذلك، فتكون مسائلها من العلوم / (١٠٠) العملية: وهو الحساب.

أثراً ولم يُبقِ منهما إلا خبراً، فرحمهما الله وأسلافهما / (٩١) وأخلافهما، وسقى ثراهم، وجعل الجنة مثواهم. -قال: وإن فسح في الأجل وسُوعِدْتُ ببلوغ الأمل فرغْتُ بعده إلى كتاب أبين فيه جميع دقائقه، وأشرح به جل حقائقه بالبيانات العددية والبراهين الهندسية، ومن الله / (٩١) نستمد التوفيق، وبه هداية الطريق.

-أقول: نسأل الله الكريم أن يزيد في بقائه، ويُساعده على إنجاز الوعد ووفائه، ونرجو أن يجعله عن دقائق هذا الفن مُعرباً، وعن جميع حقائقه مُعلّناً، وذلك:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى (٩٢)

-قال: وقد رتبته على مقدمة وخمس مقالات وخاتمة.

أما المقدمة ففي حقيقة الحساب والعدد وأقسامه وخواصه وفي الواحد / (٩٣) والواحدة. أقول: إن الحساب علمٌ تعلم به المجهولات العددية.

-أقول: تصدّر الكتاب بتعريف العلم أولاً دأب العلماء وعادة الفضلاء، ولا بد في بيانه من ذكر الموضوع مفصلاً، وهو الذي أجمله في قوله، وموضوعه العدد، فاعلم أن العدد هو أحد قسمي الكمّ الذي هو / (٩٤) من الأجناس العالية العرضية، وهو ينقسم قسمين: لأن الكم:

٩٠- بداية أ٧ (و).

٩١- بداية خ٦ (و).

٩٢- مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى: نجد في هامش ح، ك، عجز

البيت، والبيت هو:

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً وهذا البيت لا يُعرف قائله، ومذكور في «مجمع الأمثال»- لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني- حققه محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

٩٣- بداية ح٥ (و).

٩٤- بداية ١١.

٩٥- بداية م٣ (ظ).

٩٦- بداية و٨ (و).

٩٧- بداية أ٧ (ظ).

٩٨- بداية ق٥ (و).

٩٩- بداية ك٥ (و).

١٠٠- بداية د٤ (ظ).

فالعالم الباحث عن كيفية استعلام الخواص والأعراض المجهولة للأعداد النوعية عن خواصها المعلومة هو علم الحساب، وهو المراد بقوله: تعلم به المجهولات العددية.

فموضوع هذا العلم هو العدد المعلوم ببعض عوارضه من حيث إنه كيف يمكن التأدي منه إلى بعض عوارضه المجهولة.

وهذا الفرق الذي ذكر بين هذين العلمين وبين موضوعهما لم أجده في كتاب، بل هو مما خطر ثم تقرر بعد مراجعات وطول تأمل في موضوع علم الحساب، ومما يؤيده أن مسائل الحساب إذا فتشت فلا يكاد يوجد فيها إلا العمليات.

فأما النظريات / (١٠٦) إذا أوردت فعلى أنها من المبادئ.

/ (١٠٧) فإن تحقق لبعض / (١٠٨) الناظرين في هذا الفرق وجه أحق مما ذكر فليمنحه تطفأ وليثبت ما يتقنه تفضلاً.

ولا يقال: علم المساحة خرجت عن تعريفه: إذ هي علم باستخراج المجهولات السطحية والخطية والجسمية عن خواصها المعلومة، / (١٠٩) ككون المثلث محاطاً بثلاثة أضلاع كذا، أو كون الضلع ضلع مثلث متساوي الأضلاع كذا، إلى غير ذلك، فلا يكون علماً يعلم به المجهولات العددية لمباينة العدد: / (١١٠) الخط والسطح والجسم، لأننا نقول: ليست المساحة علماً باستخراج المجهولات المقدارية / (١١١) من حيث إنها مقادير بل من حيث

هذا وإن كان إطلاق اسم العملية على هذا القسم مجازاً، فإن / (١١١) الاستعلام ليس استعمال الجوارح والآلات في تحصيل المطلوب ليكون عملاً، كما أن المنطق لا يقال له عملي لهذا المعنى بعينه، إلا أنه يشبه العمليات لأنه كما أن العمليات تبحث عن تصرفات في بعض المواد على أنحاء مخصوصة مؤدية إلى غرض، فكذلك هذه المسائل غير أن تلك المواد خارجية وهذه ذهنية.

هذا في الحساب الهوائي الذي يشتمل عليه الكتاب، ويوجد في الحساب طرق عملية بالحقيقة، وذلك كالحساب بالتخت والتراب.

وللأعداد النوعية التي هي / (١١٢) غير / (١١٣) متناهية الكثرة أحوال تخصها وخواص تعرضها هي متفرقة بها، مثل كون عدد كذا ربع العدد الفلاني، أو مضروب كذا في كذا، أو مقسوم كذا على كذا، أو كونها رابعاً في النسبة لثلاثة أعداد كذا إلى غير ذلك، وكونها ثلاثة أو أربعة أو غيرهما من الاعتبار بالآحاد، وإن كانت اعتبارات / (١١٤) تقام مقام حقائق الأعداد عرفاً، وتسمى ذوات الأعداد، لكنك ستعلم أنها زائدة على ماهياتها، فهي أيضاً من خواصها، واستعلام بعض خواصها من بعضها ممكن، كما ستعلم من كون عدد نصف المئة / (١١٥) أن يكون ربع المتين، ومن كونه مضروب أربعة في خمسة أنه يكون عشرين واحداً، ومن كون المنسوب عشرة والمنسوب إليه مئة أن النسبة عشر.

وكذا استعلام بعض أعراضها العامة عن بعض خواصها، كما ستعرف من كون العدد مئة أن يكون أول أو مركباً.

- ١٠٦- بداية ٩ و (و).
- ١٠٧- بداية ٥ ق (ظ).
- ١٠٨- بداية ٧ خ (و).
- ١٠٩- بداية ١٣ ن.
- ١١٠- بداية ٨ أ (ظ).
- ١١١- بداية ٥ ك (ظ).

- ١٠١- بداية ٦ خ (ظ).
- ١٠٢- بداية ١٢ ن.
- ١٠٣- بداية ٨ و (ظ).
- ١٠٤- بداية ٨ أ (و).
- ١٠٥- بداية ٥ ح (ظ).



والجناس والطباق لأهداف جمالية وتربوية وتواصلية، ففي فقرة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله الكريم، نلاحظ استعمال بعض المصطلحات الرياضية في الجمل التالية: (الأول الذي لا يعده عدد، والآخر الذي لا يحده أمد، الواحد الذي لا يتطرق إليه قسمة بضرب من الضروب امتناعاً، الأحد، الفرد الذي خلق الأزواج كلها، وصلوات على الرسول الكريم لا ينتهي عددها، ...).

٢- درج العلماء العرب على تقدير أساتذتهم العرب وغير العرب -الذين نهلوا العلم منهم مباشرة أو من كتبهم- لمعرفة قيمة العلم الحقيقية ومنزلة العلماء العالية، فنجد الفارسي نهج المنهج نفسه ومدح أستاذه ابن الخوام البغدادي وكتابه «الفوائد البهائية في القواعد الحسابية»:

أ- قال يمدح أستاذه ويصفه ب: «مولانا الإمام زبدة أفاضل الأنام، قدوة المحققين، أسوة المدققين، وحيد عصره وفريد دهره، عماد الملة والدين زين الإسلام والمسلمين».

ب- ويصف كتاب أستاذه ويمدحه من حيث الحجم والصيغة والمضمون العلمي وموضعه ضمن كتب علم الحساب، فيقول:

«وإن كان صغيراً في حجمه فهو بديع في ترصيفه ونظمه».

«درج محتو على نفائس جواهر الحساب».

«ودرج منطو على غرائب النكات في هذا الباب».

«إذا ذكرت كتب هذا الفن فهو لها عين، وإن ذكر عيونها فهو لها إنسان».

«قواعدها محكمة مدغمة، وفوائدها معربة غير معجمة».

٣- يكشف الشارح كمال الدين عن علاقته العلمية النموذجية بأستاذه ابن الخوام، التي تميزت

إنها أعداد، فيكون علماً يُعلم به المجهولات العددية، فيندرج تحت التعريف بيانه أن المحاسب يفرض أولاً في الخط واحداً بالفرض، ويعبر عن جميع الخطوط بنسبتها إلى ذلك الواحد فتصير الخطوط بتلك الحثية أعداداً، وكذا يفرض في السطوح واحداً ويعبر عنها بإضافتها إلى ذلك الواحد، وهكذا في الأجسام، فتصير المقادير جميعاً مأخوذةً عنده باعتبار كونها أعداداً، ثم يستخرجها عن خواصها كما يتبين في موضعه إن شاء الله تعالى.

فالعلم بكيفية عمله علمٌ يستخرج به المجهولات العددية. -قال: وموضوعه العدد.

-أقول: وإن قد تحقق معنى علم الحساب: أنه علم بقواعد يُستعلم بها الأعداد المجهولة عن عوارضها المعلومة لزم أن يكون موضوعه العدد المعتبر ببعض لوازمه / (١١٢) لا مطلقاً بل من حيث كيفية استعمال بعض لوازمه المجهولة عما اعتبر بها، بل في الحقيقة موضوعه لوازم العدد من حيث إنها موصلة إلى لوازم أخرى).

خامساً- الأفكار الرئيسية في مقدمة مخطوطة

«أساس القواعد في أصول الفوائد»

قدم كمال الدين الفارسي في مقدمة مخطوطته الرياضية: «أساس القواعد في أصول الفوائد»، التي هي عبارة عن شرح لمخطوطة «الفوائد البهائية في القواعد الحسابية» لابن الخوام البغدادي، أفكاراً أصيلة مستخدماً المصطلحات الرياضية بأسلوب أدبي يتوغل في خبايا النفس البشرية، وفيما يأتي بعض لتلك الأفكار بحسب تسلسلها في المقدمة:

١- استعمل المؤلفان: البغدادي في مخطوطته والفارسي في شرحه مصطلحات مشتركة بين الرياضيات والأدب بالاعتماد على ألوان من البديع: كالسجع

ب- شرح الكتاب من أوله إلى آخره، ويقول: «وأثبت ما تيسر لي، وأبنت عما تعسر عليّ».

ج- عرض مسودة كتابه على «بعض الأفاضل الحذاق بنظره، فاستحسنه تلطفاً وتكرماً منه لحسن سيره».

د- لما كانت مسائل المقالة الخامسة إلى آخر الكتاب مشروحة غاية الإيضاح، أشار مقوم الكتاب على الفارسي شرح باقي الأعمال، «وتفصيل عبارات فيها إجمال ليكون وافياً بحل الكتاب شافياً لغيل الطلاب».

هـ- امتثل الفارسي لطلب المقوم بكل تواضع، وأعاد النظر في المسائل من أولها، وبذل كل جهده في حل ما رآه من مشكلاتها وأسماها: (أساس القواعد في أصول الفوائد).

٦- يصف الفارسي منهجه العلمي في الشرح:

أ- أضاف مباحث لبيان المسائل.

ب- تجنب «التطويل بما ليس فيه طائل».

ج- قدم براهين للمسائل غير المبرهنة.

د- استعان بكتب الآخرين لتوضيح بعض المسائل.

هـ- وثق المنقولات حتى لا تنسب إليه، فيقول: «ثم نقلته مشيراً إلى المنقول تحريزاً عن أن ينسب إلى المنحول».

و- دعا الله أن يعصمه من الزلل، وألتمس من الناظرين في الكتاب من الفضلاء، «أن يصلحوا منه ما فسد وينظموا منه ما تبدد».

ز- وقدم الفارسي طريقتة في الشرح، وهي الإشارة إلى لفظ الكتاب أولاً ثم شرحه، واستعمل كلمة (قال) للمتن، وكلمة (أقول) للشرح.

وجدنا بعد تحقيقنا لكتاب كمال الدين الفارسي، أنه لو جمعنا الجمل الواردة بعد كلمة «قال» لتشكّل كتاب ابن الخوام البغدادي بشكله الكامل.

ومن ثمّ هناك فصل تام بين جمل مؤلف الكتاب (ابن الخوام)، وجمل شارح الكتاب (كمال الدين).

بالاستمرارية مدّة طويلة، وبالتركيز على تخصص دقيق - وهو علم الحساب -، وكشفت عن العطاء غير المحدود للأستاذ وعن شغف الطالب بالعلم وطلبه بإلحاح، وأثر الأستاذ في بيان الغامض من الكتاب والمعقد منه والإشارة إلى فوائده وأهدافه، فيقول:

- «ولما وفقني الله تعالى إلى الاشتغال بخدمته عنفوان الشباب وإقباله عليّ بالإفادة وخاصة في علم الحساب».

- «ولازمت ذراه سنين متواليّة وأزمنة متماديّة، فلم يزل إذا آنستُ ناراً من أشعة علمه هداني لاقتباسه».

- «أو استرويته ظمأً إلى رشحات فضله أرواني بفضل كأسه، أو خمد في لهب الطلب نكاه بميامن أنفاسه».

- «إلى أن درستُ هذا الكتاب آخرًا بتمامه فهداني إلى معاقده ومُشكلاته».

- «ونبهني على مراده من لطائف قيوده، وفوائد كلماته».

٤- بعد الانتهاء من عمل كمال الدين الفارسي مع أستاذه والابتعاد عنه، ولكي يأخذ قراره بتأليف كتابه، لم يقتصر على دراسة كتاب أستاذه ابن الخوام البغدادي فقط، بل درس كتباً أخرى في علم الحساب، وكوّن فكرة عامة عن هذا الفن، وحدد مشكلاته، وسوّغ أسباب تأليف كتابه وحججه، فيقول:

- «فوجدت جميعها مسائل مُتلقّنة غير مُبيّنة وقضايا متلقّفة غير مبرهنة».

- «ووجدت في كتاب إقليدس في الأصول مبادئ براهينها».

- «فاقترحت على نفسي أن تبين دعاويها وتُفصّل فحاويها ببيانات عديدة وتقريرات واضحة جلية وخاصة بمسائل هذا الكتاب».

٥- اتبع كمال الدين منهجاً واضحاً في مراحل تأليف شرحه:

أ- أبدأ كتابه طالباً من الله تعالى التوفيق كعادة العلماء العرب.

ويفصلها كمال الدين، مع استعمالهما لألفاظ في بعض جملها تستعمل في الرياضيات أيضاً، ومن الصفات: (صاحب القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة، لا تدرکه الحواس، لا يطرد فيه القياس، لا تبلغه ثواقب الأنفهام، ولا تلحقه صوائب الأوهام، مُبدع الآحاد، مؤلف الأعداد ومقسمها إلى الأزواج والأفراد...).

٩- يلتزم كمال الدين البرهان العلمي ويقدمه على المقولات المتداولة، ولا يوافق كمال الدين على مقولة («سبحان من يعلم جذر العدد الأصم، سبحان من يعلم نسبة القطر إلى الدائرة»)، لأنه يقول: «تبين بالبرهان العددي أنه لا يمكن أن يكون للصحاح التي بين مجذورين متوالين جذرٌ عدديٌّ البتة»، «إلا أنه تزداد الكسور المضافة إلى الصحيح من الجذر أنواعاً، وبها يزداد الجواب قرباً من الصواب غير منتهٍ إليه أبداً».

١٠- يدافع المؤلف والشارح عن العلوم الدقيقة ويفسران أهميتها، فيمتدحان العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية، «لكونها هي التي تُستكمل النفس بها، فتكتسب الأخلاق الفاضلة، وتقوى بها على الأفعال الجميلة، وبها تُستحصل السعادة الأخروية»، «وكان علم القوانين الحسابية والمسائل العددية في تقوية النفس وإصلاح الفكر في المكانة العليا والرتبة القصوى».

١١- ويشرحان أهمية علم الإحصاء على الرغم من قلة عدد السكان في العالم وبساطة الحياة في ذلك الزمان، مما يدل على استشرافهما للمستقبل، «وذلك يدل على أنه سبحانه أظهر بها كمال إحاطته بكل شيء وإحصائه لكل شيء، فالعلم بالإحصاء وكيفيته وتدقيق النظر فيه هو من العلوم التي بها يُتشبه بالباري ويُستسعدُّ بها في الدارين».

٧- يعدد الفارسي أسباب اختيار البغدادي صفة (الأول) لرب العالمين في حمده لله، ولم يستعمل لفظة الجلالة (الله)، ويربط تلك الأسباب بالمبادئ الأساسية في فن التواصل والآداب واللطائف وعلم النفس، فيقول:

«الأول: أن ذكر الشيء مبهماً أولاً أوقع في نفس المخاطب من ذكره صريحاً».

«الثاني: أن المشهور لكثرة استعماله وتداوله لا بد وأن تمتلئ منه الأسماع وتميل عنه الطباع، فالعدول عنه إلى غيره أنق للسمع وأنس للطبع».

«الثالث: أن ذكر العظماء ببعض صفات جلالهم دون أسمائهم من كمال الأدب وخصوصاً لمن كان يقصد الثناء عليهم، فإن في ذلك توطئة حسنة لذلك، وخصوصاً لمن كان يشعر بأن المذكور على ترصيف كلامه وتصريفه شهيد (ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد)».

«الرابع: أنه أتى بلفظ الأول المشترك بين المعنى المراد وبين المعنى العددي المصطلح عليه، وهو العدد الذي لا يعدّه إلا الواحد، وذلك من أقسام الإيهام، وهو من أطف صنائع البديع وأغلقها بالطباع، وخصوصاً إذا كان إيهاماً إلى معانٍ قصدها بتأليفه ليكون أول ما يقرع الأسماع ألفاظ متداولة بين أهل هذا العلم، فيكون أنسب بنظم الكتاب، وقد التزمها في خطبته كما ستقف عليه».

«الخامس: أنه لو قال: الحمد لله الأول بلا عدد للجمع بين الفائدتين لكان:

– إما أن يأتي بلفظ الله في قرينتها فيوقع التكرار.

– أو لا يأتي بها فيصير طرني [كذا] نظم القرينتين

غير متجاوبين، وتفوت صنعة الموازنة فيهما».

٨- يقدم المؤلف تعداداً لبعض صفات رب العالمين،

الإكثار المُسَمِّ إلى الإيجاز المفهم»، وجرده من معظم الأمثلة، مع اختصار الطرق اختصاراً «مهتدياً بنور خاطر لا مقتدياً بمسطور الدفاتر».

١٧- يهدي ابن الخوام البغدادي كتابه لصاحب الديوان - في عصره - أو ما يسمى بوزير المالية: شمس الدين محمد بن محمد الجويني ويمدحه، ويشير كمال الدين إلى وفاة محمد بن محمد الجويني ووفاته والده أيضاً.

١٨- وأشار ابن الخوام في مقدمة كتابه إلى مشروعه المستقبلي - كما يفعل العلماء في الوقت الحاضر -، وهو إعداد كتاب في علم الحساب، ويصف رؤيته للكتاب بقوله: «أبين فيه جميع دقائقه، وأشرح به جل حقائقه بالبيانات العددية والبراهين الهندسية»، ويدعو الفارسي لأستاذه بالتوفيق لإنجاز وعده.

يبدو لنا أن البغدادي لم يستطع تنفيذ مشروعه لأن المصادر العربية لم تشر إلى كتاب في علم الحساب للبغدادي بعد «الفوائد البهائية في القواعد الحسابية».

١٩- يقول ابن الخوام: إنَّهُ رتب كتابه على مقدمة وخمس مقالات وخاتمة، وحافظ الشارح على الترتيب نفسه، والمقدمة في حقيقة الحساب والعدد وأقسامه وخواصه، وفي الواحد والواحدة.

ويعرّف الحساب بأنه: «علم تعلم به الجهولات العددية».

٢٠- ثم يشرح كمال الدين ما ذكره ابن الخوام، ويفصل في التعريفات، ويشير إلى أن العدد أحد قسمي الكم:

- «إما أن يوجد بين أجزائه حدٌّ مشتركٌ ويسمى المتصل، وقد يسمى المقدار على بعض الاصطلاحات، وينقسم إلى: الخط والسطح والجسم التعليمي والزمان».

- «أو لا يوجد، ويسمى المنفصل وهو العدد، ورسموه بأنه الكمية المجتمعة من الآحاد، ورسموا

١٢- ويؤكدان المؤلف والشارح أهمية إنجاز العمليات الحسابية بسرعة، ويشيران إلى «أن سرعة الحساب كمالٌ، فلو لم يكن في أصل الحساب شرفٌ لما اعتدَّ السرعة فيه كمالاً».

١٣- يحث كمال الدين على دراسة علم التقاويم والحساب، ويفسر كمال الدين قوله تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ]، فيقول: «جعل تعلم عدد السنين والحساب غاية لجعل الشمس ضياءً والقمر نوراً. ولا شك في شرف العلة، فلا ريب في شرف الغاية».

١٤- يكشف كمال الدين عن أهمية الكتابة والحساب وموقعهما المتميز في الحياة العامة والخاصة وما يحققانه من المكانة المرموقة والسعادة الدنيوية، ويشرح كمال الدين قوله تعالى: (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)، فيقول: «وذلك يدل إلى أنه تسلق بالكتابة والحساب أعلى ذرا الولاية الدنيوية، فنعمت الوسيلتان هما إلى هذه السعادة».

١٥- يتحدث مؤلف الكتاب ابن الخوام البغدادي عن موضوع يتعلق بتصنيف العلوم وموقع علم الرياضيات المتقدم بين باقي العلوم وسبب ذلك، ويشير إلى أنه «جرت عادة الحكماء من المحدثين والقدماء بتقديم تعليم الرياضيات على الإلهيات والطبيعيات لإشحاذها للقوة الفكرية وإعدادها للقوة النظرية»، ويشرح كمال الدين الفارسي تلك العبارات ويُسدِّدها.

١٦- يقدم ابن الخوام أسباباً مقنعة لتأليفه الكتاب ويصفه وصفاً دقيقاً، سالكاً منهجاً علمياً منطقياً، فيقول: «ورأيت خلوة العصر عن تأليف فيه كافٍ ذي بيان شافٍ، فألفت كتاباً جامعاً محيطاً بهذا الفن دقيقه وجليله، مشتتلاً على جملة وتفصيله، خالياً عن الإسهاب الممل والتقصير المخل أخذاً عن

كمال الدين معلوماته الرياضية بأسلوب أدبي شائق مزين بألوان من علم البديع، مستشهداً بالآيات القرآنية وبالحكم المعروضة شعراً.

وتُعد مقدمة مخطوطة «أساس القواعد...» من مقدمات المخطوطات العلمية النادرة التي تبرز مؤهلات العلماء العرب العلمية والأدبية وتكاملها، وتظهر بوضوح النهج التأهيلي المعرفي الشمولي الأفقي والعمودي الذي اتبعه الأساتذة في تكوين طلابهم الذين أصبحوا الدعائم الرئيسة في التطور العلمي خلال فترة ازدهار الحضارة العربية.

وكان كمال الدين الفارسي من العلماء المتميزين في مجال العلوم الدقيقة، وتدل مؤلفاته في علمي الرياضيات والفيزياء على المكانة العلمية المرموقة التي شغلها بين علماء عصره، فقد كان أحد موسوعي عصره البارزين، ومن الذين أسهموا إسهاماً واضحاً في تطور علمي الرياضيات والفيزياء في الحضارة العربية / الإسلامية.

هامش:

١- نَسَب... الأعداء: بيتان من قصيدة طويلة لشاعر عباسي عاش في القرن الرابع الهجري، في الشام والعراق، وهو «السريُّ الرَّفَّاء» وكان من شعراء سيف الدولة بحلب مدة من الزمن، وذكر الزركلي ترجمته في الأعلام الجزء الثالث صفحة / ١٢٨ / ووفاته فقط وأنها سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م، واسمه السريُّ بن أحمد الكندي، المعروف بالرِّفَّاء؛ لأنه كان في صباه يرفو الثياب. والقصيدة المذكورة هي في ديوانه صفحة ٩، في مدح الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبلي: (ديوان السريِّ الرَّفَّاء، عنيت بنشره مكتبة القدسي - القاهرة - ١٣٥٥هـ).

الواحد بأنه الذي لا ينقسم إلى أمور يشاركه في تمام ذاته ليشمل جميع أقسام الواحد، وكلُّ ذلك مبين في العلم الأعلى».

- ثم عدد أقسام العدد، وأشار إلى أنه يبحث عن العدد بوجهين:

«فالأول من حيث أن يثبت لها أو يُسلب عنها أعراض ذاتية، فتكون مسائلها من العلوم النظرية، وهو جدير بأن يسمى: علم العدد.

- والثاني من حيث أن يتوصل من معلوماته إلى ما لم يُعلم من خواصه ولوازمه، فيبحث عن كيفية ذلك، فتكون مسائلها من العلوم العملية: وهو الحساب».

- ويتوصل كمال الدين إلى تحديد موضوع العلم، فيقول:

«فموضوع هذا العلم هو العدد المعلوم ببعض عوارضه من حيث إنه كيف يمكن التأدي منه إلى بعض عوارضه المجهولة».

ويوضح أن تعريفه لعلم الحساب يشمل علم المساحة أيضاً.

٢١- ثم يتطرق كمال الدين إلى موضوع علم الحساب وهو العدد، ويقول: «وإن قد تحقَّق معنى علم الحساب: أنه علمٌ بقواعد يُستعلم بها الأعداد المجهولة عن عوارضها المعلومَّة لزم أن يكون موضوعه العدد المعتبر ببعض لوازمه لا مطلقاً بل من حيث كيفية استعمال بعض لوازمه المجهولة عما اعتبر بها، بل في الحقيقة موضوعه لوازم العدد من حيث إنها موصلة إلى لوازم أخرى».

سادساً - الخاتمة:

تظهر مقدمة مخطوطة «أساس القواعد في أصول الفوائد» الرياضية كفاءة كمال الدين الفارسي في الرياضيات والأدب معاً، ويعرض



# قراءة في مخطوطات كيميائية من تراثنا العربي

د. بثينة جلاخي\*

## مقدمة

برع العرب والمسلمون في مجالات العلم كلّها، وقدموا نتاجاً علمياً وفكرياً على جانب كبير من الأهمية والتأثير من خلال ما أضافوه إلى علوم الأقدمين، وما قدموه من مناهج وإنجازات كان لها عظيم الأثر في تطوير العلوم والمعارف على الصعيد الإنساني، وإتاحة انتقالها إلى أوروبا عبر منافذ متعددة تأتي في طليعتها مدارس الترجمة. فقد طرق العلماء العرب والمسلمون أبواب العلم كلّها بمختلف حقوله، وقد بدأت العلوم عند العرب بحركة الترجمة التي نشطت في أواخر القرن الأول الهجري / الثامن الميلادي، واستمر عطاؤها حتى بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. ولم يكن العلماء العرب في ترجماتهم لتراث الأمم التي سبقتهم مجرد نقل، بل قاموا بدراساتها وتدقيقها وتصحيح الخاطئ منها، وأضافوا إليها الكثير من نتاجهم، وجعلوا ما توصل إليه غيرهم من نتائج مقدمة لأبحاثهم.



\* أستاذة في معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب.

ومحتواها العلمي، وذلك من خلال النسخ التي استطعنا الاطلاع عليها، والتي تعد من المصادر الأساسية في إثراء البحث، وتزودنا بنصوص أصيلة لعلماء لم نستطع الاطلاع على أعمالهم؛ لأنها فقدت ولم تصل إلينا، علمًا أن معظم المخطوطات التي ذكرتها لم تزل مخطوطة ولم تُطبع بعد، وحرصت في ذكر المخطوطات على التسلسل التاريخي.

#### ١- مخطوطة ديوان فردوس الحكمة

**المؤلف:** خالد بن يزيد<sup>(١)</sup> هو خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم من أبناء الخليفة يزيد الأول الذي حكم في الفترة (٦٤٠-٦٨٣ هـ / ٦٨٣-٦٨٠ م)، لم يسجل تاريخ مولده، والراجح أنه ولد نحو سنة (٤٨ هـ / ٦٦٨ م)، توفي خالد بن يزيد سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م) أو في (٩٠ هـ / ٧٠٩ م).

**من مؤلفاته:** ديوان النجوم وفردوس الحكمة، ورسالة في الصنعة الشريفة وخواصها، ورسائل خالد بن يزيد إلى الراهب مريانس، ومؤلفات أخرى كثيرة<sup>(٢)</sup>. أخذ خالد بن يزيد علم الصنعة عن راهبين هما مريانس<sup>(٣)</sup> وإصطفن<sup>(٤)</sup>، ويعتقد أن مريانس هو تلميذ إصطفن، وبهذا يكون خالد قد أخذ العلم عن الأستاذ وتلميذه معًا.

١- النديم، الفهرست، ص ٢٤٢ - ٢٤٤، ٢٥٤، وسزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الرابع، ص ١٧٩ - ١٨٩.  
٢- عن مؤلفاته انظر: سزكين، المجلد الرابع، ص ١٨٧ و ١٨٨، وبروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ١، ص ٢٦٣ البغدادي، هدية العارفين، ج ١، ص ٣٤٣.  
٣- Marinus: هو راهب إسكندراني من القرن الثامن انتقل إلى سورية فيما بعد عمل في الكيمياء، وله عدة مؤلفات نذكر منها: المرشد، الأدوية والقوارير التي تستعمل في الكيمياء، التعليقات. شيخو، علماء النصرانية في الإسلام، ص ٢١٧.  
٤- Stephanus: هو راهب من القرن الثامن عمل في الكيمياء. شيخو، المرجع السابق، ص ١١٣.

وقد لمع اسم عدد من العلماء العرب في مجالات التراث العلمي العربي والإسلامي كلها، منها مجال الكيمياء أو ما سمي علم الصنعة أو علم الإكسير، وكانت الكيمياء قديمًا صناعة يحرص محترفوها على كتمان سرها، بإحاطتهم إيهاها بهالة من الغموض والسحر، ولعل أول من ابتدأ بالعبارة بالكيمياء هم المصريون والعرب والفينيقيون واليهود، واليونان والرومان.

ويعد جابر بن حيان مؤسس الكيمياء العربية، وبجهوده وجهود الرازي وغيرهما بدأت تتضح مبادئ الكيمياء، ويصبح لها طابع العلم الحقيقي، كما بدأت الحقائق التجريبية تساند النظريات العقلية التأملية وتدعمها، وتعددت المواد الكيميائية وصنفت تصنيفًا علميًا، كما تقدمت وسائل البحث الكيميائي وطرق التقطير والتصفيد والحل والتبلور، وكانوا أول من طبق المنهج العلمي في دراسة الظاهرة الكيميائية.

تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب: «لعل أكبر دليل على تحقيقات العرب العظيمة في علم الكيمياء ما نراه اليوم من كلمات وأسماء عربية ما تزال على لسان كل عالم كيميائي، بل لسان كل ربة بيت».

وقد احتفظت أمهات الكتب بأعمال كثير من هؤلاء العلماء، التي تعد مصدرًا أساسيًا لنا في البحث، هذا بالإضافة إلى المخطوطات وأهميتها وما تحويه من إنجازات قيمة، ولا بد من الإشارة إلى أن هناك من نال النصيب الأكبر من الدراسة والتحقيق من علمائنا، وهناك أسماء مغمورة لم تنل حقها من الدراسة، ولم تزل مؤلفاتهم مخطوطة غير محققة حتى اليوم.

وعليه نهدف من خلال هذا البحث تسليط الضوء على عدد من المخطوطات الكيميائية ومؤلفيها

اتبع خالد بن يزيد أسلوب المنظومات الشعرية في شرح العلوم، ويعد فردوس الحكمة من أول النظم العلمية ليس في الكيمياء فحسب، بل في سائر العلوم العقلية الأخرى، ولا شك أن نظم العلوم يؤدي إلى سهولة حفظها وتداولها، وقد كان هذا الأسلوب التعليمي شائعاً قروناً طويلة ومتعاقبة في الحضارة العربية والإسلامية، فنجد الكثير من المنظومات قد صيغ في مجال الكيمياء والطب والفلك والرياضيات والصيدلة والموسيقا وغيرها<sup>(٦)</sup>.

ذكر خالد بن يزيد في قافية الهمزة عن طريقة تحضير الإكسير وكتمانه:

يا طالباً بوريطس الحكماء

يا منطقاً حقاً بغير خفاء

هو زئبق الشرق الذي هتفوا به

في كتبهم من جملة الأشياء

فإذا أردت مثاله فاعمد إلى

جسم النحاس وناره الصفراء

وامزجها مزج امرئ ذي حكمة

واحكم مزوجة الهوا بالماء

واسحق مركبك الذي أزوجته

حتى تراه كزبدة بيضاء

هذا أبار نحاسهم فافطن له

هذا يدك ذوي الحجا النجباء

هذا خمار زوابق المغنيسيا

في جسمها بالغمر للأشياء

فاسكنه مبتهجاً به في قرعة

شدت بشد محكم الأجزاء

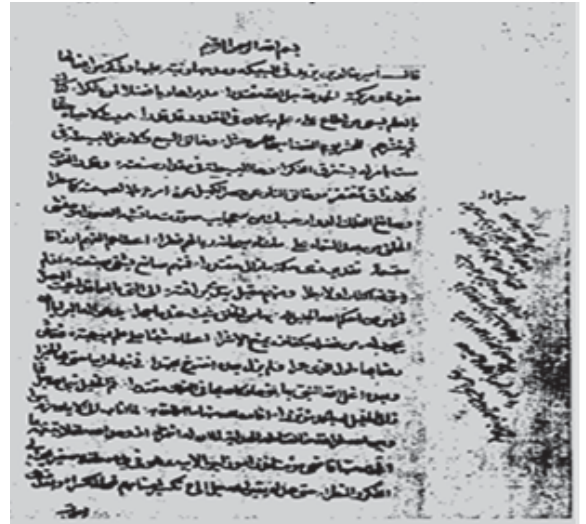
واجعل فديتك ناره موزونة

في حرها كتلهب الأحشاء

قال خالد: «إني رأيت الناس طلبوا الصنعة في كل عصر، وترفعوا عن بيانها، وقرأت الكثير من كتبهم، ودرست أقوالهم وقارنت فيما بينها، فتحيرت وضلت الطريق في فهم ما أشاروا إليه، حتى قادني ذلك إلى زيارة الراهب إصطفن رغبة في الصنعة وتعطشاً لمعرفةا، زرت مخفياً شخصيتي مكباً على خدمته، فلما تبين له معلوماتي وحسن تصرفي في شرع يكشف الأسرار بكلمات واضحة تؤدي إلى الفهم، فلما فعل ذلك واتضح لي معاني الفوز أفصحت له أنني مسلم، وأني ابن ملك»<sup>(٥)</sup>.

### نسخ المخطوطة:

نسخة جامعة طهران، المكتبة المركزية ذات الرقم ١٢٠٥ / ٢، منها صورة في مكتبة الميكرو فيلم في معهد التراث العلمي العربي برقم ٧٩٧، عدد الأوراق ٨١ ورقة، نوع الخط النسخ، يتألف المخطوط من عدة قصائد مرتبة قوافيها على حروف المعجم، ومجموع أبيات المخطوط نحو ٢٩٠٣ بيتاً، وهي على البحر الوافر، الناسخ هو الشيخ عبد المجيد الشناوي الكتبي الشافعي، وهي غير محققة.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

٦- شوقي، العلوم العقلية في المنظومات الشعرية، ص ٢٩.

٥- سزكين، المجلد الرابع، ص ١٨٢.

وقد قرأ خالد كثيرًا من الرسائل وكتب الصنعة، فقال:

**علم الصنعة موقوف على العمل**

**وطالب العلم مقصود على الأجل**

**وفي التجارب أحوال مفرحة**

**لعاقل فطن المعلم محتمل**

وقد اطلع خالد على علوم الحضارات القديمة،

ولا سيَّما علوم الحضارة اليونانية في مرحلتها

الهيلينستية، فقد صرح بذلك وذكر أسماء من أعلام

هاتين الحضارتين، وحث على قراءة رسائلهم في علم

الصنعة فقال:

**وادرس رسائل سرجون وسرجهم**

**مع اللبيب هرقل الفاضل البطل**

**وهرمس وأغاديميون كلهم.**

**وزيسيموس وإسطانيس في المثل**

**وافطن لقولهم واعرف إشاراتهم**

**فالعلم فيها مبين نير السبل<sup>(٧)</sup>**

وعن تركيب الكون أخذ خالد بنظرية العناصر

الأربعة لأرسطو طاليس، فالكون برأيه يتشكل من

الأرض والماء والهواء والنار، قال:

**إن الطبائع كلها مجموعة.**

**في واحد فرد يراه أوجد**

**ماء ونار في وعاء واحد**

**واللون مختلف ورب واحد**

**منها هواء وأرض...<sup>(٨)</sup>**

**٢- مخطوطة الأوزان في علم الميزان**

**المؤلف: أبو مسلمة المجريطي<sup>(٩)</sup> (٣٣٩-٣٩٨هـ**

**/ ٩٥٠-١٠٠٧م) ولد أبو مسلمة محمد بن إبراهيم**

٧- خالد بن يزيد، فردوس الحكمة، ص ٢٠.

٨- المصدر السابق، ص ٥٠.

٩- سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الرابع، ص ٤٢٨،

وكحالة، معجم المؤلفين، ج ١٢، ص ٢٣٤.

بن عبد الدائم المجريطي بمدينة مجريط (مدريد) في

الأندلس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي،

وهو كيميائي مغمور.

**من مؤلفاته:** كتاب الأوزان في علم الميزان، كتاب

رتبة الحكيم ومدخل التعليم، كتاب غاية الحكيم وحق

النتيجتين بالتقديم، كتاب في علم الأحجار وتدبيرها،

رسالة في الطبائع.

**نسخ المخطوطة:**

نسخة وحيدة في العالم موجودة في مكتبة دار

الكتب المصرية ذات الرقم ٤ طبيعيات<sup>(١٠)</sup>، وتتألف من

٦١ ورقة، وفي المكتبة الظاهرية أربع ورقات فقط من

المخطوطة برقم ٤٦٨٤، وهذه الورقات منها صورة في

مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي برقم ٣٥١ /

و ١٠، وقد صنفت خطأ تحت اسم رسالة في الطبيعيات،

وتناولت ميزان النار فقط، والمخطوطة غير محققة.

بيّن المجريطي في فاتحة كتابه أنه قد قرأ كتب العلماء

السابقين له في علم الكيمياء والسيماياء والطلاسم،

فوجد أن علم العناصر والطبائع قد أخذ حينًا كبيرًا

في تلك المؤلفات، لأن أغلب العلماء السابقين له ردوا

أصل الكون من الأرض والسماء إلى العناصر الأربعة،

وهي: النار، الماء، والهواء، والتراب، وإلى الكيفيات أو

الطبائع الأربع وهي: الحرارة، والبرودة، واليبوسة،

والرطوبة، فباتحاد هذه العناصر بموازين معلومة

تتكون جميع الموجودات الطبيعية أو الصناعية في

الكون من الأفلاك والبروج الاثني عشر وغيرها، لذلك

تهافت العلماء على دراسة خواص العناصر الأربعة

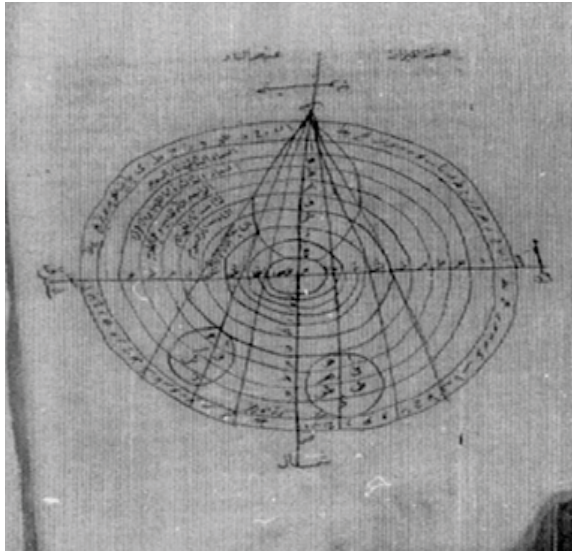
والطبائع الأربع لمعرفة أسرار الكون ومحتوياته من

الكائنات الحية والكواكب السيارة والثابتة وغير ذلك،

١٠- سيد، فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الثالث، القسم

الرابع، ص ١٤.





صورة ميزان النار

### ٣- مخطوطة رتبة الحكيم ومدخل التعليم

المؤلف: أبو مسلمة المجريطي.

نسخ المخطوطة: نسخة مكتبة كتاب بديا موقع إلكتروني، قسم المخطوطات والكتب النادرة، رقم المخطوطة ٢. ٩٦٥، عدد الأوراق من ٤٦ / آ حتى الورقة ١٣٠ / ب.



يتميز هذا الكتاب بقدرة مؤلفه العلمية ودقة ملاحظته، وقد نحا فيه منحى جابر بن حيان<sup>(١٤)</sup> وأبي

١٤- جابر بن حيان: هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي، اختلف المؤرخون في تاريخ ومكان ولادته ورجح بعضهم سنة (١٠٢ هـ - ٧٢٠ م) أو سنة (١٢٠ هـ - ٧٣٧ م) والتاريخ الثاني أصح، أما مكان الولادة فهو خراسان أو الكوفة، اختلف الباحثون في تاريخ وفاته ورجح

ولكن هذه المؤلفات جاءت متضاربة مُشتتة للقارئ برأيه، مما دعاه لتأليف هذا الكتاب الذي يتحدث عن علم الميزان وأسراره، وخواص العناصر والطبائع، وما يلزم كل عنصر وطبع لبلوغ الكمال والاعتدال<sup>(١١)</sup>. فقد قال: «وأن الأصل يرجع إليهم وهم أربعة أشياء نار وتراب وهواء وماء، ولهم أربعة موازين سوف أذكرها إن شاء الله تعالى وهي أصول مبرهنة»<sup>(١٢)</sup>.

ثم بيّن أن أصل النار هو النور المستمد من قدرة الخالق تعالى، إذ تحول هذا النور إلى حرارة نتج عنها النار، فقد قال: «اعلم أيها الأخ في الله تعالى أن أصل عنصر النار النور، ومن الأنوار استحال بقدرة الله تعالى نارًا استمدت من الجزء الفاعل الحار، لما أراد الله تعالى من إظهار القدرة الأزلية الإلهية من إيجاد البسائط الأصلية، وما نشأ عنها من المركبات الدالة على عظمة المبدع سبحانه تعالى»<sup>(١٣)</sup>.



### صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

- ١١- المجريطي، مخطوطة الأوزان في علم الميزان، ص ١.
- ١٢- المجريطي، المصدر السابق، ص ١.
- ١٣- المصدر السابق، ص ١.



بكر الرازي<sup>(١٥)</sup>. ويتألف الكتاب من مدخل وأربع مقالات مختلفة كثيراً في الحجم وهي: المقالة الأولى: فيما يقرأ من كتب الأوائل وكيف يقرأ.

المقالة الثانية: في حجر العمل.

المقالة الثالثة: في عمل الإكسير.

المقالة الرابعة: في الارتباط في رمز القوم والنسب إلى فكها، ويختتم المخطوط بفصل عن تنقية الفلزات من خاماتها وسبائكها.

ذكر المجريبي أن الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب ما رآه من أهل زمانه الذين ينتحلون الحكمة والفلسفة وهم في بيداء الحيرة تائهون، وفي غمرات الضلالة خائضون، كما ذكر في مدخل الكتاب أن الكيمياء والسيمياء علمان متآخيان يرويان معرفة أسرار الطبيعة، وعلى من أراد أن يكون حكيماً كاملاً أن يتقن هذين العلمين، فالكيمياء برأيه تعنى بمعرفة الأرواح الأرضية واستنباط دقائقها للمصلحة الخاصة، أما السيمياء فتعنى بعلم الأرواح العلوية أرواح الكواكب، واستخراج قواها للمصلحة الخاصة.

قال: «ووجدنا الأسرار الطبيعية التي سميتها الأوائل أسراراً هي نتائج من العلوم، وهي نتيجتان أحدهما سيمياء، والثانية كيمياء علما الأوائل المنتفع بهما، ومن لم يصل إليهما فليس بحكيم حتى يحكمهما، وإن أحكم واحدة منهما فهو نصف

بعضهم سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٦ م)، ورجح آخرون سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥ م)، من مؤلفاته: كتاب الخواص الكبير، كتاب السبعين، كتاب الموازين، سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الرابع، ص ١٩٦ - ٣٩٥.

١٥- الرازي: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف من الأئمة في صناعة الطب من أهل الري. ولد وتعلم بها ثم سافر إلى بغداد، اشتغل بالسيمياء والكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره. له تصانيف كثيرة منها «الحاوي في صناعة الطب» و«المرشد». الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٣٠.

حكيم، وهما مشتركتان في اللطافة، فالكيمياء هي معرفة الأرواح الأرضية وإخراج لطائفها والانتفاع بها، أما السيمياء فهي النيرنج والطلسم، وهي علاج الأرواح العلوية واستنزال قواها واستخدام العلويات للانتفاع بها»<sup>(١٦)</sup>.

وقال في فضل الكيمياء: «لا يجوز لأي رجل أن يدعي العلم إذا لم يكن ملماً بالكيمياء، وطالب الكيمياء يجب أن تتوفر فيه شروط معينة لا ينجح بدونها، إذ يلزمه أن ينتقف أولاً في الرياضيات بقراءة إقليدس، وفي الفلك بقراءة المجسطي لبطلميوس، وفي العلوم الطبيعية (الفلسفة) بقراءة أرسطو، ثم ينتقل إلى كتب جابر بن حيان والرازي ليتفهمها، وبعد أن يكون قد اكتسب المبادئ الأساسية للعلوم الطبيعية يجب عليه أن يدرب يديه على إجراء التجارب، وعينه في ملاحظة المواد الكيماوية وتفاعلاتها، وعقله على التفكير فيه»<sup>(١٧)</sup>.

ويرى المجريبي رأي جابر بن حيان في أصل المعادن، وأن اختلافها يرجع إلى نسب الطبائع الأربع التي هي أصل لكل الموجودات، وعلى هذا الأساس كان في مقدور الكيميائي أن يتم بطريق التدبير المتصل عمل الطبيعة، فيحول المعادن من أدناها إلى أعلاها وأشرفها بواسطة الإكسير، لذلك يعد المجريبي من الكيميائيين الذين آمنوا بالإكسير واهتموا بتحضيره، وفي ذلك قال: «الكيمياء دواء شريف وجوهر لطيف ينقل الجواهر من أدناها إلى أعلاها، كما قيل إنه ينقل الأسرب (الرصاص)، الذي هو أقل المعادن قيمة وأزراها منظرًا إلى أفضل الغايات وأتم النهايات إلى الذهب، الذي هو أشرف المعادن وأعظمها، ومنه ما

١٦- المجريبي، رتبة الحكيم.

١٧- عبد الغني، الكيمياء عند العرب، ص ٩٩.

كما ذكر عمر كحالة في كتابه معجم المؤلفين ترجمة مؤلف ديوان شذور الذهب فقال: «علي الأنصاري: أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن خلف الأنصاري، نزيل فاس وخطيبها ومصنف شذور الذهب في صنعة الكيمياء، الذي لم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه، حتى قيل إنه إن لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الأدب، وإن فاتك ذهبه لم يفتك أدبه، ويعرف بابن أرفع رأس. ويقال: هو شاعر الحظ، حكيم الشعر، من تصانيفه: الجهات في علم التوجهات، الوسم الوسيم عن الحجر الكريم»<sup>(٢٠)</sup>.

#### نسخ المخطوطة:

١- نسخة مكتبة لايبزيك، ألمانيا ذات الرقم ٣٨٥، بعنوان: ديوان شذور الذهب وتحقيق الأمور، شذور الذهب في صناعة الكيمياء، ٤٣ ورقة. تاريخ النسخة ١٥ ربيع الأول ٧٨٥هـ.  
أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، قال الشيخ الإمام العالم الحبر العلامة علي بن موسى بن أرفع رأس أبي القاسم الأنصاري المغربي رحمه الله، وعفا عنه ولنا وللمسلمين أجمعين أمين:

إذا تلت المريخ بالزهرة امرؤ

وقارن بالبدر المنير ذكاء

وواصل سعد المشتري بعطارد

إلى زحل كي يستفيد ضياء

وأجمد أدهاناً وحل بحكمة

صخوراً أصارتها المياه هباء

فذاك الذي إن يضح أقفر مغتد

يرح<sup>(٢١)</sup> وهو أغنى العالمين مساءً»

٢٠- كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٢٤٩-٢٥٠.

٢١- يرح: (الرواح) ضد الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل، وهو أيضاً مصدر راح يروح ضد غدا يغدو.

ينقل الزجاج إلى الياقوت، والياقوت من الأحجار الجوهريّة الصافية الشفافة»<sup>(١٨)</sup>.

#### ٤- مخطوطة ديوان شذور الذهب

**المؤلف: علي بن موسى الأندلسي (توفي ٥٠٠هـ / ١١١١م)** هو برهان الدين علي بن أبي القاسم بن أرفع رأس الأندلسي الأنصاري، لم نعرف عن حياته الكثير صنّف ديوانه شذور الذهب كمنظومة شعرية، فقد ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: «شذور الذهب في الإكسير، لأبي الحسن علي بن موسى الحكيم الأندلسي المتوفى سنة خمس مئة، خمس مئة شرف الدين محمد بن موسى القدسي الكاتب تخميساً حسناً، وهو ديوان مرتب على الحروف، وشرحه أيدمر بن علي الجلدي، وسماه غاية السرور»، قال: قد استوعب فيه جميع الحكمة المطلوبة، والنعمة المرغوبة وجميع ما فيه من الأبيات التي صدره بها في حرف الألف، أردت أن أشرحها، أوله: الحمد لله مالك الملك الحق قال الشيخ علي بن سعيد الأنصاري في (شفاء الألم): «وقد شرح بعضهم الشذور - على زعمه - كعلاء الدين القصصي، وابن الجزري، وغيث الدين بن الملوك، وابن عبد السلام الدمشقي. فأما القصصي فكان هائماً في الشعر، وأما ابن عبد السلام فكان تائهاً في قوالح القصب، وأما غياث الدين وابن الجزري فأعجب من الأولين. وطوالع البدور في شرح الشذور، لصاحب كشف الأسرار وهتك الأستار، أوله: الحمد لله الذي زين السموات بأنوار الطوالع... إلخ. ذكر فيه البيت الأول وشرحه على قواعد علم الحروف والنجوم. والشيخ أيدمر بن علي الجلدي شرح صدره سماه الدر المنثور، صنّفه بمدينة القاهرة سنة ٧٤٢هـ، ثم شرح هذا الشرح وسماه كشف الستور»<sup>(١٩)</sup>.

١٨- جلخي، الكيمياء عند المجريطي، ص ٧.

١٩- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٢٩.

آخرها:

«فإن كنت في حل الرموز مدانيا

أخانا فقد نلت الذي كنت راجيا

وإلا فلا ترتع بها فهي روضة

فقد امتلأت للرائدين لأفعايا

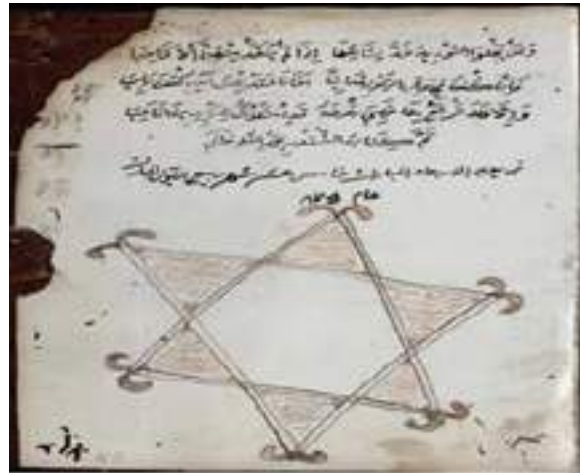
تم كتاب الشذور بحمد الله تعالى في يوم الأربعاء

المبارك خامس عشر شهر ربيع الأول المبارك».

٢. نسخة مكتبة جامعة الرياض، السعودية، ذات الرقم ١٧١٦، بعنوان: شذور الذهب والجامع لمعاني الحكم والأدب، ٤٣ ورقة، تاريخ النسخة القرن الحادي عشر تقديراً.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة.



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة.



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة.

وسرحت الماشية بالغداة، وراحت بالعشي تروح (رواحًا) أي رجعت. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٣١.

بعنوان: مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة، والثانية بعنوان: مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة، وهما تسميتان لكتاب واحد.

**أولها:** «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أبرز أعيان حقائق المكونات، وميّز تعيينات هوياتها بتقنن القوابل والامتزاجات، وأفاض من بحار قدره على أرض التكوين، فأينعت واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومزج مواد عالم التركيب على أقساط الكيان في محكم التمييز، فظهرت أعيانها وتميزت، وتعددت صورها واختلفت، فقامت المركبات من بعد الممات حسب مراتب المزج طبق أنواع وأفنان معدن ونبات وحيوان..... أما بعد سؤالي الله جل وعلا أن يحرس على ما وضعته في هذا الكتاب، وأن يجعل بينه وبين كل جاهل غير مؤهل، ولا مستهو حجاب، فإني لما عثرت بإلهام الله على أسرار الحكمة الإلهية علماً وعملاً».

**آخرها:** «وعليك في نفسك بتقوى الله تعالى سرّاً وجهراً، وبعقد النية على فعل الخيرات دائماً، واقصد بما وهبك الله من الفضل المعونة على العبادة الصالحة لبارئك، وعلى الادخار لما تتزوده من التقوى لدار آخرتك وعقبك، والله يقول الحق ويهدي إلى الصديق، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الفاتح الخاتم أمره».

قسم الطغرائي الكتاب إلى جزأين الجزء الأول<sup>(٢٣)</sup> عبارة عن مقدمة تحتوي على خمسة فصول: المقدمة وهي في مبادئ هذا العلم وأصوله. الفصل الأول: في موضوع علم الكيمياء أو ما يسمى بالصنعة.

٢٢- حقه ودرسه دراسة علمية وتاريخية طالب دراسات عليا في معهد التراث العلمي العربي.

٥- مخطوطة مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة المؤلف: الطغرائي<sup>(٢٢)</sup> (٤٥٣-٥١٥هـ / ١٠٦١م).

هو أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشأ المعروف بالطغرائي، وزير وعالم كيميائي وشاعر، ولد في مدينة جي من مقاطعة أصفهان من بلاد فارس، ولقد لقب بالطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغرى، وهي الطره التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من طرة.

عاش الطغرائي في أصفهان أول حياته حيث تلقى العلوم الأولى في مدارسها، ثم انتقل إلى إربل. تعود شهرة الطغرائي العلمية إلى براعته في الكيمياء، التي تشير إلى أنه فك رموزها وكشف عن أسرارها، وقد بذل جهوداً كثيرة في محاولة تحويل الفلزات الرخيصة من النحاس والرصاص إلى ذهب وفضة، وأفنى في سبيل ذلك جهداً ومالاً كبيرين، وقد كتب الطغرائي عن هذه الصنعة وأجاز تحقيقها، ولكنه بالغ في حكمة من يتوصل إلى الطريقة الصحيحة لتحضير الإكسير، فهو يطلب ممن يمارس الصنعة أن يجيد الحكمة فكراً وعملاً.

### نسخ المخطوطة:

نسخة مكتبة ويلكم ذات الرقم ٢١ / شرقي / WMS، منها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي بالرقم ٢١١٤، عدد الأوراق ١٣٠ ورقة، نوع الخط النسخ، الناسخ مجهول، تاريخ النسخ ١٠٤٠هـ / ١٦٣٩م.

وقد لاحظنا وجود تسميتين للمخطوطة الأولى

٢٢- كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣٦، وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٨٠-٤٦٥، والزركلي، الأعلام، ص٢٢٧.





الفصل الثاني: في المزج والخلط وماهيتهما.  
 الفصل الثالث: في نار القوم وحقيقتها وما هي.  
 الفصل الرابع: في الموازين وما هي وكيفيتها.  
 الفصل الخامس: في معرفة طبائع كل معدن ونبات وغير ذلك.

**والجزء الثاني<sup>(٢٤)</sup> يتكون من سبعة أبواب.**  
 الباب الأول: في بيان الاصطلاحات والرموز وبيان المراد بها.  
 الباب الثاني: في التصعيد وما هو وبيان ما يمكن تصعيده وما لا يمكن تصعيده.  
 الباب الثالث: في التقطير وما هو وبيان ما يمكن تقطيره وما لا يمكن تقطيره.

الباب الرابع: في العقد والتركيب وما هما وكيف يعملان.  
 الباب الخامس: في بيان الحل والتفكيك وكيف يعملان.  
 الباب السادس: في بيان أن الحكماء استنبطوا ذلك من أين وبأي شيء استدلووا على ذلك به.  
 الباب السابع: في بيان التدبير وكيفيته ودرجاته وما تنتجه كل درجة.



صورة الورقة الأولى من المخطوطة.

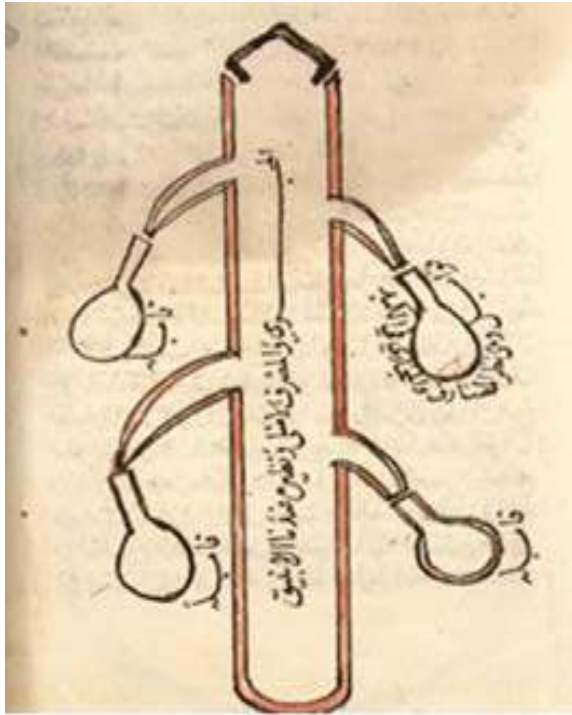
تكشف المخطوطة عن المصادر الأساسية للبحث في علم الكيمياء في تلك الحقبة، التي هي باعتراف الطغرائي نفسه أعمال جلييلة لنخبة من الحكماء الأفاضل نذكر منهم: أفلاطون عاش نحو (٤٢٨-٣٤٨) ق.م، زوسيموس عاش نحو (٣٠٠ م)، مارية القبطية عاشت نحو (١٠٠ م)، أرسطو عاش نحو (٤٨٤-٣٢٤) ق.م، جالينوس عاش في القرن الثاني الميلادي، خالد بن يزيد، الإمام جعفر الصادق ولد سنة (٨٣هـ / ٧٠٣ م)، جابر بن حيان، الرازي، ابن وحشية توفي سنة (٣٥٠هـ / ٩٦٠ م)، والمجريطي..... إلخ.

وقد زينت المخطوطة باستخدام رسوم عدة لمعدات كيميائية، بما في ذلك أوعية التقطير والتصعيد وأنواع مختلفة من الأفران، إضافة إلى جداول تهدف إلى شرح المحتوى النظري.

**عرف الطغرائي عملية التصعيد، فقال: «اعلم أنّ حقيقة التصعيد عند الحكيم عبارة عن تهيئة اللطيف**

٢٤- حَقَّقَ الأبواب الأربعة الأولى منه ودرسها دراسة علمية وتاريخية طالب دراسات عليا في معهد التراث العلمي العربي.





إناء التقطير.

#### ٦- مخطوطة المكتسب في زراعة الذهب

المؤلف: أبو القاسم العراقي<sup>(٢٧)</sup> هو أبو القاسم

محمد بن أحمد، ولد في العراق، ولم يعرف تاريخ ولادته، ولم نعرف عن حياته إلا القليل، ولكنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي. عاش أبو القاسم في القاهرة وربما في دمشق، وطاف البلاد العربية متلمذاً على علماء العراق وسورية ومصر والمغرب واليمن والحجاز.

يقول هوليارد: «إن مقدرة أبي القاسم العراقي تكمن في تفكيره المنطقي بمناقشة القضايا الكيميائية، الذي دعمه بواقع التجارب المخبرية التي قام بها بنفسه، كما أن أبا القاسم العراقي اشتهر بتحرره التام من السحر والغموض اللذين كانا مسيطرين على علم الكيمياء آنذاك»<sup>(٢٨)</sup>.

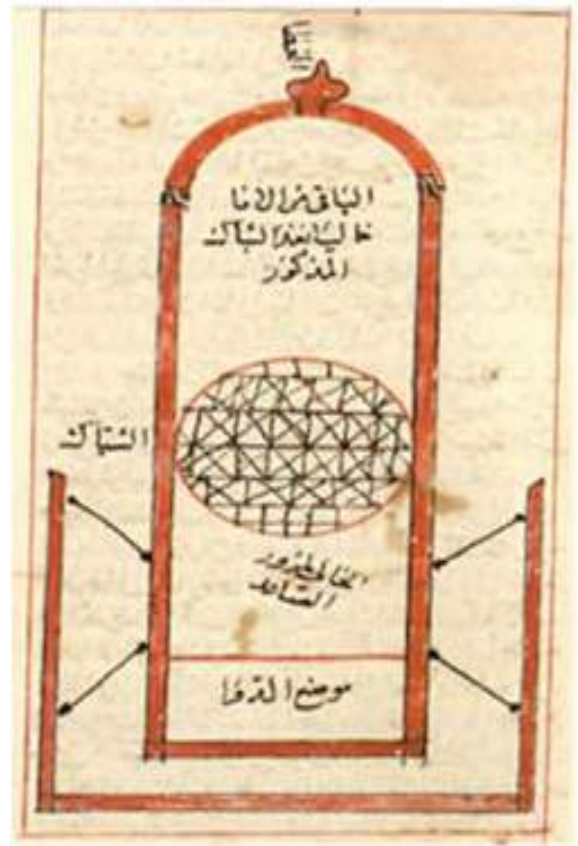
٢٧- محمد فياض، جابر بن حيان وخلفاؤه، ص ٩٥.

28- Holmyard, Chemistry to the Time of Dalton, p123

لقبول الحركة المستقيمة من السفلى إلى العلو، وكذلك أسباب ماديّة وفاعليّة وصوريّة وغائيّة، إذا اجتمعت كانت علة تامّة للتصعيد، أي لا يتخلف وجودها عنه أصلاً»<sup>(٢٥)</sup>.

#### و عرف عملية التقطير فقال: «أمّا بيان حقيقته،

فهو عبارة عن الحكم عند تحليل المواد الرطبة القوام المحلولة بتصعيدها شيئاً فشيئاً إلى أعلى الإناء، وأخذها مسروقة في إناء قابل لما يتكوّن، أو عند تركها لتجتمع وتتساقط تساقط القطر والمطر على تلك المواد، إذا كان فيها جزء أرضي يقبل ذلك المتقاطر»<sup>(٢٦)</sup>.



إناء التصعيد.

٢٥- الطغرائي، كتاب مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة، ص ١٩٤.

٢٦- الطغرائي، المصدر السابق، ص ٢١٠.

فهو يتألف من خمس جمل تشتمل على ستة عشر فصلاً كالاتي:

### الجملة الأولى: تشمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: في موضوع صناعة الكيمياء.

الفصل الثاني: في إمكان زوال العرض الداخلي على النوع إلى أن يرجع إلى نوعيته بالصناعة، وإقامة الدليل على إمكان علم الصناعة وعملها وثبوتها والرد على من أنكراها وأبطلها.

الفصل الثالث: في شرح الهيولى المتقوم منها الإكسير.

الفصل الرابع: في مثال الإكسير وما يشبه عمله.

الفصل الخامس: في قياس التوليد والزراعة.

### الجملة الثانية: تشمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في الكمية التي أخفاها سائر الحكماء.

الفصل الثاني: في كيفية الأشياء التي أخفوها عن سائر الناس.

الفصل الثالث: في القسم الأول من العمل.

الفصل الرابع: في القسم الثاني من العمل الأول.

### الجملة الثالثة: تشمل على فصلين:

الفصل الأول: في كيفية القسم من العمل الثاني.

الفصل الثاني: في كيفية القسم الثاني من العمل الثاني، وهو إكسير الحمرة بما فيه من الكمية.

### الجملة الرابعة: تشمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: «في الاستشهاد على وحدة الماهية المتقوم منه صورة الإكسير».

الفصل الثاني: «في الاستشهاد على الكمية الأولى المكتومة».

الفصل الثالث: «في الاستشهاد على كيفية الابتداء».

الفصل الرابع: «في الاستشهاد على القسم الأول من العمل الأول».

من مؤلفاته: كتاب الكنز الدفين، وكتاب النجاة والاتصال بعين الحياة، وكتاب عيون الحقائق وكشف الطرائف، وكتاب المكتسب في زراعة الذهب الذي دافع فيه عن إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب.

### نسخ المخطوطة:

نسخة مكتبة جامعة الرياض قسم المخطوطات ذات الرقم ٢٦٩٤، ٤٤ ورقة، تاريخ النسخ غير معروف. وهي غير محققة.

**أولها:** «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الأول لا أول قبله الآخر لا آخر بعده، خالق كل شيء شاء إذا شاء، لا إله إلا هو الواحد الموجود بذاته الدال باختلاف مصنوعاته، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل خلق الله تعالى..... وبعد فإني صنفت هذا الكتاب ذاكراً فيه علم صناعة الكيمياء، وعملها من الهيولى التي لا يمتنع العمل منها بعد إقامة الدليل بإمكان الصناعة، وذكرت الكم والكيف مفصلاً، ثم أتيت على كل فصل بشهادات من أقوال الفلاسفة ليكون موافقاً لهم، وختمت الكتاب بفصل بينت فيه ماهية الرموز، وأعربت عن كفييتها ليسهل للقارئ حل مشكلاتها ومعضلاتها، وجعلت ذلك كله في خمس جمل تشتمل على ستة عشر فصلاً، فالجملة الأولى..... وخاتمة الكتاب، وسميته العلم المكتسب في زراعة الذهب»<sup>(٢٩)</sup>.

**آخرها:** «فإذا أضاف إلى ذلك نفس محلول بالماء المذكور، وجمع الجميع بحيزان محكم من نفس وروح وجسد، وأسقى الجميع من مدبر الحكماء، ويجعل من الجميع شيء من خلاصة أرضه، أعني ملحه، ثم يسقى، ثم ينحل، ثم ينعقد بعد تشميع فإنه يبلغ به إكسيراً عجيبياً، فافهم».

نرى أن العراقي اعتمد في تقسيم كتابه على الجمل،

فضةً إن كان معدن الفضة، ولم تنضج ما بعد منها لقلّة الإسخان والحرارة، فقد تبين أنّ هذه الصور الست كلها نوع واحد، وإنما يتميز بعضها من بعض بأعراض مفارقة وعلتها الغائبة أن تصير ذهباً فما سلم من العرض كان ذهباً، وما اعترضه عرض إما من كيفية باردة، فيصير إما فضة وإما رصاصين، وإما من كيفية حارة فيصير إما نحاساً وإما حديداً، وإنما مثل لهذه الصورة الواحدة النوعية كمثال الصحيح الماهية في الإنسان والسقيم، فمتى عولج السقيم إلى أن يذهب سقمه ويرجع إلى الصحة عاد إلى أكمل هيئته الصحيحة»<sup>(٣٠)</sup>.



صورة الورقة الأولى من المخطوطة.



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة.

٣٠- . العراقي، المكتسب في زراعة الذهب، ص ٢.

الفصل الخامس: «في الاستشهاد من العمل الأول وهو انتهاء النقض بالتفصيل».

### الجملة الخامسة: تشمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: «في الاستشهاد على القسم الأول من العمل الثاني».

الفصل الثاني: «في الاستشهاد على القسم الثاني من العمل الثاني».

الفصل الثالث: «في ماهية الرموز».

اعتمد الشيخ العراقي في تعليمه للعلم على أسلوب الإيجاز والاختصار والاستشهاد بكلام القوم بطريقة غير مشروحة، فقد ذكر فيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وهرقل، ومريانس... إلخ.

وقال في موضوع صناعة الكيمياء: «اعلم رحمك الله أنّ موضوع صناعة الكيمياء نوعٌ واحدٌ حقيقي، يسمى المعدني المنطرق يندرج تحت ستة أشخاصٍ صورية طبيعية غير مقيدة، كأشخاص الحيوان والنبات، وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير، تميّزت كل صورة منها عن الأخرى بأعراض مفارقة يمكن بعد فرض زوالها بقاء النوعية، لأننا ندعي فنقول كل نوعين طبيعيين مختلفين بالحد، والحقيقة لا يمكن بالصناعة نقل أحدهما أو استحالته إلى الآخر كالإنسان والفرس، وهذه الصور الست كل واحد منها منتقل إلى الآخر بالصناعة، ودليل آخر هو أنّ من الأول، وهو أنّ الذهب في معدنه منه ما هو كامل الخلقة، ومنه ما يوجد ناقصاً، فيتخلص الناقص بالتعليق، فيتميز منه ذهب وفضة، وكذلك الفضة توجد في معدنها مختلطة بالرصاص فتتخلص فتتميز الفضة من الرصاص، أما علة كون الفضة في معدن الذهب هو أنّ الحرارة أنضجت ما جاورها من أجزاء المعدن فصيرته ذهباً إن كان معدن الذهب، أو



## ٧- مخطوطة نهاية الطلب في شرح المكتسب في

## زراعة الذهب

**المؤلف: الجلدي** (٣١) هو عز الدين أيدير بن علي الجلدي، اختلفت المصادر في اسمه واسم أبيه. ولد في جلدك من قرى خراسان على فرسخين من مشهد الرضا، درس الجلدي في قريته العلوم الأساسية، ثم انتقل بين القاهرة ودمشق، وقضى سبعة عشر عاماً في الترحال في طلب العلم من شيوخ الكيمياء، وجمع أعمال الكيميائيين السابقين كخالد بن يزيد، وجابر بن حيان، وأبي بكر الرازي، والطغرائي وغيرهم.

أجمع المؤرخون على عدم معرفة سنة ولادته إلا أنهم اختلفوا حول سنة وفاته، فجاء في كتاب الأعلام للزركلي أنه توفي سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م)، وقيل إنه توفي سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)، وذكر البغدادي في كتابه هدية العارفين أنه توفي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٣م)، ومع ذلك فهو من أهل المئة الثامنة للهجرة، ويُعد آخر أهم الكتاب العرب ذوي الشهرة، وله تصانيف كثيرة في علوم الحكمة والكيمياء.

قال جابر الشكري: «الجلدي هو آخر الحكماء الذين تكلموا في الكيمياء، جمع أقوال العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين، وصنفها تصنيفاً جيداً، مما يسر للباحثين المؤرخين مراجعة ما بحث وكتب في علم الكيمياء في أوج عصر النهضة العربية والإسلامية، وله آراء مهمة في الكيمياء»، فهو القائل: «إن المواد الكيميائية لا تتفاعل مع بعضها إلا بأوزان معينة، وهذا هو المفتاح الرئيسي في قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي، وتوصل أيضاً إلى فصل

٣١- الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٥، وكحالة، معجم المؤلفين، ج ٣، ص ٢٨

رستم محمود، ميتسكوسايتو، التعريف بالجلدي أشهر كيميائي القرن الرابع عشر، ص ٥٩، ٦٠-٧٢.

الذهب عن الفضة بواسطة حمض النتريك، الذي يذيب الفضة تاركاً الذهب الخالص» (٣٢).

من مؤلفاته: ميز الجلدي من مؤلفاته العديدة أربعة مؤلفات أشار إليها في مقدمة كتابه (البرهان في أسرار علم الميزان) بقوله: «فأعلى ما صنفنا من الكتب في هذا العلم الشريف العالي الأركان أربعة من الكتب، هي لأركان هذا العلم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً في التحقيق والبيان، فأولها نهاية الطلب في شرح المكتسب، ثمَّ التقريب في أسرار التركيب، ثمَّ غاية السرور في شرح الشذور والذي هو أبلغ ديوان، والرابع كنز الاختصاص في علم الخواص» (٣٣).

## نسخ المخطوطة

١. نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية ذات الرقم ١٠٣٥ / ب، ومنها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي بالرقم ٧٢ نسخت بقلم معتاد، كتبت سنة ٩٩١ هـ، ٢٥٠ ورقة، وهذه النسخة تشمل الكتاب كاملاً أي ثلاثة أسفار.



٢. نسخة جامعة الملك سعود ذات الرقم / ٢٩٧٧ / ٤٣٦، ورقة، تاريخ النسخ سنة ١٢٨٩ هـ. وهي نسخة جيدة حديثة، وهي تشمل السفر الثاني والثالث.

٢٢- الشكري، الكيمياء عند العرب، ص ٨٧.

٢٣- الجلدي، البرهان في أسرار علم الميزان، نسخة مكتبة معهد ويلكم، برقم ٦٢٩، مكتبة الميكروفيلم بمعهد التراث العلمي العربي برقم ٢١٠١، ج ١، ص ٤-٥-٦.

والعناصر والأعراض والجواهر وكل المكونات، وميِّز بين الأرواح والأجسام والأجناس والأنواع والأعالي والأسافل والبساط والمركبات، وجعل لنوع الإنسان التصرف في الصنائع العلمية والعملية، وكرَّمه وفضَّله على كثير من المخلوقات...».

**آخرها:** «وقد تم السفر الثالث من كتاب نهاية الطلب في شرح المكتسب في زراعة الذهب للأستاذ الكامل والحكيم الفاضل أيدمر بن علي بن أيدمر الجلكي».

وقد اتَّضح لنا أنَّ جميع العناوين تبحث في المعادن وتركيبها وصفاتها، وبالإكسير وعلاقته بالمعادن وبالجر، وبالروحانيات وبعض الفوائد الطبية والروحانية.

ابتدأ الجلكي كتابه بالحمد والثناء على الله تعالى، ثم بين لنا الصعوبات التي واجهها في تأليفه لهذا الكتاب، وكيف عانى الكثير حتى يطلعنا على أهمية هذا العلم، وأنه اختار كتاب «المكتسب في زراعة الذهب» دون أن يعلم من هو مؤلفه؛ إذ قال: «لأننا لما اطلعنا على متن هذا الكتاب، الذي هو المكتسب في زراعة الذهب، وجدناه كله على الصواب بأوجز لفظٍ وأعلى عبارةٍ وأتم علمٍ وأكمل عملٍ، ولم نعلم من هو مصنِّفه ولا من وصفه وألفه، فلله درُّه من حكيم ما أعلمه وأوسع فهمه، قدس الله روحه، وبرد مضجعه، ونور ضريحه، فإنه من السادة الإخوان والأئمة الأفاضل في هذا الشأن، فاعتمدنا على الله سبحانه وتعالى وشرحنا منه الجمل والفصول، وبالله المستعان، وبه ومنه وإليه الوصول، ورتبنا هذا الشرح المذكور على ثلاثة أسفارٍ لكل سفرٍ مقدمة ومقالات تفصل بفصول وخاتمة».

يتضح أن الجلكي قد شرح الكتاب دون أن يعلم من هو المؤلف، وتقدَّم أن كتاب المكتسب في زراعة



٣. نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ذات الرقم / ٣٩٢٤ / ، ٢١٣ ورقة، وتشمل الأسفار الثلاثة.



**أولها:** «بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي تعالى عن العليل والمعلولات، وتقدس عن لوازم الأجسام والمتحيزات، وتنزه عن أن تحيط به العقول والإدراكات الواجب الوجود لذاته البديع الصفات أتقن صنع ما صنع، وأبدع الحركات، وأوجد الطبائع



الذهب للشيخ أبي القاسم العراقي.

وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أسفار، وكل سفر يتألف من مقالات وكل مقالة من أبواب، وهو كتاب ضخم وشامل يسرد فيه المؤلف أقوال الكيميائيين السابقين له في علم الكيمياء، ويعلق شارحاً ومفسراً موافقاً أو معارضاً لتلك الأفكار، وذلك بعد إجراء التجارب.

### وصف السفر الأول<sup>(٣٤)</sup> من المخطوط:

المقالة الأولى: تشتمل على خمسة أبواب:

الباب الأول: في شرح الفصل الأول من الجملة الأولى من كتاب المكتسب في موضوع صناعة الكيمياء. الباب الثاني: فيه شرح الفصل الثاني في إمكان زوال العرض الداخل على النوع إلى أن يرجع إلى نوعيته بالصناعة، وإقامة الدليل على إمكان علم الصناعة وعملها وثبوتها والرد على من أنكرها وأبطلها.

الباب الثالث: فيه شرح الفصل الثالث في شرح

الهيولى المتقوم منها الإكسير.

الباب الرابع: فيه شرح الفصل الرابع في مثال

الإكسير وما يشبه عمله.

الباب الخامس: فيه شرح الفصل الخامس في قياس

التوليد والزراعة.

### المقالة الثانية: تشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: يشتمل على شرح الفصل الأول من

الجملة الثانية في الكمية التي أخفاها سائر الحكماء.

الباب الثاني: في شرح الفصل الثاني في كيفية

الأشياء التي أخفوها عن سائر الناس.

الباب الثالث: فيه شرح الفصل الثالث في القسم

الأول من العمل.

الباب الرابع: فيه شرح الفصل الرابع في القسم

الثاني من العمل الأول.

### المقالة الثالثة: تشتمل على بابين:

الباب الأول: فيه شرح الفصل الأول من المقالة

الثالثة في كيفية القسم من العمل الثاني.

الباب الثاني: فيه شرح الفصل الثاني في كيفية

القسم الثاني من العمل الثاني، وهو إكسير الحمرة

بما فيه من الكمية.

نهاية السفر الأول من المخطوط: «اعلم أننا قد

أوضحنا لك الطريق المثلى، وأقمنا واضح البرهان،

وأتينا في شرحنا هذا ما لم ينسج على منواله أحد من

متقدمي هذه الصناعة ولا متأخريها، وسلكنا في طريقنا

طريق صاحب المكتسب في التحقيق وإقامة البرهان

على الحق وحذف الباطل وإزالة الشك والشبه....».

### وصف السفر الثاني<sup>(٣٥)</sup> من المخطوط:

المقالة الأولى: تشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: فيه شرح الفصل الأول من الجملة الرابعة في

الاستشهاد على وحدة الماهية المتقوم منها صورة الإكسير.

الباب الثاني: فيه شرح الفصل الثاني في الاستشهاد

على الكمية الأولى المكتومة.

الباب الثالث: في شرح الفصل الثالث في الاستشهاد

على كيفية الابتداء.

الباب الرابع: في شرح الفصل الرابع في الاستشهاد

على القسم الأول من العمل الأول.

### المقالة الثانية: تشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: فيه شرح الفصل الخامس من الجملة

الرابعة في الاستشهاد على كيفية القسم الثاني من

العمل الأول وهو انتهاء النقض وبالتفصيل.

٣٥- حَقَّقَتْ هَذَا السَّفَرِ وَدَرَسَتْهُ طَالِبَةٌ دَرَسَاتٍ عَلِيَا فِي مَعْهَدِ

التراث العلمي العربي.

٣٤- حَقَّقَتْ هَذَا السَّفَرِ وَدَرَسَتْهُ طَالِبَةٌ دَرَسَاتٍ عَلِيَا فِي مَعْهَدِ

التراث العلمي العربي.

بداية السفر الثالث: «الحمد لله العليم بأسرار مخلوقاته الدال على نفسه ببراهين آثار آياته، وأنه هو الله لا إله إلا هو واجد الوجود لذاته، والذي علم الإنسان ما لم يعلم...».

#### ٨. مخطوطة رسالة بغية الخبير في قانون طلب

الإكسير

المؤلف: الجلدي

نسخ المخطوطة: وهي غير محققة.

نسخة مكتبة عبد الله يوركي حلاق ذات الرقم ٢٠، ومنها صورة في مكتبة الميكرو فيلم في معهد التراث العلمي العربي بالرقم ١٢٣، ١٨ ورقة، نوع الخط النسخ، الناسخ مجهول.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم رب العالمين والصلاة والتسليم على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

آخرها: «وقد تمت رسالة بغية الخبير في قانون طلب الإكسير للعلامة أيدير بن علي بن أيدير الجلدي».

يتألف الكتاب من مقدمة وعشرة فصول وخاتمة، يسرد فيه المؤلف أقوال الكيميائيين السابقين له وتجاربهم التي قاموا بها لتحضير الإكسير، وقد عرف الإكسير بقوله: «الإكسير ما فات الطبيعة عن البلوغ بالفلزات إلى جوهر الذهب»<sup>(٣٧)</sup>، وأكد في هذه الرسالة أن جابر بن حيان قدم كل شيء عن الإكسير ومن أتى بعده لم يضيف أي شيء جديد، فقال: «ما أحد قدم من جديد؛ فقد أشبع هذا الباب الأستاذ الفاضل أبو موسى جابر بن حيان في كتبه»<sup>(٣٨)</sup>. وقد ذكر الجلدي في مقدمة كتابه أنه ألفه في مدينة دمشق سنة ٧٤٠ هـ.

٣٧- الجلدي، مخطوطة رسالة بغية الخبير في قانون طلب الإكسير، ص ٧.

٣٨- الجلدي، بغية الخبير في قانون طلب الإكسير، ص ٣٠.

الباب الثاني: فيه شرح الفصل الأول من الجملة الخامسة في الاستشهاد على القسم الأول من العمل الثاني.

الباب الثالث: في شرح الفصل الثاني في الاستشهاد على القسم الثاني من العمل الثاني.

بداية السفر الثاني «بسم الله الرحمن الرحيم، وهو حسبي، ونعم الوكيل، وبه نستعين، وبه ثقتي، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، الحمد لله الذي أظهر الآيات الباهرة دالة على أنه واجد الوجود لذاته، وجعل العقول أعلام العلوم الزاهرة دالة على نعوت جلاله وصفاته، وأغنى أهل الوصول عن التحصيل، وصرفهم في صنائع مصنوعاته، وأسبغ نعمه الظاهرة والباطنة على كل فرد من مخلوقاته».

نهاية السفر الثاني: «واعلم بمكان سر ما أودعناه لك وأدعناه لتفهمه، ولم نبخل عليك بما من الله به علينا، واشكر الباري تعالى وتفكر في آياته البديعة، وعظم حكمته الجليلة الرفيعة وشديد قدرته على إبراز الأشياء وتكوينها، وإعداد موادها وتعيينها وإبداعها القوى الغالبة...».

#### وصف السفر الثالث<sup>(٣٦)</sup> من المخطوط:

المقالة الأولى: منه تشتمل على بابين:

الباب الأول: في بيان ما كتبه صاحب المكتسب وأخفاه.

الباب الثاني: في كيفية طرح الإكسير.

المقالة الثانية: تشتمل على بابين:

الباب الأول: في شرح الفصل الثالث في ماهية الرموز.

الباب الثاني: نذكر فيه كلام الحكماء وفك الرموز ومفاتيح الكنوز.

٣٦- لم يحق.

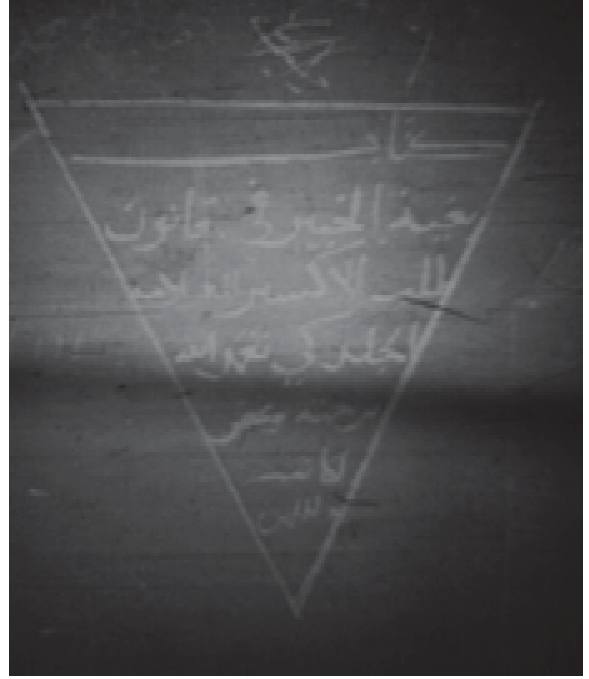
تاريخ النسخ ٢٧ رجب ٩٤١ هـ، الناسخ هو أحمد بن أحمد بن محمد الرملي المرصفي المحمدي المالكي الصوفي.

٢. نسخة مكتبة جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية، ذات الرقم ٦٨٩، ٢٣٤ ورقة، نسخة جيدة، خطها نسخ حسن، تاريخ النسخ ١٠٩١ هـ، الناسخ هو محمد الزرقاني.

٣. نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، ذات الرقم ٦٧٧٤، ٣٢٣ ورقة، تاريخ النسخ القرن الثالث عشر الهجري.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وبه ثقتي. الحمد لله مالك الملك الحق القدير الغفور، الخالق للخلق الذي أضاء من نور مدده كل نور، وأبدع وأتقن ما صنع، وأوجد كل موجود إلى الشهادة والظهور، أهدى من يشاء بنور هدايته لنهاية كل طلب مبرور، وأوصل من اختار من عباده الأبرار بحكمته إلى غاية السرور، وأحمده على النعم التي أمدّها في الدارين على كل عارف صبور وشكور، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له المحسن الغفور، وأشهد أنّ محمداً عبده الصادق ورسوله المبعوث بجوامع الكلم وأكرم الأمور، صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والملائكة والأولياء وكل من كان بنور الهداية مشهور ومشكور، ما تفجرت أنهار وعيون ينابيع الحكمة من كل قلب بذكر الله معمور.

أمّا بعد فإنّ الإنسان عقد عهد ولاية بالخلافة والتمكين، في هذه الدار بالعلم الناتج عن العقل وتصور النفس للبرهان المبين، وقد وقفت على ديوان الشيخ الإمام العلامة برهان الدين علي بن أبي القاسم بن أرفع رأس الأندلسي الأنصاري، تغمده الله بالرحمة



#### ٩- مخطوطة غاية السرور في شرح الشذور

وهي شرح لديوان شذور الذهب للشيخ برهان الدين بن أرفع رأس الأندلسي الأنصاري، وذكر ذلك المؤلف في مقدمة الكتاب.

المؤلف: الجلدي

نسخ المخطوطة:

١. نسخة مكتبة جامعة لايبزيك في ألمانيا، ذات الرقم

٨٣٦، ١٢١ ورقة، نوع الخط نسخ،



الورقة الأولى من نسخة مكتبة جامعة الملك سعود.



الورقة الأولى من نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود.

### ١٠. مخطوطة النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في علم الميقات

**المؤلف:** هو محمد بن أبي الخير الحسني<sup>(٤٠)</sup> الدمشقي ت(٨٧١هـ / ١٤٦٧م)، وهو غير أبي الخير محمد بن عبد الله الأرميوني المصري، الذي نسب إليه الزركلي هذا الكتاب خطأً، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي وضعها المؤلف.

#### نسخ المخطوطة:

١. نسخة جامعة الملك سعود، وهي نسخة جيدة خطها نسخي معتاد، ١٦ ورقة، نسخت في القرن الثاني عشر الهجري تقديراً، والناسخ هو محمد بن علي.

٤٠ - كحالة، معجم المؤلفين، ج ٩، ص ٢٩٣.

والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان وما حوى فيه من الدر المنظوم من تحقيق علم الصناعة الإلهية على أحسن أسلوب وأفصح لسان، وهو المسمى بشذور الذهب على الإشارات الواضحة الموصلة إلى مفاتيح إغلاق الكنوز، لكنه اشتمل على معانٍ لا يفهمها إلا من وفقه الله تعالى لفك الرموز.

ووقفت له على عدة شروح من كل حكيم فاضل نصوح، فتحققت أن الديوان المذكور أبين وأوضح مما كادوا أن يوضحوه، فاستخرت الله، وشرحته شرحاً مبيناً بإتقان، ليكون دربة للطالب المستحق على الوصول إلى طريق الحكماء من أهل هذا الشأن، فالحذر من التفوه به لأحد من أهل الجهالة وعصبة الخذلان مع المبالغة في الستر والكتمان لتفوز من الله تعالى بالعناية الشاملة والسعادة الكاملة وبالله المستعان، وسميته غاية السرور في شرح الشذور، وقسمته إلى أربعة أجزاء كل جزء منها يشتمل على شرح سبعة حروف على التمام، إلا الرابع فإنه مستوعب شرح ثمانية حروف من النظام كل حرف منها بقسم<sup>(٣٩)</sup>.



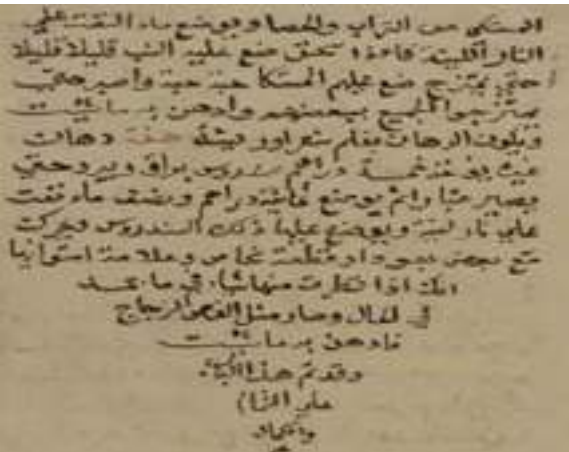
الورقة الأولى من نسخة مكتبة جامعة لايبزيك.

٣٩ - الجلدي، مخطوطة غاية السرور في شرح الشذور، نسخة جامعة لايبزيك، ص ١.



٣. نسخة المكتبة الرقمية العالمية، تتألف من ٤٢

صفحة.



٤. نسخة مكتبة المصطفى، وهي نسخة جيدة،

خطها نسخ، وتتألف من ٤٠ ورقة، نسخت سنة

١٠٩٠هـ، والناسخ أحمد بن عبد المنعم الأنصاري.



٢. نسخة جامعة الملك سعود، وهي نسخة جيدة

تتألف من ٢١ ورقة، نسخت سنة ١١٧٣هـ، الناسخ هو

محمد بن محمد صدام اليميني.





العلمي، التي تبحث في علم التّقانة (التكنولوجيا الكيميائية)، فهو غني بمعلومات قيمة حول تنقية المواد الكيميائية، وأنواع الأدوات والأجهزة المستخدمة، والعمليات الكيميائية، وخطوات التصنيع، والخواص الطبيعية للمواد، والتفاعلات الكيميائية، ومعالجة بعض الصباغات والدهانات والمعادن والأحبار وأمور التزيين، فهو يحتوي على ثروة من المعلومات والمصطلحات الفنية حول مختلف الصناعات في التراث وردت في أبوابه الخمسة والعشرين كالآتي:

الباب الأول: في حل المصطكى والسندروس.

الباب الثاني: في حل التصفيرة.

الباب الثالث: في علاج الزيت الحار واستخراج

دهن الخروع ودهن الجوز.

الباب الرابع: في أصول الألوان وتصويلها.

الباب الخامس: في تركيب الألوان.

الباب السادس: في حل اللكّ وحل العصفر

واستخراج عكره.

الباب السابع: في معرفة تصويل اللازورد وغسله

وشطفه.

الباب الثامن: في معرفة خلط أي لون أردت مع

السندروس المحلول وكيفية البهام.

الباب التاسع: في غسل الدهان وما ينبغي أن يفعل به.

الباب العاشر: في حل الذهب والفضة للكتابة.

الباب الحادي عشر: في عمل الهباب وحل الصمغ

الذي يخلط به كل من الألوان.

الباب ١٢: في معرفة التقييد على الدهان إذا كتبت

أو زوقت عليه بذهب أو فضة.

الباب ١٣: في ذكر شيء من المدادات.

الباب ١٤: في صباغ العظم والعاج والقرون

وخشب الشوم.



**أولها:** «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من المهلكات، .... وبعد فيقول راجي عفوريه من الذنوب والزلات محمد بن أبي الخير الحسيني يسر الله له الخيرات، إني استخرت الله تعالى في وضع فوائد مهمات لا بد منها لمن أراد التوصل إلى فن الوضعيات، وسميتها النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في علم الميقات ورتبتها على خمسة وعشرين باباً».

**آخرها:** «صفة دهان غيره يؤخذ خمسة دراهم سندروس براق، ويبرد حتى يصير غباراً، ثم يوضع ثمانية دراهم ونصف ماء على نار لينة، ويوضع عليها ذلك السندروس، ويحرك مع بعض بعود أو قطعة نحاس، وعلامة استوائها أنك إذا قطرت منها شيئاً جمد في الحال، وصار مثل فص الزجاج، فادهن به ما شئت. وقد تم هذا الباب على التمام والكمال».

نشير إلى أن اسم المخطوط يوحى للقارئ أنه يتحدث عن علم الميقات، ولكن بالاطلاع على مضمونه وجدنا أنه من كتب الصناعات الكيميائية في التراث

### المصادر والمراجع

١. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ١٩٦٢م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
٢. ابن يزيد، خالد، فردوس الحكمة، نسخة جامعة طهران، المكتبة المركزية رقم ١٢٠٥ / ٢، ١٥٥ ورقة، الرقم في معهد التراث العلمي العربي ٧٩٧.
٣. بروكلمان، كارل، ١٩٨٣م، تاريخ الأدب العربي، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، مصر.
٤. البغدادي، إسماعيل باشا، ١٩٥١م، هدية العارفين، مجلدين، إسطنبول، تركيا.
٥. جلخي، بثينة، ٢٠٠٧م، الكيمياء عند المجريطي، المؤتمر السنوي الثامن والعشرون لتاريخ العلوم عند العرب، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي.
٦. المجريطي، أبو مسلمة، كتاب الأوزان في علم الميزان، نسخة مكتبة الميكرو فيلم في معهد التراث ذات الرقم ١٣٥١ / ١٠ نقلًا عن نسخة مكتبة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤ طبيعيات.
٧. الجلدي، أيدير بن علي، رسالة بغية الخبير في قانون طلب الإكسير، نسخة مكتبة عبد الله يوركي حلاق ذات الرقم ٢٠، ١٨ ورقة، الرقم في معهد التراث العلمي العربي ١٢٣.
٨. الجلدي، أيدير بن علي، كتاب نهاية الطلب في شرح المكتسب في زراعة الذهب، نسخة بلدية الإسكندرية ذات الرقم ١٠٣٥ / ب، الرقم في معهد التراث العلمي العربي ٧٢، ٢٥٠ ورقة.
٩. الجلدي، أيدير بن علي، البرهان في أسرار علم الميزان، نسخة مكتبة معهد ويلكم، برقم ٦٢٩، مكتبة الميكروفيلم بمعهد التراث العلمي العربي برقم ٢١٠.

- الباب ١٥: في ذكر شيء من اللحامات.
- الباب ١٦: في صفة اللحام.
- الباب ١٧: في حل ماء الذهب الذي يذهب به الحديد والسكاكين.
- الباب ١٨: في تليين الحديد اليابس الذي لم يقطع فيه المبرد وصفة الماء الخارق.
- الباب ١٩: في ذكر أشياء يطبخ بها الحديد، ويعمل منها السيوف والسكاكين.
- الباب ٢٠: في جلاء الحديد وتخضيره وتسويده وتطويسه.
- الباب ٢١: في ذكر الجيد من حجر المغناطيس.
- الباب ٢٢: في معرفة العين الشمالية والجنوبية من حجر المغناطيس.
- الباب ٢٣: في عمل بيت الإبرة.
- الباب ٢٤: في عمل سبك ما يحتاج إليه من دوائر المعدل ودوائر الميول إلخ.
- الباب ٢٥: في صفة تغرية الورق في أي لون كان وصفة صباغه وصفة عمل الغراء المتخذ من السمك.

### خاتمة

حاولنا مما سبق التعريف بعدد من المخطوطات الكيميائية المهمة، وتسليط الضوء على مؤلفيها ومحتواها العلمي أملين أن تكون هذه الدراسة مرجعية خصبة للباحثين وطلاب العلم، وأرجو أن يكون هذا البحث مبادرة متواضعة في إبراز دور الحضارة العربية في تقدم علم الكيمياء. ونشير إلى أن ما ذكرناه من مخطوطات ما هو إلا غيض من فيض، فهناك كثير من المخطوطات الكيميائية معظمها مخطوط لم يُطبع بعد، أو طُبِعَ عن نسخة واحدة بغير تحقيق جيد، ويحتاج إلى من يعيد إصداره محققًا حسب قواعد التحقيق أصولًا.

- الرقم ٢١ شرقي WMS، ١٣٠ / ورقة، الرقم في معهد التراث العلمي العربي ٢١١٤.
٢٠. **عبد الغني**، مصطفى لبيب، ١٩٦٧م، **الكيمياء عند العرب**، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر.
٢١. **العراقي**، أبو القاسم، **المكتسب في زراعة الذهب**، نسخة جامعة الملك سعود.
٢٢. **فياض**، محمد، ١٩٥٠م، **جابر بن حيان وخلفاؤه**، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.
٢٣. **كحالة**، عمر، ١٩٥٧م، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٣، ج ٢، ج ٩.
٢٤. **النديم**، محمد بن إسحاق، د.ت، **الفهرست**، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

25.- Holmyard, 1879, *Chemistry to the of Science*, London .



١٠. **حاجي خليفة**، مصطفى عبد الله، ١٩٤١-١٩٤٣، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، طبعة محمد شرف الدين بالتقايا، وزارة المعارف التركية.
١١. **الرازي**، زين الدين، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، **مختار الصحاح**، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط ٥.
١٢. **رستم**، محمود، **ميتسكوسايتو**، ١٩٨٧م، **التعريف بالجلدي أشهر كيمائي القرن الرابع عشر**، أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب.
١٣. **الزركلي**، خير الدين، ٢٠٠٢م، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط ١٥، ج ٥، ج ٦.
١٤. **سزكين**، فؤاد، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة عبد الله حجازي، المجلد الرابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
١٥. **سيد**، فؤاد، ١٩٦٣م، **فهرس المخطوطات المصورة لعلوم الكيمياء والطبيعيات**، ج ٣ جامعة الدول العربية، القاهرة، مصر.
١٦. **الشكري**، جابر، ١٩٧٩م، **الكيمياء عند العرب**، دار الحرية للطباعة، بغداد.
١٧. **شوقي**، جلال، ١٩٩٠م، **العلوم العقلية في المنظومات الشعرية**، سلسلة التراث العلمي العربي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
١٨. **شيخو**، لويس، ١٩٨٣م، **علماء النصرانية في الإسلام**، ٦٢٢-١٣٠٠م، حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمة اليسوعي، سلسلة التراث العربي المسيحي، رقم (٥)، المكتبة البوليسية، جونيه، لبنان.
١٩. **الطغرائي**، الحسين، **كتاب مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة**، نسخة مكتبة ويلكم ذات

# المعارف التاريخية عند الرحالة العرب

## «ابن بطوطة مثالا»

د. عباس مرهج فرج\*

إن أول ما يواجه الباحث في علم التاريخ غزارة المعلومات التاريخية، وصعوبة الحصول عليها في الوقت نفسه، لذا يجد نفسه مضطراً إلى العودة إلى مصادر مؤلفة في مختلف المعارف والعلوم، ومراجعة ما ورد فيها وإن لم يكن الهدف منها التأريخ والتوثيق فقط، من هنا تبرز أهمية كتب الرحالة التي تزود الباحث بمعلومات مهمة في ميدان الدراسات التاريخية الواسع، وتحجز مكاناً خاصاً في المكتبة الثقافية عامة والتاريخية خاصة، نظراً لما تتضمنه من معلومات قيّمة، وما تنطوي عليه صفحاتها من وصف مرئي أطلع الرحالة عليه، وعاصروا أحداثه، وشاهدوا حقيقته، فضمت كتب الرحلات فوائد ومعلومات تاريخية واجتماعية وتراثية عدّة، وأصبحت شاهداً على الأوضاع السائدة التي عاصرتها، وقدمت وصفاً صادقاً للأماكن والشخصيات بما في ذلك وصف شامل للشعوب وأحوالهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم، من هنا غدت سجلاً حافلاً بالمشاهدات والمعانيات، إلى جانب الانطباعات الشخصية عن الجوانب الحضارية والاجتماعية التي تناولوها، ووفرت مادة غنية ليس للمؤرخين فحسب، بل للجغرافيين وعلماء الاجتماع والاقتصاد ودارسي الأدب وغيرهم.

### تعريف الرحلة:

لغة: (رحل) الرأء والحاء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضيٍّ في سفرٍ. يُقال: رَحَلَ يَرَحَلُ، وَرِحْلَةٌ. وجملاً رحيل: نو رحلة، إذا كان قوياً على الرحلة، والرحلة: الارتحال<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب: إن أصل الكلمة من رَحَلَ، من مشتقاتها: «الرَّحْلُ: مركب للبعير والناقة، وجمعه أرحل ورحال، والرحالة من مراكب الرجال دون النساء. والراحول: الرَّحْلُ. وقال ابن سيده: والرحالة في أشعار العرب السَّرْجُ، وقال: والرحالة سَرَجٌ من جلود ليس فيها خشب كانوا يتخذونه للرَّكُضِ الشَّدِيدِ، والجمع: الرَّحائلُ»<sup>(٢)</sup>.

\* مدرّس في قسم التاريخ. كلية الآداب الثانية. جامعة دمشق.

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثاني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢، ص: ٤٩٧.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص: ١٦٠٨، ١٦٠٩.



والرحلة نشاط إنساني عرفه الإنسان منذ القدم، وقد اعترف كثير من الرحّالين والمؤرّخين بأهميتها وفوائدها، إذ يذكر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: «والرّحلة لا بدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرّجال»<sup>(٥)</sup>. وكذلك يعرف الغزالي السّفر والرّحلة بقوله: «نوع حركة ومخالطة، فيها تعب ومشقة وأخطار، وهي وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب أو مرغوب فيه»<sup>(٦)</sup>.

٥- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار مكتبة هلال، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠، ص ٣٣٦.  
٦- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العربي، د.ط، د.ت، الجزء الثاني، ص ٢١٧.

واشتقت من المعاني السابقة صيغة «الرّحالة»: الكثير الرحلة. [التاء للمبالغة]<sup>(٣)</sup>.

**اصطلاحاً:** لا تختلف الرحلة من حيث الاصطلاح عن مفهومها اللّغوي، لأنها تعني: حركة الفرد وانتقاله من مكان إلى آخر، ومن ثم العودة إلى وطنه بسجّلات دوّنت فيها ملاحظاته ودراساته وانطباعاته عن البقاع التي جال فيها، ومن الجدير بالذكر أن ذلك التدوين لا بد أن يكون على درجة من الصدق والدقة وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير<sup>(٤)</sup>.

٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، ص: ٣٤٧.  
٤- إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، مصر، العدد ٧، ١٩٧٥، ص ٥٢.



فالرحلة، إذن، ما يُسجَله الرَّحَّالَة من انطباعات واقعية عن الحياة الإنسانية بمختلف بيئاتها المتنوعة وتراثها المتناقض من منطقة إلى أخرى، فهي تصوّر حضارة العصر الذي عاشوا فيه، وثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها، فجعلها المؤرِّخ نصّاً تاريخياً فيه كثير من المعلومات المتصلة بالبلدان المزوَّرة، وجعلها الجغرافي مصدرًا يستقي منه ما يورده الرحَّالَة من معلومات جغرافية عن الأماكن التي مرَّ بها.

### أنواع الرحلة ودوافعها:

تنوّعت أنواع الرِّحْلَة بتنوع الأهداف والحاجات والمقاصد، وتعدّدت بتعدد الأسباب الدافعة إليها، فكان أهم أنواعها:

١- الرحلة التجارية: هي التي قام بها التُّجَّار العرب طلباً للثراء ومحبةً في السَّفَر، جابوا في سبيلها البحار والمحيطات، وسافروا عبر المفاوز والشُّعاب يتنقلون وينقلون بضائعهم من بلد إلى آخر، فنتج عن أسفارهم تحديد أهمّ المراكز المشهورة بالنَّشاط التِّجَّاري في ذلك العصر، وذكروا أهمّ السُّلَع المتبادلة بين الممالك، وكثيراً ما كانوا يعودون بمال كثير وأخبارٍ طريفة، الأمر الذي جعل كُتُب رحلاتهم تحظى بمكانة مرموقة لدى عامة النَّاس، إذ أقبلوا على قراءتها بشغف، من هؤلاء الرَّحَّالين التُّجَّار: سليمان التَّاجر السِّيرافي<sup>(٧)</sup>،

٧- من الرَّحَّالين الأوائل الذين جابوا بحار الهند والصين في القرن الثالث الهجري، بدأ رحلته مبحراً من مرفأ (سيراف) على الخليج العربي من أجل المتاجرة إلى مسقط على ساحل الجزيرة العربية، ومن هناك اخترق المحيط الهندي حتى سرنديب (جزيرة سيلان الآن في جمهورية سريلانكا)، حتى وصل إلى شواطئ الصين. للمزيد انظر: حبلوص مصطفى سالم عبد الله، أدب الرحلات عند العرب - نشأته وتطوره - ابن بطوطة أنموذجاً، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية: سلسلة الدراسات التاريخية (٩٥)، طرابلس - ليبيا، ٢٠٠٩، ص ٤٦.

وياقوت الحموي<sup>(٨)</sup>.

٢- الرِّحْلَة الجغرافية: هي التي تتناول وصف المدن والطرق والبحار والأنهار والجبال والظواهر الطبيعيَّة الأخرى، وكلُّ ما له علاقة بالإنسان والأرض، فوصفوا أحوال المناخ السَّائدة في الأقاليم، وعرفوا بأماكن وجود المعادن بمختلف أنواعها، وقد جاءت هذه الرحلات زاخرة بالمعلومات الجغرافيَّة والاجتماعيَّة والتَّاريخيَّة والاقتصاديَّة وغيرها، من هؤلاء الرَّحَّالين الجغرافيين المقدسي<sup>(٩)</sup> والإدريسي<sup>(١٠)</sup>.

٣- الرِّحْلَة العلميَّة: هي التي تتناول المجالات العلميَّة، مثل علم الفلك والتنجيم والرياضيات والطب، وقد دأب الرَّحَّالون على السفر من أجل طلب العلم والمعرفة، فعرفوا علوم البلدان التي زاروها بمنهجية علمية ونظرة تحليلية، ووصفوا عاداتها وتقاليدها، من أشهر هؤلاء البيروني<sup>(١١)</sup>.

٨- هو أبو عبد الله شهاب الدين الحموي البغدادي، أصله من الروم، ولد سنة ٥٧٤هـ، كان من أبرز رحَّالِي العرب، وعالمًا بعلوم عدة منها اللغة والأدب والجغرافيا والشريعة، وله كتب عدة: منها معجم البلدان ومعجم الأدياء، توفي سنة ٦٢٦هـ للمزيد انظر خير الدين الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢، ٨/ ١٣١.

٩- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البُناء المقدسي، ولد بالقدس سنة ٣٢٦هـ، جال معظم أرجاء العالم الإسلامي، وسافر إلى جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والمغرب وبلاد فارس، من أشهر أعماله: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، توفي سنة ٤١٤هـ. للمزيد انظر: خير الدين الزركلي الدمشقي، المرجع السابق، ٥/ ٣١٢.

١٠- محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالإدريسي، ولد في سبته ٤٩٣هـ، نشأ وتعلَّم في قرطبة، شملت رحلاته الأندلس والمغرب ومصر والشَّام وجزيرة العرب، ووصل إلى الجزر البريطانية، من أهم مؤلفاته: كتابه المسمَّى -نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، توفي سنة ٥٦٠هـ للمزيد انظر: حبلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع السابق، ص ٩٢-٩٤.

١١- محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ في بيرون من نواحي خوارزم، أقام وقتاً طويلاً بين الهنود وتعلَّم لغتهم، وطاف في رحلات عدة داخل بلادهم، إذ ألف رحلته المعروفة بكتاب الهند، أو «كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل

٦- الرحلة الدينية: يُعدُّ الحج وزيارة الأماكن المقدَّسة والعبادة والزهد والوعظ الدافع الأساسي لهذه الرحلات، إذ تحدَّث الرَّحَّالون في كتبهم عن شعائر الحج والعمرة من مناسك وعبادات وغيرها، ووصفوا بأسلوبهم مواكب الحجاج في حلِّها وترحالها، والمدن التي مرُّوا بها، والبلدان التي اجتازوها، والبحار التي ركبوها، فاتَّسَّمت رحلاتهم بصبغة دينية، ورسمت صورة واضحة المعالم للأماكن المقدَّسة، وأبرزت القيم الدينية السائدة في تلك الآونة، من هؤلاء الرَّحَّالَة ابن جُبَيْر<sup>(١٣)</sup>.

بالرَّغم من تداخل أغراض الرَّحلات ودوافعها إنَّ هناك طابعاً مميزاً لكلِّ رحلة ألقى بظلاله على سياقها العام، مما دعا إلى ضرورة تصنيفها تحت أنواع محدَّدة، وإن كانت هناك أهداف مشتركة تجمع بينها أحياناً.

سوف نسعى في هذا المقام إلى الوقوف عند أهمية كتب الرَّحلات في تدوين التاريخ انطلاقاً من رحلة ابن بطوطة دون سواها من الرَّحلات، لأنها كانت أشهرها قاطبة، وأشملها أخباراً، وأوسعها آفاقاً، فقد سجَّلت عادات المجتمعات وتقاليدها، وسلوكاتهم، ونظمهم الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية بمختلف طبقاتها، عبر كتابه الموسوم بـ «رحلة ابن بطوطة» المُسمَّاة: «تحفة النُّظار في غرائب الأمصار

١٣- أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنَانِي الأندلسي، ولد سنة ٥٤٠هـ، تلقى تعليمه على يد ثلثة من العلماء في المغرب والأندلس، اشتهر بثقافته الواسعة في العلوم الشرعية والنقلية، قام بعدة رحلات إلى المشرق، بغية أداء مناسك الحج، زار بعدها مصر وبلاد الشام والعراق، وقد تزامنت رحلته مع الحروب الصليبية على البلاد العربية، دوَّن خلال رحلته ما شاهده في مذكرات يومية، وصف فيها الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في البلاد العربية، وركز على المدن ومعالها الدينية، توفي سنة ٦١٤هـ، للمزيد انظر: فؤاد قنديل، الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٣٨٩-٣٩١.

٤- الرَّحلة التاريخية: تُعدُّ كتب الرحلات مصدراً تاريخياً مهماً، لأنها تتحدَّث عن الحوادث التاريخية، وسير الملوك، وتفاسل الأحداث التي عاصرها الرَّحَّالون، فصوَّرت اللحظة التاريخية التي عاشوها ورأوها بأبصار العين، فنقلوها بلغة صادقة، وسرد مُمتع يعكس رؤيتهم للأشياء. من هنا يُعدُّ نص الرحلة وثيقة تاريخية مهمة يستفيد منها المؤرِّخ والباحث على حدِّ سواء، وسوف نستعرض لاحقاً رحلة ابن بطوطة، وأهم المعارف والقيم التاريخية التي قدَّمها خلال رحلاته، إذ يمكن عدُّها مصدراً قيماً للكثير من المؤرِّخين الذين عكفوا على دراستها والأخذ منها، والإشادة بدورها المهم في بعث الدراسات التاريخية وتطويرها.

٥- الرحلة الرِّسْمِيَّة أو رحلة المَهْمَّات: هي التي تتعلَّق بتبادل السِّفارات بين الدول، فهي رحلة خاصة تهدف إلى تأدية مهمة رِسمِيَّة، وغالباً ما تكون مموَّلة من الدولة، فقد جاب الرَّحَّالون السِّفراء العرب مشارق الأرض ومغاربها، يحملون رايات دولهم، وعادوا بمشاهدات عن أنظمة الدول، وطبيعتها، ومكامن قوتها وضعفها من جوانبها المختلفة العسكرية والاقتصادية والسياسية، كذلك أسهمت هذه السفارات في بناء علاقات وطيدة بين دولة العرب وما جاورها من ممالك العجم، من أشهر هذه الرحلات رحلة يحيى بن حكم البكريِّ المُلقَّب بالغزال<sup>(١٤)</sup>.

أو مرذولة»، توفي سنة ٤٤٨هـ للمزيد انظر: حبلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع نفسه، ١٠٧-١١٤.

١٢- هو يحيى بن حكم البكريِّ الأندلسي، ولد سنة ١٥٦هـ، أوفده الأمير عبد الرَّحْمَن الثَّانِي في سفارة إلى ملك الرُّوم، إذ عرض بعد عودته على الأمير عبد الرَّحْمَن الثَّانِي تقريره المفصَّل عما دار في سفارته من مباحثات، وما وصلت إليه من نتائج، وما حقَّته من اتفاقيات بين الطَّرفين، لُقِّب بالغزال لوسامته وجماله، توفي سنة ٢٥٠هـ للمزيد انظر: حبلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٧١-١٧٧.

وُلد لأسرة تولى كثير من أفرادها القضاء، وقد درس وتعلّم في مدينة طنجة ليُهيئ نفسه للقضاء على مذهب الإمام مالك، مثله في ذلك مثل باقي أفراد عائلته، وهذا ما أكّده عندما عُرضت عليه الوظائف في دهلي (عاصمة الهند القديمة)، إذ قال: «أمّا الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأمّا القضاء والمشيحة فشغلي وشغل آبائي»<sup>(١٥)</sup>. بعد عودة ابن بطوطة من رحلته ٧٥٤هـ، التي استغرقت تسعاً وعشرين سنة ونصف السنة، وسجّل تفاصيلها في ذاكرته، لأنه لم يكن يدوّن أحداثها يومياً، أمره السلطان أبو عنان فارس المريني سلطان فاس أن يدوّن تلك الرحلة وقيدها، فاستجاب للأمر، وانتهى من تقييدها كما ذكر في نهايتها في الثالث من شهر ذي الحجة سنة ٧٥٦هـ، بعد ذلك عهد السلطان إلى كاتبه محمد بن أحمد بن جزّي<sup>(١٦)</sup> بتنقيحها وصياغتها صياغة أدبية، «وصدر الأمر العالي لعقد مقامهم الكريم، المنقطع إلى باب المتشرّف بخدمة جنابهم، محمد بن محمد بن جزّي الكلبّي أعانه الله على خدمتهم، وأوزعه شكر نعمتهم أن يضمّ أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك»<sup>(١٧)</sup>، فأمّت ذلك في شهر صفر سنة ٥٧٧هـ. ثم تولى القضاء بعد ذلك في الدولة المرينية ببقية حياته إلى أن توفّي سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م<sup>(١٨)</sup>.

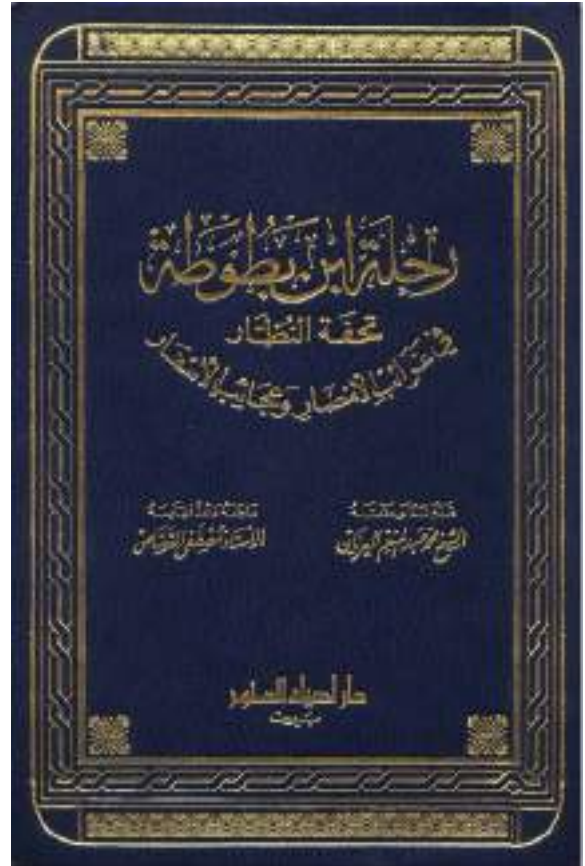
بن يحيى ابن بطوطة، مما يدل على أن هذا اللقب ظل يُطلق على أفراد هذه الأسرة على توالي أجيالها. للمزيد انظر: محمد بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العرياني، الجزء الأول، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧، ص: ١٤. ١٥- المصدر نفسه: الجزء الثاني، ص: ٥٢٢.

١٦- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزّي الكلبّي، وُلد في غرناطة، كان فقيهاً عالماً بالأصول واللغة، له مؤلّفات في الفقه والأصول والعقائد واللغة والتراجم والحديث والقراءات وعلم التنزيل، وأشهر مؤلّفات: «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية»، وعُرقت بقوانين ابن جزّي، ويعود له الفضل في تلخيص رحلة ابن بطوطة، وصياغتها بالصورة التي بين أيدينا، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٣.

١٧- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٣٢.

١٨- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٥-٢٠.

وعجائب الأسفار»، استطاع أن ينقلنا عبر سطورهِ إلى أماكن ترحاله، وجعلنا نعيش أحداث عصره بأدق تفاصيله، لأنه يقدّم تصوراً شاملاً عن البلدان التي زارها خلال القرن الثامن الهجريّ، وسنعرّف بابن بطوطة، بإبراز القيمة التاريخية لهذه الرحلة، ومدى أهمية كتب الرحلات في تدوين التاريخ، والمعارف التاريخية التي تحملها في طياتها.



### ابن بطوطة:

ولد شيخ الرّحّالين العرب محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي في سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م، في مدينة طنجة على مضيق جبل طارق شمال المغرب، كنيته أبو عبد الله، ولقبه شمس الدين، يُعرف بابن بطوطة<sup>(١٤)</sup>، وقد

١٤- لم يكن هذا اللقب خاصاً به، بل كانت تلقب به أسرته أيضاً، فقد ذكر أن قاضي رندة بالأندلس هو ابن عمه الفقيه أبو القاسم محمد



### رحلته وأسفاره:

كانت العاطفة الدينية، والرغبة في أداء فريضة الحج وطلب العلم، قد دفعتا ابن بطوطة للبدء برحلته، وقد ذكر ذلك في قوله: «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمئة، معتمداً حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفرداً عن رفيق أنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة، كامن في الحيازم»<sup>(١٩)</sup>. وقد ذكر ألم الفراق الذي قاساه بسبب البعد عن وطنه وأهله، ولاسيما والديه، فقال: «فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والدي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً، ولقيت كما لقياً

١٩- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٣٣.

من الفراق نصباً، وسنيّ يومئذ اثنتان وعشرون سنة»<sup>(٢٠)</sup>.

سافر ابن بطوطة من طنجة إلى تونس ماراً بالجزائر، ثم سافر بعد ذلك عبر السواحل الليبية إلى الإسكندرية، فذكر أبوابها الأربعة ومرساها، وتحدث عن منارتها وأعمدتها، وأحسن وصفها، فقال: «قصدت المنار في هذه الوجهة، فرأيت أحد جوانبه متهدماً، وصفته أنه بناء مربع، زاهب في الهواء، وبابه مرتفع عن الأرض... وداخل الباب موضع لجلوس حارس المنار، وداخل المنار بيوت كثيرة... ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام الهائل الذي بخارجها المسمى عندهم بعمود السواري، وهو متوسط في غابة نخل وقد امتاز عن شجراتها سموً وارتفاعاً، وهو قطعة واحدة محكمة النحت، وقد أقيم على قواعد حجارة مربعة»<sup>(٢١)</sup>، بعد ذلك مرّ بالقاهرة وصعيد

٢٠- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول: ص ٣٣.

٢١- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٣٩-٤٠.



بعد ذلك غادر ابن بطوطة القاهرة متجهاً جنوباً لعبور البحر الأحمر والوصول إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، لكنه لم يتيسر له عبور البحر الأحمر، ورجع إلى القاهرة، ومنها سافر إلى بلاد الشام، ودخلها من غزة التي وصفها بأنها: «كثيرة العمارة حسنة الأسواق، بها المساجد العديدة والأسوار عليها»<sup>(٢٥)</sup>، ثم سافر إلى مدينة الخليل التي وصفها بأنها: «صغيرة المساحة كبيرة المقدار مشرقة الأنوار حسنة المنظر عجيبه المخبر»<sup>(٢٦)</sup>، ثم سافر إلى القدس، فوصف المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وذكر بعض فضلاء القدس مثل القاضي شمس الدين محمد بن سالم الغزي، وشهاب الدين المطري، وغيرهما<sup>(٢٧)</sup>، وتحدث عن سورها الصخري المنحوت المحيط بها، وكيف هدم الملك صلاح الدين بعض أجزائه، واستكمل هدمه في عهد الملك الظاهر، فلم يبق منه أي أثر كي تغدو المدينة مكتشوفة على المسلمين، ولا تمتنع عليهم إذا ما دخلها الروم من جديد<sup>(٢٨)</sup>. بعد ذلك زار كلاً من الرملة ونابلس وعكا وصور وصيدا وبيروت وطرابلس الشام وصولاً إلى حمص التي وصفها بأنها: «المدينة المليحة، أرجاؤها مونقة، أشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميز بالحسن الجامع، في وسطه ماء، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم»<sup>(٢٩)</sup>، ثم سافر منها إلى حماة، فوصف بساتينها ونواعيرها وحماماتها وأسواقها، بعدها سافر إلى حلب «المدينة الكبرى والقاعدة العظمى»<sup>(٣٠)</sup>،

مصر، فذهلته بساتينها وخيراتها، ومساجدها ومدارسها وزواياها ومزاراتها وأهراماتها وبراريها، وسلاطينها وأمراؤها وقضاتها وعلماؤها وأعيانها، وجمال نيلها وطبيعة أهلها الخيرة، وتحدث عن الحركة الأدبية والفكرية السائدة فيها، فذكر مجلس كاتب الملك الناصر فخر الدين القهطي الذي اتخذ في ناحية من داره، وجعله ملتقى للعلماء والفقهاء، حيث قال: «ومن عاداته أن يجلس عشي النهار في مجلس له بأسطوان»<sup>(٣١)</sup> داره على النيل يليه المسجد... ويحضر عنده في ذلك الوقت الفقهاء، ويقرأ بين يديه كتاب البخاري، فإذا صلى العشاء الأخيرة انصرف الناس عنه»<sup>(٣٢)</sup>.

وعلى سطح الجامع الأزهر كان مجلس الشيخ قوام الدين الكرمانلي، وهو من أجلة العلماء المشهورين، وكان يحضره جماعة من القراء والفقهاء، يدرسون فنون العلم<sup>(٣٤)</sup>.



٢٥- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٧٣.

٢٦- نفسه.

٢٧- نفسه، الجزء الأول، ص ٧٧.

٢٨- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٧٥-٧٦.

٢٩- نفسه، ص ٨٣.

٣٠- المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٨٥.

٢٢- أسطوان: سارية، وربما يقصد هنا فناء الدار.

٢٣- المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٦٢-٦٣.

٢٤- نفسه، الجزء الأول، ص ٦٤.





في جميع فنون العلم، ووجد لكل مادة من مواد العلوم المختلفة معلماً خاصاً بها، ولهم في ذلك ترتيبات خاصة كما جاء في قوله: «وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله، يستند كل واحد منهم إلى سارية من سوازي المسجد، يلقن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى، وإنما يقرؤون القرآن تلقيناً، ومعلم الخط غير معلم القرآن»<sup>(٣٣)</sup>.

كذلك تحدث عن مرض الطاعون الذي اجتاح بلاد الشام ومصر وأخر شهر ربيع الثاني سنة ٥٧٤٩هـ، إذ بلغ عدد الموتى في اليوم الواحد في دمشق ألفين، وفي القاهرة أربعة وعشرين ألفاً، ووصف كيف تضرع الناس ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً إلى الله لرفع بلاء هذا المرض عنهم، وأنهم صاموا ثلاثة أيام متتالية، ثم قصدوا مسجد الأقدام<sup>(٣٤)</sup>، وأقاموا فيه للتضرع والدعاء إلى الله.

٣٣- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١١٠.

٣٤- يقع جنوب مدينة دمشق، وسُمي مسجد الأقدام نسبة إلى قدم رجل مصورة على أحد حجراته، ويقال: إنها أثر قدم النبي موسى عليه السلام، وهو مسجد عظيم كثير البركة، وله أوقاف كثيرة كما وصفه المؤلف. انظر المصدر نفسه، الجزء الأول: ١١٥.

وقد أبدع في وصف قلعتها ومساجدها وبساتينها وذكر قضاتها، بعد ذلك سافر إلى مدينة اللاذقية ثم إلى مدينة دمشق، إذ وصلها يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين بعد سبعمئة، وقد أبدع في وصفها، فقال: «ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً، وتتقدمها جمالاً، وكل وصف وإن طال، فهو قاصر عن محاسنها»<sup>(٣٥)</sup>، وذكر مدارسها (العادلةية والظاهرية والنورية والنجمية وغيرها)، وأبوابها (الفراديس، الجابية، باب الصغير، باب شرقي، باب البريد)، وأسواقها وحراراتها وأزقتها وربوتها، إذ قال: «والربوة من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها وبها القصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك.... وهذه الربوة المباركة رأس بساتين دمشق، وبها منابع مياهها»<sup>(٣٦)</sup>، كما أبدع في وصف جامع بني أمية الكبير، وذكر المدرسين والمعلمين وحلقات التدريس فيه، وعرف بقضاتها وعلمائها، ففي باحة هذا الجامع وجد ابن بطوطة عدة حلقات للتدريس

٣٥- المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٠٠.

٣٦- نفسه: ص ١١٨.

هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثل بمعاهاها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجاميع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، نائياً لتكرار الوفاة، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام<sup>(٣٧)</sup>. وقد أحسن ابن بطوطة في الحديث عن مدينة مكة، فذكر أبوابها وجبالها وثمار أشجارها، والمسجد الحرام وأبوابه، وبئر زمزم، والحجر الأسود، والمقام الشريف، والكعبة المشرفة، فقال عنها: «والكعبة ماثلة في وسط المسجد، وهي بنية مرتفعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعاً... وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجذع، وحيطانه كذلك لها ثلاثة أعمدة طوال مفرطة الطول من خشب الساج<sup>(٣٨)</sup>.... ومن عجائب الآيات في الكعبة الشريفة أن بابها يفتح والحرم غاصصٌ بأمر لا يحصيها إلا الله الذي خلقهم ورزقهم، فيدخلون أجمعين ولا تضيق بهم»<sup>(٣٩)</sup>. وتحدث عن كسوتها فقال: «وهي كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان، وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾<sup>(٤٠)</sup>، وفي سائر جهاتها طراز مكتوب فيه بالبياض آيات من القرآن، وعليها نور لائح مشرق من سوادها»<sup>(٤١)</sup>.



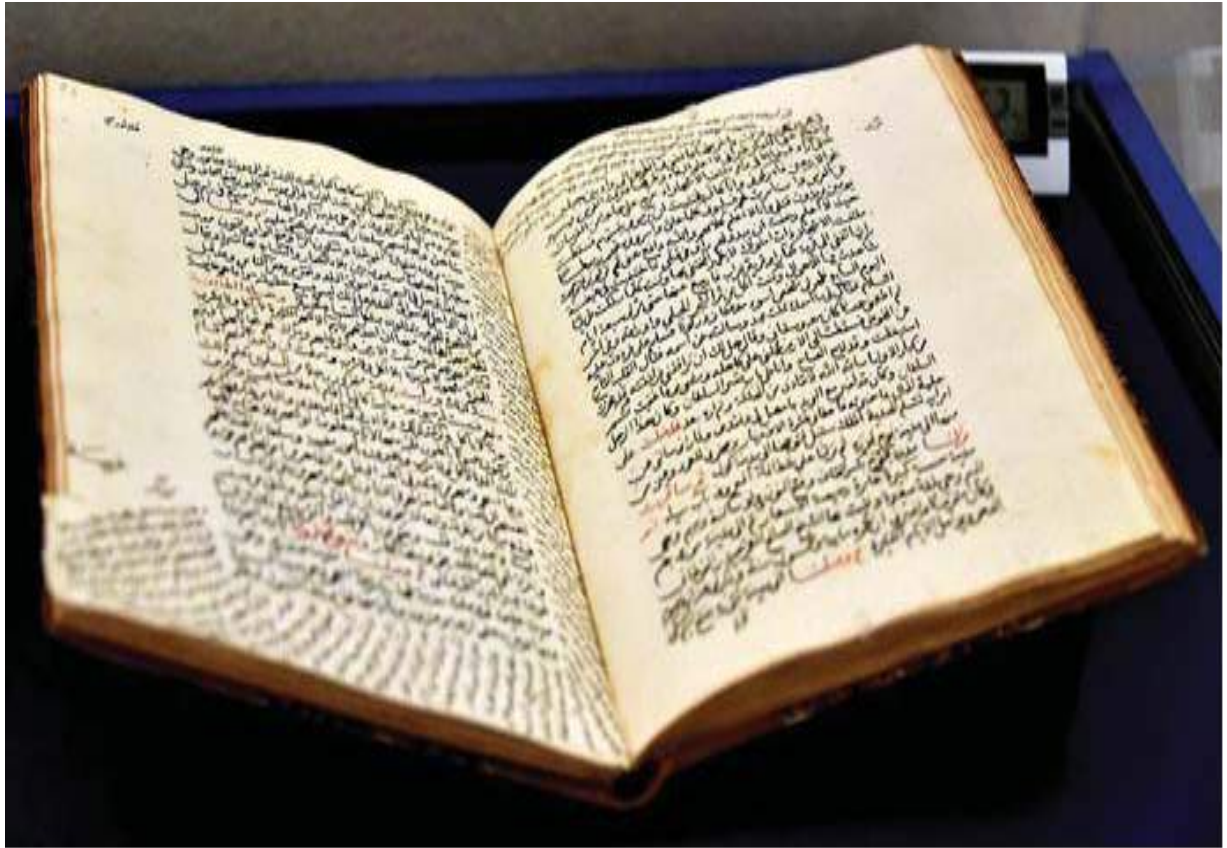
مخطوطة ابن بطوطة من مخطوطات المتحف البريطاني، رقم 1001. وقد كتبت في مكة في رجب 1384. الصورة الأولى من المخطوطة وهي صورة من القاموس العربي الذي وضعه ابن بطوطة.

وقد بين ابن بطوطة في مخطوطه أن المرأة في دمشق كانت تتمتع بمكانة مرموقة في جميع المجالات، من بينها المجال العلمي الرفيع الذي تبوأته، حتى صارت تتمتع بالمكانة والحرية نفسها التي تمتع بها العلماء في ذلك العصر، وكان من بين العالمات اللواتي أجزنهن في مدينة دمشق إجازة علمية: «الشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني، والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، كل هؤلاء أجزنني إجازة عامة في ست وعشرين بدمشق»<sup>(٣٥)</sup>.

ثم رافق ابن بطوطة الركب الحجازي الذي انطلق من دمشق لأداء مناسك الحج، وفي طريقه إلى مكة عبر سهول عسفان<sup>(٣٦)</sup>، إذ سرى الليل كله، ومع إطلالة الصباح وصل مكة المكرمة، حيث لاحت له أركان البيت العتيق، وانتابه شعور مفعم بالشوق، فهذه أول مرة يقف فيها أمام أعتاب مكة المكرمة، وأنعم النظر إليها في خشوع ثم قال: «ومن عجائب صنع الله أنه طبع القلوب على النزوع إلى

٣٧- محمد بن بطوطة المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ١٤٤.  
 ٣٨- الساج: شجر.  
 ٣٩- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٤٧.  
 ٤٠- القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ٩٧.  
 ٤١- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، ص ١٨٣.

٣٥- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٢٥.  
 ٣٦- قرية صغيرة على بعد ستة وثلاثين ميلاً من مكة. انظر: الحموي ياقوت، معجم البلدان، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، ١٢٢.



نسخة تاريخية لأجزاء مختارة من كتاب الرحلة لابن بطوطة، ١٨٣٦ م، القاهرة

وأخلاقهم الحسنة وفضائلهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأبدى رأيه في أكلهم وصحة أبدانهم وأمراضهم<sup>(٤٣)</sup>. حين وقف بعرفات أول مرة قال: «وكانت وقفتي الأولى يوم الخميس سنة ست وعشرين بعد سبعمئة»<sup>(٤٤)</sup>.

بعد أدائه فريضة الحج سافر ابن بطوطة مع الركب العراقيّ يقطع المراحل والمسافات حتى وصل إلى مشارف مدينة النجف ووجد «أنها من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء، ولها أسواق حسنة نظيفة، دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين، ثم سوق الفاكهة

لم تقتصر رحلة ابن بطوطة على ذكر الجوانب الدينية في مكة، بل تناولت جوانب أخرى متنوعة، إذ انفرد من بين الرحّالين العرب بوصفه لواقع المرأة، فقد لاحظ أنّ نساءها «فائقات الحسن، بارعات الجمال، ذوات صلاح وعفاف، وهنّ يكثرن التّطيب، حتى إنّ إحداهنّ لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيباً، وأنهنّ يقصدن الطّواف بالبيت كل ليلة جمعة، فيأتين في أحسن زيّ، وتغلب على الحرم رائحة طيبهنّ، وتذهب المرأة منهنّ، فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عباقاً»<sup>(٤٢)</sup>.

لقد طاف ابن بطوطة في مكة، وتنقّل بين أركانها، وعاین الناس عن كُتب، فتحدّث عن كرمهم ومكارمهم

٤٣- نفسه، الجزء الأول، ص ١٦٤.

٤٤- نفسه، الجزء الأول، ص ١٨٢.

٤٢- محمد بن بطوطة المصدر السابق، الجزء الأول، ص ١٦٢.



ونظراً للمسافة الطويلة التي قطعها ابن بطوطة في رحلته، وضيق مجال هذا البحث سأتوقف فقط عند أهم الأحداث التي شاهدها ودونها، وأبرز الأخبار والوقائع التي صادفته بعد مغادرته مكة المكرمة سنة ٣٣٠هـ.

نذكر على سبيل المثال أن ابن بطوطة قد تحدث عن استخراج الجواهر في الخليج العربي، ففي منطقة تُعرف بمغاص الجواهر بين سيراف<sup>(٥٠)</sup> والبحرين، تأتي القوارب المحملة بالغواصين وتجار الفرس والمناطق المجاورة تحديداً في شهر أيار، ويتابع قائلاً: «يجعل الغواص على وجهه مهما أراد أن يغوص شيئاً يكسوه من عظم الغليم، وهي السلحفاة، ويصنع من هذا العظم شكلاً شبه المقرض، يشدّه على أنفه، ثم يربط حبلاً في وسطه، ويغوص، ويتفاوتون في الصبر في الماء، ومنهم من يصبر الساعة والساعتين، فما دون ذلك، فإذا وصل إلى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الأحجار الصغار، مثبتاً في الرمل، فيقتلعه بيده، أو يقطعه بحديدة عنده، مُعدّة لذلك، ويجعلها في مخللة جلد، منوطة بعنقه، فإذا ضاق نفسه حرك الحبل، فيحسُّ به الرجل المُمسك للحبل على الساحل، فيرفعه إلى القارب، فتؤخذ منه المخللة، ويفتح الصدف، فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة، فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر»<sup>(٥١)</sup>.

يشكك البعض في صحّة هذه الرواية، ويعدونها من المعلومات الخاطئة التي سمع بها، وربما أخذها عن الروايات المحلية واعتقد بصحّتها، لأنّ الجواهر تتكوّن في الحقيقة من رواسب تتراكم حول حبة رمل ونحوها وتدخل داخل الصدف، ويتقادم الوقت تتحوّل إلى مادة صلبة براقّة<sup>(٥٢)</sup>.

ثم سوق الخياطين والقيسارية، ثم سوق العطارين، ثم الحضرة، حيثُ القبر الذي أنه قبر علي عليه السلام<sup>(٥٥)</sup>، بعد ذلك غادر مدينة النجف قاصداً مدينة واسط، التي وصف أهلها وبساتينها، حتى وصل إلى مدينة البصرة التي قال عنها: «ذات البساتين الكثيرة والفواكه الأثيرة... وأهل البصرة لهم مكارم أخلاق وإيناس للغريب وقيام بحقه، فلا يستوحش فيما بينهم غريب»<sup>(٥٦)</sup>، ومنها سافر إلى أصفهان، فشيراز، ومنها عاد إلى الكوفة.

بعد ذلك اتجه إلى كربلاء، ثم إلى بغداد، وبعد وصوله إلى بغداد مدينة دار السلام، وحضرة الإسلام، ذات القدر الشريف، والفضل المنيف، مثوى الخلفاء، ومقر العلماء كما وصفها، تحدث عن عمارة المدينة ومساجدها، ولا سيما جامع الخليفة أبي جعفر المنصور، وبمارستانها وأبوابها وقصورها وأسواقها ومدارسها وعلماؤها<sup>(٥٧)</sup>، وقد قام بزيارتين قصيرتين برّاً: إحداهما إلى تبريز، والأخرى إلى الموصل التي أدهشته قلعتها المعروفة بالحدباء، فوثق مساحتها وأبوابها وأبراجها، ووصف قصور المدينة وأسواقها وحمّاماتها وفنادقها وجوامعها وأسوارها، التي لم يَرَ جمالها ومثيلها إلا في دهلي حاضرة الهند<sup>(٥٨)</sup>.

بعد ذلك سافر إلى نصيبين وماردين، ثم رجع مرة ثانية إلى الحجاز، حيث وقف بعرفات في حجّته الثانية يوم الإثنين في سنة سبع وعشرين وسبعمئة، وقد ألزمه مرضه الإقامة بمكة، فحجّ للمرة الثالثة والرابعة في سنتي ٧٢٨-٧٢٩هـ<sup>(٥٩)</sup>.

٤٥- نفسه، الجزء الأول، ص ١٨٨.

٤٦- نفسه، الجزء الأول، ص: ١٩٧.

٤٧- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٢٣١-٢٣٥.

٤٨- نفسه، الجزء الأول، ٢٤٤.

٤٩- حبيلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٢٩.

٥٠- مدينة جبلية على ساحل بحر فارس، كانت قديماً فرضة الهند، والتجار يسمونها شيلوا انظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٢٩٤.

٥١- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٢٨٦.

٥٢- حبيلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٢٩.

وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر إثر ذلك، وكذلك يقصر النهار بها في فصل قصره أيضاً وأقمت بها ثلاثاً»<sup>(٥٧)</sup>.

أما في الهند فقد ذكر تاريخ فتح حاضرتها دهلي على أيدي الهنود سنة أربع وثمانين وخمسمئة، وقد نقل معلوماته التاريخية هذه من أسطر وجدها مكتوبة على محراب جامع المدينة كما جاء في قوله: «وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها»<sup>(٥٨)</sup>، وقد وصفها بأنها: «كبيرة الساحة، كثيرة العمارة، وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات، إحدهما المسماة بهذا الاسم دهلي، والثانية تسمى سيرى، أي دار الخلافة، والثالثة تسمى تغلق آباد باسم بانيها السلطان تغلق والد سلطان الهند، والرابعة تسمى جهان بناه»<sup>(٥٩)</sup>، ثم وصف بعد ذلك أسوارها وأبوابها وجامعها وبعض مزاراتها وعلمائها.

لقد أقام ابن بطوطة في الهند ثماني سنوات، وقد تولى منصب القضاء بحاضرتها دهلي بتكليف من سلطانها محمد تغلق الذي نصحه بقوله: «ولا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال، وهو أكبر الأشغال عندنا»<sup>(٦٠)</sup>، ثم ما لبث أن استدعاه سلطان الهند ليؤكل إليه مهمّة جديدة، فقد قال له: «إنما بعثت إليك لتتوجّه عني رسولاً إلى ملك الصين، فإني أعلم حبك في الأسفار والجولان»<sup>(٦١)</sup>.

كان يوم السفر في السابع عشر من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين بعد سبعمئة، وقد واجه كثيراً من المتاعب والمخاطر في طريقه، كادت تؤدي بحياته،

٥٧- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٣٤٥.

٥٨- نفسه، الجزء الأول، ص ٤٣٢.

٥٩- محمد بن بطوطة، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٤٢٦.

٦٠- نفسه: الجزء الثاني، ص ٥٢٣.

٦١- نفسه، الجزء الثاني، ص ٥٤١.

ومما ذكره ابن بطوطة ركوب العربات، لأول مرة، ذات العجلات أثناء سفره من القرم إلى مدينة السرا حاضرة السلطان محمد أوزبك، وهي من أهم وسائل النقل لديهم، قال: «وهم يسمون العجلة عربية، وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار، ومنها ما يجره فرسان، ومنها ما يجره أكثر من ذلك، وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العربية في ثقلها أو خفتها»<sup>(٥٣)</sup>.

يبدو أن هذه العربات لم تستعمل لنقل البشر فحسب، بل استعملت لنقل الأثقال والأحمال من طعام وغير ذلك.

ومن جملة مشاهداته أيضاً حديثه عن مدينة بخارى<sup>(٥٤)</sup>، التي وجد عروشها خاوية من ملوكها أثناء مروره بها، نتيجة ما أصابها من دمار على أيدي جحافل المغول بقيادة زعيمهم جنكيز خان، حيث قال: «وخرّبها اللعين تنكيز التتري جدّ ملوك العراق، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل»<sup>(٥٥)</sup>.

كذلك تحدّث عن ظاهرة قصر الليل والنهار عندما زار مدينة بلغار<sup>(٥٦)</sup>، فقد سافر إليها برفقة أدلاء بعد ما سمعه عن ظاهرة انتهاء قصر الليل والنهار فيها، ووصل إليها في شهر رمضان، وأقام فيها ثلاثة أيام ليتحقّق من ذلك بنفسه، قال: «فلما صلينا المغرب أفطرنّا وأذنّ العشاء في أثناء إفطارنا، فصليناها

٥٣- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٣٠.

٥٤- من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها انظر الحموي ياقوت، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٣٥٣.

٥٥- محمد بن بطوطة، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٣٧٣.

٥٦- مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال، لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفاً ولا شتاءً. انظر الحموي ياقوت، المصدر السابق، الجزء الأول، ص: ٤٨٥.



والجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية في القرون الوسطى، إذ يجد فيها الباحث استعراضاً واسعاً وكبيراً لأحوالها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، كما يقف على كثير من أسرارها، فتنوعت أخبار رحلته حتى طالت القضايا الأدبية والحركة الفكرية السائدة في مختلف البلدان التي زارها.

لقد استطاع ابن بطوطة تقديم وصف دقيق للمدن وعمارته وأسواقها وأبوابها وحراراتها ومدارسها وجوامعها ونمط الحياة فيها، ووصف أحوال العباد من حيث أكلهم ولباسهم وشرابهم ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأدق تفاصيلهم، كما راقب الظواهر وحللها، وسرد لنا الأحداث والوقائع التاريخية على نحو مبسط قائم على مشاهداته وملاحظاته الشخصية، ومما زاد في معرفته كثرة البلدان والمدن التي زارها، ومخالطته العلماء وأصحاب المعرفة.

من هنا مثلت الرحلة سجلاً حافلاً بالأحداث التاريخية، والوقائع المهمة، وأخبار الأسر الحاكمة، وأخبار الحكام والسلاطين وأحوالهم، وما وراءهم من حكايات وغرائب من حيث أنظمتهم وأزيائهم، واستقبالاتهم وطرق توارث الحكم فيما بينهم، ولا سيما حين تحدثت عن سلاطين الهند وتونس ومصر. ومما يلفت الانتباه في كتابات ابن بطوطة اهتمامه بالسيرة الذاتية للعلماء والأولياء الصالحين ورجال الدين الأتقياء، فلجانب الديني حيز جلي في جل كتاباته، فيبدو أن عاطفته الدينية قد ألقته بظلالها على رؤيته وأخباره، وبدت تأثيراتها واضحة من خلال اتجاه سير رحلته، إذ التقى زهاد معظم المدن التي زارها، وتحدثت عن علمائها وأوليائها، ووصف جوامعها وأماكن العبادة فيها.

وتعدّر عليه السفر إليها بسبب تحطم المركب الذي كان يحمل متاعه وجواريه وهدية سلطان الهند إلى ملك الصين، ولم يرجع إلى الهند ليُخبر سلطانها بما جرى معه.

فيما بعد استطاع ابن بطوطة الوصول إلى الصين، وقد لفت انتباهه اهتمام أهلها بالفنون، وعلى رأسها فن التصوير الذي اشتهروا به، ومعرفتهم الأوراق النقدية وتداولهم إياها أيضاً<sup>(٦٢)</sup>.

#### مصادر رحلته:

١- من أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن بطوطة في استقصاء معلوماته وجمع أخباره هو ما قد عاينه بنفسه، ووقف عليه مباشرة، فجل معلوماته التي أوردها في رحلته كان شاهداً عليها.

٢- مصادره السماعية: إذ نقل ابن بطوطة عن طريقها كثيراً من الأخبار والحكايات الكثيرة.

٣- مؤلفات الرحّالين السابقين: أخذ ابن بطوطة كثيراً من الأخبار والمعلومات منها، وعلى رأس هؤلاء الرحّالة ابن جبير، فقد نقل عنه معظم أوصافه لمدينة المشرق العربي الشهيرة، مثل مدينة حلب، فقد بدأ بوصفها عن ابن جبير قائلاً: قال أبو الحسين بن جبير في وصفها: «قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، ومحلها من النفوس أثير، فكم حاجت من كفاح، وسلّ عليه من بيض الصّفاح، لها قلعة شديدة الامتناع، بائنة الارتفاع»<sup>(٦٣)</sup>.

#### المعارف والقيم التاريخية في رحلته:

حملت رحلة ابن بطوطة في طياتها مجموعة من القيم السياسية والتاريخية والدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، فهي مصدر من أهم المصادر التاريخية

٦٢- حبلوص مصطفى سالم عبد الله، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

٦٣- محمد بن بطوطة، المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٨٥.

- ٥- الحموي ياقوت، معجم البلدان، الجزء الرابع، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.
- ٦- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار مكتبة هلال، بيروت-لبنان، ٢٠٠٠.
- ٧- محمد بن بطوطة، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٧.
- ٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

### المراجع:

- ١- إنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، مصر، العدد ٧، ١٩٧٥.
- ٢- حبلوص مصطفى سالم عبد الله، أدب الرحلات عند العرب - نشأته وتطوره - ابن بطوطة أنموذجاً، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية: سلسلة الدراسات التاريخية (٩٥)، طرابلس- ليبيا، ٢٠٠٩.
- ٣- خير الدين الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.
- ٤- فؤاد قنديل، الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ٢٠٠٢.



من هنا ارتبطت شهرة ابن بطوطة بكتابه «تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، الذي دون فيه أدق تفاصيل رحلته، ومواضيعه المختلفة من غرائب وعجائب، فقد مثل هذا الكتاب منطلقاً استندت إليه كثير من الدراسات التاريخية في المراحل اللاحقة. في الختام تُعدُّ رحلة ابن بطوطة مصدراً تاريخياً مهماً يفيد منها المؤرخ والباحث في علم التاريخ، لأنها وفّرت معلومات زاخرة، ومعارف دقيقة، واطلاعاً واسعاً، وتفصيل لمختلف المدن ومعالمها التي استطاع زيارتها، وتدويناً للأحداث التي عاصرها ابن بطوطة عن كتب، أو سمع بها عن طريق الرواية، وتصويراً للجوانب العمرانية للبلدان التي مرَّ بها أو أقام بها مدة من الزمن، وعرضاً لعادات المجتمعات المختلفة وتقاليدها، إضافةً إلى البصمة الخاصة بابن بطوطة الذي نقل تلك المعارف كلها من منظوره الخاص ملوناً ذلك بانطباعاته التي تركّز على جوانب أكثر من جوانب أخرى، ولا سيما تركيزه على القضايا والأحداث المتعلقة بالجانب السياسي، مما يستقطب اهتمام المؤرخين الذين يبتغون دراسة الحقبة التاريخية التي عاصرها.

### مصادر البحث ومراجعته:

#### المصادر:

- ١- القرآن الكريم: سورة المائدة.
- ٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثاني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- ٤- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العربي، الجزء الثاني د. ط، د. ت.

# التَّطَوُّرُ الدَّلَالِيُّ فِي أَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ فِي «مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ» لِلْمِيدَانِيِّ (ت ٥١٨ هـ)

د. ليال أبو العز\*

ترتقي اللغة التي يستعملها البشر في حياتهم اليومية والعلمية والأدبية إلى رتبة سنّية، وكأنها بمنزلة حاسّة إضافية إلى جانب الحواس الخمس التي لا يستطيع الإنسان العيش، على نحو طبيعي، من دون إحداها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللغة التي تمثّل وسيلة التواصل، والتعبير عن الحاجات والأفكار والمقاصد، وأداة العلم والأدب والإبداع. من المعلوم أن اللغات التي يتداولها البشر تخضع، مثلها في ذلك مثل الكائن الحي، لقانون الولادة والنمو والتطور، وأخيراً الانحطاط والموت شيئاً فشيئاً، من هنا مثلت ظاهرة التطور التي تصيب اللغة هاجساً لدى الباحثين وعلماء اللغة من أجل رصد أسباب هذا التطور، ومظاهره، وأنواعه، حتى يتبينوا حياة تلك اللغة، والتغيرات التي أصابت هيكلها المعجمي والنحوي والصرفي والدلالي، وخصائصها التي تميزها من غيرها من اللغات.

التي تتفاعل مع أصحابها الذين يحدّدون دلالتها المختلفة، وإذا كانت اللغة تعمل بوصفها نظاماً من العلامات ذات طبيعة ثنائية تتمثّل في الدالّ المكوّن الصوتي والمدلول المكوّن المفهومي، فإنها ليست نظاماً من العلامات الثابتة، بل هي نظام من العلامات المتغيرة، وهي في الوقت نفسه لا تستمدّ وجودها بذاتها، ولكن من خلال علاقاتها بغيرها، والمكان الذي تحتلّه في النظام اللغوي الذي يحدّد قيمتها التي تتسم بالحركة والتغيير»<sup>(١)</sup>.

إن دراسة نظام اللغة ليس بالأمر الهين، لأنها تتكوّن من مفردات، لها في الدرجة الأولى رصيد دلالي في المعجم، لكنه ليس كافياً لفهم معاني تلك المفردات، بل لا بد من تتبع معانيها وسيرورتها الدلالية داخل بوتقة المجتمع، إذ تكون في المعجم في الدرجة الصفر من الدلالة، أما حين يلتقطها المتكلم ويتداولها مع أفراد المجتمع الآخرين، فإنها تتلوّن وتكتفّ دلالياً بما يتناسب وغرض المتكلم، ومقام الكلام، والعصر والمكان وغير ذلك من المؤثرات الخارجية. «إنّ اللغة بهذا التّصوّر مؤسّسة اجتماعية، رصيدها الكلمات

١- كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي- إجراءاته ومناهجه، دار كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني. www. Kotobarabia.com، (د. ت)، الجزء الأول، ص: ٢٣.

\* مدرّسة في قسم اللغة العربيّة وآدابها - كليّة الآداب الثانية - جامعة دمشق.

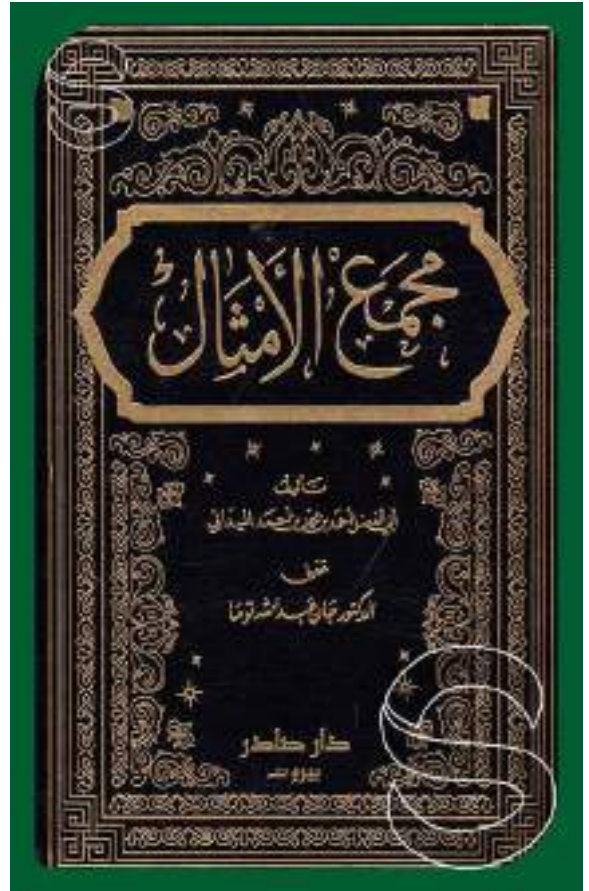
في حين أن من يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطور على أنه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة»<sup>(٢)</sup>.

إن التطور الدلالي، إذن، نتيجة طبيعية لا بد أن يصيب أي لغة، وفيه تجد اللغة سبل حياتها وأسباب استمرارها وبقائها؛ لأن هذا التطور يساير تطورات الفنون والعلوم والحرف والمهن ويواكبها، وكل مظاهر الحياة العامة والخاصة.

يعود التطور الدلالي إلى أحد عاملين: إما الاستعمال<sup>(٣)</sup> الذي يعني أن اللغة لم تُخلق في قالب جامد مدى الدهر، بل لا بد أن تتداول، وأن تختلف استعمالاتها باختلاف ناطقيها، واختلاف مستوياتهم الفكرية والمعرفية، واختلاف أغراضهم وغاياتهم وقدراتهم على التعبير.

والعامل الآخر هو الحاجة<sup>(٤)</sup>، إذ تتولد لدى الناس حاجة ملحة إلى التجديد في طرق التعبير، وهذا النوع من التجديد يقصد إليه قصداً على يد الشعراء والأدباء من أجل مواكبة التطور الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي.

أما وسائل التطور الدلالي فتتمثل في إنشاء المصطلحات العلمية على يد ذوي الاختصاص، أو انتقال اللفظة من لغة إلى لغة أخرى، مثل الاستعارة من اللغات الأجنبية، مثل: الكحول والقهوة والشيكولاتة، أو إحياء الأدباء والعلماء للألفاظ القديمة المهجورة لكن بحمولة دلالية جديدة، كالمذفع والدبابة والطيارة والسيارة والمذيع وغيرها، أو تفرع الكلمة في صورة



إذا كانت نظام اللغة وبنائها على هذا القدر من التشابك والتفاعل مع أصحابها وبيئتها وزمنها، فإنه لا بد أن تخضع لتطور يصيب أبنية ألفاظها الصرفية، وقواعد نحوها، ودلالة مفرداتها بما يعكس التغيرات الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية في المجتمع. سنحاول في هذا الحيز أن نسلط الضوء على التطور الدلالي فقط، مستعرضين تعريفه، وأسبابه، ووسائله، ومظاهره، ثم سنشفع ذلك بشواهد من أمثال المولدين في كتاب «مجموع الأمثال» لأبي الفضل النيسابوري الميداني.

لقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أن «تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية. وقد يعدده المتشائم بمنزلة الداء الذي يندر أن تفر أو تنجو منه الألفاظ،

٢- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦، ص: ١٢٣.

٣- يُنظر: إبراهيم أنيس، المرجع نفسه، ص: ١٣٤ وما بعد.

٤- يُنظر: المرجع نفسه، ص: ١٤٥ وما بعد.

الطَّرْفِ فِي عِلْمِ الصَّرْفِ. كِتَابُ شَرْحِ الْمُفْضَلِيَّاتِ. كِتَابُ مُنِيَّةِ الرَّاضِي فِي رِسَائِلِ الْقَاضِي»<sup>(٧)</sup>.

وَقَدْ مَدَحُوا كِتَابَهُ «مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ»، فَجَاءَ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ أَيْضًا: «وَسَمِعْتُ فِي الْمَفَاوِضَةِ مِمَّنْ لَا أَحْصِي أَنَّ الْمِيدَانِيَّ لَمَّا صَنَّفَ كِتَابَ الْجَامِعِ فِي الْأَمْثَالِ وَقَفَ عَلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّمْخَشَرِيُّ فَحَسَدَهُ عَلَى جُودَةِ تَصْنِيفِهِ، وَأَخَذَ الْقَلَمَ، وَزَادَ فِي لَفْظَةِ الْمِيدَانِيِّ سَيِّئَةً، فَصَارَ النَّمِيدَانِيَّ، وَمَعْنَاهُ بِالْفَارْسِيَّةِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ شَيْئًا؛ فَلَمَّا وَقَفَ الْمِيدَانِيَّ عَلَى ذَلِكَ أَخَذَ بَعْضَ تَصَانِيفِ الزَّمْخَشَرِيِّ فَزَادَ فِي نَسْبِهِ سَيِّئَةً، فَصَارَ الزَّمْخَشَرِيُّ، مَعْنَاهُ بَائِعٌ زَوْجَتَهُ»<sup>(٨)</sup>.

بَدَأَ الْمِيدَانِيَّ كِتَابَهُ مَحَطَّ الدِّرَاسَةِ بِمَقْدَمَةٍ بَيْنَ فِيهَا فَضْلُ الْأَمْثَالِ الَّتِي تَتَحَلَّى بِفَرَائِدِهَا صُدُورَ الْمَحَافِلِ وَالْمَحَاضِرِ، وَتَتَسَلَّى بِفَوَائِدِهَا قُلُوبَ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ، وَقَدْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ كِي يَتَنَاوَلُهُ بِالِاسْتِقْصَاءِ وَالْجَمْعِ وَالتَّدْوِينِ لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْأَمْثَالُ السَّائِرَةُ مِنْ أَسَالِيْبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالْجُودَةِ، وَكَفَاهَا شَرْفًا أَنَّهُ تَضَمَّنَهَا كِتَابُ اللَّهِ الْمَنْزَلُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَكَذَلِكَ كَلَامُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَوْلًا إِلَى الْأَدَبِ شِعْرًا وَنَثْرًا<sup>(٩)</sup>.

وَذَكَرَ فِي الْمَقْدَمَةِ فَضْلَ مَنْ أَرْشَدَهُ إِلَى التَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَرْسَلَانَ، وَوَضَّحَ طَرِيقَتَهُ فِي تَنْظِيمِ مَادَّةِ الْكِتَابِ، وَكَيْفِيَّةِ

٧- ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار الغرب الإسلامي، الجزء الثاني، ص: ٥١١-٥١٢.

٨- ياقوت الحموي الرومي، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٥١٢.

٩- أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، معجم الأمثال، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ١٣٩٩، الجزء الأول، ص: ٥-٩.

تَلْقَائِيَّةٍ أَوْ مَقْصُودَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُسْتَعْمَدَةِ فِي اللُّغَةِ<sup>(٥)</sup>. أَمَا فِيمَا يَخْصُ أَعْرَاضَ التَّطَوُّرِ الدَّلَالِيِّ وَمَظَاهِرَهُ<sup>(٦)</sup>، فَتَتَجَلَّى فِي:

١- تَخْصِيصُ الدَّلَالَةِ، أَيْ الْإِنْتِقَالَ مِنْ مَعْنَى عَامٍ إِلَى مَعْنَى خَاصٍ ضَيْقٍ.

٢- تَعْمِيمُ الدَّلَالَةِ: وَهُوَ أَقْلُ شَيْوَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْأَوَّلِ، إِذْ تَصْبِحُ دَلَالَةُ لَفْظَةٍ مَا عَامَةٌ مُوسَّعَةٌ تَتَجَاوَزُ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّ الضَّيْقَ.

٣- رَقِي الدَّلَالَةِ، أَيْ انْتِقَالُهَا مِنْ مَعْنَى وَضِيعٍ إِلَى مَعْنَى عَظِيمٍ وَرَاقٍ، أَوْ انْحِدَارُهَا أَيْ انْتِقَالُهَا مِنْ مَعْنَى نِي شَأْنٍ إِلَى مَعْنَى وَضِيعٍ.

٤- الْإِنْتِقَالَ مِنْ دَلَالَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْمَجَازِ.

بَعْدَ هَذَا الْإِسْتِعْرَاضِ الْمَوْجَزِ لِمَفْهُومِ التَّطَوُّرِ الدَّلَالِيِّ، يُمْكِنُنَا أَنْ نَنْعُطِفَ إِلَى كِتَابِ «مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ» لِلْمِيدَانِيِّ، الَّذِي حَمَلَتْ أَمْثَالَ الْمُؤَلِّدِينَ الَّتِي جَمَعَهَا شَيْئًا مِنَ التَّطَوُّرِ الدَّلَالِيِّ فِي مَفْرَدَاتِهَا، كَمَا سَنَبَيِّنُ لَاحِقًا بَعْدَ أَنْ نَقْدِمُ نَبْذَةَ مَوْجِزَةٍ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ الْقِيَمِ وَمُؤَلَّفِهِ:

أَبُو الْفَضْلِ الْمِيدَانِيُّ هُوَ «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمِيدَانِيِّ: أَبُو الْفَضْلِ النَّيْسَابُورِيِّ، ... وَهُوَ أَدِيبٌ فَاضِلٌ عَالِمٌ نَحْوِيٌّ لُغَوِيٌّ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْفَارْسِيِّ فِي «السِّيَاقِ»، فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَخَمْسَمِئَةٍ، لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمِيدَانَ. قَرَأَ عَلَى يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيِّ. وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ كِتَابُ جَامِعِ الْأَمْثَالِ جَيِّدٌ بِالْغ. كِتَابُ السَّامِيِّ فِي الْأَسَامِيِّ. كِتَابُ الْأَنْمُودِجِ فِي النَّحْوِ. كِتَابُ الْهَادِي لِلشَّادِيِّ. كِتَابُ النَّحْوِ الْمِيدَانِيِّ. كِتَابُ نُزْهَةِ

٥- يُنظَر: عَلِيٌّ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَابِي، عِلْمُ اللُّغَةِ، مِصْرَ، نَهْضَةُ مِصْرَ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الطَّبَعَةُ التَّاسِعَةُ، ٢٠٠٤، ص: ٣٢٥-٣٢٦.

٦- يُنظَر: إِبْرَاهِيمُ أَنْيْسَ، دَلَالَةُ الْأَلْفَاظِ، ص: ١٥٢ وَمَا بَعْدَ.



الأجر، وفلان حَسَنَ الحَسْبَةِ بالأمر، إذا كان حَسَنَ التَّدْبِيرِ»<sup>(١٣)</sup>.

لكن انتقلت لفظة الحساب فيما بعد إلى معنى جديد، وهو سجل المعاملات المالية، الذي يسجّل فيه الإنسان ما له وما عليه من أموال.

٢ - «إِذَا تَخَاصَمَ اللِّسَانُ ظَهَرَ الْمَسْرُوقُ»<sup>(١٤)</sup>:

أصل (اللص) مادة «اللام والصاد أصل صحيح يدلُّ على ملازَمة ومقارَبة... ومن الباب اللصُّ، لأنه يَلصِقُ بالشَّيء يريد أخذه. وفعله اللَّصُّوصِيَّةُ بفتح اللام، ويقال أرضٌ مَلَصَّةٌ: كثيرة اللُّصُوصِ»<sup>(١٥)</sup>. ثم أصبحت فيما بعد بمعنى: السارق<sup>(١٦)</sup>.

٣ - «إِذَا اصْطَلَحَ الْفَأْرَةُ وَالسَّنُّورُ خَرِبَ دُكَّانُ

الْبِقَالِ»<sup>(١٧)</sup>: يُضْرَبُ فِي تَظَاهِرِ الْخَائِنِينَ. أصل مفردة الدُّكَّانُ «الدال والكاف والنون أصيل يدلُّ على تنزيد شيء إلى شيء. يقال دَكَنْتُ المَتَاعَ، إذا نَضَدْت بعضه فوق بعض. ومنه اشتقاق الدُّكَّانِ، وهو عربي»<sup>(١٨)</sup>. ثم أُطْلِقَ الدُّكَّانُ بِمَعْنَى المَتَجَرِّ<sup>(١٩)</sup>.

وكذلك هناك تطور دلالي لحق بلفظة «البقال» التي أصلها: «الباء والقاف واللام أصل واحد، وهو من النَّبَاتِ، وإليه ترجع فروع الباب كله... قال الخليل: أَبْقَلَتِ الأَرْضُ وَبَقَلْتِ، إِذَا أَنْبَتَتِ البَقْلَ، فَهِيَ مُبْقَلَةٌ.

١٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢، الجزء الثاني، ص: ٥٩-٦٠.

١٤- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٩١.

١٥- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الخامس، ص: ٢٠٥.

١٦- المعجم الوسيط، مصر، مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، ص: ٨٥٨.

١٧- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٩٢.

١٨- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢٩١.

١٩- المعجم الوسيط، ص: ٣٠٢.

استعراضه الأمثال وتقديمها ومناسبتها، جامعاً منها الغثَّ والسمين، الجاهلي والإسلامي وأمثال المولدين، معلقاً عليها بتعليقات لغوية ونحويّة، وذاكراً قصصها وأسبابها، مستعيناً في ذلك بكتاب أبي عبيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد، وأبي عمرو، والمفضل بن محمد، والمفضل بن سلمة.

وقد رتّب الأمثال ترتيباً ألفبائياً، فجعلها في ثمانية وعشرين باباً، وعقب إيراد أمثال كل باب، يورد ما جاء على هذا الحرف على وزن أفعل، ثم أمثال المولدين، مسقطاً في ترتيبه الألفبائي حُرْفِي التعريف، وألف الوصل والقطع، والأمر والاستفهام، وألف المتكلم، وما ليس من أصل الكلمة<sup>(١١)</sup>.

وأخيراً خصّص الباب التاسع والعشرين لما سُمِعَ من أمثال في أيام العرب دون الوقائع، والباب الثلاثين لنبذ من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام خلفائه الراشدين، وما يسلك مسلك المواعظ والحكم والآداب. أما عن تسميته الكتاب بـ (مجمع الأمثال) فأرجع ذلك إلى «احتوائه على عظيم ما ورد منها، وهو ستة آلاف ونيف، والله أعلم بما بقي منها، فإن أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر، ولا تنفد حتى ينفذ العصر»<sup>(١١)</sup>. بعد هذه الإضاءة اللطيفة على الكتاب وصاحبه، يمكننا أن نستعرض بعض الأمثال التي أصابها التطور الدلالي في مفرداتها مكتفين ببعضها نظراً لضيق المقام:

١ - «إِذَا افْتَقَرَ الْيَهُودِي نَظَرَ فِي حِسَابِهِ

العَتِيقِ»<sup>(١٢)</sup>: أصل الحساب «الحاء والسين والباء أصول أربعة: فالأول العد... والحسبة: احتسابك

١٠- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، ص: ٨.

١١- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، ص: ٨.

١٢- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٩١.

البدال والواو والحرف المعتل. هذا باب يتقارب أصوله، ولا يكاد شيء [منه] ينقاس،... والدواء معروف، تقول داويته أدأويه مداواة ودواء،... والداء من المرض<sup>(٢٩)</sup>. من المعاني السابقة التي تدل على المرض ومداواته بالدواء اللازم، أطلق لفظ الداية فيما بعد للدلالة على من تعتني بالمرأة ومولودها، فاختصت الدلالة في هذه اللفظة بـ «المرضع الأجنبية، والحاضنة، والقابلة»<sup>(٣٠)</sup>.

٧- **بدن وافر وقلب كافر**<sup>(٣١)</sup>: أصل الكافر: «(كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية... فيقال: إن الكافر: مغيب الشمس. ويقال: بل الكافر: البحر. والنهر العظيم كافر، تشبيهاً له بالبحر. ويقال للزارع كافر، لأنه، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض... والكفر: ضد الإيمان، سُمِّيَ لأنه تغطية الحق»<sup>(٣٢)</sup>، من هنا انتقلت الدلالة من مجال إلى مجال آخر، فأصبحت الكافر: من «لم يؤمن بالوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو بثلاثتها»<sup>(٣٣)</sup>، فارتبط معنى الكفر في أذهان الناس بغير المؤمن بالله.

٨- **«البصر بالزبون تجارة»**<sup>(٣٤)</sup>: أصل الزبون: «(زبن) الزاء والباء والنون أصل واحد يدل على الدفع. يقال ناقة زبون، إذا زبنت حالبها. والحرب تزبن الناس، إذا صدمتهم. وحرب زبون. ورجل ذو زبونة، إذا كان مانعاً لجانبه دفوعاً عن نفسه... والزبانية سُمُّوا بذلك، لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار. فأما

والمبقلة والبقالة ذات البقل»<sup>(٣٥)</sup>. ثم اتسعت دلالة البقال من مكان وجود البقل وزراعته، للدلالة على من يبيعه ويتاجر به وبغيره من الأغذية<sup>(٣٦)</sup>، أي على البائع عامة.

٤- ١٢٦ **«بئس الشعار الحسد»**<sup>(٣٧)</sup>: أصل الشعار «(شعر) الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم وعلم... الشعار: الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً»<sup>(٣٨)</sup>.

كان الشعار، إذن، علامة أو نداء أثناء الحرب، فأصبح فيما بعد «علامة تتميز بها دولة أو جماعة»<sup>(٣٩)</sup> في مختلف المجالات.

٥- **بيت الإسكاف فيه من كل جلد رقعة**<sup>(٤٠)</sup>: يضرب لأخلاق الناس.

أصل الإسكاف: «(سكف) السين والكاف والفاء ليس أصلاً... وأما الإسكاف فيقال إن كل صانع إسكاف عند العرب. وينشد قول الشماخ: وشُعْبَتَا مَيْسِ بَرَاهَا إِسْكَاف. قالوا: أراد القوَّاس»<sup>(٤١)</sup>.

بعد ذلك خصصت لفظ الإسكاف للدلالة على «الخرَّاز، وصانع الأحذية ومصالحها» فقط<sup>(٤٢)</sup>.

٦- **«بعلة الداية يُقتل الصبي»**<sup>(٤٣)</sup>: أي بسبب خطأ الداية يُقتل الصبي، أما الداية فأصلها «(دوي)

٢٠- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٧٤.

٢١- يُنظر: المعجم الوسيط، ص: ٦٨.

٢٢- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٢٦.

٢٣- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ١٩٣-١٩٤.

٢٤- المعجم الوسيط، ص: ٥٠٣.

٢٥- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٢٦.

٢٦- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٩٠.

٢٧- المعجم الوسيط، ص: ٤٥٦.

٢٨- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٢٦.

٢٩- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٣٠٩.

٣٠- المعجم الوسيط، ص: ٣١٦.

٣١- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٢٧.

٣٢- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الخامس، ص: ١٩١-١٩٢.

٣٣- المعجم الوسيط، ص: ٨٢٣.

٣٤- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٢٨.

١١- «الدرَاهم مَرَاهِمٌ»<sup>(٤٣)</sup>: المَرَاهِم جمع مرهم، وأصل المرهم: «(رهم) الرءاء والهء والميم يدل على خصب وندى. فالرَّهْمَة: المطرة الصغيرة القطر، والجمع رِهْم ورِهَام»<sup>(٤٤)</sup>. ثم انتقل معناها إلى مجال آخر، فصيغ من الفعل اسمًا على وزن (مفعول: أي مرهم) بمعنى: «دواء ملطف تُطلى به الجروح ونحوها ومواضع الألم»<sup>(٤٥)</sup>.

١٢- «زكاة النعم المعروف، زكاة البدن العلل»<sup>(٤٦)</sup>: أصل الزكاة: «(زكي) الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم سميت بذلك لأنها مما يُرَجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه»<sup>(٤٧)</sup>. ثم أصبح للزكاة معنى إسلاميًّا خاصًّا، لأنها أصبحت «في الشرع: حصة من المال ونحوه يوجب الشرع بذلها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة»<sup>(٤٨)</sup>.

١٣- «السُّعْر تحت المنجل»<sup>(٤٩)</sup>: أصل السعير: «(سعر) السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال [الشيء] واتقاده وارتفاعه... فأما سعر الطعام فهو من هذا أيضًا، لأنه يرتفع ويعلو»<sup>(٥٠)</sup>. ثم أصبح السُّعْر: «ما يقوم عليه الثمن. ويقال: له سعر: إذا زادت قيمته. وليس له سعر: إذا أفرط رخصه»<sup>(٥١)</sup>.

١٤- «الشيطان لا يخرب كرمه»<sup>(٥٢)</sup>: أصل

المزابنة فبيع الثمر في رؤوس النَّخْل، وهو الذي جاء الحديث بالنهي عنه»<sup>(٣٥)</sup>. ثم تولدت من المعاني السابقة الدلالة الجديدة للفظ الزبون من قبيل تعميم الدلالة، فأصبحت بمعنى: «المشتري من تاجر»<sup>(٣٦)</sup>.

٩- «جَدَّةٌ تقضي العِدَّة»<sup>(٣٧)</sup>: أصل العِدَّة: «(عدّ) العين والذال أصل صحيح واحد لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء. ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء. وإلى هذين المعنيين ترجع فروع الباب كلها... ومن الباب العِدَّة من العدّ»<sup>(٣٨)</sup>. لكن بعد مجيء الإسلام اكتسبت لفظة «العِدَّة» دلالة جديدة من قبيل تخصيص الدلالة، فأصبحت «عِدَّة المُلَاقاة والتوفى عنها زوجها: مدّة حددها الشرع، تقضيها المرأة دون زواج بعد طلاقها، أو وفاة زوجها عنها»<sup>(٣٩)</sup>.

١٠- «الحريص محروم»<sup>(٤٠)</sup>: أصل الحريص: «(حرص) الحاء والراء والصاد أصلان: أحدهما الشَّقُّ، والآخر الجشع. فالأول الحرص الشَّقُّ؛ يقال حرص القصار الثوب إذا شقّه... وأما الجشع والإفراط في الرغبة فيقال حرص إذا جشع يحرص حرصًا، فهو حريص»<sup>(٤١)</sup>.

ثم اتسعت دلالة هذه اللفظة فأصبحت بمعنى: البخل<sup>(٤٢)</sup>، فالحريص: البخل من شدة حرصه على ماله ورغبته في ادخاره والحفاظ عليه.

٤٣- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٨٥.  
٤٤- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٤٥٢.  
٤٥- المعجم الوسيط، ص: ٣٩٢.  
٤٦- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٣٤٠.  
٤٧- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ١٧.  
٤٨- المعجم الوسيط، ص: ٤١١.  
٤٩- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٣٧١.  
٥٠- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٧٥-٧٦.  
٥١- المعجم الوسيط، ص: ٤٤٧.  
٥٢- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٤٠٤.

٣٥- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٤٦.

٣٦- المعجم الوسيط، ص: ٤٠٣.

٣٧- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٩٩.

٣٨- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص: ٢٩-٣٠.

٣٩- المعجم الوسيط، ص: ٦٠٨.

٤٠- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٤٠.

٤١- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٤٠.

٤٢- المعجم الوسيط، ص: ١٧٣.



الأشياء، أي يقطعها. والقوم يتفارسون الماء، وذلك إذا شربوه نوبة نوبة، كأن كل شربة من ذلك مفترصة، أي مقطعة»<sup>(٥٦)</sup>. ثم أصاب الدلالة التعميم، فانتقلت من مجرد الفرصة في السقي وفي الصيد إلى اغتنام الوقت المناسب في كل شيء في الحياة. فـ «يقال: انتهز فلان الفرصة: اغتمها وفاز بها»<sup>(٥٧)</sup>.

١٦- «لا تعلم الشرطيَّ التفحص، ولا الزطِّيَّ التلصص»<sup>(٥٨)</sup>: أصل الزطِّيُّ: «(زط) الزاء والطاء ليس بشيء. وزطُّ: كلمة مولدة. الزطُّ، بالضم: جيل من الهند، معرَّب «جت» بالفتح. «وقال الخوارزمي الكلام على طبقات الهند: «الزطُّ هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم: جتان»<sup>(٥٩)</sup>. حصل التطور

الشيطان: «(شطن) الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد... وأما الشيطان فقال قوم: هو من هذا الباب، والنون فيه أصلية، فسُمِّيَ بذلك لبعده عن الحق وتمرده. وذلك أن كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان»<sup>(٥٣)</sup>. ثم انتقلت دلالة اللفظة من مجال البعد المكاني إلى معنى التمرد على جماعة ما، أو على الله، والإفساد في الأرض»<sup>(٥٤)</sup>.

١٥- «الفرص تمرُّ مرَّ السحاب»: الفرصة<sup>(٥٥)</sup> أصلها: «(فرص) الفاء والراء والصاد أصل صحيح يدل على اقتطاع شيء من شيء. من ذلك الفرصة: القطعة من الصوف أو القطن... ومن الباب: الفرافص من الناس: الشديد البطش، وهو من الفرافصة، وهو الأسد، وكأنه يفترض

٥٦- (ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الرابع، ص: ٤٨٨.

٥٧- المعجم الوسيط، ص: ٧٠٨.

٥٨- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢١٢.

٥٩- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٣.

٥٣- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ١٨٣-١٨٤،

٥٤- المعجم الوسيط، ص: ٥٠٢.

٥٥- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٣٨.



إِحْرَافًا، إِذَا نَمَا مَالُهُ وَصَلَحَ... وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ حَرَفٍ وَاحْتِرَفَ أَي كَسَبَ»<sup>(٦٦)</sup>. ثُمَّ ضَاقَتْ دَلَالَةُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ مِنْ مَجْرَدِ الْكَسْبِ وَجَمْعِ الْمَالِ إِلَى الْعَمَلِ فِي حَرْفَةٍ مَا، أَي فِي مَجَالٍ مُحَدَّدٍ. «الْحَرْفَةُ: وَسِيلَةُ الْكَسْبِ مِنْ زِرَاعَةٍ وَصِنَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَغَيْرِهَا. يُقَالُ: حَرَفْتَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا: دَأَبَهُ وَدِيدَنَهُ»<sup>(٦٧)</sup>.

فِي الْخَتَامِ، هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ أَمْثَالِ الْمُؤَلَّدِينَ الَّتِي لِحَقِّ بَعْضِ مَفْرَدَاتِهَا تَطَوَّرَ دَلَالِي مِنْ قَبِيلِ التَّعْمِيمِ تَارَةً، وَالتَّخْصِيسِ تَارَةً أُخْرَى، وَالانتقال من مجال إلى مجال مغيّر تارة ثالثة، مما يُثبت مواكبة هذه اللغة العربية العريقة لمختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما كان كفيلاً باستمرارها وخلودها ومناسبتها لكل عصر وأوان.



٦٦- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٤٢.

٦٧- المعجم الوسيط، ص: ١٧٤.

الدلالي هنا باستعارة لفظة من لغة الهند للتعبير عن حراس الطرق.

١٧- «لَا تَأْمِنِ الْأَمِيرَ إِذَا غَشَّكَ الْوَزِيرُ»<sup>(٦٨)</sup>:  
أصل الوزير: «(وزر) الواو والزاء والراء أصلان صحيحان: أحدهما الملجأ، والآخر الثقل في الشيء. الأول الوَزْر: الملجأ... والوَزْر: حِمْلُ الرَّجُلِ إِذَا بَسَطَ ثَوْبَهُ فَجَعَلَ فِيهِ الْمَتَاعَ وَحَمَلَهُ... وَالْوَزِيرُ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الثَّقْلَ عَنْ صَاحِبِهِ»<sup>(٦٩)</sup>. ثُمَّ انْتَقَلَتِ الدَّلَالَةُ مِنْ مَجَالٍ إِلَى مَجَالٍ أُخْرٍ مُخْتَلَفٍ، فَأَصْبَحَ الْوَزِيرُ: «خاصة الملك الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه. ورجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون الدولة مختصاً بجانب منها، كوزير العدل، ووزير المالية»<sup>(٦٩)</sup>.

١٨- «مَنْ اعْتَادَ الْبَطَالََةَ لَمْ يُفْلِحْ»<sup>(٦٣)</sup>: الْبَطَالََةُ: «(بطل) الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وَقَلَّةُ مَكْتَنِهِ وَلُبْثُهُ»<sup>(٦٤)</sup>. ثُمَّ انْتَقَلَتِ دَلَالَةُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ إِلَى مَجَالٍ مُغَايِرٍ، فَأَصْبَحَتِ الْبَطَالََةُ بِمَعْنَى الْفِرَاقِ وَالْعَطَالَةِ عَنِ الْعَمَلِ.

١٩- «مَنْ تَرَكَ حَرْفَتَهُ تَرَكَ بَخْتَهُ»<sup>(٦٥)</sup>: أَصْلُ حَرْفَةٍ: «(حرف) الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حَدُّ الشَّيْءِ، وَالْعُدُولُ، وَتَقْدِيرُ الشَّيْءِ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ [الثالث] فَلَانٌ يَحْرِفُ لِعِيَالِهِ، أَي يَكْسِبُ. وَأَجُودٌ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ فِيهِ إِنْ الْفَاءُ مَبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ. وَهُوَ مِنْ حَرَفَتْ أَي كَسَبَ وَجَمَعَ. وَرَبَّمَا قَالُوا أَحْرَفَ فَلَانٌ

٦٥- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢١٢.

٦٦- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء السادس، ص: ١٠٨.

٦٧- المعجم الوسيط، ص: ١٠٧٠.

٦٨- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢٨٦.

٦٩- ابن فارس، المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٥٨.

٦٥- أبو الفضل الميداني، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢٨٧.



# الوراقة وعوامل ازدهارها في العصرين: العباسي والاندلسي

إياد مرشد\*

امتازت الحضارة العربية بغناها الفكري، وعطائها غير المحدود، وإنتاجها المتنوع، وسعة خبرة علمائها في الغوص في بحار العلوم، والنهل من فكر الأمم الأخرى. إن هذا الأمر قد جعل من صناعة الورق أمراً مهماً، ومرتكزاً رئيساً في صناعة الحضارة. ويقال: **إِنَّ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ عَلَى الطِّينِ «آدم عليه السلام»، ثم كتبت الأمم بعد ذلك على النحاس، والحجارة، والخشب، وورق الشجر، وكتب الروم على الحرير الأبيض والرَّق، أما الفرس فكانت تكتب في جلود البقر والغنم<sup>(١)</sup>.** أما أدوات الكتابة التي استخدمها العرب في الجاهلية فهي:

(والعرب تكتب في أكتاف الإبل، واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض، وفي عسب النخل).  
٤- الرَّق والأديم والقضيم: وكلها من أنواع الجلود، والرَّق هو كما عرفه المبرد: (ما يُرَقَّق من الجلد ليكتب فيه)، والأديم هو: الجلد الأحمر أو المدبوغ، أما القضيم: فهو الجلد الأبيض الذي يُكتب فيه.

٥- المهارق: وهي الصُّحُفُ البيضاء من القماش، وهو لفظ فارسيّ معرّب، واحدها: مهرق<sup>(٢)</sup>.  
وقد أشار شعراء العصر الجاهليّ إلى كثيرٍ منها في أشعارهم، فمن ذلك قول (امرئ القيس):

لَمَنْ طَلَّ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي

كخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبِ يَمَانٍ

١- العُسْبُ والكرانيف: ولعلها كانت أكثر المواد شيوعاً؛ لتوافرها في تلك البيئة الصحراوية، والعُسْبُ: جمع عسيب وهي: السَّعْفَةُ أو جريد النخل إذا يبست، ونزَعُ خوصُها، أما الكرانيف: فهي جمع كرنافة، وهي أصلُ السَّعْفَةِ كما يقول ابن سيده: الغليظ الملتزق بجذع النخلة.

٢- الأكتاف والأضلاع: وهي عظام أكتاف الإبل والغنم وأضلاعها.

٣- اللخاف: وهي الحجارة الرقاق.  
وقد أشار «النديم» إلى هذه المواد الثلاث في كتاب «الفهرست»: إذ يقول:

\* المدير العام لمكتبة الأسد الوطنية.

وقد كان الورقُ معروفًا في الصين قبل الإسلام بخمسة قرون، وكانت عجينة الورق تُجهز في العموم من دقّ ألياف شجرة التوت في الهاون، ولما سجّل العرب المسلمون انتصارهم على حاكم «كوشا» الصيني سنة ٧٥١م كان لهذا النصر أهمية حاسمة، فقد كُلف الصينيون الماهرون الذين وقعوا في الأسر صناعة الورق، فأقاموا مطابخ للورق في سمرقند، ويذكر أنه صنع في (ديرمانوي) بسمرقند، وكانت القوالب المستخدمة في صناعته قوالب متحركة، وقد أدخلت تحسينات على طريقة دقّ ألياف العجينة، ثم أدخل الورق إلى بغداد عاصمة العباسيين سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، وصاحب ازدهار الورق التراجع السريع للبردي والرق، فقد حلّ الورق محلّهما، واستخدمت مصر الورق منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

وسرعان ما حققت تجارة الورق ازدهارًا مرموقًا جدًا، وعندئذٍ مُنحت لمختلف أنواع الورق أسماء المدن التي نشأت مطابخ الورق بالقرب منها مثل: (البغدادي، والسمرقندي)، واشتهر الورق البغدادي لجودته، وعرفت دمشق صناعة الورق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، واشتهر ورقها أكثر من الورق المصري<sup>(٦)</sup>.

وقد ذكر (شوقي ضيف) أهمية استخدام الورق في الحضارة في كتاب «العصر العباسي الأول»، قال: (كان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية أوجها من النهضة الواسعة استخدام الورق، إذ أخذ يعم منذ بداية العصر العباسي الأول، ولم يلبث «الفضل بن يحيى البرمكي» أن أنشأ في عهد الرشيد مصنعًا ببغداد للورق، ففشت الكتابة فيه لخفته، وغلبت على الكتابة في الجلود والقراطيس)<sup>(٧)</sup>.

وقول (المرقش الأكبر):

الدار قفرٌ والرسوم كما

رقش في ظهر الأديم قلم<sup>(٣)</sup>

يبدو أنّ هذا الضرب من مواد الكتابة كان عزيزًا، صعب المنال في شبه الجزيرة العربية؛ لأنه كان يُجلب مع القوافل التجارية من البلاد الأخرى؛ ولذلك لا يكتبون فيها إلا كل أمر عظيم كالعهود والمواثيق<sup>(٤)</sup>.

ثم كان الورق وسيلة اتصال جديدة عند العرب حلّت محلّ الرق والقراطيس، وقاد ذلك إلى نشر المعرفة بظهور الكتب الورقية<sup>(٥)</sup>، وله الأثر البالغ في نشر الثقافة في جميع أنحاء العالم، وتذكر المصادر أنّ العرب استوردوه من الصين، ويُعدّ استعماله خطوة نوعية في تاريخ الحضارة الإنسانية.



## أسماء الورق وأنواعه:

أطلق العرب على الورق أسماءً متعددة مستعارة، أو نسبةً إلى الأمراء والولاة الذين استعملوه، أو إلى مكان صناعته، لكن التسمية التي غلبت وبقيت في الاستعمال هي الورق، ومنها اشتقت كلمة الوراقة بأبعادها التجارية المتعلقة بالنسخ، وتأليف الكتب، وأطلق الاسم قبلاً (ورقة) على الناس؛ ربما لقيمتها العالية، فهناك مثلاً: (ورقة بن نوفل).

وسمى العرب الورق (الكاغد)، وهي كلمة ذات جذور صينية أو فارسية حين صنعه في سمرقند تمييزاً له من الورق المصري الذي سماه العرب (القباطي) نسبة إلى الأقباط، أو القراطيس، أما كلمة (القرطاس) فهي كلمة يونانية، وتقابلها في العربية ورقة وصحيفة.

وذكر «النديم» في الفهرست سبعة أنواع من الورق وهي:

الخراساني، والسليمانى، والطلحي، والنوحي، والفرعوني، والجعفري نسبة إلى جعفر البرمكي، والطاهري.

وهناك أنواع أخرى كالمأموني نسبة إلى «المأمون»، والكاغد المنصوري نسبة إلى «منصور ابن نصر»، والبغدادي، وكان البغدادي من أجودها.

ووصفه «القلقشندي» بأنه من أعلى الأجناس، وهو ورقٌ ثخينٌ مع ليونة ورقه... ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، ودونه في المرتبة الشامي، ثم المصري، ثم المغربي، ثم ورق الفرنجة فهو رديء جداً، سريع البلى<sup>(٨)</sup>.

وظهر أول كتاب مصنوع من الورق عام ٧٧٠م، ثم أمر «الرشيد» بإقامة أول مصنع للورق عام ٧٩٤م، وأشرف (البرمكي يحيى بن الفضل) على بنائه.

وحين صار (جعفر البرمكي) في الوزارة أمر باعتماد الورق، ومنع تداول الرق وما نحوها؛ لكونها تقبل المحو والتزوير<sup>(٩)</sup>.

ونمت بتوافر الورق النهضة العلمية في مختلف العلوم، وكثرت دكاكين الوراقة.

وجدد العرب من عجينة الورق وحسنوها باستخدام مواد أفضل مما كان يفعله الأسرى الصينيون.

وانتقلت هذه الصناعة إلى دمشق، ومصر، والقيروان، ومراكش، وطليطلة بالأندلس.

ومن الأندلس عرف الأوربيون الورق أول مرة، وكانوا قبل ذلك يكتبون على ألواح خشب مغطاة بالشمع، والرقوق الجلدية، وكثرت معامل صناعة الورق في الأندلس حتى أنتجت كميات تكفي حاجة البلاد، وما يباع في أوروبا، وكانت إيطاليا وفرنسا هما السبقتان لشراؤه<sup>(١٠)</sup>.

إن الورق كان وما زال من أهم المبتكرات التي أبدعها العقل الإنساني في مسيرته الحضارية، والتي تركت آثاراً اقتصادية، واجتماعية، ونفسية مهمة في حياة البشرية، ذلك من خلال ارتباطه الوثيق بالكتابة والطباعة.

وفي العصر الحديث شاع استخدام الورق، وتعددت أشكاله ومقاساته واستخداماته بما يناسب التطور العلمي والتكنولوجي وآلات الطباعة والتصوير وسواها، ومن ثم نشأت علاقة حميمة بين القارئ والكتاب، إذ تعلق أجيال كاملة بالورق لما له من آثار حسية يتركها في نفس القارئ ووجدانه.

فنتأثر علاقة الإنسان مع الورق من خلال المحرّضات الحسية، وهو ما يتلقاه بحواسه أثناء استخدامه، فهناك التأثير اللمسي للورق؛ من خلال

ولجلالة قدرِ القلم وأهميته في الحياة الثقافية نجد في طيات كتب التراث أقوالاً وأمثلةً ماثورة للعلماء والأدباء ورجال الفكر بنوعتِ الأقلام.

وأشار «ابن عبد ربه» إلى قول «عبد الله بن المعتز»:

(القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، ويسكن واقفاً، وينطق ساكتاً على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء).

وذكر المؤرخ «ابن الأثير» الكتابة والقلم وأثرها في الوراقة؛ إذ قال:

(الكتابة لا بدَّ فيها من آلة يُكتب بها وهو القلم)<sup>(١٤)</sup>.  
قال بعضهم: ما أثمرته الأقلام لم تطمَع في دروسه الأيام.

وقال بعضُ البلغاء: القلمُ صانعُ الكلام، يُفرغ ما يجمعه القلب، ويصوغ ما يسكبه اللب<sup>(١٥)</sup>.  
وقيل: القلم أبقى أثراً، واللسان أكثرُ هذراً<sup>(١٦)</sup>.

أما (النديم) فقد ذكر أنواعَ الأقلام التي كانت تُستخدمُ في تلك الحقبة؛ لأنه كان ورّاقاً ونسّاحاً، فعَدَّ منها أربعة وعشرين نوعاً، مخرجها كلها عن أربعة أقلام: قلم الجليل، وقلم الطومار الكبير، وقلم النصف، وقلم الثلث الكبير، ومخرج هذه الأقلام الأربعة من القلم الجليل، وهو أبو الأقلام، ويقول «شعبان بن سعيد القرشي» في شعره عن أنواع الخطوط:

الثُلثُ والرِّقَاعُ والمَحَقُّ

والنسخُ والتوقيعُ حيث يُطلق

وبعده الوضاح والطومار

ثم الفروعُ سبعة أشعار

وكانتِ الأقلامُ تُصنعُ من القصب، وتُستخدمُ في الكتابة؛ لما يؤديه القصبُ من إظهارِ جمالِ الخطِّ،

تقليبه للتعرفِ إلى درجاتِ سماكته، ومدى نعومته، وخشونة سطحه، كما أن تحريكَ اليد من وقت لآخر يُشعرُ بالراحة والمتعة، وله أيضاً تأثيرٌ صوتي يأتي من خلال درجة إصداره للرنين عند تقليبه، وتأثيرٌ بصري في حال استخدام الألوان، كما أن للكتاب رائحةً لا يميزها إلا محبو الكتب.

إنَّ هذه المحرّضات الحسيّة: اللَّمسيّة والبصريّة والشميّة والسمعيّة التي يتلقاها الإنسان لدى استخدامه الورق تبعثُ في الإنسان المتعة، وفي حالاتٍ نفسيّة معيّنة تبعثُ الذكريات القديمة، وتندمج هذه المحرّضات بعضها مع بعضٍ لتخلق فضاءً نفسياً وشخصياً للكتابة<sup>(١١)</sup>.

ومن الأدوات التي يكتب بها الأقلام :

لا شك أن العرب عرفوا الأقلام، وكتبوا بها منذ العصر الجاهلي، لفظة القلم كانت تجري على ألسنة الشعراء، فمن ذلك قول (عدي بن زيد):

ما تبيّن العين من آياتها

غير نؤي مثل خط بالقلم

والنؤي: حفرة تُجعل حول الخيمة لئلا يدخلها ماء المطر<sup>(١٢)</sup>.

ونجد في «صبح الأعشى» «للقلقشندي» عرضاً مفصلاً لما قيل في صنعة الأقلام، وحجومها، وبريها<sup>(١٣)</sup>.

وقد ذكر الأصبهاني أن كل صناعة تحتاج إلى نكاهٍ إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى نكاهين: جمع المعاني في القلب، والحروف بالقلم، وما إن استوفت الكتابة معظم مقدماتها وتكاملت صور حروفها حتى اتّجه بعضُ الكتاب إلى تهذيب رسم الحروف وتحسينها، وإعطائها صفة جمالية للكتابة.

وقد ذكّر القلم في القرآن الكريم، قال الله تعالى:

﴿نون والقلم وما يسطرون﴾.

بن السلال) كان يشتغل في صناعة الحبر وبيع الأقلام والأحبار<sup>(٢٠)</sup>.

ولعل سائلاً يسأل: لماذا كان السواد هو اللون المفضل والمستحب للحبر؟

لقد أرجع بعض العلماء تلك الظاهرة إلى ما يوجد بين لون الحبر الأسود ولون الصحيفة من تضاد يساعد على إظهار الكتابة في أوضح صورة ممكنة<sup>(٢١)</sup>.

### الدواة وصفتها:

ينبغي أن تكون من أحسن الخشب كالأبنوس والصنل، ويكون مقدارها طول ذراع، وأقل قليلاً، وتكون واسعة البطن مما تسع خمسة أقلام الكتابة<sup>(٢٢)</sup>.

### مفهوم الوراقة:

في ميادين تأنق الورق، وتأنق القلم، وظهور الأحبار ظهرت حرفة الوراقة، وأصبحت من الحرف المشار إليها بالبنان، وارتقت درجات العلم؛ لأنها ارتبطت به. والورق لغة: من أوراق الشجر والكتاب، واحده: ورقة، ويجمع ورقات، وتجمع الورقات على أوراق. والوراق: معروف، وحرفته الوراقة، ورجل ورّاق: وهو الذي يورق ويكتب<sup>(٢٣)</sup>.

والوراقة مأخوذة من الورق، وهي حرفة صناعة الورق، ونسخ الكتب، والاتجار بها.

وذكر «القلقشندي» أن الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده: ورقة، وجمعه: أوراق وورقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب ورّاقاً.

### والوراقة اصطلاحاً:

تعني: أن كل مورق للكتب فحرفته الوراقة، والورق من الكتاب، ومنه كتب في الورق، وهي جلود رقاق، فهذا صنعة الوراقة.

ولم يتفق المؤرخون على تحديد مدلول كلمة

ومن مزاياه أن هذه الأقلام تمسك الحبر في ثنايا القلم لوجود مساحات فيه، فينزل الحبر بطيئاً، ولسهولته عند الكتابة، وسهولة بريه<sup>(١٧)</sup>.

وتطوّرت صناعة الأقلام بدءاً من تلك المصنوعة من القصب وريش الطيور إلى ابتكار الأقلام، وظهرت أولى الأقلام التي تُعبأ بالحبر السائل عام ١٧٨٠م، وقد اخترع «لويس ووترمان» قلم الحبر السائل الحديث والمشهور باسمه عام ١٨٨٤م.

وآخر التقنيات الحديثة في مجال الأقلام هي اختراع القلم الفضائي، القادر على تسجيل ظروف انعدام الجاذبية، وعلى السطوح كلها، إذ يمكن الكتابة به في درجات حرارة تتراوح بين ٤٥ درجة مئوية تحت الصفر و ١٢٠ درجة مئوية فوق الصفر، إضافة إلى إمكانية استخدامه في الكتابة تحت الماء<sup>(١٨)</sup>.

### الحبر:

ومع ازدهار الوراقة تطوّرت صناعة الأحبار بمختلف الألوان، وتفننوا في ذلك حتى تمكنوا من صناعة حبر يُقرأ مكتوبه ليلاً ولا يقرأ نهاراً، بل إن «الصفدي» يخبرنا أنه كتب بعض المغاربة إلى «الملك الكامل الأيوبي» ت ٦٣٥هـ رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود<sup>(١٩)</sup>.

وقد عرف العرب صناعة الحبر أو المداد في وقت مبكر، وله أنواع متعددة منها:

حبر الرأس، وحبر الدخان، فقد شهدت بغداد صناعة الحبر من دخان النفط، وكانت بغداد تصدر كميات كبيرة من الأحبار إلى سائر الأقاليم.

وكان (أبو جعفر البجلي) يعمل في صناعة الورق والأحبار في بغداد، وكذلك (أبو عبد الله ابن الجبار



أما المتبّع لعوامل ازدهار هذه الحرفة  
فينسبها إلى:

١. اختراع الورق وصناعته وانتشاره مادة  
للكتابة، وذلك بعد أن تراجع كل من الرق والبردي.  
٢. تلبية النساخ والمجلدين وبائعي الكتب لمتطلبات  
الطلاب والدارسين والعلماء؛ لافتتاح الكثير من  
المدارس التعليمية، وتوسيع رقعة الثقافة في بغداد.  
٣. ظهور المكتبات التي تعدّ المنارات العالية في بحار  
العلم الواسعة، ترسل الضوء في كل اتجاه، ويستأنس  
بها كل من يريد الوصول إلى بغيته، وظهرت المكتبات  
الخاصة والعامة.

٤. لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل كان الكتاب  
قبل التصريح بنشره، يُقرأ أولاً للجمهور من المؤلف  
نفسه، ثم يُقرأ علناً ثلاث مرات من النساخ بحضور  
المؤلف، وفي هذه الأثناء تجري التعديلات والإضافات  
اللازمة، وبعد ذلك يُنسخ الكتاب بصيغته النهائية، ثم  
يعطي المؤلف ترخيص إجازته لهذه الصيغة؛ لنسخ  
الكتاب وبيعه<sup>(٢٧)</sup>.

لقد فاخر العرب بكل جهد يُبذل في سبيل جمع  
الكتب، وكان بعض الوزراء لم يكن يخرج إلى رحلة  
إلا ومعه حمولة ثلاثين جملاً من الكتب تصحب ركبته،  
وقد قالت «زيغرد هونكه» في ذلك:

فمن أين تعلم القيصر «فريدريك الثاني» أن  
يصحب معه في جولاته الكتب على ظهر الجمال؟  
أعتقد أن الإجابة واضحة، نعم على يد أساتذته العرب.  
إنها كتب لم تطبع على آلة، بل نُسخت باليد، وبذل  
كاتبها مجهوداً مضمناً<sup>(٢٨)</sup>.

متى بدأت حرفة الوراقة؟

إن أول ما بدأ من النسخ كان لكتاب الله تعالى، إذ  
كان الصحابة ينسخون المصاحف الشريفة لأنفسهم

الوراقة، «فالسّمعاني» صاحب كتاب «الأنساب» عرّف  
الوراقة بقوله:

(اسم لمن يكتب المصاحف، والكتب، وكتب الحديث  
الشريف، وغيرها، وقد تقال لمن يبيع الورق، وهو  
الكاغد ببغداد).

أما «أبو حامد محمد العربي الفاسي»  
فيخصصها بكلمة النساخة، ويقول في توضيح رأيه:  
(النساخة حرفة، وهي الوراقة، وكل من جعل النسخ  
حرفة يحترفها أو شغلاً يشتغل به لنفسه فهو نساخ  
وورّاق أيضاً)<sup>(٢٩)</sup>.

أما «ابن خلدون» فيذكرها، ويتوسّع في تعريفها،  
ويجعلها شاملة للانتساخ والتصحيح والتّسفير  
وسائر الشؤون المكتبيّة والدواوين، وبهذا تندرج  
فيها صناعة الورق.

وبهذا يختلف «ابن خلدون» بتعميمه لمفهوم  
الوراقة ليشمل التعامل مع الكتاب من جميع جوانبه  
حتى يُنشر بين الناس، ويدخل في مفهوم النشر.

وعرّفها الأستاذ «محمد الموني» في كتابه «تاريخ  
الوراقة» وجعلها قاصرة على صناعة الورق، ويخصّص  
لكل من النساخة والتّسفير فصلاً على حدة<sup>(٣٠)</sup>.

ويمكن على ضوء تلك التعريفات تقسيم الوراقة  
على النحو الآتي:

أولاً: النسخ، ويدخل في خانته التزويق،  
والتصوير، والتذهيب، والتخطيط.

ثانياً: بيع الورق وسائر أدوات الكتابة، كالأقلام  
والحبر وغيرها.

ثالثاً: تجليد الكتب.

رابعاً: بيع الكتب.

هذه هي المحاور الأربعة الأساسيّة وتفرعاتها،  
وهي التي تشكّل مهنة الوراقة<sup>(٣١)</sup>.

ولغيرهم، ثم توالى بعد ذلك نسخ الأحاديث الشريفة، ولعل أقدم الوراقين الذين نسخوا المصاحف بالأجرة (خالد بن أبي الهياج) و(مالك بن دينار)، وكانوا يعدون ذلك أفضل الكسب الحلال.

#### ما الشروط الواجب توافرها في الوراق ؟

١. حسن الخط.
  ٢. دقة الضبط، وصحة النقل.
  ٣. الحدق في التزويق والتذهيب.
  ٤. الإلمام بعلوم اللغة والنحو والصرف<sup>(٢٩)</sup>.
- لقد شغل تاريخ مهنة الوراقة العربية والإسلامية ذهن فريقيين من الباحثين:

**الفريق الأول:** مهتم بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ومسوغه أن هذه المهنة لا تظهر إلا في مجتمع متحضر، فوجودها وازدهارها مؤشر على رقي القوم.

**أما الفريق الثاني** فهم المهتمون بتاريخ الكتب والمكتبات، والمتخصصون بعلم المخطوطات العربية الإسلامية، ومسوغهم أن مهنة الوراقة تعد ركناً رئيساً من أركان دراسة تاريخ الكتاب العربي المخطوط، ودورة الاتصال المعرفي في الحضارة العربية الإسلامية؛ لأن الوراقين أسهموا بأمور منها:

١. إنتاج الكتب وتداولها، وفي نشر العلم.
٢. إتاحة الفرصة للأدباء والعلماء للالتقاء والتحاور، فكانت حوانيتهم أشبه بنواد علمية، وصالونات أدبية، ومن البدهي أن تلاقح الأفكار يثمر أبحاثاً جديدة، ويصقل الفكر أو يعدل الرأي.

وربما لذلك قيل: (جلوس الأدباء عند الوراقين، وجلوس المخمنين عند النحاسين، وجلوس الطفيليين عند الطبّاخين)، وعندما طلب إلى (أبي الوفاء بن عقيل) وصف بغداد، قال عن سوق الوراقين: (إنها

سوق كبيرة، وهي مجالس العلماء والشعراء). وكان (بدر الدين الزركشي). ١٣٩٢ هـ / ١٧٩٤ م يكثر الجلوس عند أحد حوانيت (عبد الكريم الكتبي). ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م، وقد قال عنه:

«كان منقطعاً في منزله، لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب، وإذا حضره لا يشتري شيئاً، وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره، ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلى تصانيفه».

٣. إتاحة الكتب ليس عن طريق البيع فقط، بل عن طريق الإكراء: أي: الإجارة، وهذا الدور لم يأخذ حقه من الاستقصاء والدراسة<sup>(٣٠)</sup>.

وقد عُرف عن الجاحظ أنه كان يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر. أي إن الجاحظ كان يستأجر دكان الوراق؛ ليطالع ما حواه من كتب، وينسخ منها ما يعنيه في تأليفه لاحقاً، وهذا الأسلوب قد يوقر له الوقوع على تصانيف لم تخطر له على بال<sup>(٣١)</sup>.

وكان يحضر معه سراج، وينهل طوال الليل بين المخطوطات<sup>(٣٢)</sup>.

#### تاريخ الوراقة وصناعة الكتب في المغرب والأندلس:

كان التحول في المغرب العربي لاستخدام الورق متأخراً، إذ ظل الرق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجري.

وبدأت الوراقة تزدهر في فاس أيام الإدريسي «يحيى الرابع»، المتوفى ٢٩٢ هـ / ٩٣٥ م.

فقد أثبت البكري أنه كان ينسخ له عدد من الوراقين، غير أنه لا يزال لم يُعرف اسم أحد منهم، ولم يقع العثور على شيء من مستنسخاتهم. وعرف المغرب في عصر المرابطين صناعة الورق

ومع بداية القرن الرابع الهجري أصبحت المكتبات العربية والخزانات تعجّ بالمخطوطات والكتب، وكان زيادة أعداد النسخ تعتمد على الوراقين. وتنافس (ملوك الطوائف) فيما بعد على اقتناء الكتب النفيسة.

ومن بين هواة الكتب في إشبيلية (شرف الدولة ابن المعتمد بن عباد)، فهو مسارعٌ إلى اقتناء الكتب، مثابراً على نسخ الدواوين.

وأصبح الخط في عصر ملوك الطوائف حليةً يتزين بها أبناء الملوك والأغنياء، والفقراء من الناس.

ثم أخذ العالم الأوروبي صناعة الورق من العرب الأوائل؛ لأن أهل أوروبا عندما أفاقوا من سباتهم في الأجيال الوسطى استخدموا (الكاغد الشامي)، فانتقلت صناعة الورق عن طريق الأندلس، فقد كان للعرب مصانع في شاطبة وبلنسية وطليلة، ولما دخلت الأندلس في حوزة الإفرنج استبقوا تلك المصانع، ثم انتقلت من إسبانيا إلى سائر ممالك أوروبا.

ومما له دلالة أن صناعة الورق أدخلت إلى إسبانيا في القرن الثاني عشر الميلادي، واتخذت لها مركزاً في طليطلة، ومنها انتشرت إلى ممالك إسبانيا، وعلى هذا النحو تعلم الإيطاليون صناعة الورق من مسلمي صقلية، وأقيمت مصانع للورق أول مرة في إيطاليا عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م.

ثم انتقلت صناعة الورق من إيطاليا إلى فرنسا<sup>(٣٢)</sup>.

### الورش

لا شك أن ورشاً حقيقية ذات أحجام متفاوتة قد وجدت، وعرفت في الأندلس في العصر الأموي، وهو أن الرّبض الشرقي الوحيد لقرطبة عملت به مئة وسبعون امرأة في نسخ المصاحف بالخط الكوفي، ولكن هل عملن منعزلاتٍ بعضهن عن بعض أم كنّ يجتمعن في ورش؟

أيام «يوسف بن تاشفين»، إذ كان بفاس ١٠٤م عامل للكاغد، وهذا يدل على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرق في المغرب المرابطي، ثم جاء عصر الموحدين الذي كان ملتقى الاجتهادات المغربية والمشرقية في الخط وصناعة المخطوط.

وكانت وراقة المغرب في هذه الفترة دون خط الأندلس، وكان أهلها أحذق الناس في الوراقة، خطوطهم مدوّرة، وفي هذه الفترة كانت النساخة على الرق لا تزال شائعة في الغرب الإسلامي، إذ يلاحظ «البشاري» أن المغاربة لعهد قريب كانوا لا يزالون يكتبون المصاحف على الرق.

أما في الأندلس فقد أشادت جل المصادر التي أرخت للأندلس بدور الحكام المهم في رعاية الحركة العلمية، وشغفهم الشديد بالعلم، فقد شكّل (عبد الرحمن الداخل) المتوفى ١٧٢هـ / ٧٨٨م قاعدة قوية للحضارة، فكان أعظم حكام الأندلس مكانة في البلاغة والأدب.

ومن الحكام الحكم المستنصر المتوفى ٣٦٦هـ / ٩٧٦م الذي احتل مكانة خاصة بين الحكام المثقفين، ووصفوه بأنه كان جماعاً للكتب، واشترى كتباً من القاهرة ودمشق وبغداد بأثمان عالية، وسجل عليها ملاحظات مهمة، كما أنشأ داراً لنسخ الكتب، وكان قصره حافلاً بالكتب وأهلها حتى بدا كأنه مصنع لا يرى فيه إلا ناسخون ومجلدون ومزخرفون، وكان يعمل في مكتبته أمره المجلدين الذين أتى بهم من صقلية وبغداد، ومعهم الكثير من الخطاطين.

ومما ساعد على انتشار الكتب وازدهار الحركة العلمية انتشار صناعة الوراقة في الأندلس، إذ تولّى الوراقون نسخ ما يظهر من مؤلفات، وحاز مصنع (شاطبة) شهرة كبيرة في صناعة الورق الجيد.

وعائبة خطي فقلت لها اقصري  
فسوف أريك الدر في نظم أسطري  
وناديت كفي كي تجود بخطها  
وقربت أقلامي ورقّي ومحبري  
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها

ليبدو بها خطي فقلت لها انظري  
اهتمام الأندلسيين بتجليد المصاحف الشريفة  
وزخرفتها:

فيما يخصّ التجليد أو التسفير ظهرت مؤلفات  
ذات قيمة في ذلك، أقدمها كتاب (التيسير في صناعة  
التسفير) لبكري بن إبراهيم الإشبيلي.

وارتقى الأندلسيون في ميدان التجليد وزخرفة  
الكتاب ورسومه، وأبدوا المهارة والإتقان في تجليد  
الكتب والعناية بالشكل الخارجي، وارتقوا في هذا الفن.  
كما اهتموا بالتذهيب، واستخدمت طرق كثيرة فيه  
منها: الضغط بالذهب المصهور، أو الضغط بصفائح  
الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع  
تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة، وإعادة  
الضغط عليها<sup>(٣٦)</sup>.

هكذا نرى أن الورّاقين قد أسهموا في إثراء الحياة  
العلمية والفكرية والثقافية إبان القرون السبعة الأولى  
للتاريخ الإسلامي.

وقد مارسوا في عملهم هذا مهنة الناشرين بالمفهوم  
الحديث للنشر من حيث تبني المادة العلمية ونسخها  
وتسويقها.

وكانوا البذرة التي روّجت جلّ التراث العربي،  
فحرفة الوراقة لم تنجب نساخاً فحسب، بل كانت  
بمنزلة السلم الذي صعد عليه كثير من الشعراء  
والأدباء والرّحالة، إذ بدؤوا حياتهم نساخاً، ثم  
انتهوا أعلاماً في التراث العربي.

ولا يشكُّ (يوهان بدرسون) أن الورّاقين كانوا  
يستغلّون الغلمان في نسخ الكتب دون تحديد للمصدر  
الذي يمكن أن يكون إشارة مختصرة «للنديم» في  
«الفهرست» بأن المالك والجواري كانوا يتميزون  
بموهبتهم العالية في فن الخط، ولا يُستبعد أن يكونوا  
استغلّوا في نسخ الكتب<sup>(٣٤)</sup>.

وداخل الأسرة الواحدة وجدت ورش عمل  
كانت فيها المرأة ناسخة، والزوج منمنماً، والبنّة  
مزخرفة، والابن مجلّداً، وعلى هذا النحو كان  
في الإمكان إنجاز كل مراحل صنع الكتاب، إلا  
أن العمل ينسب لرب الأسرة وحده؛ وذلك لأن  
خطوطهم جميعاً متشابهة جداً، فلا يميّز أحد أي  
اختلاف بينها؛ لذا لم نجد في حرود المتن إشارات  
تؤكد هذا النوع من العمل<sup>(٣٥)</sup>.

### خطاطو المصاحف في الأندلس:

نال المصحف من الورّاقين الأندلسيين اهتماماً  
عظيماً، وعناية فائقة سواء في نسخه أم تجليده أو  
زخرفته.

ومن الخطاطين المشهورين في الأندلس أبو عبد  
الله بن غطوس المتوفى ٦١٠ هـ / ١١٦١ م، من بلنسية،  
كان وحيد عصره في كتابة المصاحف بالأندلس، يقال:  
إنه كتب ألف مصحف، وقد آلى على نفسه ألا يكتب  
حرفاً إلا من القرآن، وشاركه أبوه وأخوه في هذه  
الصناعة.

كما تفوّقت النساء في هذا الميدان، وبرز طائفة  
من الخطاطات والناسخات الماهرات، ولكن عددهنّ  
محدود جداً.

ومن الخطاطات صافية بنت عبد الله الربيعي  
١٧٤ هـ / ١٠٣٤ م، كانت جميلة الخط، مشهورة بذلك،  
وحدّثت أن عابت خطها إحدى صديقاتها، فقالت:

الهوامش:

- ١٤- العلاق، كاظم ساتر، الوراقة في بغداد ودورهم في نشر العلم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار- العدد ٥١، ٢٠١٥م، ص ١١.
- ١٥- ابن باديس، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب ماييل الهروي- عصام مكيّة، إيران، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ، ص ٢٧.
- ١٦- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠١م، ٣/ ٦٧.
- ١٧- العلاق، كاظم، الوراقة في بغداد، ص ١١-١٢.
- ١٨- عرفة، مازن، سحر الكتاب، ص-١٤١.
- ١٩- البنا، نادية، الوراقة والورّاقين حكاية صناعة الكتب قبل ظهور الطباعة وأقدم أسواقها، ٥ / مارس / ٢٠٢١م. (من الشابكة).
- ٢٠- العلاق، كاظم، ص ١٣.
- ٢١- الحلوجي، عبد الستار، ص ٤٠.
- ٢٢- ابن باديس، عمدة الكتاب، ص ٣١.
- ٢٣- ابن منظور، لسان العرب، صححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ج١٥، ط١، ١٩٩٦م، ص ٢٧٤.
- ٢٤- النملة، علي، الوراقة وأشهر أعلام الورّاقين (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م، ص ٣٠.
- ٢٥- العلاق، كاظم ستر، الوراقة في بغداد، ص ١١٥.
- ٢٦- سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط١، ٢٠١١م، ٢/ ٢٥٩.
- ٢٧- العلاق، كاظم ستر، ص ٨- ١٠.
- ١- النديم، الفهرست، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م، ص ٣١.
- ٢- الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، السعودية: مكتبة مصباح، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٢١، ٢٢.
- ٣- المرجع السابق، ص ٣٣.
- ٤- المرجع السابق، ص ٢٢.
- ٥- الموسى، عصام سليمان، الورق وتطوّر صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، من مجلة جامعة دمشق، المجلد: ٢٧، العددان، ٣، ٤، ٢٠١١م، مقالة (من الشابكة)، ص ٢١١.
- ٦- ديروش، فرانسوا، المدخل إلى الكتاب المخطوط بالحرف العربي، نقله إلى العربية: أيمن فؤاد سيّد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥م، ص ١٠٠ ← ١٠٣.
- ٧- الموسى، عصام سليمان، الورق وتطور صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة، من مجلة جامعة دمشق، المجلد: ٢٧، العددان: ٣، ٤، ٢٠١١م، ص ٢٢١. مقالة (من الشابكة).
- ٨- المقال السابق، ص ٢٢٧.
- ٩- المقال السابق، ص ٢٣٠.
- ١٠- الشنطي، عصام، تعريف المخطوطات وصناعة الورق والوراقة والنساخت، مقالة (من الشابكة).
- ١١- عرفة، مازن، سحر الكتاب وفتنة الصورة من الثقافة النصيّة إلى سلطة اللامرئي، دمشق: النكويين، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٤٠-١٤١.
- ١٢- الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، السعودية: مكتبة مصباح، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٣٥.
- ١٣- المرجع السابق، ص ٣٨.



## المصادر والمراجع:

- ١- ابن باديس، عمدة الكتاب وعمدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب ماييل الهروي - عصام مكيّة، إيران، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ٢- ابن منظور، لسان العرب، صححه: أمين محمد عبد الوهّاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٩٩٦م، ج١٥.
- ٣- إسلام، منار، مهنة الوراقة ودورها في إنجاب أعلام أدبية كبيرة.
- ٤- البنا، نادية، الوراقة والوراقين حكاية صناعة الكتب قبل ظهور الطباعة وأقدم أسواقها، ٥ / مارس / ٢٠٢١م مقالة (من الشابكة).
- ٥- الجوماني، سعيد، مقالة بعنوان: الوراقة في دمشق من القرن الرابع الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري، في مجلة الخزانة، بغداد، كربلاء: مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة المقدسة، العدد السابع، آذار، ٢٠٢٠م. مقالة (من الشابكة).
- ٦- الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، السعودية: مكتبة مصباح، ط٢، ١٩٨٩م.
- ٧- ديروش، فرانسوا، المدخل إلى الكتاب المخطوط بالحرف العربي، نقله إلى العربية: أيمن فؤاد سيّد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥م.
- ٨- سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط١، ٢٠١١م.
- ٩- الشنطي، عصام، تعريف المخطوطات وصناعة الورق والوراقة والنساخت، مقالة (من الشابكة).
- ١٠- د. عبد القادر، ربوح، الوراقة في الأندلس ما بين القرنين ٤هـ - ١٠هـ / ١٣م، قراءة في المدلولات والشواهد، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بو ضياف بالمسلية، مقالة (من الشابكة)، من ص ١٩٩ ← ٢٠٢.

- ٢٨- هونكه، زيغرد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، ١٩٦٤م، ص ٣٧٨.
- ٢٩- إسلام، منار، مهنة الوراقة ودورها في إنجاب أعلام أدبية كبيرة، (مقالة من الشابكة).
- ٣٠- الجوماني، سعيد، مقالة بعنوان: الوراقة في دمشق من القرن الرابع الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري، في مجلة الخزانة، بغداد، كربلاء: مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة المقدسة، العدد السابع، آذار، ٢٠٢٠م. مقالة (من الشابكة). ص ٢٤٩ ← ٢٥١.
- ٣١- المقال السابق، ص ٢٥١.
- ٣٢- إسلام، منار، مهنة الوراقة ودورها في إنجاب أعلام أدبية كبيرة، مقالة (من الشابكة).
- ٣٣- د. عبد القادر ربوح، الوراقة في الأندلس ما بين القرنين ٤هـ - ١٠هـ / ١٣م، قراءة في المدلولات والشواهد، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بو ضياف بالمسلية، مقالة (من الشابكة)، ص ١٩١ ← ١٩٩.
- ٣٤- ديروش، فرانسوا، المدخل إلى الكتاب المخطوط بالحرف العربي، نقله إلى العربية: أيمن فؤاد سيّد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٥م، ص ٢٩٤.
- ٣٥- المرجع السابق، ص ٢٩٦.
- ٣٦- عبد القادر، ربوح، الوراقة في الأندلس ما بين القرنين ٤هـ - ١٠هـ / ١٣م، قراءة في المدلولات والشواهد، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بو ضياف بالمسلية، مقالة (من الشابكة)، من ص ١٩٩ ← ٢٠٢.



من مجلة جامعة دمشق، المجلد: ٢٧، العددان، ٣، ٤،  
٢٠١١م، (من الشابكة).

١٤- النديم، الفهرست، بيروت: دار المعرفة،  
١٩٧٨م.

١٥- النملة، علي، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين  
(دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض:  
مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م.

١٦- هونكه: زيغرد، شمس العرب تسطع على  
الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال  
دسوقي، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر،  
١، ١٩٦٤م.

والشواهد، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر،  
مجلة العوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد  
بوضياف بالمسلية مقالة (من الشابكة).

١١- عرفة، مازن، سحر الكتاب وفتنة الصورة من  
الثقافة النصية إلى سلطة اللامرئي، دمشق: التكوين،  
١، ٢٠٠٧م.

١٢- العلاق، كاظم ساتر، الوراقة في بغداد ودورهم  
في نشر العلم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار- العدد  
٥١، ٢٠١٥، مقالة (من الشابكة).

١٣- الموسى، عصام سليمان، الورق وتطور  
صناعته في العصر العباسي كوسيلة اتصال فاعلة،

# الوراقة والنساختُ

## وأشهر أعلام الورّاقين والخطّاطين

أمانة الحسن\*

ظهرت الوراقة والورق، والحبر بين أيدي الورّاقين ذو عبق، لكنها لم تكن حرفة ذات مردود، فالورّاق فقير بلا حدود، لله دُرْكُ أيها الورّاق! فأنت في صنعتك ماهر وذواق، فقد أجدت في نسخ الكتب بالدواة والحبر، فأصبحت بين أيدينا أغلى من التبر. وهذا ورّاق ذكر الصولي أنه سُئل عن حاله فقال:

«عيشي أضيّق من محبرة، وجسمي أدقّ من مسطرة، وجاهي أرقّ من الزجاج، ووجهي عند الناس أشدّ سوادًا من الحبر، وحظي أحقر من شقّ القلم، وبدني أضعف من قصبه، وطعامي أمرّ من العفص، وسوء الحال ألزّم لي من الصبغ».

مخطوط أو غيره مادته فيخطها في صحفٍ أخرى حرفًا حرفًا<sup>(٢)</sup>. والنسخ حرفة مهمة، والناسخ هو من يقوم بكتابة النصوص الموكلة إليه بأمانة ودقة، وفي المخطوطات يؤخذ اسم الناسخ من المخطوط نفسه من حرد المتن، ويسجل اسم الناسخ كما ورد في المخطوط تمامًا دون زيادة أو نقصان، وإن ورد اسمه في مخطوط مختصرًا وفي آخر كاملاً، فنسجله كما ورد<sup>(٣)</sup>.

### للنسخ طريقتان:

الأولى: أن يقوم الناسخ بالنسخ من مخطوطة أخرى دون مساعدة أحد له، وبعد الانتهاء من النسخ يراجع ما نسخته على النسخة التي اعتمد عليها. أما الطريقة الثانية: فتتمثل في جلوس عدد من

فقال له: عبّرت عن بلاء ببلاء<sup>(١)</sup>.

يعدّ العصر العباسي العصر الذهبي للوراقة، فهو العصر الذي شهد قيامها قيامًا حقيقيًا، وهو العصر الذي مهد لدخول الورق إلى العالم الإسلامي، ومن ثم ازدهار الوراقة به.

### ١- النساخة وطرائق النسخ:

للنسخ معانٍ متعددة منها:

نسخ الشيء: أزاله، ومنه: نسخ الله الآية: أزال حكمها، ونسخ الكتاب: نقله وكتبه حرفًا حرفًا، وانتسخ الكتاب مثله، واستنسخه: طلب نسخته، ونسخ المخطوط: هو أن ينقل إنسان ما من

\* مديرة المخطوطات في مكتبة الأسد الوطنية.



وإذا مرّ بذكر أحد من الصحابة كتب: (رضي الله عنه)، أو مر بذكر أحد من الأئمة كتب: (رحمه الله). وإذا فرغ من كتابة الكتاب أو الجزء فليختم الكتابة بالحمدلة، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليكتب:

آخر الجزء الأول أو الثاني - مثلاً - ويقلوه «كذا»، و«كذا» إن لم يكن أكمل الكتاب، فإن أكمله فليكتب: تم الكتاب الفلاني، ففي ذلك فوائد كثيرة<sup>(٧)</sup>. وينبغي أن يتجنب الكتابة الدقيقة في النسخ، فإن الخط علامة، فأبينه أحسنه، وقال بعضهم:

(اكتب ما ينفعك وقت حاجتك إليه، ولا تكتب ما لا ينتفع به وقت الحاجة)، والمراد وقت الكبر، وضعف البصر<sup>(٨)</sup>.

وبعض النساخ خطوطهم عسيرة، غير منقوطة ومتشابكة، تصعب قراءتها، ومن أمثلة هؤلاء يوسف بن الحسن بن المبرّد، لقّب على لقب جدّه (أحمد) الذي سُمّي بذلك لخشونة يده، لذلك فإن مؤلفاته أكثرها لم يُنشر.

وقد يقصد بعض السّفارة بالكتابة الدقيقة خفة

النسّاخ حول شخص يُملّي عليهم من مخطوطة، وهو ما يسمّى بالإملاء<sup>(٩)</sup>.

وسأحدث عن هاتين الطريقتين المعتمدتين عند الورّاقين لاحقاً.

### وهناك آدابٌ يجدرُ بالناسخ أن يتحلّى بها:

إذا نسّخ من الكتاب فلا يضعه على الأرض مفروشاً منشوراً، بل يجعله بين كتابين، أو شيئين، أو كرسي الكتب المعروف؛ كيلا يسرع تقطيع حبه، وإذا وضعها في مكان مصفوفة فلتكن على كرسي أو تحت خشب أو نحوه<sup>(٥)</sup>.

(إذا نسّخ شيئاً من كتب العلوم الشرعية فينبغي أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، طاهر البدن والثياب بحبر طاهر)<sup>(٦)</sup>.

وعليه أن يبتدئ كل كتاب بكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم» وإن كان مصنّفه تركها كتابةً فليكتبها هو، وكلما كتب اسم الله تعالى - أتبعه بالتعظيم، مثل: تعالى، أو سبحانه، أو عز وجلّ.

وكلما كتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم كتب الصلاة بكاملها.



للمحدث، والأولى به أن يروي من كتابه ليسلم من الوهم والخط، ويكون جديراً بالبعد عن الزلل. إن ضبط الحروف شكلاً ونقطة مهم في كتابة الملتبس من الكلام؛ لذا ينبغي الاعتناء به<sup>(١١)</sup>.

### نساء وراقات:

عملت المرأة إلى جانب الرجل في مهنة الوراقة «ناسخة» أو مساعدة، ففي العراق ذكر (أبو العلاء المعري) في رسالة «الغفران» الجارية (توفيق السوداء) التي كانت تخدم بدار العلم ببغداد أيام البويهيين، وكان من عملها مساعدة الوراقين بأن تخرج الكتب للنساخت، ولعلها كانت تُورق أيضاً.

وهناك نسخة من «الصاح» «للجوهرى» نسختها (مريم بنت عبد القادر) في القرن السادس الهجري، ذكرت في نهايتها:

(أرجو من وجد فيه سهواً أن يغفر لي خطئي؛ لأنني كنت بينما أخط بيمينى كنت أهز مهد ولدي بشمالي). وروى «المؤرخ الصفدي» ٧٦٤هـ أن (أبا العباس بن الحطيئة الفاسي) ت ٥٦٠هـ نسخ الكثير بالأجرة في مصر، وعلم زوجته وابنته الكتابة، فكانتا تكتبان مثل خطه سواء، فإذا شرعوا في نسخ كتاب أخذ كل واحد جزءاً وكتبوه، فلا يفرق بين خطهم إلا الحاذق<sup>(١٢)</sup>.

وكانت (ورقاء بنت ينياب) الشاعرة الطليطلية ت ٥٤٠هـ من الناسخات المجيدات.

### ب - مجالس الإملاء:

هي بمفهوم العصر الحديث محاضرات عامة في فروع المعرفة التي كانت تهتم الجماهير، وتشغلهم<sup>(١٣)</sup>.

### والإملاء كما يقول «حاجي خليفة»:

(أن يقعد عالمٌ وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس

المحمل، وهذا وإن كان قصداً صحيحاً فإن المصلحة الفائتة به في آخر الأمر أعظم من المصلحة الحاصلة بخفة الحمل.

ولا ينبغي الكتابة بين الأسطر، وقد فعله بعضهم بين الأسطر المفرقة بالحرمة وغيرها، وترك ذلك أولى مطلقاً<sup>(١٤)</sup>.

ومن النساخت من يتعجل، ويحذف من أثناء الكتابة شيئاً رغبة في إنجازها، وفي هذا ضرب من تضييع العلم<sup>(١٥)</sup>.

### أ - النسخ وشروطه:

#### التخصص في النسخ:

اشتراط العلماء على الوراقين التخصص في علم من العلوم، فمن ينسخ العلوم الشرعية واللغة العربية فعليه ألا يتقدم لكتابة شيء منها إلا بعد اطلاعه على ذلك الفن وقراءته وتكراره؛ ليسلم من التحريف والتبديل والتصحيف، ومن ينسخ التاريخ اشتراط فيه معرفة أسماء الملوك، وألقابهم، ونعوتهم، وكناهم، وكذلك معرفة أسماء المدن والقرى والبلاد، ومن ينسخ الشعر احتاج إلى معرفة العربية والعروض ليقيم وزن البيت إذا أشكل عليه.

#### النسخ والمقابلة:

إن المقابلة تأتي تبعاً للإملاء، وسأحدث عنها في مجالس الإملاء، إذ ينبغي للطالب مقابلة كتابه بكتاب شيخه الذي يروي عنه سماعاً أو إجازة أو بأصل أصل شيخه المقابل به أصل شيخه، أو بفرع مقابل بأصل السماع، المقابلة المشروطة.

#### التثبت والاحتياط في النسخ:

حث العلماء من يروي الحديث على التثبت والاحتياط، فقال الخطيب البغدادي: الاحتياط



## ٢- فن التجليد:

كان بعض الوراقين يضطرون في بعض الأحيان إلى تجليد ما يورقون بأنفسهم.

وقال «ديماند» في كتاب (الفنون الإسلامية):

كان التجليد لازمةً من لوازم الكتب، ولو لم يكن التجليد لما حُفظت الكتب وعاشت، فقد وقع على كاهل المجلد حفظ أوراق الكتاب من التلف والعناية بمظهره الخارجي لجلدة الكتاب ولسانه.

وكان المسلمون ممن اعتنوا بأمر تجليد الكتب وزخرفتها وتذهيبها حتى إن (ابن الزيات) بعث إلى الجاحظ رسالةً يعيب عليه عدم اعتنائه بكتبه، وأمره بتجليدها موضحاً له فوائد التجليد.

وقد استجاب (الجاحظ) إلى ما جاء في رسالة «ابن الزيات»، فسعى إلى ضم أوراقه بعضها إلى بعض، واختيار الجلود الجيدة، واختيار أفضل الصناع أو المجلدين للقيام بهذه المهمة.

على أن هذه الرسالة تعكس لنا أن التجليد لم يكن شائعاً بصورة كبيرة آنذاك، وتوضّح بعض الفوائد القيمة التي يعود بها التجليد على الكتب والمؤلفات، إذ هو صونٌ وحمايةٌ لها، كما أن التجليد يعطي الكتاب أو الأوراق شكلاً حسناً بديعاً.

هذا وإن التجليد في بادئ الأمر كان باستعمال الألواح الخشبية لحفظ الكتب والمؤلفات، وقد ذكر (المقريزي) أنه عُثر على كتاب غُلف بلوحيين من الخشب، وهو يرجع إلى زمن بعيد، مما يدل على أن المعرفة بالتجليد قديمة، ولكن خامّة التجليد كانت الخشب.

وكما استعمل الخشب في التجليد في بادئ الأمر استعملت صفائح البردي في العصر القبطي حتى القرن الرابع الهجري، ثم استعملت الجلود في عملية التجليد.

فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتب التلامذة فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء (والمالي)، ولم يكن يتصدى للإملاء إلا من وثق بنفسه، ووثق الناس به، وشهدوا له بالعلم والفضل، فقد كان الإملاء أعلى وظائف الحافظ في اللغة<sup>(١٤)</sup>.

ويبدو أن مجالس الإملاء قد بدأت تنتشر وتصبح ظاهرة عامة في مشارف القرن الثالث الهجري، ويظهر أنها كانت متمركزة في بغداد مقر الخلافة ومركز الحركة العلمية ومقصد العلماء والأدباء من شتى بقاع العالم الإسلامي.

وفي فهرست (النديم) أن (ابن الأعرابي) المتوفى سنة ٢٣١هـ (أملى على الناس ما يحمل على أجمال)<sup>(١٥)</sup>.

وكان مجلس (الغريابي) - ٣٠١هـ ببغداد يحضره نحو ثلاثين ألفاً لسماع الحديث.

ولضخامة هذه المجالس لم يكن صوت الشيخ يُسمع جموع الحاضرين، ولم تكن مكبرات الصوت قد عرفت بعد.

ومن أجل هذا ظهرت في المجتمع فئة جديدة تُعرف بالمستملين، وهم الذين يرددون كلمات الأستاذ وراءه حتى يسمع الناس<sup>(١٦)</sup>.

والظاهرة التي تلفت النظر في تلك المجالس أنها كانت تتسم بالأمانة العلمية<sup>(١٧)</sup>.

وتمخضت هذه المجالس عن كتب كثيرة ظهرت باسم الأمالي، ولعل أشهرها (أمالي ثعلب) و(ابن دريد) و(القيالي)<sup>(١٨)</sup>.

وهكذا كانت الأمالي تستوي كتباً بين الناس، وكان الوراقون يقومون بما تقوم به المطابع في هذه الأيام، وهو إصدار النسخ اللازمة للسوق من كل كتاب، وكان عدد النسخ يختلف باختلاف إقبال الناس على الكتاب وحاجتهم إليه<sup>(١٩)</sup>.

### ٣- فن التذهيب:

حرص بعض الوراقين على التأنيق في عملهم؛ طلباً لأعلى مستوى من الجودة في صناعة الكتاب؛ ضمناً لترويقه، وقد دخل في إطار هذا الحرص حرصهم على زخرفة وتذهيب ما يجلدون من الكتب، وهو أمر أشار إليه «القلقشندي» إذ أقر بأن عملية التذهيب من الأمور التي يحتاج إليها كتاب النسخ، وبطبيعة الحال الوراقون.

وأشار (عبد الجواد الأصمعي) في كتابه: «تصوير وتجميل الكتب العربية» إلى أن التذهيب هو زخرفة المخطوطات بالرسوم الجميلة البديعة الألوان، كما أشار إلى أنه عُرف بالتذهيب؛ لكثرة الذهب بين ألوانها<sup>(٢١)</sup>.

أما عن أشهر المذهبين في العصر العباسي «عبد الله بن يس» أبو محمد التميمي النحوي، وهو من أهل الأدب، قديم دمشق، وأقام بها، ثم خرج منها، وعاد إليها، وكان حسن الخط، ومارس عملية تذهيب المصاحف، وكان على ما يبدو يتقاضى أجراً مقابل هذا، ثم توجه إلى بلاد العجم، وأقام بخوارزم، وبقي بها حتى توفي هناك<sup>(٢٢)</sup>.

وممن عمل بالتذهيب من ذكرهم «النديم» في الفهرست تحت عنوان: أسماء المذهبين للمصاحف المذكورين وهم: «اليقطيني»، و«إبراهيم الصغير»، و«أبو موسى بن عمار».

وسأعرض لمشاهير الوراقين في ذلك العصر الذين كان لهم أثر في إثراء الحياة الثقافية في العصر العباسي، ومن هؤلاء<sup>(٢٣)</sup>:

#### أولاً: الجاحظ

أبو عثمان، عمرو بن بحر، اشتهر بلقبه الدال على نتوء عينيه وجحوظهما، ولقب بالحدقي للسبب نفسه،

والجلود كانت مما اشتهرت به جزيرة العرب، فاستعملت جلود العجول الصغيرة والغزلان والماعز، وعبرت عن هذا الكاتبة زيغرد هونكه بقولها: وكم من جلود أمدتهم بها صغار الغزلان والماعز.

وأشارت الباحثة «سهام محمد المهدي» إلى استعمال جلود العجول الصغيرة والخراف في كسوة الكتاب، وأشارت أيضاً إلى أن الجلود كانت تستعمل بجانب الخشب، بحيث تكون ألواح الخشب مغطاة بالجلد المزخرف، وقالت: قد بقيت هذه الطريقة مستخدمة طوال العصر الإسلامي، فقد كان الخشب يُوضع كدَف بين الكسوة الخارجية والبطانة في بعض الأحيان.

لكن الوضع لم يستمر على هذه الحالة كثيراً، إذ ابتكر العرب فكرة الطبقة الأساسية المثقلة بالصمغ لتحل محل لوح الخشب الذي كان يوضع تحت الجلد ليقويه، ويحفظ الكتاب، وعندهم أخذ الأوربيون، على أي حال فقد أصبح الجلد هو المادة الأساسية المستخدمة في التجليد بمرور الوقت.

واستعملت الألوان في تزيين الجلود وزخرفتها. ولممارسة التجليد كان ينبغي للمجلد أن يتسم ببعض الصفات والسمات، وقد أشار إليها صاحب مخطوط «عمدة الكتاب في الأحبار» فقال: (والذي يحتاج إليه ملتصق هذه الصناعة سرعة الفهم، وجودة النظر، وحلاوة اليد، وتركه السرعة، والتثبت، والتأني، وحسن الجلوس، وملاحظة الاستعمال، وحسن الخلق).

ومن أبرز المجلدين الذين ذكرهم النديم «المقراض العجيقى» و«أبو عيسى بن شيروان» و«ابن أبي الحريش»<sup>(٢٤)</sup>.



(ليس عندي من طعام سوى هذه الكراريس)،  
 تريد أن تنبّه إلى التكبّب، فذهب إلى الجامع مغتمًا،  
 ولقيه «مؤيس بن عمران» أحد رفاقه الأثرياء في  
 الدرس، فسأله: ما شأنك؟ فحدثه بحديث أمّه، فأخذه  
 إلى منزله وأعطاه خمسين دينارًا، فأخذها فرحًا، ودخل  
 السوق، واشترى الدقيق، وحمله الحمالون إلى داره،  
 وسألته أمّه من أين لك هذا؟ فقال لها: من الكراريس  
 التي قدّمتها إليّ<sup>(٢٤)</sup>، وكان «مؤيس بن عمران» كان  
 رمزًا مبكرًا لما سيصيّبه من عطايا الخلفاء والوزراء.  
 أخذ علمه عن جلة العلماء والمتقّفين أمثال:  
 الأصمعيّ، والأخفش، وأبي عبيدة.  
 وامتدّت ساحات تثقفه إلى كلّ فروع الثقافة، عن  
 طريق المكتبات، وكان الكتاب بمجرد أن يؤلّف أو

قيل: إنّه من كنانة، اختلف في السنة التي ولد فيها،  
 ويقال: إنه ولد سنة تسع وخمسين ومئة للهجرة، وتوفيّ  
 سنة ٢٥٥هـ، والمظنون أنّه عاش ما يقارب مئة عام.  
 ولد بالبصرة، وكان منذ صغره يختلف إلى بعض  
 الكتّاب ليتعلّم من القرآن والقراءة والنحو والفقّه  
 والحساب والشعر، ثم مضى إلى المساجد يستمع إلى  
 محاضرات العلماء، وفي أخباره أنّه كان يبيع الخبز  
 والسّمك بسيحان أحد نهيرات البصرة.  
 وقد يشير ذلك إلى أنّ نشأته كانت بسيطة، وأنه  
 في حاجة إلى أن يكتسب معاشه، ويروى أنّ أمّه  
 ضاقت بانهماكّه في الدرس والقراءة، فطلب إليها  
 يومًا طعامًا، فجاءته بطبق مملوء بكراريس أو دعها  
 البيت، وقالت له:

القبیح، ویروی عنه أنه قال: ما أخلني إلا امرأة مرت بي إلى صائغ فقالت له: اعمل مثل هذا، فبقيت مبهوتاً، ثم سألت الصائغ فقال: هذه امرأة أردت أن أعمل لها صورة شيطان، فقلت: لا أدري كيف صورته، فأنت بك لأصور على صورتك<sup>(٢٧)</sup>.

هكذا نجد الجاحظ ملأ الدنيا بثقافته، وفرض نفسه على عصره، وعلى العصور التالية.

وقد قيل: إنه توفي في إحدى دكاكين الوراقين التي كان يكتريها عندما سقط عليه أحد أرفف الكتب وهو في شيخوخته.

### أشهر خطاطي العصر العباسي:

قال التوحيدي: «إن جودة الخط والضبط رأسمال الوراق، فمن حسن خطه حسنت مهنته...».

ولعل الخطاط ابن مقله: محمد بن علي بن الحسين، البغدادي، الشيرازي الذي ولد عام ٢٧٢هـ

وتوفي ٣٢٨هـ<sup>(٢٨)</sup> أشهر خطاطي العصر العباسي، وأول من وضع أسساً مكتوبة للخط العربي، أبداع في هندسة الحروف، وكان خطه يضرب به المثل في

عده، فصار شيخ الخطاطين، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي في رسالته (علم الكتابة) ما قاله ابن

الزنجي عنه عندما سئل ما تقول في خط ابن مقله؟ فقال: أفرغ الخط في يده كما أوحى إلى النحل في

تسديس بيوته.

عمل للخلفاء العباسيين، وتولى الوزارة ثلاث مرات.

نشأ في بيت علم وفن اشتهر بالخط، فأبوه وجدّه وأخوه كلهم خطاطون، أخذ الخط عن أبيه وعن

(إسحاق بن إبراهيم البربري). وقال في أبيه: نشأت في حجر أب كان شيخاً لمؤرخي

الخط العربي دون مدافع<sup>(٢٩)</sup>.

يترجم في البصرة أو بغداد تتكاثر نسخته بين أيدي الوراقين أصحاب المكتبات ودكاكين الكتب، ويقول «النديم»:

وكان «الجاحظ» يكتري هذه الدكاكين، وبييت بها للقراءة والنظر. ويقول (ابن هقان): (لم أر قط

ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، كائناً

ما كان)، وكان أشبه بألة مصورة، فليس هناك شيء يقرؤه إلا ويرتسم في ذهنه، ويظل في ذاكرته آماداً

متطاولة، ومن أكبر الدلالة على شغفه بالقراءة والكتب المقدمة الطويلة التي وضعها في كتاب «الحيوان»،

وهي نحو مئة صفحة في تمجيد الكتب، ويدل كتابه «الحيوان» على أنه كان مستوعباً لكل الثقافات في

عصره من: فارسيّة، وهنديّة، وعربيّة. ويقال: إن «المأمون» حاول أن يقلده ديوان

الرسائل، لكنه لم يستطع المقام به سوى ثلاثة أيام، ثم عاد إلى صناعته في التأليف.

يعدّ الجاحظ الثمرة الناضجة لكل الجهود الثقافية، فكأنما كتبه دائرة معارف، وكتبه تعلم العقل أولاً،

والأدب ثانياً، وكان يحبّ الفكاهة، فكان إذا تخوّف ملل القارئ خرج من جدّ إلى هزل، ومن حكمة بليغة

إلى نادرة لطيفة، وتكثر النوادر في كتبه «كالبخلاء» و«رسالة التربيع والتدوير» وغيرهما<sup>(٢٥)</sup>.

وصف «الجاحظ» بأنه كان قصير القامة، صغير الرأس، دقيق العنق، صغير الأذن، وأنه كان شديد

السُمرة إلى حدّ السواد، جاحظ العينين، ممّا تفرّ منه الأبصار، وجعل منه أحد المشهورين بقبح المنظر، ولم

يكن هذا القبح في شكل «الجاحظ» مدعاةً لضيقه أو تبرمه منه<sup>(٢٦)</sup>.

وكان يتندّر على كل شيء حتى على نفسه وشكله



هكذا نجد أن مهنة الوراقة هي عصبُ صناعة الكتاب العربيّ، فقد كان الورّاقون والنساخون بمنزلة النواة الأولى التي شكّلت الثقافة والحضارة العربيّة، فقد كانت هذه المهنة الرفيعة هي الجنديّ المجهول الذي فتح الباب على مصراعيه لازدهار التأليف والتصنيف والترجمة للعلماء والأدباء.

وذلك هو نشاط الورّاقين في ذلك العصر النير، وتلك هي تأثيراتهم الحضاريّة لا تزال تعانق أنفاسنا بأريج ذلك الزمن العاطر، وقد حقّ علينا لذلك التراث الخالد أن نجلو عنه غبار النسيان، ونقدّمه بستاناً فيه من كل الثمرات يسر الناظرين.

#### ثانياً: النديم

هو محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، الورّاق مصنّف كتاب «الفهرست» وُلد في بغداد، وهو من أصل فارسيّ. قال المرزباني: إنَّ النديم وُلد سنة ٢٩٧هـ.. وتوفي سنة ٣٨٥هـ، قال عنه (ياقوت الحموي) في كتابه معجم الأدباء:

النديم: مصنّف كتاب «الفهرست» الذي جود فيه، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم ومعرفته بجميع الكتب، ولا أبعد أن يكون قد كان ورّاقاً يبيع الكتب).

بدأ (النديم) تعليمه في سنّ السادسة؛ إذ اطلع على الدراسات الإسلامية، والتاريخ، والجغرافيا، والدين المقارن، والعلوم، والنحو، والبلاغة، والتفسير.

كان تلميذاً للفقيه «أبي سعيد السيرافي» وللشاعر «أبي الفرج الأصفهاني»، وللمؤرخ «أبي عبد الله المرزوقي» وغيرهم، لكنه لم يقتبس منهم شيئاً، فكان له طابعه واتجاهه الخاص، وعمل على إحياء مهنة والده، وهي مخطوطات الكتب، إذ كان والده يملك مكتبة

عُرف (بابن مقلّة) لأن أمّه كان أبوه يلاعبها في صغرها ويقول لها: يا مقلّة أبيها، فغلب عليها هذا الاسم، واشتهرت به، فاتّصل الاسم به، وكان بذلك مقلّة الزمان، وملك الخطّ والبيان، له رسائل ومؤلفات كثيرة في الخط.

ابتكر خطّي الثلث والنسخ، وهو أول من نقل الخطّ الكوفي إلى العربي.

كانت حياته مضطربة، وتعرّض إلى الفتن والمحن، وقطعت خلالها يده اليمنى، فأبدع باليسرى، إذ كان يشدّ القلم إلى ساعده، ويكتب به.

وقال في ذلك:

ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانتي  
يميني فبيني

وقد أعجب الكتّاب والخطاطون في عهد ملوك الطوائف والمرابطين بخطّ (ابن مقلّة). وقال فيه «أبو منصور الثعالبي»:

خطّ ابن مقلّة من أروع مقلّته

ودت جوارحه لو حوّلت مقلّا

فالدّر يصفرّ لاستحسانه حسداً

والبدر يحمرُّ من أنواره خجلاً

قال عنه ياقوت:

إنه كان ينزل في دار حسنة، وفيها فرش، وله شيء للنسخ، وحوض فيه محابر وأقلام، فيقوم ويتمشّى في الدار إذا ضاق صدره، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس، وينسخ ما يخفّ عليه، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان، ثم يجلس في مجلس آخر، وينسخ أوراقاً آخر.

كان رائداً من رواد الكتابة العربيّة، مارس الخطاطة، وتأنق فيها وأبدع، فكانت له مدرسته الخاصة التي عليها تتلمذ «ابن البواب»<sup>(٣٠)</sup>.



سننتي ٣١٠ و ٣٢٠هـ، وعن نسبته التوحيدي يقال: إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد، وهو نوعٌ من التمر، ويقال أيضاً: سُمِّي بذلك نسبةً إلى التوحيد.

استوطن بغداداً، فأتقن العربية، وتعصّب للعرب، ودرس بها على يد بعض العلماء (كالسيراقي)، و(السجستاني) و (الرماني)<sup>(٣٢)</sup>.

ومارس الوراقة حتى ضجرَ منها، وأطلق عليها حرفة الشؤم، ولا سيما أنه لم يكن يسترزق منها بما يكفيه ويعينه على الحياة، وهرباً من الوراقة وما جلبته عليه من الشؤم هاجر من بغداد<sup>(٣٣)</sup>، وناقش «الخلوجي» عبارة (أبي حيان) بقوله: «ولكننا ينبغي ألا نأخذ تصوير (أبي حيان) للوراقة بأنها حرفة الشؤم على أنه تقريرٌ لحقيقة كانت واقعةً في زمانه، فالوراقة لم تكن كاسدةً كما يعترف هو نفسه، ولكنّه كان بطبعه يتشكى صرفَ زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه».

وقصد (أبو حيان) بلاد الريّ سعياً للتقرب من الوزير «أبي الفضل بن العميد» المتوفى ٣٦٠هـ، و«الصاحب بن عباد» المتوفى ٣٨٥هـ، وقد أقرّ بأنه إنما هجر بغداد هرباً من الوراقة حرفة الشؤم.

ولم يجد في الريّ بغيته وما سعى إليه، إذ عامله (الصاحب بن عباد) و (ابن العميد) معاملةً لم يرضها لنفسه ولا سيما أن (الصاحب بن عباد) كان قد ألحّ عليه في نسخ بعض المؤلفات والمجلدات التي وجد أنه لو نسخها لقضى على نفسه وصحته. يُحكى أن أبا حيان التوحيدي كان جالساً ذات يوم يكتب شيئاً كان قد أحبه (الصاحب بن عباد)، فمرّ به الوزير، فهم «أبو حيان» بالقيام احتراماً وتقديراً له، فما كان من الصاحب إلا أن قال له: (اقعد فالوراقون أحسُّ من أن يقوموا لنا).

مزهرةً وكبيرة، فاستغلّها (النديم) بشراء المخطوطات من التجار، والعمل في نسخ الكتب مع بعض الخطاطين. رحلته العلمية:

زار المراكز الفكرية في البصرة والكوفة، بحثاً عن مواد علمية، وزار مركز الأدب والثقافة تحت حكم (سيف الدولة)، وامتحن الوراقة والكتابة، فتوسّعت مداركه، وانتهج سياسةً دقيقةً في تحري الحقيقة.

وقد ذكرته «زيغرد هونكه» في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٣٩١ بقولها:

(وكان كأغلبية زملائه من تجار الكتب قد تلقى تربيةً علميةً واسعة، فسمع محاضرات الأعلام من فلاسفة عصره، وزار منازلهم، وكان صديقاً للعلماء والأطباء الذين كان يقضي معهم السهرات الطوال في المناقشات العلمية المثمرة، ولم يكن هذا الرجل صاحب الثقافة العالية إلا نموذجاً للكثيرين من زملائه ناشري العلم والمعرفة في تلك العصور).

وله كتاب «الفهرست» الذي أمسى مرجعاً لكل باحث، صنّفه سنة ٣٧٧هـ، وتوفي سنة ٣٨٤هـ، وعاش قرابة ٩٠ سنة.

وقال «أحمد أمين» في كتابه «ظهر الإسلام» واصفاً كتاب «الفهرست»: الناظر لكتاب الفهرست يُعجب لهذا النشاط العلمي الذي قام به، ويُعجب بسعة اطلاعه، وحبّه للوقوف على كل شيء حتى في أدق مسائل الأديان المختلفة، والمذاهب المتنوعة، ويستقصي البحث عن الصين، والهند، والشام، والعراق، ويقابل أصحاب النحل ويسائلهم، ويدقق في أخبارهم، ثم يدون ما وصل إليه علمه<sup>(٣٤)</sup>.

ثالثاً: أبو حيان التوحيدي:

هو علي بن محمد بن العباس، التوحيدي، وهو شيرازي الأصل، ولد من أبوين فقيرين فيما بين

لا يحسن الخطّ، ولا يعلم شيئاً سوى التجارة، وكان ساكناً ببغداد، ولما كبر «ياقوت» قرأ شيئاً من النحو واللغة، وشغله مولاه بالأسفار في متاجرِهِ، فكان يتردد إلى كيش وعمان... ويعود إلى الشام، وقد اشتغل بالنسخ بالأجرة، وعمل بالوراقة، وكان من أثر عمله بالوراقة والنسخ أن أصبح مداوماً على الاطلاع، كما عمل أيضاً في الاتجار بالكتب.

سافرَ وتنقّل كثيراً بين البلدان، وقاسى في طريقه من المضايقة والتعب الكثير، على أي حال لا شك أن في كثرة أسفاره، وكثرة اطلاعه، وعمله بالوراقة ما أهله للكتابة والتأليف، فصنّف كتباً منها «معجم الأدباء» و«معجم البلدان»<sup>(٣٧)</sup>.

إن «ياقوت الحموي» قد عرف أسرار قيمة الكتاب، ويُعدُّ كتابه «معجم الأدباء» سيرة ذاتية لعشاق الكتب؛ لأنهم أدباء، وعلماء، وشعراء، وفلاسفة، وورّاقون، وجماعون للكتب، وقد علم عنهم الكثير في تطوافه، ورحلاته<sup>(٣٨)</sup>.

#### الهوامش

١- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والورّاقون في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٨، ٣٩.

٢- د. الخطيب، علي، تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة، ١٤٠٤هـ، ص ٤٢.

٣- عبد القادر، عبد القادر أحمد، صناعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية، دمشق: دار الوثائق للدراسات والطبع، ٢٠٠٤م، ص ٤٢١.

٤- المشوحي، عابد سليمان، نسخ المخطوطات، الرياض: مركز الملك فيصل، مجلة عالم الكتب، مج ١٥، ١٩٩٤م.

٥- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم

وهكذا فقد وصف «الصاحب بن عباد» الورّاقين بالخسة، وهو بهذا يعمّم تلك الصفة على كل الورّاقين، وينظر إليهم نظرة ملؤها الاحتقار والتعالي، على ما لهذه الفئة من أثر مهم في نشر العلم والثقافة، وتوفير الكتاب المنسوخ لمن يرغب في العلم.

على أي حال فقد استحكمت الوقعة بينه وبين الوزيرين، وهو ما عبر عنه بمؤلفه (أخلاق الوزيرين) أو (مثالب الوزيرين) الذي هجا فيه الوزيرين، وصب جام غضبه عليهما.

ولقد ترجم (ياقوت الحموي) لأبي حيان التوحّيدي، وأفاض في ترجمته، وقال عنه إنه كان سخيّف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له نكأً وفطنةً وفصاحة... واسع الدراية والرواية.

ولقد عمد قبل وفاته إلى حرق كتبه ضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته، ولقد كان له رسالة مطوّلة عن حرق كتبه وأسباب إقدامه على ذلك، وكل ذلك يتمحور في كون علمه المجموع في هذه المصنفات لم ينفعه في حياته، ولم يحقّق له ما كان يصبو إليه من شهرة ومجد وأدب وغنى وجاه<sup>(٣٤)</sup>.

ترك كثيراً من المؤلفات منها: «المقابسات»، و«أخلاق الوزيرين» و«الإمتاع والمؤانسة»، و«البصائر والذخائر»، ويُعتدّ أنه توفي سنة ٤٠٠هـ<sup>(٣٥)</sup>.

#### رابعاً: ياقوت الحموي:

هو أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، الروميّ الجنس والمولد، الحمويّ، المولى، البغداديّ الدار، الملقب بشهاب الدين، ولد سنة ٥٧٤هـ وتوفي ٦٢٦هـ<sup>(٣٦)</sup>، أسر من بلاده صغيراً، وابتاعه رجل تاجر يُعرف (بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي)، وجعله في الكتاب؛ لينتفع به في ضبط تجارته، وكان مولاه (عسكر) هذا

- والمتعلم، باعْتناء: محمد بن مهدي العجمي، بيروت: دار  
البشائر الإسلامية، ط ٣، ٢٠١٢م، ص ١٢٨.
- ٦- المصدر السابق: ص ١٢٨ - ١٢٩.
- ٧- د. الخطيب، علي، تراثنا المخطوط من التأليف  
إلى الوراقة، ص ٤٦ - ٤٧.
- ٨- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب  
العالم والمتعلم، باعْتناء: محمد بن مهدي العجمي،  
بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ٢٠١٢م، ص  
١٣١.
- ٩- المصدر السابق، ص ١٣٤.
- ١٠- د. حميد، مها سعيد، الوراقون في الموصل  
خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية  
القرن السابع الهجري (مقالة من الشابكة).
- ١١- جودي، ودا، أسواق الوراقين في بغداد  
خلال العصر العباسي، مذكرة لنيل الماجستير  
في التاريخ الأوسط، جامعة ماي، ٢٠١٦، ص  
٤٨ ← ٥٢.
- ١٢- البنا، نادية، الوراقة والوراقون، حكاية  
صناعة الكتب قبل ظهور الطباعة وأقدم أسواقها،  
٥ / مارس / ٢٠٢١م، (مقالة من الشابكة).
- ١٣- الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي،  
السعودية: مكتبة المصباح، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ١٣٨.
- ١٤- المصدر السابق، ص ١٣٧.
- ١٥- المصدر السابق، ص ١٣٨.
- ١٦- المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ١٧- المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ١٨- المصدر السابق، ص ١٤١.
- ١٩- المصدر السابق، ص ١٤٣.
- ٢٠- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والوراقون  
في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث
- الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٤١ ←  
٢٥٥.
- ٢١- المصدر السابق، ص ٢٥٦.
- ٢٢- المصدر السابق، ص ٢٦١.
- ٢٣- المصدر السابق، ص ١٥٢.
- ٢٤- الزعيم، أحلام، قراءات في الأدب العباسي،  
ص ١٠٧ - ١٠٨.
- ٢٥- ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، مصر:  
دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٣م، ص ٥٨٨.
- ٢٦- الزعيم، أحلام، قراءات في الأدب العباسي،  
ص ١١٥.
- ٢٧- ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، مصر:  
دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٣م، ص ٦١٠.
- ٢٨- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة  
والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت:  
الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢٧٧ / ٤.
- ٢٩- ناجي، هلال، ابن مقلة خطاطاً وأديباً  
وإنساناً، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١،  
١٩٩١م.
- ٣٠- عبد الرحمن، هالة شاكر، ص ٢٦٣.
- ٣١- أمين، أحمد، ظهر الإسلام، القاهرة: مطبعة  
لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٤٦، ص ١٦ /  
ص ٢٤٤.
- ٣٢- الزعيم، أحلام، قراءات في الأدب العباسي  
(الحركة النثرية)، كتاب جامعي، ص ٢٧١.
- ٣٣- المصدر السابق، ص ٢٧٩.
- ٣٤- المصدر السابق، ص ٢٨١.
- ٣٥- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والوراقون  
في العصر العباسي ص - ١٩٦.
- ٣٦- النملة، علي بن إبراهيم، الوراقة وأشهر أعلام

٧. د. حميد، مها سعيد، الورّاقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري (مقالة من الشابكة).
٨. د. الخطيب، علي، تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة، ١٤٠٤هـ.
٩. الزعيم، أحلام، قراءات في الأدب العباسي (الحركة النثرية)، كتاب جامعي.
١٠. د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والورّاقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط١، ٢٠١١.
١١. ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، مصر: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م، ص٥٨٨.
١٢. عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والورّاقون في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٤م.
١٣. عبد القادر، عبد القادر أحمد، صناعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة في الحضارة العربية، دمشق: دار الوثائق للدراسات والطبع، ٢٠٠٤م.
١٤. المشوحي، عابد سليمان، نسخ المخطوطات، الرياض: مركز الملك فيصل، مجلة عالم الكتب، مج ١٥، ١٩٩٤م.
١٥. ناجي، هلال، ابن مقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩١م.
١٦. النملة، علي بن إبراهيم، الوراقة وأشهر أعلام الورّاقين (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م.
١٧. هونكة، زيغرد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، ١٩٦٤م.

- الورّاقين (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م، ص١٥٢.
- ٣٧- ابن خلّكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر والثقافة، ج٦، ص١٢٧.
- ٣٨- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والورّاقون في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث... ط١، ٢٠٠٤م، ص١٩٧ وهونكة، زيغرد، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، ١٩٦٤م، ص٣٩١.

### المصادر والمراجع

١. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، باعتناء: محمد بن مهدي العجمي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣، ٢٠١٢م.
٢. ابن خلّكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر والثقافة.
٣. أمين، أحمد، ظهر الإسلام، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٤٦م.
٤. البنا، نادية، الوراقة والورّاقون، حكاية صناعة الكتب قبل ظهور الطباعة وأقدم أسواقها، ٥ / مارس / ٢٠٢١م.
٥. جوودي، وداد، أسواق الورّاقين في بغداد خلال العصر العباسي، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الأوسط، جامعة ماي، ٢٠١٦.
٦. الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، السعودية: مكتبة المصباح، ط٢، ١٩٨٩م.

# وراقة الأجداد إرث الأحفاد

هبة المالح \*

طويلة هي الساعات والليالي التي قضاها أجدادنا الوراقون في نسخ الأوراق لصناعة كتاب،  
لنتخيل أن طلب إلينا اليوم نسخ كتاب مئة مرة لينشر، ترى هل لدينا الصبر لفعل ذلك؟  
هل يستطيع أحد منا أن ينسخ الكتاب غير مرة؟  
الجواب: لا ولكن يستطيع بضغط زر على الحاسب أن يطبع ألف نسخة أو يزيد، وهناك دراسة  
نظرية أعدت لنيل الإجازة في علم المعلومات بعنوان: «مسيرة الكتاب من عصر الوراقة إلى عصر  
الحوسبة» «لبنيان سامر أبو عمّار»، تتحدث الدراسة عن هذه النقلة الحضارية.  
إن الحركة العلمية التي انتشرت في بغداد مع توافر الورق بصناعته محلياً ولد مهنة الوراقة، و  
يُدعى الذي يقوم بها ورّاقاً، والجماعة: ورّاقون، وكان عمل الورّاق بيع الورق بعد تقطيعه تقطيعاً  
مناسباً لمن يرغب في الشراء، وكذلك بيع أدوات الكتابة، وموادها المتمثلة في الأقلام والأحبار.

فالوراقة لم تنقطع في يوم من الأيام مع اختلاف تقدّم  
الكتاب وتأخّره.

وقد ازدهرت حرفة الوراقة، وبلغت ذروتها في  
القرن الرابع الهجري الذي يُعدُّ العصر الذهبي  
للحضارة العربية، تلك الحضارة التي صقلت  
الأذواق، وهذبت المشاعر، وانعكست على ذهن العالم  
ليبتكر، وهي تمثل جانباً مضيئاً في تاريخ الثقافة  
العربية، وكذلك في تاريخ الحضارة الإنسانية كلّها<sup>(١)</sup>.  
وقسم الدكتور «الوليد آل فريان» الوراقة في  
كتابه: (الوراقة في منطقة نجد) إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الوراقة من جهة المقصود بها، وهي  
على أربعة أنواع:

أما عمله الرئيس فهو نسخ المخطوطات،  
ومراجعتها، وتصحيحها، وتزويقها، ثم جمع هذه  
الأوراق بين دفتي غلاف من الجلد، وإذا طلب إليه  
زخرفته وتذهيبه قام بذلك<sup>(٢)</sup>.

والورّاق أيضاً هو من توسّط في بيع الكتاب،  
وتوزيعه، وتسويقه، ولا يصح إطلاق كلمة الورّاق على  
الناسخ فقط؛ لأنه ضمن سلسلة متكاملة متخصصة،  
فالورّاق أشمل وأوسع من الناسخ، وهو أحد المطبات  
التي يقع بها المستشرقون الذين يعينهم الناسخ فقط  
من كل عملية الوراقة<sup>(٣)</sup>.

وكان الورّاقون عمود حفظ التراث العربي،

\* باحثة في التراث وتحقيق المخطوطات.





ب- وِراقَةُ كُتُبِ النَحْوِ واللُّغَةِ والأدبِ.  
ج- وِراقَةُ الكُتُبِ الحِرفِيَّةِ من: صِناعَةِ وهندسةٍ  
وفِلاحَةِ وطب، ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

#### واجبات الورّاقين:

إنَّ معظَمَ الورّاقين في العِصرِ العِباسيِّ لم يكونوا  
مجرّد نساخين حِرفيين يَنسخون ما لا يعلمون، تفوح  
ثيابهم وأيديهم بروائحِ الورقِ والأحبار، بل كان  
جزءٌ كبيرٌ منهم يعون ما يكتبون، تخرّجوا في مدرسةِ  
الورّاقة، وأضحوا علماء، خلدَ نكرهم علمهم<sup>(٥)</sup>.

يذكر (فوزي شبيطة) أنَّ واجباتِ الورّاقِ تتلخّصُ  
في أنَّهُ ينتخبُ الورقَ، وينسخُ الكتابَ، أو يَنسخُ تحتَ  
إشرافِهِ، ويصحّحُ الأخطاءَ، ثم يجلدُ الكتابَ، أو يجلدُ  
تحت إشرافِهِ، ثم يبيعه<sup>(٦)</sup>.

#### آداب الورّاقين وأخلاقهم:

اتَّبَع الورّاقون في جملتهم الطّريقَ الذي رسمه  
لهم العلماء، ورسموه لأنفسهم، إذ كان جملةٌ منهم

١. الورّاقة التجاريّة: يقومُ الورّاقُ بنسخِ الكُتبِ  
وبيعها.

٢. الورّاقة الحِرفيّة: وذلك بأن يَنسخَ الورّاقُ  
الكُتبَ بالأجرة.

٣. الورّاقة التعليميّة: أن يقومَ العالمُ بنسخِ كُتبِهِ  
بنفسِهِ.

٤. الورّاقة الخيريّة: أن يقومَ العالمُ أو الناسخُ  
بنسخِ الكُتبِ ليوقفها على المكتباتِ والمساجدِ والأربطةِ  
ونحو ذلك.

#### القسم الثاني: الورّاقة بالنظر إلى المشتغلين بها:

١. وِراقَةُ العلماء: وهي أرقى أنواعِ الورّاقة؛ لما  
تتميّز به من الضبط والدقّة.

٢. وِراقَةُ طُلابِ العلم.

٣. وِراقَةُ العامّة.

#### القسم الثالث: الورّاقة بالنظر إلى المجال.

أ. وِراقَةُ كُتُبِ العلومِ الشرعيّة.

وعلى الرغم من التزام الأكثرين هذه القواعد، إنَّ بعضَ الورّاقين اشتهر بالكذب، فالبعضُ تحكّموا في نسخِ الكتابِ وزوّروا، فقدّموا بعضًا من أجزاءه على بعضه الآخر، وأضافوا أفكارًا ونصوصًا قد لا تتفق والأمانة العلمية المرجوة منهم، وقد يعملون على تكبير الخطوط؛ لكسب المال الوفير<sup>(٨)</sup>.

### معاناة الورّاقين:

كثيرةٌ هي المهنة التي تخلقُ المللَ في نفوسِ ممتهنيها، وذلك من خلال تكرار العمل نفسه تكرارًا يوميًا مددًا طويلةً، ما لم تكن هناك محفّزاتٌ نفسيةٌ وماديةٌ ومعنويةٌ، لكنَّ المحفّزاتِ المعرفيةَ عند البعض هي الأقوى من بقيةِ الدوافع، الأمر الذي يجعل من عشقِ المهنة دأبًا يروي ظمأَ المتعلم<sup>(٩)</sup>.

وقد يضطرُّ الورّاقون أن يغادروا منازلهم لبييتوا عند المؤلفين في أوقات التّأليف، فحين بدأ «يعقوب بن شيببة السدوسي» المتوفى ٢٦٢هـ في تصنيف مسنده كان في بيته أربعون لحافًا أعدّها لمن كان يبيت عنده من الورّاقين لتبويض المسند ونقله<sup>(١٠)</sup>.

وقد انتهى سوءُ الحال لبعض الورّاقين إلى حدِّ التطيّر من هذه المهنة، فهذا الأعرسُ الورّاق ضجّر منها، فقال:

(ما خلق الله أشقى من الورّاق، ولا أشأم من الورّاق)<sup>(١١)</sup>.

وقد عكس «ابن الهبارية» الشاعر العباسي المتوفى ٥١٠هـ الذي عُرف بأنه الشاعر الهجاء في شعره حالةَ الورّاقين بقصيدته الخمسة التي أولها:

حيّ على خير العمل

تبا لربّ المحبرة يا ويله ما أدبره

وعيشه ما أكرده ورزقه ما أقتره

إن لم تصدّقني فسَلْ<sup>(١٢)</sup>

من العلماءِ الفاضلين، فمن ذلك ما قاله السُّبكي في (مفيد النعم ومبيد النقم): ومن حقّه ألا يكتب شيئًا من الكتبِ المضلّة، ككتبِ أهلِ البدع والأهواء، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله تعالى بها، وكذلك كتب أهلِ المجون..

ومن النساخ مَنْ لا يتّقي الله تعالى، ويكتبُ على عَجَلَةٍ، ويحذفُ من أثنائِ الكتابِ شيئًا؛ رغبةً في إنجازهِ إذا كان قد استوجِرَ على نسخهِ جملةً، وهذا خائنٌ لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبٍ ببعض... قال أصحابنا: ولو استأجره ليكتب شيئًا، فكتبه خطأ، أو بالعربية فكتبه بالعجمية، أو بالعكس، فعليه ضمانٌ نقصِ الورق، ولا أجر له<sup>(٧)</sup>.

وقد راعى الورّاقون جملةً من القواعد والشروط التي يمكن تطبيقها في عملية نسخ الكتب ومنها:

١- الأمانة والدقة والإخلاص في عملية نسخ الكتاب المطلوب استنساخه، وأن يتجنّب الخطأ بقصد أو بغير قصد في تغيير أو تحريف أو إضافة للنص الذي ينسخه خشية أن يتغير مضمون النص.

٢- كان أغلبُ الورّاقين من أهلِ الخبرة والاختصاص في الموضوع الذي ينسخه، وإذا ما حدث أن وقع خطأ في النص فيستدركُ تصويبه بالطرق والأساليب التي كان يعتمدُها في تلك الحقبة.

٣- على الناسخ الذي يُطلبُ إليه نسخُ القرآن أن يكونَ طاهرَ البدنِ والثياب، وأن يبدأ بالبسملة مستقبلاً القبلة، وينتهي بالحمدلة والصلاة على النبي عليه السلام وآله.

٤- يجبُ على الورّاق أن يكونَ خطُّه جيدًا وواضحًا؛ لكي يكونَ المنسوخُ مقروءًا، فضلًا عن ذلك أن يحافظَ على السطور الكتابية.

## إهداء الكتب

هناك طرقٌ سلَّكها الأدباءُ والعلماءُ للتعاطي مع الكتاب، عُرِفَتْ بإهداء الكتب؛ نظراً للعوزِ اللاحقِ عند بعضهم، وكانوا يتغزَّلون بهذه الكتب المهداة.

قال **الصَّاحِبُ بن عَبَّاد** في كتابٍ أُهدي له:

«كتابٌ أنساني سماعَ الأغاني من مطرباتِ الغواني، كتابٌ رأيتُ فيه ساعةَ الأوبةِ على المسافر، وبردِ الليلِ على المسامر، كتابٌ شممتُه شمَّ الولدِ، وأصقتُه بالقلبِ والكبدِ، كتابٌ مطلعُه مطلعُ أهلةِ الأعيادِ، وموقعُه نيلُ المرادِ»<sup>(١٣)</sup>.

## أجورُ الورَّاقين:

لمَّا كان العملُ وسيلةَ الإنسانِ للحصولِ على المالِ، وَجَبَ أَنْ يكونَ مقدارُ الأجرِ متناسباً مع الطاقةِ المبذولةِ في العملِ.

وتدلُّ بعضُ الآثارِ على إثراءِ بعضِ الورَّاقين من الورَّاقة، وأنها كانت وسيلةَ كسبِ بعضِ العلماءِ الذين أرادوا التفرُّغَ للعلمِ والتَّعليمِ، فقد كانوا يورِّقون ما يكفيهم مؤونةَ اليومِ، ثم يخرجون للتعليمِ<sup>(١٤)</sup>.

على أنَّ أجورَ الورَّاقين كانت متباينةً، ويعودُ هذا إلى مجموعةٍ من العواملِ التي كانت تتحكَّم في حوانيتِ الورَّاقين منها: حسنُ خطوطهم، فمثلاً الخطُ الذي يكتب به «ابنُ مقلَّة» أو من بعده «ابنُ البواب» يختلفُ عن خطوطِ باقي الورَّاقين.

وفي بدايةِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ كانت تُنسخُ كلُّ عشرِ ورقاتٍ بدرهم، وفي القرنِ الرابعِ الهجريِّ ارتفعتْ أجورُ النسخِ حتى أصبحتِ الورقةُ تُنسخُ بدرهم<sup>(١٥)</sup>.

وكان «عبد الله المرزباني» المتوفى ٣٦٧هـ لا يأكل إلا من عملِ يده، ينسخُ قبل أن يجلسَ للقضاءِ والاشتغالِ كلَّ كراسٍ بعشرةِ دراهم يتقوَّتُ بها، وكتب ما يزيد على (٣٧٥٨٠) صفحة، ويقال: إنَّ «ياقوتاً الحمويَّ» كتب (٣٣١٨٠) صفحة<sup>(١٦)</sup>.

وذكر (الخطيب البغدادي) ارتفاع أجورِ الورَّاقين في نسخِ الورق، فأشار إلى أنَّ القاضي: «أبا سعيد السيرافي». ٣٦٨هـ كان في بعضِ الأحيان لا يخرج إلى مجلسِ التَّدریسِ إلا بعد أن ينسخَ عشرِ ورقاتٍ بعشرةِ دراهم تكفيه قدرَ معيشتهِ اليوميَّة.

وأشارَ صاحبُ كتابِ (الولادة والقضاء) إلى أنَّ القاضي «علي بن الحسين بن حرب» (ت ٣١٩هـ) ندم على تركِ حرفةِ الورَّاقة، وذهابه إلى القضاءِ قائلاً: (ما لي وللقضاء، لو اقتصرْتُ على الورَّاقة ما كان حَظِّي بالرديء).

علماً أنَّ راتبَ القاضي في تلكِ الحقبةِ في بغداد كان يُقدَّر بمئةٍ وعشرين ديناراً.

وفي القرنِ الخامسِ الهجريِّ ارتفعتْ أجورُ الورَّاقين ارتفاعاً كبيراً، وأصبحت مصدرَ إثراءٍ وغنى للعاملين، ومن هؤلاءِ الورَّاقين (الحسن بن شهاب العكبري - ٤٢٨هـ) الذي ذكره «الخطيب البغدادي» بقوله: (كسبتُ في الورَّاقة خمساً وعشرين ألفَ درهم... وكنت أشتري كاغداً بمئتي درهم، وأقله بمئةٍ وخمسين درهم).

نلاحظُ من خلالِ هذه النصوصِ أنَّ حرفةِ الورَّاقة تشير إلى الربطِ بين العملِ في نسخِ الكتب والأجر، وكان هذا الأجرُ وسيلةً لإشباعِ حاجاتِ الورَّاق اليوميَّة، وتأمينِ المعيشةِ الكريمةِ في المجتمعِ العباسيِّ<sup>(١٧)</sup>.

## نظرةُ المجتمعِ للورَّاقين:

أشرنا إلى أنَّ معظمَ الورَّاقين كانوا علماءً أو أدباءً أو فقهاءً أو قضاةً أو محدثين، يتمتعون بمستوى رفيعٍ من العلمِ والثقافة، ومن هذا المنطلقِ لا بدَّ أن ينظرَ إليهم المجتمعُ نظرةً إجلالٍ وتقديرٍ واحترامٍ.

فمن ذلك ما قاله «ابن خلكان» عندما ترجم (لأبي موسى الحامض النحوي البغدادي) قال عنه:

كان أُوحدَ النَّاسِ في البَيانِ والمعرفةِ، وأنه كان حسنَ الوراقة.

على أيِّ حال فإنَّ الطريقةَ التي تكلمَّ بها المؤرخون على الوراقين تُظهر التقديرَ والاحترامَ لشخصهم وعلمهم وصنعتهم، ما عدا قلةً قليلةً ممَّن أساءوا للوراقة<sup>(١٨)</sup>.

### أسواقُ الوراقين

تقول العربُ للموضع الذي تجري فيه البياعات اسم السوق، إذ يجري التعاملُ فيها.

والاصطلاحُ يذكرُ ويؤنثُ، وجمعه: أسواق، ويقال: تسوّقُ القوم، إذا باعوا واشتروا<sup>(١٩)</sup>، وفي

التنزيل: ﴿إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾<sup>(٢٠)</sup>. ولهذه التعريفات أبعاداً اجتماعيةً وسياسيةً، واقتصاديةً.

والدلالة التاريخية للمدلول الاصطلاحيّ تشيرُ إلى أنَّ السوقَ يخضعُ بوجوده إلى سمةٍ معيّنةٍ للقوم الذين أنشؤوه من الناحية الجغرافية بالنسبة للمكان، ومن الناحية الثقافية بالنسبة للعمران، ويمكن قياسُ تطوُّر مجتمعٍ معيَّنٍ من خلال تطوُّر حالة السوق<sup>(٢١)</sup>.

لعلَّه من الممكن أن نربط بين أسواق العرب في الجاهلية: عكاظ، ودومة الجندل، وصحار وحباشة، وبين دكاكين أو محال بيع الكتب عند العرب، لكن يوجد بعض الاختلاف بين هذه وتلك، ومن أبرز هذا الاختلاف أن الاجتماعات الثقافية في حوانيت بيع الكتب كانت شبه يومية، أما في أسواق العرب كانت في مواسم خاصة، فقد ذكر «سعيد الأفغاني» أن سوق مَجَنَّةَ وعكاظ وذي المجاز وغيرها كانت تقوم في أيام الحجِّ، ويؤمها العربُ قاطبةً من كل حدبٍ وصوب<sup>(٢٢)</sup>.

فقد كان العربُ يجتمعون في تلك الأسواق المشهورة

للقيام ببعض الصفقات التجارية، وينتهدون الفرصة لينشدوا الأشعار، ويُلقوا الخطب الرنانة<sup>(٢٣)</sup>.

### موقع سوق الوراقين في بغداد:

وأسواقُ بغداد بنيت بادئ الأمر داخل أسوار بغداد، إلا أن الخليفة (المنصور) أمر بإخراج الأسواق من داخل المدينة، مراعيًا الأبعاد الهندسية في أساساتها.

وكان في بغداد سوقان للوراقة، الأول: في الجانب الغربي منها (الكرخ)، وقد بُني سنة ١٥٦هـ، أما سوق الوراقين الثاني فكان في الجانب الشرقي في بغداد أي: في «الرصافة»، وهو الأشهر والأعرف والأبقى، وهو الذي دارت حوله روايات وأخبار عن الوراقين<sup>(٢٤)</sup>.

من أهمِّ رواد سوق الوراقين هذا: (أبو الفرج الأصبهاني) الذي كان شبه مقيم فيه، وله نوادر وحكايا في السوق، و«الجاحظ» أيضًا<sup>(٢٥)</sup>.

وكان أغلب رجال الفكر والأدب والعلم أكثر الناس فقراً وعوزاً، الأمر الذي جعلهم يتحايلون بشتى السبل للحصول على الكتاب بأرخص الأثمان عن طريق إحداث خلل فيه، من قبيل تمزيق بعض الأوراق منه أو اقتطاعها، فمن ذلك ما كان يفعله العالم النحوي (ابن الخشاب)؛ قالوا: (وكان إذا حضر سوق الكتب، وأراد شراء كتاب غافل الناس، وقطع منه ورقة، وقال: إنَّه مقطوعٌ ليأخذه بئمن بخس، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدرُ عليه<sup>(٢٦)</sup>).

شكل سوق الوراقين حاضناً ثقافياً وحضارياً متطوراً، يستحقُّ أن يتباهى به العباسيون على أنه إنجاز حضاري، دلَّ على رقيهم، وحسبهم العالي، وشعورهم بالمسؤولية التاريخية<sup>(٢٧)</sup>.

في سوق الكتب عند بوابة البصرة ببغداد التي

هذا يؤكد أهمية هذه الحوانيت في خدمة المؤسسات التعليمية، وبلغ عدد حوانيت سوق الوراقين في بغداد مئة حانوت.

وكتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ يعكس نشاط العلماء في بغداد، ويُعدُّ هذا الكتاب مصدرًا أساسيًا لموضوع الوراقة خلال العصر العباسي لما تضمنه من معلومات مهمة حول صناعة الكتاب المخطوط في مختلف مراحل بدءًا بعمل الكتابة والنسخ والمقابلة مرورًا بالتجليد، وما يصبُّ كلاً منها من جوانب فنية تضيء على الكتاب قيمةً جماليةً.

وتحدث (الخطيب البغدادي) أيضًا عن تجارة الكتاب فيما يُعرف بسوق الوراقية موضِّحًا المعايير الأساسية في تصنيف نوعية الكتاب، وقيمته المادية والعلمية بين الوراقين.

لقد تجاوزت مهنة أسواق الوراقين في العصر العباسي مهنة بيع الكتب إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية، إذا أصبحت مقصدًا لطلاب العلم يتذكرون فيها ويتناقشون، فكان المتنبي المتوفى ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م يُكثر من ملازمة الوراقين، وينظر في الكتب، وتحدث (الخطيب البغدادي) عن فطنة المشتري التي اعتمدت على الذكاء؛ إذ يقول:

«إن المتنبي أكثر ملازمة للوراقين، ومفادها أن شخصًا أراد أن ينسب كتاب «الأصمعي» «لأبي الحسن العلوي الزيدي»، لكن المتنبي تفتن لهذه الخديعة، وهذا ما جعله يفاوض في ثمن هذا الكتاب»<sup>(٣٠)</sup>.

#### الوراقون الدالون:

هم وسطاء بين باعة الكتب وجمهور المشتريين، وقد عُرف منهم «أبو جعفر الوراق» أحمد بن محمد بن

كانت تضم أكثر من مئة متجر تجمّع الكثيرون من العلماء والمتعلمين، هنا يفتش الفيلسوف عن كتب الفلسفة، وهناك يفتش الفلكي عما صدر حديثًا من الكتب، وهناك أيضًا ينقّب الطبيب والمؤرخ وجامع الكتب عن النسخ القديمة<sup>(٣٨)</sup>.

لقد كان هذا السوق إضافةً إلى كونه سوقًا تجاريًا موثلاً الصفوة العلمية من أهل الأدب والفكر والسياسة، وكانت المجالس العلمية تُعقد عند الدكاكين، وصفة التمييز بين دكان وآخر كانت معروفة، تبعًا للوراق، فهذا ورّاق عالم بعلوم الحديث، وذاك أديب يغشاه الأدباء، وثالث متكلم يحيط به المعتزلة، ورابع يتعاطى الفلسفة، وخامس ناقد للشعر، وسادس إخباري، وسابع نسابة، وثامن مترجم، وتاسع من أصحاب النوادر، وعاشر مجلد، واستقطبت سوق الوراقين ببغداد كل عالم، وذكر (ياقوت الحموي) أن (أبا الغنائم النحوي الضريير) كان يذهب إلى سوق الوراقين في كل ليلة، ولمدة عشرين سنة، ووقفة قصيرة عند هذا الخبر تكشف لنا أهمية هذه المجالس، وإلا فكيف ظل هذا النحوي الضريير مداومًا عليها عشرين سنة<sup>(٣٩)</sup>.

على أن أوضح تصوير مجالس العلماء في سوق الوراقين، هو ما نقله (أبو حيان التوحيدي) في كتابه «المقابس» الذي عكس فيه بصدق الحضور الثقافي والمعرفي لهؤلاء العلماء.

وكان لهذه الأسواق دور تعليمي كبير، فقد أسهمت في انتشار العلم في وقت لم توجد فيها المطابع، وكان بعض الوراقين يأتون إلى المؤلفين ليحصلوا منهم على مؤلفاتهم، ثم يعرضون ما كتبوه لبيعه للطلاب، بمعنى أن الوراقين أسهموا في توفير الكتب لطلاب العلم، وكانوا صلة وصل بين العلماء والطلاب، ولعل



الكتب، وقد يقوم الدالون بمشاهدة خزائن الكتب ويقومونها، وربما ارتشوا، إذ إنهم في هذه الحالة يتركون سوق الوراقين، ويتجهون إلى المكان المراد تقويم تلك الكتب فيه.

وقد تباع في هذه الأسواق خزائن كتب يقوم الدالون بتقويمها، ومن الخزائن التي بيعت في الدلالة بأبخس الأثمان تركة (الطبيب الأسلمي أسعد بن المطران)، بيعت بثلاثة آلاف درهم فقط<sup>(٣٣)</sup>.

### التعليم في حوانيت الوراقين:

وصل الشغف بالكتب في العصر العباسي الأول إلى درجة كبيرة نتيجة لنشاط حركة الترجمة، وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية، وازدهار صناعة الورق، وكان من أبرز نتائج هذه العوامل ظهور حوانيت الوراقين. ولم تكن حوانيت الوراقين مقتصرة على مهمة بيع الكتب بهدف الربح المادي، وإنما كانت مؤسسات تعليمية يلتقي فيها العلماء والشعراء وطلاب العلم، وتُعقد فيها المناظرات، كما كان الشعراء يعقدون مجالسهم في حوانيت الوراقين، إذ ذكر (ابن شقيقة) أن الشعراء كانوا يجتمعون في دكان والده، وأن (أبا العتاهية) حضرهم يوماً فتناولوا دفتراً، ووقع على ظهره شعراً<sup>(٣٤)</sup>.

وقد حاكمت دكاكين الوراقين الأسواق في بيع الكتب، إذ فتحت هذه الدكاكين في الأصل لأعمال تجارية، ثم صارت صرحاً للثقافة والحوار العلمي، عندما أمها المثقفون والأدباء، واتخذوا منها مكاناً لاجتماعهم وأبحاثهم.

هذا وقد ظهرت دكاكين الوراقين منذ مطلع الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ)، وقد ذكر (المقرئزي) في كتابه (الخطط) هذه المحال التي كان يجتمع فيها أهل العلم والأدب والفكر، ومن يرغب في شراء الكتب وبيعها.

أيوب الذي كان مورقاً (للفضل بن يحيى بن خالد)، واشتهر، وكانوا هم الأعراف ببيع هذه الكتب<sup>(٣١)</sup>، إذ إن عملية بيع الكتب كانت تجري داخل السوق على شكل نداء علني، يقوم المنادي وهو الوراق الدلال بكل ما يتطلب ذلك، يعرض الكتاب أمام الجمهور، ويكون موضعه في مكان مرتفع، ثم يقرأ اسم الكتاب، ومؤلفه، وعدد صفحاته، ويقرأ بعض العبارات من فصوله، ويقدم ما هو أمتع وأجود في نفس السامع زيادة في الإقبال على الشراء، وأحياناً يدخل المنادي عنصر المفاكهة في عملية النداء؛ كي يسترعي انتباه العلماء والنحويين؛ إذ إنهم يشتركون بالفرحة والجمهرة، وتصبح عملية البيع أشبه بالندوة الأدبية والفكرية، فهذا يعلق، وذاك يصحح، وآخر يقرض، ورابع يلحن، وخامس يراجع، والأعناق مشرئبة نحو المنادي، وعندما يزداد اللغط والهرج يفتح باب المزاد لشراء الكتاب، فبعملية النداء يباع كثير من الكتب.

وقد أدى اسم المؤلف دوراً مهماً في وضع سعرها، ومثال ذلك أن مسودة كتاب «الأغاني» «لأبي الفرج الأصبهاني» أخرجت إلى الأسواق، وبيعت في النداء بأربعة آلاف درهم، فيما بعث «الحمداي» موفداً إلى سوق الوراقين ليبيع له كتاب الأغاني، ودفع فيه ألف دينار، وأنه يستأهل أضعافها، إذ إن هذه النسخة كانت المرة الوحيدة التي كتبها «أبو الفرج» بيده، وأهداها له، وكان «أبو الفرج» قد جمع هذا العمل في خمسين سنة.

ويؤدي الدلال دوراً مهماً في عملية إخفاء المخطوطات والكتب النادرة؛ إذ كانت تعرض عليه أولاً، فيختار لنفسه ما يشاء، ثم يعرض الآخر للبيع. ومن الناس من لا يدركون أهمية ما في بطون

**تفحص الكتاب قبل شرائه:**

توضّح عمليّة تفحص الكتاب الشّغف بالكتاب والمكتبات، فلقد كان الأقدمون لا يقتنون كتاباً إلا بعد تفحصه، وإمعان النظر إليه، خشية أن يكون فيه نقص أو تشويش<sup>(٣٦)</sup>، يقول «ابن جماعة» في هذا الصدد: (وإذا اشترى كتاباً تعهد أوله وآخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه. وتصفح أوراقه، واعتبر صحته)<sup>(٣٧)</sup>، وذلك للتأكد من سلامته.

**بعض الطّرف التي وردت في المصادر عن الورّاقين**

انعكس شغف الناس بالكتاب على طريقة عيشهم وسلوكهم اليومي، بحيث أصبح بعضهم لا يستغني عنه، متخذاً من ملابسه أو إكمال ثيابه حاوية للكتاب، فهذا (سليمان بن الأشعث السجستاني) المتوفى سنة ٢٧٥هـ وهو المحدث، كان قد جعل له كمّاً واسعاً وكمّاً ضيقاً، فليل له في ذلك فقال: (الواسع للكتب، والآخر لا أحتاج إليه)<sup>(٣٨)</sup>.

ومن الطّريف أنّ (صفيّ الدين الأرمويّ) الهنديّ، محمد بن عبد الرحيم المتوفى ٧١٥هـ كان من ذوي الخطوط الرديئة تحدّث عن نفسه مرة فقال: (وجدت في سوق الكتب مرة كتاباً بخط ظننته أقبّح من خطي، فغاليّت في ثمنه، واشتريته لأحتجّ به على من يدّعي أن خطي أقبّح الخطوط، فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم)<sup>(٣٩)</sup>.

وكان القاضي (إسماعيل بن إسحاق) يقضي أغلب وقته في مكتبته، إمّا ينظر في كتاب، وإمّا يقلّب كتاباً، إمّا ينظف كتبه)<sup>(٤٠)</sup>.

هناك ظاهرة غسل الكتب التي دخلت في الجانب المعرفي، فمن ذلك تلك الحادثة الطريفة التي أوردها (ياقوت الحمويّ) ومفادها أنّ (عليّ بن الحسن)

وقد عمل في هذه المهنة علماء أفاضل، وقد ذكر السّندوبي وهو يقدّم لكتاب (المقابسات) «لأبي حيّان التوحيديّ» واحداً من هؤلاء فقال:

عرفت رجلاً يبيع الكتب في حيّ «خان الخليلي» بالقاهرة القديمة يسمّى الشيخ (عبد الملك الفشني)، وكان على علم، ومعرفة، وسعة اطلاع، وكان يدلني بصدق وإخلاص على ما يلزمني من الكتب القيّمة والأسفار النافعة، وقد كان يذاكرني في المعارف العلميّة والأدبيّة، وينبّه ذهني إلى حقائق الأشياء، ودقائق الأمور، ويشير عليّ بما يجب أن أقرأ من الكتب، ويدلني على الكيفيّة التي توصلني إلى الانتفاع بها انتفاعاً ناجحاً مثمراً.

ووصف العلامة (ابن الجوزي) ٥٩٧هـ سوق الورّاقين ببغداد في زمنه بقوله:

(إنها سوق كبيرة، وهي مجالس العلماء والشعراء).

وكان (أبو بكر الصبيغيّ) المتوفى سنة ٣٤٤هـ يصنع الصبغ بنفسه ويبيعه في حانوته، وكان عالماً بالفقه والحديث، وكان حانوته مجمع الحفاظ والمحدثين، وكان (عبد الله بن يعقوب) يجلس على باب هذا الحانوت يقرأ للناس.

ويروي (أبو الحاج) عن بعض شيوخه أنّ رجلاً رحل في طلب العلم إلى بغداد، فقرأ ما شاء الله له أن يقرأ، ثم أراد الانصراف إلى وطنه، فاكترى دابةً يركبها ليخرج من البلدة، ولكنه وقف ليشترى صاحب الدابة بعض حاجاته، فسمع الطالب نقاشاً علمياً يدور بين اثنين من أصحاب الحوانيت المتجاورة، فطلب الطالب إلى صاحب الدابة إعادته إلى بغداد قائلاً: إنّ بلدًا باعته في هذه المنزلة من العلم لا ينبغي أن يرحل عنه<sup>(٤١)</sup>.

عصره، وأمره أن يكملوه على نمطه، وقال لهم: مثلوا واجتهدوا، فعملوا على هذا التصنيف<sup>(٤٢)</sup>.

### وقف كتب الورّاقين:

خاطبَ (الجاحظُ) النَّاسَ بالخطابِ الإسلاميِّ على ضوء الشريعة في توريثِ الكتبِ إذ قال: (ولا يزال المورثُ مذكوراً في الحكماء، ومنوَّهاً باسمه في الأسماء، وإماماً متبوعاً، وعلماً منصوباً)، وقال أيضاً: (وراثَةُ الكتبِ الشريفةِ والأبوابِ الرفيعةِ منبهةٌ للمورثِ وكنزٌ عند الوارث).

ويندرجُ في هذا السِّياقِ وقفُ الكتبِ، فقد أوصى الطبيب (المهذبُ بن الدخوار) المتوفى ٦٢٨ هـ أن توقّف داره وكتبه على الأطباء.

وقد شكّلت مسألة (وقف الكتب) ظاهرةً حضاريّةً علميّةً واسعةً في تلك العصور<sup>(٤٣)</sup>.

### أثر حوانيت الوراقة في شكل الحياة الثقافية:

ثمّة ظاهرة ثقافية تأثرت بدخول صناعة الورق إلى بغداد عاصمة الخلافة ألا وهي حوانيت الوراقة ومحالها. وهناك كثيرٌ من المصادر التي ذكرت الترويج في ارتياد أسواق الوراقة، والتردد عليها والجلوس فيها، للاطلاع وسماع المناظرات سواء الأدبية أم العلمية، ومما ذكره (المقرئزي) أثناء حديثه عن سوق الكتب: وقد أنشدت قديماً لبعضهم:

مجالسةُ السوقِ مذمومةٌ

ومنها مجالس قد تحتسب

فلا تقرين غير سوق الجياد

وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيك آله أهل الوعى

وهاتيك آله أهل الأدب<sup>(٤٤)</sup>

ويقال: إن المتنبّي كان يرتاد حوانيت الورّاقين

حتى إن البغداديّ يقول:

المعروف (بشميم الحلّي) زاره (ياقوت الحمويّ) للتزوّد بمعارفه وآدابه، فسأل عن أدب المقامات، ولماذا لم يؤلّف فيها، فقال: يا بني اعلم أنّ الرجوع إلى الحقّ خيرٌ من التماذي على الباطل، عملتُ مقاماتٍ مرتين، فلم ترضني، فغسلتها، وما أعلم أنّ الله خلقتني إلا لأظهر فضل (الحريري)، وهذا اعترافٌ معرفي بالسبق والعلو في الفن للحريري<sup>(٤١)</sup>.

وهناك حادثة طريفة وأليمة بالوقت نفسه تعبّر عن تزاوج الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية معاً، أوردها (ياقوت الحمويّ) في ترجمة (علي بن عيسى الربيعي) قال وهو في صدد حديثه عن مؤلفاته: وله كتاب شرح سيبويه، إلا أنّه غسله، وذلك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة، فقام مغضباً، وجعله في إجانة، وصبّ عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة.

أما عن ظاهرة فقدان بعض المؤلفات المهمة بسبب الغيرة عند المرأة فهذا أمرٌ جَلَل، فقد عُرف عن (الخليل بن أحمد الفراهيدي) الذي يُعدُّ أول من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول معجم وهو كتاب (العين)، وقد بذل وقتاً كبيراً في تأليف هذا الكتاب، يقول ابن المعتز:

(كان الخليل منقطعاً إلى اللّيث فيما صنّفه، وخصّه به، فحظي عنده جداً، ووقع عنده موقعاً عظيماً، ووهب له مئة ألف، وأقبل على حفظه وملازمته، فحفظ منه النصف، واتفق أنّه: أي: (الخليل) اشترى جاريةً نفيسةً، فغارت ابنة عمّه، وقالت: والله لأغيظنه، وإن غظته في المال لا يبالي، ولكني أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب، والله لأفجّعه به، فأحرقته، فلما علم اشتدّ أسفه، ولم يكن عنده نسخة منه، لما مات (الخليل) أملى (الليث) النصف الذي كان حفظه، وجمع علماء

وتقلد الوزارة؛ لكثرة ما لديه من الكتب والمؤلفات، ممّا يصعبُ حملهُ ونقلهُ إلى حيث يريد<sup>(٤٧)</sup>.

### أثر ظهور الورق في التوسع في إنشاء خزائن

#### الكتب:

كما أسهم الورق أيضاً في التوسع في إنشاء المكتبات أو خزائن الكتب.

لما كانت صناعة الورق قد دخلت بغداد في عصر (هارون الرشيد)، و(دار الحكمة) قد أنشئت في عصره، رجح احتمالية وجود هذا الأثر للورق في عملية التوسع في إنشاء دور الكتب وخزائنها<sup>(٤٨)</sup>.

#### وهناك خزائن الكتب العامة والخاصة:

أما عن خزائن الكتب العامة فقد ارتبط اسمها وذكرها بالخلفاء وأولي الأمر، فقد قال «القلقشندي» في «صبح الأعشى»:

(وقد كان للخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام، وكمال اعتناء، حتى حصلوا فيها على العدد الجمّ، وحصلوا على الخزائن الجليلة).

وكانت خزانة (بيت الحكمة) في بغداد من أعظم خزائن الكتب؛ لأنها حوت من الأسفار العتيقة كلّ جليل ونفيس، ولم تكن كتبها إلا نتاج ثقافات شرقية وغربية مختلفة، العربية، والفارسية، والسريانية، واليونانية.

وقد وجدت فيها شروط لمن يريد العمل في النسخة منها: جودة الخط، وحسن السيرة والسلوك، والالتزام بالأسس التي حدت للنساخين في نسخهم.

وذكر (ياقوت الحموي) أنّ «علناً شعوبياً» كان ورّاقاً ينسخ في «بيت الحكمة» للرشيد والمأمون والبرامكة<sup>(٤٩)</sup>.

ومن الأنشطة التي كانت فيها فنّ التجليد؛ كونه من اللوازم المتممة لعملية النسخ والكتابة التي كانت

(فكان علمه من دفاترهم بمعنى أنّ كل ما اكتسبه من علوم ومعارف كان ممّا في حوانيت الوراقة من مؤلفات)<sup>(٤٥)</sup>.

ترك الوراقون بصمات واضحة في شكل الحياة الثقافية والاقتصادية في ذلك العصر، فمن ذلك:

#### كثرة النسخ وتعدد المؤلفات وازديادها:

اتسعت دائرة التأليف والتصنيف، وهذا الأمر لحظه وأقره كثير من المؤرخين سواء من العرب أم من المستشرقين، فقد ذكر «ألكسندر ستيتشفيتش» أنه مع إنتاج الورق بدأت المرحلة الذهبية للكتاب الإسلامي، فقد ازداد عدد المخطوطات كثيراً، وأخذ التنافس يشمل الخلفاء والوزراء والأغنياء على اقتناء الكتب الغالية والنادرة، وأصبح الخطاطون موضع البحث والتقدير<sup>(٤٦)</sup>.

وقد ذكر «الجاحظ» في كتاب (الحيوان): أنّ (موسى بن يحيى) حدّثه قائلاً:

(ما كان في خزانة كتب (يحيى) وفي بيت مدرسه كتاب إلا وله ثلاث نسخ).

وقد رغّب الجاحظ في صناعة الكتب ونشرها، وكتب في هذا فصلاً بعنوان: (الترغيب في اصطناع الكتاب).

ومن الأدلة على كثرة الكتب وكثرة النسخ التي هي نتاج ظهور الورق على المستوى الثقافي أنّ (نوح بن منصور) الملك الساماني طلب (إسماعيل بن عباد أبا القاسم) الوزير المشهور ليلقي إليه مقاليد ملكه، ويعتمده لوزارته، ويحكمه في ثمرات بلاده، إلا أنّ ذلك الأخير اعتذر متعللاً بكثرة حاشيته، وكثرة كتبه، وأنّه يحتاج لنقل كتبه إلى أربعمئة جمل.

يتضح من ذلك أنّ صاحب اعتذر عن السفر،

تمارس في الدار، وللمحافظة على الكتاب وإعطائه منظراً جميلاً<sup>(٥٠)</sup>.

### دور الكتب الخاصة:

كما وجدت دور الكتب العامة وجدت أيضاً دور الكتب الخاصة، فقد ذكر النديم عن (الفتح بن خاقان) أنه كان له خزانة لم ير أعظم منها كثرةً وحسناً، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين.

وتشير هذه الرواية إلى أن دور الكتب الخاصة كانت أيضاً ملتقى للعلماء والأدباء من أصدقاء صاحب الدار للبحث والاطلاع<sup>(٥١)</sup>.

وقد وجدت بعض الفئات ممن حرصوا على اقتناء الكتب وعمل خزائن كتب أو مكتبات خاصة، دون أن يكون لهم علاقة بالعلوم ولا بالأداب، وليس أدل على ذلك من قصة الرجل الثري الذي ظل يغالي في سعر أحد الكتب في أحد المزادات فقط؛ لكونه حسن الخط، جيد التجليد، وقال في ذلك:

(لا أري ما فيه، ولكني أقتت خزانة، واحتفلت فيها؛ لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيت حسن الخط، جيد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه)<sup>(٥٢)</sup>.

### أثر ظهور الورق في عملية الترجمة:

ومن الظواهر الثقافية التي تأثرت بظهور الورق والوراقة عملية الترجمة التي شهدتها الخلافة العباسية في أزهى عصورها، وأشرف عليها خلفاء، وكان أول من تنبّه إلى هذا (أبو جعفر المنصور) الذي بعث إلى ملك الروم يسأله أن يبعث إليه بكتاب (إقليدس) وبعض كتب الطبيعيات.

على أن أول من نقل من اللغات الأجنبية إلى العربية (خالد بن يزيد بن معاوية) في القرن الأول الهجري، فهو أول من أضاء شعلة العلم عند العرب<sup>(٥٣)</sup>.

ومنذ أن توسعت الدولة العربية، واختلط العرب بغيرهم من القوميات، بدأت حركة الترجمة تنشط نشاطاً كبيراً، حتى بنى الخليفة العباسي (هارون الرشيد) داراً للترجمة، أصبح اسمها دار الحكمة، وقد توسعت وازدهرت في عهد ابنه الخليفة المأمون، وفي دار الحكمة عُرف للناسخين، والخطاطين، والمترجمين، والباحثين، والدارسين.

وكان (المأمون) يعطي (حنين بن إسحاق) وزن الكتاب الذي يترجمه ذهباً، ويقال: إن (حنين بن إسحاق) كان يكتب ترجماته بخط كبير، وعلى ورق سميك، حتى إن قيّم (بيت الحكمة) اشتكى للمأمون من سمك الكتب التي ينقلها (حنين)، ومن تباعد السطور فيها، وإنه يستغل قرار الخليفة بإعطاء وزن الكتاب ذهباً، فلم يقدم سوى الكتب السمكية قليلة الأسطر، ولكن (المأمون) نبّه القيّم على (بيت الحكمة) على أن ما يترجم هو كنوز الحضارات السابقة، وأن تلك الكتب المترجمة أثمن من الذهب.

ومن ذلك ما نلاحظه أن «محمد بن عبد الملك الزيات» وزير الخليفة الواثق كان ينفق عشرة آلاف درهم في الشهر لترجمة الكتب ونسخها.

ومن المترجمين أيضاً «يوحنا بن ماسويه».

وبعد ترجمة الكتب والمؤلفات عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من الحضارات السابقة بدأت عملية النسخ لهذه الترجمات، وتنافس الحكام والولاة والسلاطين في تجميع الكتب واقتنائها<sup>(٥٤)</sup>.

### الخاتمة:

هكذا نجد أن الوراقين قضوا حياتهم في نسخ الكتب، وتصحيحها، وتجليدها، وتزيينها، وكانت مهنتهم مهنة ثقافية حضارية إذ قاموا آنذاك بمهام دور النشر اليوم.



- ٩- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ج ٢، ص ٣٤٠.
- ١٠- د. الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، السعودية: مكتبة مصباح، ط ٢، ١٩٨٩م ص ١٢٦.
- ١١- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ج ٢ / ٣٤٣.
- ١٢- المصدر السابق، ٢ / ٣٤٦.
- ١٣- الثعالبي، من غاب عنه المطرب، باعتناء: محمد بن سليم اللبابيدي، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠٩هـ، ص ١٣، و د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقين، ج ٢ / ٣٨٦.
- ١٤- نملة، علي بن إبراهيم، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: ١٩٩٥م، ص ٣٩.
- ١٥- العلاق، كاظم ستر، الوراقة في بغداد ودورهم في نشر العلم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد: (٥١) عام ٢٠١٥، ص ١٦، ١٧.
- ١٦- المشوخي، عابد سليمان، مقالة بعنوان: نسخ المخطوطات، الرياض: مجلة عالم الكتب، مج ١٥، ٣٤، ١٩٩٤م.
- ١٧- العلاق، كاظم ستر، الوراقة في بغداد ودورهم في نشر العلم، ١٧.
- ١٨- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والوراقون في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٩٣.
- ١٩- ابن منظور، لسان العرب، صححه: أمين محمد عبد الوهّاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٩٩٦م، الجزء السادس، ص ٤٣٧.
- ٢٠- سورة الفرقان، آية (٢٠).

لقد سعوا إلى الحفاظ على ذاكرة أجدادنا، وآبائنا، وخطها، وحفظها، فغدت الوراقة أداة نموذجية للتفاعل الحضاري بين الثقافات، وأظهرت عالمية حضارتنا. والفرق بين عمل حوانيت الوراقة أمس وعمل المطابع اليوم هو الفرق بين المخطوط والمطبوع، فكل نسخة مخطوطة تتميز من غيرها في الخط والورق والحجم، وغير ذلك من السمات التي تفردها عن نظائرها من النسخ.

### الهوامش

- ١- د. الشنطي، عصام، مقالة تعريف المخطوطات وصناعة الورق والوراقة والنساخة، من (الشابكة).
- ٢- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢١.
- ٣- المشوخي، عابد سليمان، نسخ المخطوطات، مجلة عالم الكتب، مج ١٥، العدد: ٣، ١٩٩٤م (مقالة من الشابكة).
- ٤- عمر، بلشير، الوراقة في بلاد المغرب تاريخها وتطورها، (مقالة من الشابكة).
- ٥- النملة، علي بن إبراهيم، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م، ص ٢٢.
- ٦- المصدر السابق، ص ٣١.
- ٧- السبكي، تاج الدين، عبد الوهّاب المتوفى ٧٧١هـ، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، مصر: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٤٨م، ص ١٣١.
- ٨- د. العلاق، كاظم ستر، الوراقة في بغداد ودورهم في نشر العلم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد: ٥١ / ٢٠١٥، ص ١٤ ← ١٦ (مقالة من الشابكة).

- التربية والتعليم سلطنة عمان)، أماكن التعليم في العصر العباسي الأول، مجلة التراث، ٢٠١٩م، ص ٥٢.
- ٣٥- عبد الله، يسري عبد الغني، التعليم في الحضارة العربية الإسلامية بين حوانيت الوراقين ومنازل العلماء، ٢٠١٨م مجلة صادرة عن دار العلوم ديوبند، (من الشبكة).
- ٣٦- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقين ١٦٢/٣.
- ٣٧- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، باعثناء: محمد بن مهدي العجمي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣، ٢٠١٢م، ص ١٢٩.
- ٣٨- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقين ١٦٣/٣.
- ٣٩- السبكي، عبد الوهاب بن علي - ٧٧١هـ معيد النعم ومبيد النقم، ٩ / ١٦٣.
- ٤٠- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقين ١٦٣/٣.
- ٤١- المصدر السابق ٣ / ١٦٠.
- ٤٢- المصدر السابق ٣ / ١٦٥.
- ٤٣- المصدر السابق ٣ / ١٥٩، ١٦٠.
- ٤٤- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والوراقون في العصر العباسي ص ٢٣٧.
- ٤٥- المصدر السابق، ص ٢٣٩.
- ٤٦- المصدر السابق، ص ٢٢٤.
- ٤٧- المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٢٢٦.
- ٤٨- المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- ٤٩- المصدر السابق، ص ٢٢٧.
- ٥٠- المصدر السابق، ص ٢٢٩.
- ٢١- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ٢ / ٣٦٨.
- ٢٢- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٣٧م، ص ٣٠٢.
- ٢٣- د. عبد الله، يسري عبد الغني، التعليم في الحضارة العربية الإسلامية بين حوانيت الوراقين ومنازل العلماء، من مجلة الدراسات، (مقالة من الشبكة).
- ٢٤- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية ص ٢ / ٣٦٩ ← ٣٧٣.
- ٢٥- د. المصدر السابق ٢ / ٣٧٧.
- ٢٦- المصدر السابق، ٢ / ٣٨٤.
- ٢٧- المصدر السابق، ٢ / ٣٨٧.
- ٢٨- مراد، بركات، الورق والوراقة، (مقالة من الشبكة).
- ٢٩- سعيد، خير موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، ٢ / ٣٨٧، ٣٨٨.
- ٣٠- جودي، وداد، أسواق الوراقين في بغداد خلال العصر العباسي من خلال تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١٣٢ - ٤٦٣هـ / ٧٥٠ - ١٠٧١م. (مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الأوسط)، جامعة ماي، ٢٠١٦، ص ٧١، ٧٢.
- ٣١- المصدر السابق، ص ٦٠.
- ٣٢- المصدر السابق، ص ٧٢ ← ٧٤.
- ٣٣- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقين، ٢ / ٣٨٣، ٣٨٢.
- ٣٤- د. التميمي، أزهار أحمد حمدان (وزارة

النجار، أبو زيد شلبي، مصر: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٤٨م.

- د. سعيد، خير الله، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، بيروت: الانتشار العربي، ط ١، ٢٠١١م.

- د. الشنطي، عصام، مقالة تعريف المخطوطات وصناعة الورق والوراقة والنساخته، من (الشابكة).

- د. عبد الله، يسري عبد الغني، التعليم في الحضارة العربيّة الإسلاميّة بين حوانيت الورّاقين ومنازل العلماء، من مجلة الدراسات، (مقالة من الشابكة).

- عبد الرحمن، هالة شاكر، الورق والورّاقون في العصر العباسي، القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، ٢٠٠٤م.

- د. العلق، كاظم ستر، الورّاقة في بغداد ودورهم في نشر العلم، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد: ٥١ / ٢٠١٥، (مقالة من الشابكة).

- عمر، بلشير، الوراقة في بلاد المغرب تاريخها وتطورها، (مقالة من الشابكة).

- عمران، طالب، عمرو بن بحر الجاحظ إبداعات في مجال التصنيف والتأليف، العدد: (٢٧)، سلسلة أعلام الناشئة، ٢٠١٤م.

- مراد، بركات، الورق والوراقة، (مقالة من الشابكة).

- المشوخي، عابد سليمان، مقالة بعنوان: نسخ المخطوطات، الرياض: مجلة عالم الكتب، مج ١٥، ٣٤، ١٩٩٤م. (من الشابكة).

- النملة، علي بن إبراهيم، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين (دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات)، الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٩٩٥م.

٥١- المصدر السابق، ص ٢٣١.

٥٢- المصدر السابق، ص ٢٣٢.

٥٣- المصدر السابق، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

٥٤- عمران، طالب، عمرو بن بحر الجاحظ

إبداعات في مجال التصنيف والتأليف، العدد: (٢٧)،

سلسلة أعلام الناشئة، ٢٠١٤م، ص ١، ٢.

### المصادر والمراجع

- ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب

العالم والمتعلم، باعتناء: محمد بن مهدي العجمي،

بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ٢٠١٢م.

- ابن منظور، لسان العرب، صححه: أمين محمد

عبد الوهّاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت: دار

إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط ١،

١٩٩٦م، الجزء السادس.

- الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية

والإسلام، دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٣٧م.

- د. التميمي، أزهار أحمد حمدان (وزارة التربية

والتعليم سلطنة عمان)، أماكن التعليم في العصر

العباسي الأول، مجلة التراث، ٢٠١٩م.

- الثعالبي، من غاب عنه المطرب، باعتناء: محمد

بن سليم اللبابيدي، بيروت: المطبعة الأدبية، ١٣٠٩هـ.

- جودي، ودا، أسواق الوراقين في بغداد خلال

العصر العباسي من خلال تاريخ بغداد للخطيب

البغدادي، ١٣٢-٤٦٣هـ / ٧٥٠-١٠٧١م. (مذكرة

لنيل الماجستير في التاريخ الأوسط)، جامعة ماي،

٢٠١٦.

- د. الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربيّ،

السعودية: مكتبة مصباح، ط ٢، ١٩٨٩م.

- السبكي، تاج الدين، عبد الوهّاب المتوفى

٧٧١هـ، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي

# فُنُّ تجليد الـهـخـطـوطـات

إيمان الفاعوري\*

لَقَدْ تَرَكَ أَسْلَافُنَا الْعَرَبُ مِيرَاثًا مَخْطُوطًا غَايَةً فِي الْغِنَى، بَدَّلُوا فِيهِ الْعَيْونَ، وَالْمَقْلَ، وَخَطُّوا بِأَيْدِيهِمْ نَتَاجَ مَعَارِفِهِمْ، وَقَرَأَتْهُمْ، وَعَلَّمَهُمْ، وَتَجَارَبَهُمْ وَأَنَارَهُمْ، إِنَّهَا تَرَوَةٌ حَضَارِيَّةٌ، عَزَّ نَظِيرُهَا؛ لِيُغْنَاهَا، وَكَثْرَةٌ تَنَوُّعُهَا، وَفَائِدَتِهَا<sup>(١)</sup>.

إِنَّ لِلْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ مَكَانَةً مُمْتَزَّةً بَيْنَ أَوْعِيَةِ الْإِنْتِاجِ الْفِكْرِيِّ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ الَّتِي أُخْرِجَتْهَا لَنَا قَرَائِحُ الْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ عَبْرَ مَنَاتِ السَّنِينَ، إِذْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ بِحَقِّ تَرَوَةٍ مِنَ التُّرَاثِ الْفِكْرِيِّ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي شَتَّى مَجَالَاتِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، كَانَ لَهَا دَوْرُهَا فِيهَا نَالَتْهُ الْأُمَّةُ مِنْ تَقَدُّمِ رِقِّيِّ وَأَزْدِهَارِ فِي الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ أَرْوَبَا وَالْعَرَبُ عُمُومًا يَرْزَحُونَ تَحْتَ نِيرِ الْجَهْلِ وَالْأُمِّيَّةِ، مِمَّا دَفَعَ قَادَتَهُمْ وَكِبْرَاءَهُمْ إِلَى التَّحَايُلِ عَلَى جَلْبِ الْكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ إِلَى دِيَارِهِمْ، وَأَنْكَبُوا عَلَى تَرْجُمَتِهَا وَدِرَاسَةِ مَا فِيهَا مِنْ فِكْرٍ إِنْسَانِيٍّ عَظِيمٍ مِمَّا كَانَ لَهُ الْأَثَرُ فِي نَهْضَةِ أَرْوَبَا مِنْ كَبُوتِهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

وَيَشْغُلُ هَذَا التُّرَاثُ فِي نَفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ مَنْزِلَةً عَالِيَةً جَعَلَتْهُمْ يَعْمَلُونَ عَلَى تَحْدِيثِ الثَّقَافَةِ.

فَلَا عَجَبَ أَنْ تَشْغَلَ هَذِهِ الْمَخْطُوطَاتُ الَّتِي تُمَثِّلُ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنْ تَرَاثِنَا أَنْهَانَ الْمَعَاصِرِينَ، وَأَنْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا بِالْعَيْنِ الْفَاحِصَةِ، وَأَنْ يَقِيمُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَرَكَتِهِمُ الْمَعَاصِرَةَ هَذِهِ الْجَسُورَ الَّتِي تَمُرُّ مِنْ فَوْقِهَا الْأَجْيَالُ الْقَادِمَةُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى بِنَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ.

لَقَدْ عَرَفَتْ حَلَقَةُ حِمَايَةِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَيْسِيرِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، الَّتِي عُقِدَتْ فِي بَغْدَادِ، وَفِي الْمَادَةِ الْأُولَى مِنْ مَشْرُوعِ حِمَايَةِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ مَا يَأْتِي:

\* مديرة قسم التجليد في مكتبة الأسد الوطنية.

١- الجوهري، محمد عدنان، مقالة بعنوان المخطوط العربي حفظه وصيانته وتيسير الانتفاع به، مجلة (الحرفيون)، العددان ٢٦٢-٢٦٣، ٢٠١٦، ص ١٢٠.

٢- د. المشوفي، عابد سليمان، المخطوطات العربية مشكلات وحلول، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠١، صفحة ط وهي المقدمة.



والتجليد اصطلاحاً: هو عملية تجميع صفحات كتاب بين غلافين، أما المجلد فهو من يجلد الكتب. الأدوات والآلات المستخدمة في تجليد المخطوط: لقد ارتبط فن التجليد في تطوره وتقدمه بتطور شكل الكتاب في العصر الإسلامي، وقد تعددت الأدوات والآلات المستخدمة في عملية التجليد، ومنها:

١. البلاطة أو الرخامة.

٢. المسنن.

٣. المكابس.

٤. المنفذ.

٥. الإبر.

٦. الرزم.

٧. المشط.

٨. الملف.

٩. الملزمة.

١٠. المعصرة.

المخطوط: هو كل ما دون باليد أيًا كانت لغته، ونوع كتابته، ويبلغ في القدم مئة سنة فأكثر، ويُعد جزءاً من المخطوط، ما يلحق به من غلاف، أو غطاء، أو وعاء يُحفظ به.

ويؤخذ في حكم المخطوط، الوثائق، والبرديات، والرُسوم، والصُور، والجداول، والخرائط، بشرط توفر الشرطين المنصوص عليهما في الفقرة الأولى.<sup>(٣)</sup>

أما التجليد لغةً: فهو لفظة مأخوذة من كلمة الجلد الذي يعني غشاء الجسد،<sup>(٤)</sup> والجلد الشدة والقوة والصلابة والجلادة<sup>(٥)</sup>.

٣- الجوهري، محمد عدنان، مقالة بعنوان المخطوط العربي حفظه وصيانته وتيسير الإنتفاع به، مجلة (الحرفيون)، العددان ٢٦٢-٢٦٣، ٢٠١٦، ص ١٢٠.

٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣، بيروت، ١٩٥٦م، ص ١٢٥.

٥- المرتضى الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الجديد للطباعة، ج ٤، بيروت، ص ٣٩٦.



١١. المسطرة.

١٢. البيكار<sup>(٦)</sup>.

وفي عهد أجدادنا ارتقى العلم، فانتشر وتناثرت مظاهره في كل بيت، ولدى كل عائلة، كان الجميع في الحواضر العربية يعرفون القراءة والكتابة، ولم تكن هناك أمية، ولا أنصاف متعلمين ولا جهلة، فما يؤلف كتاب حتى تتلقفه دكاكين الوراقة متعهدة إياه بالعناية، تحريراً بالخط الجميل وترتيباً، وتزويقاً، وتذهيباً، وتغليفاً، كل هذا بخبرة فنية ودراية.

كانت الكتب المخطوطة باليد تدخل كل مدينة وقرية، فنهل عربُ ذاك الزمان من جميع العلوم، وحسب المشارب والمواهب والهوايات.

وكما أن الكاتب العربي في العصور الإسلامية حرص على ملء المخطوط بالعلوم الكافية، فإن الفنان العربي اعتنى هو الآخر بفنون الكتاب من نسخ، وتنميق، وتلوية بالتزويق الملون والمذهب، وتصوير من باطن ثم من ظاهر (الغلاف) الذي لم يقل روعة عن الصفحات، فكان المخطوط العربي قشيب الحلة لم يقل خارجه عن داخله إبداعاً حتى باتت قراءته لكل إنسان مغرية.

وعبر رحلة الفن الطويلة أجاد الفنان العربي فنَّ التسفير، وتوصل إلى طرق جديدة في هذه الصنعة، وأساليب مبتكرة في تزويقها بالزخارف والصور، كما ابتدع طريقة جديدة في تنفيذ الزخارف على الغلاف، وطريقة الختم الذهبي.

أدى الكتاب دوراً مهماً في تاريخ البشرية منذ القديم حتى الوقت الحاضر، ومن البدهي أن الكتاب

٦- د. حبيب، أحمد كريم محمد، فن تجليد المخطوط الإسلامي دراسة تاريخية، مقالة من مجلة (الدراسات التاريخية والحضارية مجلة الدراسات).

كان قد استحدث بعد أن عرفت الكتابة، ولم يكن في أول ظهوره بالشكل ولا بالحجم اللذين نراهما اليوم، فقد بدأ القدماء كتاباتهم أول ما بدؤوا على الطين والحجر، واستخدمت الألواح الطينية من سكان بلاد الرافدين، وكانت ذات أشكال مختلفة، وحين يكون النص طويلاً كانوا يدونونه على عدد من هذه الألواح الطينية، ويجري ترقيمها بعد ذلك كما ترقم صفحات الكتاب في يومنا هذا.

وإذا كانت ألواح الطين من خصائص حضارة العراق، فإن الملف من البردي وهو (نبات ينمو في المستنقعات وعلى ضفاف نهر النيل، وكان ينزع من المستنقعات التي ينبت فيها ولا يقطع؛ وذلك احتفاظاً بطول الساق، ولا سيما الجزء السفلي منه، إذ كان خيراً من باقيه بالنسبة لغلظه، وكانوا يشقون لباب هذه الساق إلى شرائح رقيقة للغاية، ثم تضغط وتصف صفوفاً الواحدة بجانب الأخرى، وبعد ذلك يوضع فوقها طبقة أخرى من الشرائح، بحيث تكون متعامدة مع الأولى، ثم تطرق بالمطرقة على هاتين الطبقتين إلى أن تلتصقا، ويبدو أن المادة الصمغية الموجودة في هذه الشرائح كانت تساعد على التصاق الطبقتين، أو ربما كانوا يستعملون صمغاً خاصاً لهذا الغرض، ونتيجة لذلك يتكون صحيفة رقيقة من البردي)، كان من خصائص حضارة مصر، ويعود كلاهما إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ويصنع الملف من صحائف البردي بأحجام مختلفة، يبلغ طول بعضها ستة (إنشات)، يُلصق بعضها ببعض مكونة شريطاً طويلاً ليصبح بشكل إسطوانة، وقد كانت الصحيفة الأولى من هذا الملف أكثر سماكة من الصفحات الأخرى؛ لأنها تغطي الملف، وتكون له بمنزلة غلاف.

برجامو، الأمر الذي أدّى إلى التفكيرِ بصنعِ مادةٍ تحلُّ محلَّ البرديِّ، فاهتدوا إلى الرِّقِّ، واستعملوا جنباً إلى جنب مع البرديِّ، وباستعمالِ الرِّقِّ انتقلَ شكلُ الكتابِ من الملفِّ إلى المصحفِ (المُصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين، وهي كلمة حبشية الأصل)<sup>(٧)</sup>، فبدلاً من لصقِ الصَّفحاتِ الواحدةِ بالأخرى، صارت تُرتَّبُ بعضها فوق بعضٍ على شكلِ رزمةٍ تُربطُ من أحدِ جانبيها، الأيسر أو الأيمن حسبَ الجهة التي يبدأ فيها الشَّخصُ بالكتابة، كما كانت في بعضِ الأحيان تُربطُ من جانبيها العلويِّ.

وكان شكلُ الكتابِ في أوَّلِ الأمرِ مستطيلاً قائماً، وكان لا بدَّ لهذا الكتابِ من غلافٍ يمسك بين دفتيه صَفحاتِ الرِّقِّ العديدة المتكوِّنة منها؛ خوفاً عليها من الضَّياع، وبذلك ظهرَ فنُّ تغليفِ الكتابِ وتجليده<sup>(٨)</sup>.

ظهرت الحاجةُ إلى إظهارِ التَّجليدِ بصورةٍ تنمُّ على الثراء، وتعمل على تلبيةِ الاحتياجاتِ الجديدةِ من الكتب، وكانت بعضُ الكتبِ تُجلدُ بالخشبِ المزخرفِ والمطعمِ بالعاجِ والعظمِ والصدفِ، ثمَّ استعمل الورقُ المضغوطُ أو المقوَّى، عوضاً عن الخشبِ في كتبٍ أخرى؛ وذلك لتقويةِ الكتابِ<sup>(٩)</sup>.

ولقد ورث العربُ المسلمون التَّجليدَ، واستعملوه في تجليدِ كتبهم، وكان أوَّلُ كتابٍ عربيٍّ جُلدَ هو القرآن الكريم، علماً أنَّ العربَ عندما ورثوا هذا التَّجليدَ لم يقفوا مكتوفي الأيدي دون إبداعٍ أو إضافةٍ، بل

ولم يكن البرديُّ المادةَ الوحيدةَ التي استعملها المصريون في الكتابة، إذ كانوا يصنعون ألواحاً من الخشبِ المغطى بالجصِّ لتدوينِ النُّصوصِ إلى جانب ألواحِ العاجِ المغلفةِ بالشَّمعِ، وتعدُّ ألواحِ العاجِ المكتشفةُ في مصرَ والمؤرخة من سنة ٢٥٠ قبل الميلاد أقدمَ ما نعرفه من هذه الألواحِ.

أما في الجزيرة العربية فكانت المواد التي يكتبون عليها مشتقةً من صميم البيئة الصحراوية، ولذلك كانوا يكتبون في جاهليتهم على (العُشبِ، والكرانيف، والأكتاف، والأديم...).

ولم يكن الكتابُ في الصِّين بأحسنَ حالاً منه في مصرَ، والعراق، والجزيرة العربية، فقد كتب الصينيون على ألواحٍ تُصنعُ من الخشبِ، إلا أنه لم يصل إلينا شيءٌ من هذه الكتبِ بسببِ حرقها أو إتلافها، وقد استعملوا الحريرَ أيضاً في الكتابة، واتَّخذ اليونانِ الملفَّ البرديِّ، وألواحِ الخشبِ المغلفةِ بالشَّمعِ مادةً للكتابة.

وسارَ الرومانُ على نهجِ اليونانِ، فاستعملوا الكتابَ البرديِّ، والألواحَ الخشبيةَ في شؤونهم الكتابية، وانتشر استعمالُ الملفِّ في غربِ أوروبا على أيدي الرومان.

ثم اهتدى الإنسانُ إلى استعمالِ الجلدِ والرِّقِّ وهو (جلدُ معدةِ الحيواناتِ مثل الماعزِ والعجلِ والغزالِ، ومن المدن التي اشتهرت بصناعاته مدينة برجامو، ويربط علماء الآثار بين اسم هذه المدينة Pergamon، وبين الكلمة الأوروبية التي تُطلقُ على الرِّقِّ Parchment وهناك قصة لا تعرف مدى صحتها بشأن اهتداء مدينة برجامو إلى استعمالِ الرِّقِّ في الكتابة يقال: وقع خلافٌ بين ملكِ هذه المدينة وأحد ملوك البطالسة في مصر، ممَّا جعل الملك المصري يمنع تصديرَ البرديِّ إلى

٧- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٦م، ص

١٨٦.

٨- القصيري، اعتماد يوسف، فن التجليد عند المسلمين، بغداد:

وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٧٩م،

تمهيد.

٩- إبراهيم، عبد اللطيف، دراسات في الكتب والمكتبات: التجليد في

مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٢-١٣.

ثم تُخزَنُ به صحفُ المخطوطِ حتى ينفذَ إلى اللوحِ الآخرِ من الناحيةِ المقابلةِ فيُعقدُ<sup>(١٢)</sup>.

ولفظُ المصحفِ هنا يعني الشَّكْلَ الذي نَعْرِفُهُ للكتابِ اليومِ، وهو وضعُ الأوراقِ بين لوحين أو جلدتين، ويعرفه «ابنُ سيده» بأنه «الجامعُ للصُّحُفِ المكتوبةِ بين الدَّفَتين كأنَّهُ أصف؛ أي: جُمِعت فيه الصُّحُفُ»<sup>(١٣)</sup> يقول القلقشندي: «سُمِّيَ المصحفُ مصحفًا لجمعه الصُّحُفُ»<sup>(١٤)</sup>.

وقد لا تبدو التسميةُ غريبةً إذا عرفنا أنَّ المصحفَ لم يمرَّ بمرحلةِ الدروجِ أو اللفائفِ، وإنما بدأ بصورةِ الكتابِ العاديِّ الذي نعرفه اليومِ، أو بصورةِ الدفترِ على حدِّ تعبيرِ القدماءِ.

ولعلَّ السببُ في انفرادِ المصحفِ بهذا الشكلِ هو أنَّ القرآنَ الكريمَ كلامٌ أولُ نصٍّ عربيٍّ طويلٍ يُكتبُ، لم تكنِ الكتاباتُ قبلَ القرآنِ حتى بعد نزوله بقرنٍ أو أكثرٍ سوى تأليفِ صغيرةٍ على شكلِ مذكراتٍ أو رسائلٍ يسهلُ طيُّها على هيئةِ درجٍ أو لفافةٍ، أما القرآنُ فكانَ نصًّا طويلًا يحتاجُ في كتابتهِ إلى عددٍ ضخمٍ من اللفائفِ والدروجِ، ولا سيَّما إذا تذكرنا أنَّ كتاباتِ ذلك الزمانِ كانتِ كبيرةَ الحروفِ، متباعدةَ الكلماتِ، ولم يكنْ توفيرُ تلكِ الكمياتِ الكبيرةِ من الدروجِ أمرًا هيئًا أو يسيرًا، فضلًا عن ذلك فلم تكنِ تجزئةُ القرآنِ بينها مأمونةَ العواقبِ، فقد تختلطُ اللفائفُ، ويضطربُ النصُّ القرآنيُّ، أدركنا أنَّ طبيعةَ الأشياءِ هي التي قضتْ بأنَّ يُنقلَ القرآنُ من العُسرِ والأكتافِ إلى صُحُفٍ تشكُّلُ فيما بينها

ابتكروا شيئًا لم يُسبِّقوا إليه، وهو اللسانُ الذي تعددتُ أغراضُه.

ولما كانَ العربُ في الحجازِ أهلَ تجارةٍ، وتجارَتُهُم هذه تستوجبُ عليهم حفظها في سجلاتٍ، وهذه السجلاتُ ليست ورقةً واحدةً، بل عدَّةُ ورقاتٍ وعدَّةُ أشخاصٍ، فلربَّما كانت هذه السجلاتُ تُجلدُ بأشكالٍ متباينةٍ وبسيطةٍ<sup>(١٥)</sup>.

أما التجليدُ فهو أسبقُ فنونِ الكتابِ العربيِّ إلى الوجودِ، فقد مرَّ بنا أنَّ «أبا بكرٍ» رضي الله عنه هو أولُ من جمعَ القرآنَ بين لوحين، وفي كتاب «الإتقان» ينقلُ لنا «الجلال السيوطي» عن كتاب «فهم السنن» «للحارث المحاسني» أنَّ القرآنَ كانَ مفرَّقًا في الرِّقاعِ والأكتافِ والعُسرِ، وأنَّ الصِّديقَ أمرَ بنسخه من مكانٍ إلى مكانٍ مجتمعًا، «وكانَ ذلك بمنزلةِ أوراقٍ وُجدت في بيتِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها القرآنُ منتثرٌ، فجمعها جامعٌ، وربطها بخيطٍ حتى لا يضيعَ منها شيءٌ»<sup>(١٦)</sup>.

ومعنى هذا أنَّ بذورَ صناعةِ التَّجْلِيدِ العربيَّةِ وُجدت منذ عهدِ «أبي بكرٍ»، وأنَّ المصحفَ هو أولُ مخطوطٍ عربيٍّ جُلدٌ بالمعنى الواسعِ لكلمةِ التَّجْلِيدِ، ونقولُ بالمعنى الواسعِ إنَّ لفظَ التَّجْلِيدِ مشتقٌّ من الجلدِ، ولم تكنِ الجلودُ قد استعملت في التَّغْلِيفِ في ذلك التاريخِ البعيدِ، وإنما كانت الصُّورَةُ الأولى للتَّجْلِيدِ هي أن يوجَدَ المخطوطُ بين لوحين من الخشبِ مثقوبين في مكانين متباعدين من ناحيةِ القاعدةِ، ويمرُّ بكلِّ ثقبٍ منهما خيطٌ رفيعٌ من ليفِ النخيلِ، يبدأ بأحد اللوحين،

١٢- د. الطلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط ٢.

١٩٨٩م، ص ٢٢٣.

١٣- ابن سيده، المخصص، بيروت: دار الكتب العلمية، ٨ / ١٣.

١٤- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة،

١٩٢٢م، ٢ / ٤٧٥.

١٥- المنيف، عبد الله بن محمد بن عبد الله، دراسة فنية لمصحف

مبكر يعود للقرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، الرياض، ط ١،

١٩٩٨، ص ٨٤، ٨٧.

١٦- الجلال السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب

الأرناؤوط، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١ / ٦٢.

أو ملازم تُخاطُ وتؤلف فيما بينها الصورة التي نعرفها اليوم للكتاب.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ ميدانُ التَّجْلِيدِ يَتَّسِعُ ويجتذبُ الناسَ إليه، ففي فهرست «النديم» نجدُ نِكْرًا لسبعة من المجلِّدين على رأسهم «ابن أبي الحريش» الذي «كان يُجلِّد في خزانة الحكمة للمأمون»<sup>(١٥)</sup>، وشفة المقرض العجيفي، وأبو عيسى بن شيران، ودميانة الأعسر ابن الحجام، وإبراهيم، وابنه محمد، والحسين بن الصفار<sup>(١٦)</sup>. ومنهم من أتقن صناعة التَّجْلِيدِ إلى جانب كونه خطاطًا ورسامًا ماهرًا مثل: علي بن محمد الوراق، الذي كان مقرَّبًا من الخليفة «المنصور» صاحب بغداد، وفي الفترة التاريخية نفسها التحقت ببلاط الخليفة الخطاطة «درّة» التي كانت تُجيدُ التَّجْلِيدَ والزخرفة<sup>(١٧)</sup>.

ومعنى هذا أن التَّجْلِيدَ كان قد أصبحَ في زمنِ «المأمون» فنًّا مستقلًّا عن غيره من فنونِ الكتاب، وكان يحترفه رجالٌ أولو خبرةٍ ودرايةٍ.

ولكنَّ نقطةَ البدءِ في صناعةِ التَّجْلِيدِ العربيَّةِ ترجعُ إلى زمنِ الخليفةِ عثمانَ بنِ عفَّانِ رضي اللهُ عنه، فأبو بكر رضي اللهُ عنه قد جمعَ القرآنَ بينَ لوحين كما مرَّ بنا من قبل، وفي ذلك ما يوحي بأنَّ الأوراقَ لم تكنْ مخيطةً أو ملصقةً بعضها ببعض من ناحية، وباللوحين الخارجيين من ناحيةٍ أخرى، ومعنى هذا أنَّ المصحفَ لم يكنْ قد جُلِّدَ في زمنِ أبي بكرٍ بالمعنى الذي نفهمه من كلمةِ التَّجْلِيدِ، وإنما وُضعتْ أوراقُه

١٥- د. الطلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٢٢٤، ٢٣٥.

١٦- النديم، الفهرست، باعثناء: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٢١.

١٧- عثمان، مجدي، جريدة الاتحاد بالإمارات، مقالة بعنوان: التَّجْلِيدُ أساس صناعة المخطوطات الإسلامي / يونيو / ٢٠١٦م.

صورةَ الدفاترِ أو الكراريسِ أو المصاحفِ كما كان يُسمِّيها الأحمش.

ولم تكنِ الأُمَّةُ العربيَّةُ في ذلك بدءًا من الأممِ، ففي أوربا كان ظهورُ الإنجيلِ من أهمِّ العواملِ التي دفعتْ عجلةَ التَّطَوُّرِ في شكلِ الكتابِ من اللفائفِ Roll Form إلى الدفاترِ Codex form؛ ذلك أنَّ رهبانَ الأديرةِ كانوا هم الطَّبقةُ الكاتبةُ في القرونِ الأولى للمسيحيَّةِ؛ أي: إنهم كانوا يقابلون الطَّبقةَ التي عُرفت عند العرب فيما بعد بطبقةِ الوراقين أو النساخين، وأمسى هؤلاء الرهبانُ الذين كانوا يقومونَ على نسخِ الكتابِ المقدَّسِ وإذاعتهِ في الناسِ بشروحهِ وتعليقاتهِ خلال القرنينِ الأوَّلينِ من ظهورِ المسيحيَّةِ، قد أحسوا بتعذُّرِ الإحالةِ أو الإشارةِ إلى نصِّ معينٍ من نصوصه إذا هو كُتِبَ على درج، ففكروا في طريقةٍ أخرى يمكن بها التغلُّبُ على تلكِ المشكِّلةِ وعلى غيرها من المصاعبِ التي يتعرَّضُ لها قارئُ الدروجِ، وكان من نتيجةِ ذلك ظهورُ Codex form، وهكذا ارتبطَ ظهورُ الدفاترِ بظهورِ المسيحيَّةِ، واستُعملتْ أوَّلُ ما استُعملتْ في كتابةِ الأناجيلِ، ثم عمَّمت بعد ذلك على سائرِ الكتاباتِ التي تعالجُ شؤونَ الحياةِ.

وفي الحبشةِ أُتيحَ للمسلمينَ الذين هاجروا إليها والمسلمينَ الذين كانوا يتَّجرونَ معها أن يطلعوا على كتبٍ في شكلِ دفاترٍ وكراريسٍ، فلم يكنْ غريبًا أن يصطنعوا تلكَ الطريقةَ لكتابهم المقدَّسِ منذ بدؤوا ينسخونه في المصاحفِ زمن الخلفاء الراشدين، وفي حين ظلَّت الدروجُ تُستعملُ في المكاتبِ، وربما في التَّكْلِيفِ الصَّغيرةِ حتى عصرِ بني العباسِ.

فحتى منتصفِ القرنِ الثاني الهجريِّ لم يكنْ لدى العربِ كتابٌ يمكنُ أن يُجلِّدَ غيرَ المصحفِ الشريفِ، ثم بدأتِ المصنفاتُ تُخطُّ على أوراقٍ تتخذُ شكلَ كراساتٍ

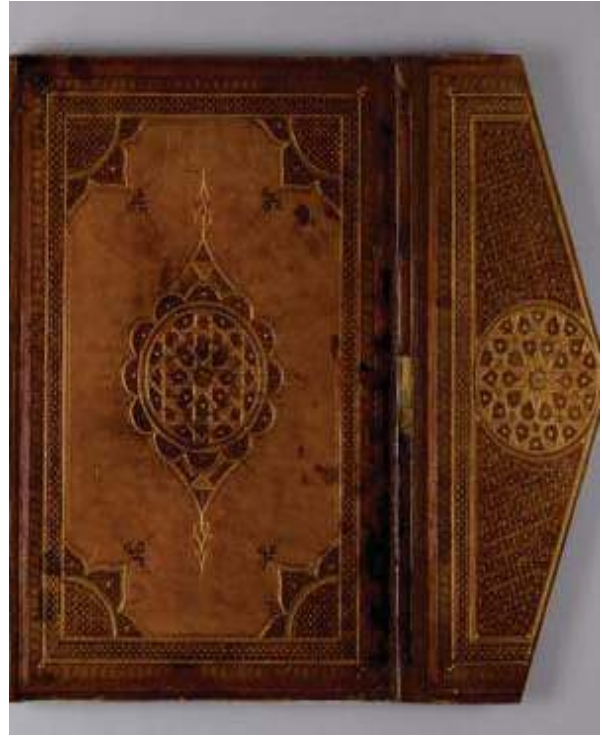




لأنّها لم تكن تقوى على تحمّل ثقل الكتاب، وضخامة حجمه، ومن أجل ذلك ظلّ الخشب هو المادّة المفضّلة بالنسبة لمثل تلك الأحجام<sup>(١٨)</sup>.

على أن زخرفة الألواح الخشبيّة وتطعيمها بالعاج لم تكن هي الطريقة الوحيدة التي اصطنعها المصريون لتزيين أغلفة مصاحفهم الضخام، وإنّما وُجدت طريقة أخرى تقوم على تغطية ألواح الخشب بالجلد وزخرفة هذا الكساء الجديّ بألوان مختلفة من الزخارف العربيّة والإسلاميّة، وظلت تلك الطريقة متبعةً في مصر وفي غير مصر بضعة قرون حتى بدأ استعمال الصفائح المعدنيّة في عصور متأخرة.

هذا بالنسبة للأحجام الكبيرة، وهي في جملتها لا تُشكّل إلا قطاعاً صغيراً في عالم المخطوطات العربيّة، أمّا الأحجام المتوسطة والصغيرة التي يسهل عملها



بين لوحين ليس غير، ولم يكن يمكن أن يجلد المصحف إلا في زمن الخليفة عثمان الذي جمع الناس على مصحف واحد بعث بنسخة منه إلى كل مصر.

ومن المدينة المنورة خرجت نسخ المصحف الشريف إلى الأمصار، وكل واحدة منها بين لوحين بسيطين من الخشب لا فنّ فيهما ولا حلية ولا زخرفة، ثمّ لم يلبث العرب أن وجدوا عند أقباط مصر رُقياً وازدهاراً في هذا الفنّ، فلم يجدوا بأساً في أن يقتبسوا من فنّهم، وينسجوا على منوالهم بعد أن دخلت مصر تحت راية الإسلام.

وكان أهل مصر خاصّة يستعيضون عن الخشب في التجليد باستعمال خامة محليّة هي البرديّ، فكانوا يصنعون من لبايه ورقاً مقوّى يستخدمونه في تغليف المصاحف والكتب، ولا سيّما ما كان منها صغير الحجم، أمّا المصاحف الكبيرة التي كانت تُخصّص عادةً للمساجد فلم تكن تلك المادّة الهشّة تصلح لها؛

١٨- د. الطوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط ٢،

١٩٨٩م، ص ٢٣٥-٢٣٦.



حولها كل إمكانات التقدم والنجاح، «واستطاع فنانون العرب أن يتفوقوا على ما صنعه الأوروبيون والمناوية والزرادشتية في هذا المضمار. وفي العراق (ما بين النهرين) والأندلس (إسبانيا) بوجه خاص كان هناك اهتمام خاص بتجليد الكتب، وفي إسبانيا كانت مألقة قبل كل شيء. مستودعاً للنفيس الفاخر من الأعمال الجلدية، وكان لجماعي الكتب وأمرأه المسلمين العظام (الذين شجعوا على إقامة المكتبات العظيمة) دوراً لا يُجحد في هذا التطور المنقطع النظير الذي حدث في صناعة الكتاب في العصور الوسطى»<sup>(٢٢)</sup>.

وإذا كان الزمن لم يبق لنا من تجليدات القرون الأولى للهجرة الشيء الكثير، فمن غير المعقول. كما يقول جروهمان. أن تزدان صفحات المصاحف الأولى (مصاحف القرنين الثالث والرابع على وجه الخصوص) والفواصل بين السور والسجرات بالزخارف الملونة في حين تبقى جلودها عارية من الحلي والزخارف، وبين أيدينا نصوص وأخبار تدل على أن التجليد العربي كان قد وصل إلى درجة عالية من التقدم والرقي على مشارف القرن الرابع الهجري، وهكذا لم يبلغ القرن الرابع الهجري مداه حتى كانت صناعة التجليد العربية قد بلغت مبلغاً عظيماً من التقدم، ولم يكتفِ المجلدون العرب بإظهار مهارتهم الفنية على الغلاف الخارجي للكتاب، وإنما امتد نطاق فنهم إلى الوجه الداخلي للغلاف، فازدان هو الآخر بألوان من الزخرفة لا تقل عن الزخارف الخارجية روعةً وجمالاً.

ويقول بعض الباحثين: إن عمال التجليد من المسلمين تأثروا في فنونهم وأعمالهم بفن التجليد

٢٢- د. الطلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط٢،

١٩٨٩م، ص ٢٣٨.

ويسهل استعمالها، فلقد كان أول تطور طراً على تجليدها هو استبدالهم بالخشب ورق البردي المقوي الذي كان متوافراً بكثرة في مصر، ثم لم يلبث الورق أن دخل دنيا العرب، فحل محل البردي في صناعة التجليد العربية.

ومنذ أواخر القرن الثاني بدأ الجلد يدخل في صناعة التجليد العربية، فاستعملت شرائط منه في لصق الكعبين، ثم كانت المرحلة التالية هي التوسع في استعماله بحيث يغطي اللوحين من الخارج، والتفنن في زخرفته بحيث يكتسب قيمةً جماليةً في حد ذاته، وبصرف النظر عن مضمون الكتاب<sup>(١٩)</sup>.

وقد وجدت صناعة التجليد في بلاد العرب مجالاً واسعاً، فقد كانت صناعة الجلود موجودةً ومتقدمةً في مناطق متفرقة من الأرض العربية، فمصر. مثلاً. لم تقتصر شهرتها على البردي، وإنما اشتهرت أيضاً بالجلود والأدم (جمع أديم: وهو الجلد المدبوغ إذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره)، فكان يرتفع منها «أديم جيد صبور على الماء ثخين لين» كما يقول المقدسي<sup>(٢٠)</sup>، وكذلك كانت تطلب من اليمن في عصر «الجاحظ» وقبل عصره<sup>(٢١)</sup>، وكانت اليمن «معدن العصائب، وهي: (برود يمانية مخططة) والعقيق والأدم والرقيق»<sup>(٢٢)</sup> على حد تعبير صاحب (أحسن التقاسيم).

وهكذا ولدت صناعة التجليد العربية لتجد من

١٩- د. الطلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط٢،

١٩٨٩م، ص ٢٣٨.

٢٠- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٢٠٣.

٢١- الجاحظ، التبصرة، القاهرة، ١٩٣١م، ط١ ص ٢٧.

٢٢- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م، ص ٩٧.

الكتب في العالم الإسلامي معروفاً ومشهوراً بإتقانه وسيطرته على هذا الفن الجميل.

ونما مع فنُّ التجليد وصاحبه وخدمه فنُّ الزخرفة بالذهب، أو ما نطلق عليه (التذهيب)، هذا الفن الذي يُعدُّ تأثيراً إسلامياً عربياً مباشراً، وأسهم ذلك كثيراً في تجليد الكتب بالحدِّ المزخرف بالرسوم المضغوطة أو البارزة، وقد عُرف فنُّ التجليد أو ما يسميه أهل المغرب (التسفير)، وسمَّاه أهل العراق (التصنيف) (٢٧).

ويذكرُ (النديم) في «الفهرست» أسماءً مذهبيين كانوا معاصرين له، وبعضهم كان قبل ذلك، وكانت الصفحات الأولى من المخطوطات هي المجال الأول لفنِّ التذهيب، يليها بعد ذلك الهوامشُ وبدايات الفصول والعناوين، وأحياناً يُذهبون الصفحة الأخيرة لإيجاد نوع من التشابه أو التقابل، ولم يقتصر التذهيب على الصفحات الأولى من المخطوط، وإنما تجاوزها إلى الجلود وجوانب الكتاب، وكان التذهيب كما يقول (سفندال) أولَ الفنون التي نقلها الإيطاليون قبل كل شيء عن أساتذتهم المسلمين (٢٨).

ولم يكن فنُّ التجليد في الأندلس أقلَّ شأنًا عما كان عليه في بلاد المغرب، فلقد اشتهرت قرطبة بصناعة الجلود عامَّةً، وكان للجلد القرطبي الذي عُرف في العصور الوسطى باسم (أكوردوفان) شهرةً واسعةً ولا سيَّما في عالم التجليد؛ إذ صنَّعت منه جلوداً لكتب تُعدُّ آيةً في دقَّة الصناعة وجمال الفنِّ.

ولقد أسهم كثيرٌ من الخلفاء المسلمين، ولا سيَّما في

الصيني بعد أن طوروه لعملِ غلافاتٍ للكتب العربية والإسلامية، ثم استقلُّوا؛ أي: أصبحت لهم شخصيتهم الفنية المعبرة عنهم في هذا المجال، فأثبتوا تفوقهم في صناعة التجليد حتى صاروا نموذجاً بديعاً لفن الصناعة العربية الإسلامية، وكانت النتيجة أن قلدهم بلاد الغرب والشرق، وأخذت عنهم الكثير والكثير في فنِّ التجليد (٢٤).

وهناك فرقٌ بطبيعة الحال بين تغليف الكتب وتجليدها، فالتغليف هو وضع غلاف الكتاب سواء استعمل الجلد في الغلاف أو لم يستعمل، أما التجليد فهو التغليف بالجلد، ولكن أبناء الحضارة العربية الإسلامية دأبوا على أن يستعملوا كلمة (مجلد) لترادف كلمة (Banded) الإنجليزية، ولعلَّ السبب في ذلك يرجع إلى أن العرب لم يعرفوا في عصورهم الأولى تغليف الكتب إلا بالجلد (٢٥).

ويقول النديم: «إنَّ الكتب كانت تُجلد بجلدٍ مدبوغ في (النورة) وهو شديد الجفاف، إلى أن ظهر دبغ الكوفة وفيه لين، فاستعمل في التجليد، وكان بدء تطوره» (٢٦). يقول العلامة الهندي آية الله: لقد سيطر الذوق الجميل على الذين كانوا يقومون بهذه الصناعة (صناعة التجليد) في العالم الإسلامي، وأقدم ما عُرف عن تجليد الكتب عند المسلمين هو ذلك الذي يقوم به الصنَّاع المصريون المهرة في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، ثم تطوَّر فنُّ التجليد عند المسلمين حتى أصبح التدويق والتذهيب شائعين، وأصبح مجلدٌ

٢٤- د. عبد الله، يسرى عبد الغني، مقالة بعنوان: فن التجليد وأثره في الحفاظ على التراث، ثقافات، ١٦، ٢٠١٦م.

٢٥- شلبي، أحمد، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ص ١٧٢ وما بعدها.

٢٦- النديم، الفهرست، باعتناء: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٤، ص ٣٢.

٢٧- الطباع، إياد خالد، المخطوط العربي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٢١.

٢٨- الحافظ، مطيع، محاضرات في المخطوط العربي الجانب العملي، مقالة في الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات، دمشق، ١٩٨٧، ص ٤٠.

عامّة ومنها فنُّ التجليدِ بصفةٍ خاصّةٍ بالفنونِ الإسلاميّةِ، فقد انتقلت هذه التأثيراتُ أيامَ السّلمِ عن طريقِ الحجِّ والتّجارة، كما انتقلت أيضاً عن طريقِ الحربِ.

وهذا الاتّصال الذي تمّ ما بين الشرقِ والغربِ قد أدّى إلى اطلاعِ الأوروبيين على الصناعاتِ والفنونِ الإسلاميّةِ، كما أدّى إلى نقلِ بعضِ التحفِ الإسلاميّةِ إلى بلادِ الغربِ، حتى اعتقد بعضهم أنّ هذه الكتاباتِ والحروفِ هي طلاسماً لأتباعِ (سليمان).

ولم يكتفِ الأوروبيون بنقلِ العناصرِ الزخرفيّةِ التي كانوا يجدونها على البضائعِ والتّحفِ الإسلاميّةِ، بل عملوا على دراسةِ القوانينِ الزخرفيّةِ لدى المسلمين، وبدؤوا يطبّقون هذه القوانينِ بروحٍ جديدةٍ في تحفِ أوروبّيّةِ.

ولا يُستبعدُ أن تكونَ من بينِ التّحفِ الإسلاميّةِ التي انتقلت إلى أوروبا بعضُ الكتبِ الدينيّةِ، التي أعجب الأوروبيون بزخرفةِ أغلفتها وطريقةِ تنفيذها، ولذلك تأثّر فنُّ التجليدِ الأوروبّي بفنِّ التجليدِ الإسلاميِّ.

ولعلّ من أبرز ما نلاحظه في فنِّ التّجليدِ الأوروبّي استعمالَ الغلافِ الذي يُصنَعُ على هيئةِ الصّندوقِ، وهذا النّوعُ من التّغليفِ كان مألوفاً في مصرَ والقيروانَ، ومن الأغلفةِ الأوروبّيّةِ التي وصلت إلينا بهذا الشّكلِ غلافُ مخطوطِ عبريٍّ من لشبونة من سنة ٨٦٦هـ، ١٤٦١م، وهو محفوظٌ في إحدى المؤسساتِ العامّةِ في البرتغال، وقوامِ زخرفتهِ دائرةٌ تتوسّطُ متنَ الغلافِ مضفورة، كما ملئتُ أرضيّةُ حافاتِ الصّندوقِ بخطوطٍ دقيقةٍ متقاطعةٍ مكوّنةٍ بذلك أشكالاً هندسيّةً مختلفةً.

على أنّ تأثّرَ التّجليدِ الأوروبّي بالتّجليدِ لم يكنِ مقتصرًا على شكلِ الغلافِ فحسب، بل امتدَّ على أبعادِ

بلادِ الأندلسِ، وكذلك الولاة والحكام في تطوّر هذا الفنِّ، فقليلٌ: إنّ أهلَ قرطبةِ الأندلسيّةِ أهدوا الخليفةَ (عبد المؤمن بن علي)، مصحفَ الخليفةِ الراشدِ (عثمان بن عفان) رضي الله عنه، فجمّع الصّناعُ المتقنونَ في سائرِ بلادِ المغربِ والأندلسِ وكذلك المهندسون، والنقاشون، والزوّاقون، والمرّصعون، والنّجارون، والرّسامون، والمجلّدون، وعرفاءِ البنائين، فصنّعوا له أغشيّة من السندس، وبعضها من الذهب والفضة وحلّوه بأنواعِ الياقوتِ وأصنافِ الأحجارِ الغريبةِ الأنواعِ<sup>(٢٩)</sup>.

وقد وصلَ الفنّانُ العربيُّ إلى درجةٍ عاليةٍ من الأصالةِ الفنيّةِ بصناعةِ التجليدِ، وكان المصحفُ هو المجالُ الأوّلُ والأكبرُ لبراعةِ هذا الفنِّ، وكان المجلّدون يُثابونَ على إتقانهم بإجزالِ العطاءِ لهم حتى بلغتْ تكاليفُ المصحفِ دينارينِ.

وإنّ أصعبَ ما لاقاه المجلّدون هو أنّ معاملَ صنْعِ الورقِ قديماً لم تتوصلَ إلى إنتاجِ ما نسّميه اليوم ب (المقوى)، فكانوا يلجؤون إلى لصقِ أوراقٍ كثيرةٍ بعضها ببعضٍ ليحصلوا على ما يسدُّ مسدَّ المقوى؛ ممّا أدّى إلى التّقرّيطِ بكثيرٍ من أوراقِ مخطوطاتٍ متناثرةٍ للحصولِ على المقوى.

### أثرُ فنِّ التّجليدِ الإسلاميِّ في فنِّ التّجليدِ عندِ

#### الأوروبيين

ظلتْ أوروبا نحو ألف عامٍ تنظرُ إلى الفنِّ الإسلاميِّ نظرةَ الإعجابِ والتّقديرِ، وكان السببُ لهذه النظرةِ في أوّلِ الأمرِ هو صلةُ هذا الفنِّ بالأراضي المقدّسة، ثمّ أصبحَ إعجابُهم بعد ذلك بهذا الفنِّ لجماله الذاتي لا غير.

ونتيجةً لذلك فقد تأثّرتِ الفنونُ الأوروبّيّةُ بصفةٍ

٢٩- سليمان، حسين محمد، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٧م ص ١٩٣ وما بعدها.



المسلمون إلى صنّاع الغربِ طريقةً جديدةً في الزخرفة لم تكن لديهم من قبل، ألا وهي ملء الزخارف الغائرة الناتجة عن الضّغط بماء الذهب، وقد تمّ ذلك على أيدي الفنّانين المسلمين الذين كانوا يعيشون في البندقية، أو الذين كانوا يقدون إليها، وقد استبدلت بهذه الطريقة في أواخر القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) طريقةً أخرى لم تكن معروفة من قبل، وهي التذهيبُ بصفائح رقيقة من الذهب تلتصق على الجلدة بآلة ساخنة.

ومن بين الأغلفة التي يظهر فيها هذا التأثيرُ غلافُ مخطوط وصل إلينا من البندقية مؤرخ من سنة ٩٥٣هـ، ١٥٤٦م وهو محفوظ في متحف فكتوريا وألبرت.

قوامُ زخرفته سرّة لوزيّة، وفي الأركان الأربعة للمتن أجزاء من السُرّة، وقد ملئت أرضية هذه الأشكالِ بخطوطٍ دقيقة متشابكة، كما أحيطت بإطار عريض ازدان هو الآخر بخطوط متشابكة، واستعمل التذهيبُ في تزيين جميع زخارف الغلاف.

من ذلك، ويكفي أن نذكر هنا أن أغلفة الشرق الأدنى كانت تقلد في أواخر القرنين التاسع والعاشر للهجرة (الخامس عشر والسادس عشر للميلاد) في إيطاليا، إذ كانت مدينة البندقية قد تشبعت بأساليب الفن الإسلامي، وأخذت تنشره في أقطار أوروبا (وبعبارة أخرى إن مدينة البندقية على وجه الخصوص كانت الجسر الذي عبرت عليه أساليب المسلمين إلى أقطار العالم الغربي).

وقد وصلت إلينا مجموعة من الأغلفة الأوروبية تبدو عليها التأثيرات المراكشيّة والمغربيّة، فقد ازدانت أرضية متن الغلاف بأشكال هندسيّة يحيط بها إطار عريض، وقد ملئت أرضية المتن والإطار بأشرطة بعضها مضمفورة، وبعضها متشابكة، مكوّنة بذلك ما يشبه نسيج الحصر، ويتخلل هذه الأشرطة دوائر صغيرة الحجم، وإن زخارفه هذه أحدثت بالضّغط على الجلدة بآلة ساخنة.

كما تبدو التأثيرات الإسلاميّة في الأغلفة الأوروبية من حيث التكنيك الزخرفي، فقد أوحى الصنّاع



المأخوذة عن الأغلفة الإسلامية، وأقدم ما وصل إلينا من الأغلفة الإنكليزية التي تظهر عليها هذه التأثيرات غلاف كتاب مقدس نُسخ سنة ٩٧٧هـ، ١٥٦٩م، وهو محفوظ في مكتبة (جامعة هارفرد) في أمريكا، صُنِعَ من جلد ذات لون أسود، يتوسط متن الجلد سرّة، وفي أركانها أجزاء من السرّة، ملئت أرضية هذه الأشكال بزخارف عربية قائمة على أرضية مذهبة.

وليس هنا من شك في أن اللسان الذي ما زال مستعملاً حتى اليوم في الأغلفة الأوروبية كان ممّا نقله الأوروبيون عن المسلمين<sup>(٣٠)</sup>.

وإنّه لمن نافلة القول أن نذكر أنّ تأثير فنّ التجليد الإسلامي في فنّ التجليد الأوروبي في عصر النهضة دليل مهمّ على ما بلغه هذا الفنّ من نضج ورقّي وازدهار.

وقد عدّ عمل المجلد الإسلامي من فنون الكتاب العربي الإسلامي، التي ساعدت على ظهور التحقيقات الأولى للكتب العربية الإسلامية، أو ساعدت على إعادة تحقيقها فيما بعد، وعليه فقد أدت دوراً كبيراً في حفظ أوراق الكتب من التلف، فضلاً عن جمال مظهرها الخارجي الذي كان له أثره في إبراز الكتاب، والتأثير في سعره<sup>(٣١)</sup>.

وختاماً نقول: إنّ تقدم هذا الفنّ بلغ أقصى مداه في البلاد العربية والإسلامية، ولعلّ ما تحتفظ به دور الكتب العربية والإسلامية أكبر دليل على ذلك، إذ إنّ السلاطين والأمراء الذين وفّروا للفنانين وقتذاك ما يحتاجون إليه من مواد خام تلزم هذه الصناعة، وأعطوهم الأجور المجزية التي تحفّزهم على الإجادة والإتقان في هذا المجال.

٣٠- القصيري، اعتماد يوسف، فن التجليد عند المسلمين، بغداد:

وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٧٩م، ص ٨٨-٩٠.

٣١- حمادة، محمد ماهر، الكتاب العربي: مخطوطاً ومطبوعاً،

الرياض، ١٩٨٤م، ص ١٨٦-١٨٧.

ومنذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) أصبحت إيران مصدراً متنامياً من مصادر التأثير الإسلامي في التجليد الأوروبي.

وهنا نجد أنّ مدينة فينيسيا مرة أخرى تلعب دور الوسيط الأساس في دخول هذا التأثير إلى أوروبا، وأقدم الأغلفة الأوروبية التي يظهر عليها التأثير الفارسي غلاف مخطوط نُسخ سنة ٩٠٨هـ، ١٥٠٢م من مدينة فينيسيا، وهو محفوظ في قاعة والتر للفنّ، ويتوسط متن الغلاف سرّة دائرية، ملئت أرضيتها بزخارف نباتية بارزة ومذهبة تذهيباً جزئياً، أما أركان المتن الأربعة فقد ملئت بزخارف من الرقش العربي أحدثت بطريقة القطع؛ ممّا أدّى إلى ظهور أرضية من الحرير ذات لون أحمر وأخضر وأزرق فاتح، وفي الفسحة القائمة ما بين السرّة والأركان أغصان نباتية تخرج منها أزهار وأوراق مرسومة بالذهب على خلفية من الجلد المحبّب، ويحيط بمتن الغلاف إطار ضيق ازدان بعنصر زخرفي يشبه حرف (S) الإنكليزي أحدث بالضغط.

وطرق التأثير الفارسي أبواب فرنسا وإنكلترا أيضاً، فعمد مجلدوهما إلى استعمال السرّة وأجزائها القائمة في الأركان في زخرفة أغلفتهم، إذ تملأ هذه الأشكال بزخارف نباتية عربية.

وأقدم ما وصل إلينا من الأغلفة الأوروبية التي تبدو عليها التأثيرات الفارسية بصورة واضحة غلاف مخطوط فرنسي مؤرّخ من سنة ٩٦٢هـ، ١٥٥٤م، وهو محفوظ في مجموعة والتر للفنّ، قوام زخرفته سرّة مفصصة ملئت أرضيتها بزخارف من الرقش العربي، وفي الأركان أجزاء من السرّة، وأحيطت هذه الزخارف بإطار ضيق خال من الزخرفة.

وأتبع الصناع الإنكليز طران هذه الأغلفة الفرنسية



## المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم، عبد اللطيف، دراسات في الكتب والمكتبات: التجليد في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢.
- ٢- ابن سيده، المخصّص، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٣- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣، بيروت، ١٩٥٦ م.
- ٤- الجاحظ، التبصرة بالتجارة، القاهرة، ١٩٣١ م، ط ١.
- ٥- الجلال السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٦- الجوهري، محمد عدنان، مقالة بعنوان المخطوط العربي حفظه وصيانتته وتيسير الانتفاع به، مجلة (الحرفيون)، العددان ٢٦٢ - ٢٦٣، ٢٠١٦.
- ٧- الحافظ، مطيع، محاضرات في المخطوط العربي الجانب العملي، مقالة في كتاب الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات، دمشق، ١٩٨٧.
- ٨- د. حبيب، أحمد كريم محمد، فن تجليد المخطوط الإسلامي دراسة تاريخية، مقالة من مجلة (الدراسات التاريخية والحضارية مجلة الدراسات)، ٩- د. الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، جدة، ط ٢، ١٩٨٩ م.
- ١٠- حمادة، محمد ماهر، الكتاب العربي: مخطوطاً ومطبوعاً، الرياض، ١٩٨٤ م.
- ١١- سليمان، حسين محمد، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنته، القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٧ م.
- ١٢- شلبي، أحمد، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ١٣- الطباع، إياد خالد، المخطوط العربي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ط ١، ٢٠١١.
- ١٤- د. عبد الله، يسرى عبد الغني، مقالة بعنوان: فنّ التجليد وأثره في الحفاظ على التراث، ثقافات، ٢٠١٦ م.
- ١٥- عثمان، مجدي، جريدة الاتحاد بالإمارات، مقالة بعنوان: التجليد أساس صناعة المخطوطات الإسلامي / يونيو / ٢٠١٦ م.
- ١٦- القصيري، اعتماد يوسف، فنّ التجليد عند المسلمين، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٧٩ م.
- ١٧- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة، ١٩٢٢ م.
- ١٨- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الجديد للطباعة، ج ٤، بيروت.
- ١٩- د. المشوفي، عابد سليمان، المخطوطات العربية مشكلات وحلول، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ٢٠٠١.
- ٢٠- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٣ م.
- ٢١- المنيف، عبد الله بن محمد بن عبد الله، دراسة فنية لمصحف مبكر يعود للقرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، الرياض، ط ١، ١٩٩٨.
- ٢٢- النديم، الفهرست، باعتناء: إبراهيم رمضان، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٩٩٤ م.

# الخط العربي

## فنٌ جميلٌ ووسيلةٌ تعليميةٌ

نبيل تلو سوزان أبو حمزة\*

أجمع المفكرّون في مشارق الأرض ومغاربها على أنّ الخط العربي فنٌ إبداعي لم ينل عند أمة من الأمم أو في حضارة من الحضارات ما ناله عند العرب والمسلمين من حظوة العناية به والتفنُّن فيه، فقد اتَّخذوه أولاً وسيلة للمعرفة ونقل الأفكار، ثم ألبسوه لباساً قُدسيّاً عندما جعلوه مجوِّداً جميلاً جديرًا بكتابة آيات القرآن الكريم، ثم أصبح فنّاً يزيّن الكتب والدواوين وجدران المساجد والعمائر الضخمة وسقوفها، فكان في نفسه زخرفةً وفنّاً، فضلاً عمّا يتضمّنه من آياتٍ وتوجيهاتٍ وأشعارٍ وحكم وأفكارٍ سامية، فأصبح بين البناء الشكلي والمضمون المعنوي تلاحمٌ عضويّ يشبه ما بين اللحن أو التجويد وبين اللفظ الشريف، وكان الخط صورة روحها البيان. وهو أيضاً ملكة إبداعية تنوّعت أشكاله حسب اجتهادات كبار الخطاطين الذين رسّخوه بأنواعه وأشكاله، وجعلوا له جماليّةً مستقلة تعمّقوا بأسرارها وفلسفتها، فصارت له قواعد منشورة ورسائل تضمّنت مفردات كثيرة خاصة بفنّ الخط العربي، فدخلت في معجم مفردات الفن التشكيلي العربي الإسلامي، ما أدّى إلى زيادة معرفة أسرارهِ وكشف خباياه، وأقاموا له المعارض الفنية في مختلف أنحاء العالمين العربيّ والإسلاميّ، وجعلوا له جوائز نفيسة يطمح كلُّ الخطاطين لنيلها والفوز بها عبر تجويد خطوطهم.

في هذه المقالة سنتعرّف تاريخ فن الخط العربي وأنواعه، ومن أبدعوا فيه، كما سنتعرّف بعض المخطوطات التي كتبها السلف عن هذا الفن الجميل الفريد، راجين أن يتذكّر كرام القارئ والقارئات والقراء ما نسوه، وأن يتعرّفوا ما لا يعرفونه، آمليّن أن نكون قد قدّمنا لهم المعلومة المفيدة والمهمة.

\* نبيل تلو: باحث في التراث. سوزان أبو حمزة: مديرة خدمات المستفيدين في مكتبة الأسد الوطنية.

ولم يكن معروفًا عنه عند مجيء الإسلام أكثر من نوعين، أولهما: «التقوير» الذي هو خطٌ يميل إلى القساوة، وتغلب عليه التزوية، استُعمل في النقوش وفي الوثائق المهمة التي كانت تُكتب على الرق، وفي المصاحف بصورة خاصة، وثانيهما «البسط» الذي هو أكثر ليونةً واستدارة، واستُعمل في المعاملات اليومية والوثائق والمراسلات الخاصة التي تتطلب السرعة، ثم دخل الخط العربي مرحلة تطوُّر وتطوُّير متسارعين وفي اتجاهين: استكمال مقوماته الوظيفية الكتابية من جهة، وتجويده والنهوض به ليقوم بدور فني جمالي من جهة ثانية، فأصبح فنًا يتطلب مهبةً وفطنةً ودُرْبَةً طويلةً وقد بدأت النهضة الفنية

وجد الإنسان بعد اكتشافه الأبجدية والكتابة الوسيلة التي سجَّل بواسطتها تاريخه، ووثَّق معلوماته، وثبَّت أفكاره ومجريات حياته، فدخل مرحلةً جديدةً بمسيرة الإنسانية، وأدَّى ظهورها في الأرض العربية إلى تأسيس كتابة عربية عمل الإنسان العربي على تطويرها، وإبداع أشكالها المتنوعة بكلِّ ما أُوتي من إرادة وتصميم، وانطلق يبدع ويتفنَّن بالخطوط العربية المتعددة في مدارسها الفنية وأساليبها.

ومن الثابت تاريخياً أنَّ الخط العربي لم ينشأ دفعةً واحدة، مثله في ذلك مثل اللغة، بل نما ونضج مع الزمن، ولكنَّه في بداياته أدَّى دورًا وظيفياً فقط،



خط الفارسي - التعليق



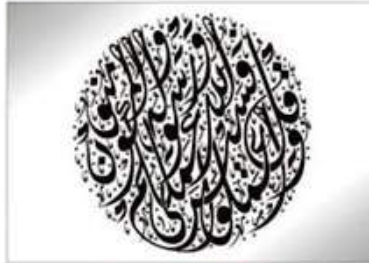
خط الثلث



خط الكوفي



خط الطغراء - التوقيع



خط الجلي ديواني



خط الديواني



خط الرقعة



خط الشكسته



خط النسخ



وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

المك فيصل للبحوث الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية عددها بمئة وسبعة وثلاثين خطأً، ولكن أشهرها خطوط النسخ والتلث والرقعة والفارسي والديواني وجلي الديواني، وكل الخطوط موزعة على ١١ عائلة صنفية، وتعود لأسماء تنتسب إلى الأماكن أو الأشخاص أو الوظائف التي ينتسب إليها أصحاب الخطوط، وندرج فيما يأتي أشهر الخطوط العربية مرتبةً ألفبائياً:

ـ **الإجازة أو التوقيع:** خط قديم اشتق من التلث النسخي، ويتميز بحروفه ذات الألفات المشعرة بترويسات الشعرية في بداية رؤوس حروفه القائمة، ويُنسب إلى مير علي سلطان التبريزي ١٥١٣م.

ـ **الأمانات:** خط مخصص لتسجيل الودائع والأمانات.

للخط العربي مع بناء الكوفة عام ١٧ هـ، ٦٣٨ م، ثم اتخاذها مقراً للخلافة أيام الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، فازدهرت الكتابة مع انتشار الثقافة وزيادة الطلب على المعرفة، فكلف الوراقون الخطاطين بكتابة المخطوطات بإتقان وتجويد لتلبية حاجة القراء، فكانت حرفة الخط مطلوبة، وكان عدد الخطاطين البارعين في ازدياد مطرد، وهكذا تزداد قيمة المخطوط، ويرتفع سعره، وصار الخطاطون بناءً لأساليب وأنماط من الخطوط ومعلمين لأساليبه وأصوله، وكتبة للأراجيز «الأرجوزة نوع من الشعر العربي ينظم من بحر الرجز، يرجح مؤرخو الشعر أنه أول الشعر» والكراسات والرسائل والكتب في الخط، فتعددت أشكال الخطوط العربية، وتنوعت أشكالها متجاوزة حصر الباحثين، وقد قدر مركز





أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله

المنسوب، أو جد قواعده ابن مقلة، وجوّد فيه وأبدع فروعه ابن البواب، وله أشكال عرضها الطيبي، ووصل القمة في عهد ياقوت. ولقد حلَّ التلُّث والنَّسخ محلَّ الكوفي في كتابة المصاحف منذ العصر الأيوبي في مصر والشام، ثم أصبح لكتابة القطع والمركّبات بتراكيب رائعة، ويكمل التلُّث بعلامات التشكيل. ومن أنواعه: التلُّث الجلي، والتلُّث الجليل، والتلُّث الخفيف، والتلُّث الجليل، والتلُّثين.

- **جلي تعليق:** هو الخط الفارسي التعليق، يُكتب بالنسبة الفاضلة على مثل ونصف أي أكبر من المعتاد.

- **الخرفاج:** الخط الموسَّع المبسوط.

- **الديواني:** خطٌ عثماني وضعه الخطاط إبراهيم منيف في عهد السلطان محمد الفاتح، ويختصُّ بالكتابات السلطانية، وكان الوزير شهلا باشا من مجوِّديه ومُشجِّعيه.



فأله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين

- **الأموي:** خطوط ظهرت في العهد الأموي في قبة الصخرة بالقدس وعلى النقود، وفيه يختلط الحرف اليابس مع الحرف اللين.

- **الأندلسي:** خط مغربي انتشر في الأندلس عن طريق المغاربة.

- **التاج:** ويُعدُّ من أحدث الخطوط، نشأ في مصر بأمرٍ من الملك فؤاد، وهو يكتب بالرقعة والنسخ.

- **التعليق:** خط فارسي استمدّه حسين الفارسي من قلم النَّسخ والرِّقاع والتلُّث، يعود إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، وأشهر من أتقنه مير علي سلطان التبريزي.

- **التواقيع:** خط كالتلُّث ولكنه مصغَّر مع بعض الرطوبة أو اللين والتقوير، ويستعمله الخلفاء والوزراء للتوقيع به.

- **التلُّث:** أروع الخطوط وأصعبها، وهو قمة الخط





لوحة خط عربي ولا أجمل

— **الطاووس:** خط تصويري مشتق من رشاقة

شكل الطاووس.

— **الطُّغراء:** رسم يحمل اسم السلطان ليستعمل

توقيعً وختماً في البراءات والفرمانات، ابتكره الخطاطون كيلاً تُقلد بسهولة، ولكي تعبر عن جوانب العظمة والفخامة للسلطان، وأول من استعملها السلطان مراد الثالث المتوفى عام ١٣٨٩م، وتكتب طغرة وطغرى، وتلفظ طُرة، جود فيها راقم وإسماعيل حقي.

— **العهود:** خط تكتب به المواثيق والعهود.

— **الغباري:** نوع دقيق من الخط تكتب به رسائل

الحمام، وهو الصغير جداً من النسخ، ويُطلق عليه وضاح التوقيع.

— **غزلاني:** خط ديواني ممتد الألفات واللامات

يُنسب إلى مصطفى بك المصري.

— **الرُّقعة أو رُقعي:** هو خطٌ سهلٌ يعود إلى عام

١٤٨١م، ولكنَّ المستشار ممتاز بك المتوفى عام

١٨٦٣م جوّده وحدّد قواعده.

— **الرَّيْحَان:** وهو الخط الديواني عندما تتداخل

حروفه، ولا سيما ألفاته ولاماته بما يشبه أعواد

الريحان، ويسمى أيضاً **الغزلاني** نسبةً إلى غزلان بك.

— **الريحاني:** هو خط الثلث يشبه المحقق مع بعض

التصغير، وكلا القلمين لا تطمس فيهما الميم والواو

والعين والقاف والفاء على عكس الرُّقاع.

— **سلجوقي:** خط كوفي زخرفي ظهر في عهد

السلاجقة.

— **سمرقندي:** خط ظهر في عهد بيسنقر بن تيمورلنك

في الهند، كُتبت به الشاهنامه في هرات والمعراجنامه في

شيراز.

— **السُّنبلي:** خط ديواني على شكل السنابل،

وضعه عارف حكمت بتركيا عام ١٩٠٣م.

— **السوداني:** خط بلاد السودان، ويُعرف بثقله

وجلافته لارتباطه بكتابة السودان القومية، ولا سيما

خط الهاوسة في أواخر القرن السادس الهجري.

— **سِياقت:** خط تركي سلجوقي ظهر في مطلع

القرن الرابع عشر الميلادي، وهو قريبٌ من الديواني

ممزوجٌ بالرقعي والكوفي، وهو خطٌ معقدٌ صعب

القراءة بغرض سرّيته، غير أنَّه مندثرٌ الآن.

— **الشطرنجي:** تكوين خطي تمتد فيه الأحرف

متصالية على شكل بيوت الشطرنج.

— **الشُّكُسته:** كلمة فارسية تعني المكسور، وهو

خط فارسي مترابط حسب مبادئ الديواني، أوجده

شفيق، وأكمل قواعده عبد المجيد طالقاني.

— **الصيني:** خط عربي يُكتب بالريشة حسب

التقليد الصيني بالكتابة.



أحد الخطاطين أثناء عمله لاستكمال لوحة خط عربي

— **الكوفي:** هو الخط الذي استعمله العرب المسلمون في الكوفة منذ تأسيسها، ونقله الفاتحون لكتابة اللغة العربية، ولا سيما القرآن الكريم، وجميع المصاحف التي نُسخَت قبل القرن الرابع الهجري كُتبت به، وقد أجاد به خطاطو الكوفة، ثم انتشر في العراق كله، ويكتب بقصبة ذات قطة موحدة، وأنواعه: مائل، مُزهر، معقد، مُورق، مُنْخَصِر، مُعَشَّق. ولقد ابتداءً عفويًا، ثم دخلت عليه الصنعة والتنميق، ثم تطوّر وأصبح لينًا مُقَوَّرًا أو يابسًا مبسوطًا أو وسطًا بينهما كالمصحفي.

— **اللؤلؤي:** أحد الخطوط المتفرعة عن التُّث.

— **المبسوط:** هو الخط الممدود والمنثور.

— **المثلث:** خط يعتمد على الشكل المثلثي في تركيبه.

— **المثنى:** طراز في تركيب الخطوط متعاكس

متقابل، وهو طراز زُخرفي نراه في لوحات «أولى

— **الفارسي:** أو التعليق أو النستعليق أو نسخ تعليق، خطوط متشابهة مع اختلاف في النسبة الفاضلة، وهو خط رشيق جوّد فيه سلطان علي مشهدي.

— **الفاسي:** الخط الذي عرف في مدينة فاس بالمغرب، ويمتاز باستدارات في حروف النون والياء الأخيرة والواوات واللامات والصاد والجيم، ويتميز من الخط القيرواني بالنقط الموضوع على جميع الحروف النهائية.

— **قرمة تعليق:** هو الخط الفارسي إذا اختلطت حروفه بحرف من قلم آخر.

— **القيرواني:** خط كوفي رائع ظهر في القيروان بتونس، ويعود إلى القرن الخامس الهجري، وسعى الخطاطون القيروانيون إلى تلطيف حدة زوايا أشكال الحروف، ومنهم الحارث بن مروان وابنه يحيى، وكانا يزاويان الخط في بلاط المعز بن باديس.



لوحة خط عربي تزيّن بيتاً

أنواع: الكوفي المصحفي المائل، والكوفي المصحفي المشق، والكوفي المصحفي المحقق.

— المطلق: خط تداخلت حروفه وتواصلت، يستعمل في الكتابات العامة.

— المغربي: خط ملطّف عن الكوفي ثم تحرّر قليلاً، وهو لا يقوم على قواعد وموازين، بل على تكوين ذوقي نسبي لنص أو جملة، ومن أنواعه: التونسي، والقيرواني، والفاسي، والجزائري، والأندلسي.

— المغماة: ومعناها اللغز، وهو خط مطموس.

— المقترن: هو الخط المتلازم بعضه مع بعض.

— الممزوج: هو الخط المختلط الأحرف.

— المنسوب: هو الخط الذي أرسيت قواعده على أسس، وتكوّنت شخصية الحرف فيه بعيداً عن التكوين الهندسي النمطي، نموذج الأول خط الثلث، وهو على عكس الخط الموزون يعتمد على النسبة الأفضل، ولذلك سُمّي المنسوب.

— الموزون: هو الخط الذي يعتمد على المسطرة والآلة كالكوفي بأنواعه.



دوام الحال من المحال

جامعي» بمدينة بورصة، ويسمى بالتركية «آينه لي»، أي مرآتية، من مجوديه محمد شفيق.

— المجموع: نوع من الخط مركّب.

— المجوهر: خط مغزلي مبسوط.

— المحقق: من خطوط الثلث، وهو من أحسن الخطوط وأصعبها، وهو كالموثق مع اختلاف في الواو والنون والراء والياء، ويختلف عن الثلث في طول ألفاته وبعض اليبوسة، ويُنسب إلى ابن البواب.

— المخفف: هو الخط القليل التعقيد والمبسّط.

— المدمج: هو خط بعض حروفه مدموجة ببعض.

— المدور: خط دائري التشكيل ليّن.

— المرسل: الخط الذي لا يتقيّد بقاعدة وغير مركّب.

— المرصع: خط أحرفه منمّقة موزونة.

— المزوي: هو الخط الذي يعتمد على الزوايا

والأشكال الهندسية، وهو خط معقد مبتكر يعتمد على حسن التنسيق والتكامل وملء الفراغ، وقد يُضاف إليه بعض الزخارف.

— المسلسل: خط اتصلت حروفه على شكل سلسلة

ولا سيما الألفات واللامات.

المصاحف: هو الخط الوسط بين اللين واليابس،

يأخذ من اللين مرونته، ومن اليابس هيئته، ظهر في القرن الخامس الهجري، واستمر ثلاثة قرون، وله



رسالة ابن مقلة في الخط والقلم

### يا من يريد إجادة التحرير

#### ويروم حُسن الخط والتصوير

واشتغل في صباه بتزويق الصور في البيوت، فكان من أقدم ما يُعرف بمهندس الديكور الداخلي، ثم انتقل إلى رسم خُتَمات المصاحف وتذهيبها، ثم انصرف إلى كتابة الخطوط. في القرن السابع الهجري، شَرَحَ الخطاط الدمشقي مولدًا سنة ٦٤٧ هـ، العراقي دراسةً، المصري مسكنًا وموطنًا ووفاةً سنة ٧١١ هـ، القصيدة الرائية، ومخطوطة الشرح من محفوظات دار الكتب المصرية بالقاهرة.

- **ابن مُقَلَّة:** الكاتب والوزير أبو علي محمد بن مقلة، كان أوحد الدنيا في كتابة قلم الرِّقاع والتوقيعات، توفي في بغداد عام ٩٤٠ م.

- **الأحْوَل التَّبْرِيْزِي:** اسمه إبراهيم بن عبد الله، خطاط وشيخ أسرة من الخطاطين هم أولاده وحفداؤه، ورث الخط عن أبيه، ولم يكن يُعرف بزمانه من هو أحسن خطًا منه.

- **الأماسي:** حمد الله، أول الخطاطين العثمانيين (١٤٢٩ - ١٥٢٠ م)، اشتغل في ظل السلطان بايزيد الثاني، كتب سبعة وأربعين مصحفًا، وورث أولاده وحفداؤه براعة الخط.

- **أمين:** محمد أمين بن مصطفى البغدادي (١٨٦٥ - ١٩٨٦ م)، كبير الخطاطين المعمرين، اشتهر بخط التعليق.

- **بدوي:** علي بدوي من مشاهير الخطاطين في مصر، وهو مدرس الخط في الأزهر الشريف وفي



خير الناس أنفعهم للناس

- **النستعليق:** هو خطٌ فارسي «تعليق» مستمد من النسخي، وأقدم ما كُتِبَ به مخطوط كتبه البيهقي سنة ١٠٣٨ م، وجوَّده مير علي سلطان التبريزي.

- **النسخ:** وهو الأكثر انتشارًا في عصرنا، فهو خط القرآن الكريم والكتب المطبوعة، ويتمتع بمرونة تجعل استداراته تخفف الزوايا الحادة. ونظرًا لوضوح أشكال حروفه وندرة الالتباس في قراءتها، فقد اعتمده الخطاطون كثيرًا، ولا سيما المبتدئين، فاجتهدوا في تنويع رسمه، فكان الخط النسخي القديم والخط النسخي الحديث.

- **النسخ الوراقي:** يمتاز هذا الخط بالميل والاضطجاع نحو اليمين، وكتابة الوراقين لا تخضع لقاعدة أو تأنق.

وما كان للخط العربي أن يزدهر وينتشر لولا ظهور الخطاطين الذين شغفوا بهذا الفن المتميز، وملكوا إبداعه بالفطرة، وصقلوا موهبتهم ونمَّوها بالمراس والمواظبة، والتقوا نظراءهم من الخطاطين، ومن أشهرهم في الحضارة العربية الإسلامية بالترتيب الألفبائي:

- **ابن البواب:** هو الخطاط البغدادي علي بن هلال أبي الحسن بن هلال المتوفى عام ١٠٢٢ م، كان خطاطًا وكاتبًا وشاعرًا، له «الرائية» وهي قصيدة في ثلاثة وعشرين بيتًا وضعها في صناعة الخط ومطلعها:





من تحقيق رسالة في الخط والقلم لابن قتيبة

رسا، له لوحات رائعة من الخط التُّلث الذي اشتهر به، ومن تلاميذه المعاصرين محمود هوارى.

— محمد صبحي البيلاي: (١٨٨٣ – ١٩٤١ م):  
وُلِدَ وتُوفِّيَ بدمشق، خطاط موهوب من جيل الرواد، أتقن أنماط الخط العربي وامتاز بالنسخ والنستعليق، ووصل بخطه في النسخ إلى ما وصل إليه الصفوة من الخطاطين أيام الدولة العثمانية، كما ارتقى بفنه في النستعليق إلى مراتب الكبار من بلاد فارس، وخلف تراثاً يشهد له بذلك.

— محمود الهوارى: (١٩٣٩ – ٢٠١٠ م):  
وُلِدَ وتُوفِّيَ بدمشق، درس الخط على يدي الأستاذ بدوي الديراني، ونال منه الإجازة في جميع أنواع الخط العربي عام ١٩٦٦، كما تتلمذ أيضاً للخطاطين هاشم البغدادي وحامد الآمدي، شارك في لجان التحكيم في عدة مسابقات للخط العربي،



معارض إبداعات الخط العربي مستمرة

مدرسة تحسين الخطوط، وله آثارٌ كثيرة في مصر، توفي عام ١٩٣٤ م.

— البصري: الحسن البصري، أول خطاط في سلسلة الخطاطين المَجُودين بعد علي بن أبي طالب.  
— التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي الصوفي البغدادي المتوفى عام ١٠٠٩ م، وله في الخط: «رسالة في علم الكتابة».

— زهير زرزور: (١٩٢٧ – ٢٠١٣ م): وُلِدَ وتُوفِّيَ بدمشق، برع في الخط الرقعي الذي تعلّمه على يد الخطاط التركي الراحل محمد عزت، الذي يُعدُّ من أهم خطاطي الرقعة في العالم الإسلامي.

— سعد الدين: سليمان سعد الدين (١٧١٨ - ١٧٩٢ م)، خطاط شهير وصاحب المؤلفات في الخط والخطاطين، من أهمها: «تحفة الخطاطين».

— سيّد: إبراهيم سيّد، من أشهر الخطاطين في مصر والوطن العربي، برع بالخطوط جميعها، وله آثارٌ كثيرة، ونشر أرجوزة وكراسة في فن الخط تؤكدان براعته الخارقة، درّس الخط بجامعة القاهرة، وفي مدرسة تحسين الخطوط.

— محمد بدوي الديراني: (١٨٩٤ - ١٩٦٧ م)، وُلِدَ وتُوفِّيَ بدمشق، أخذ الخط عن الخطاط التركي يوسف

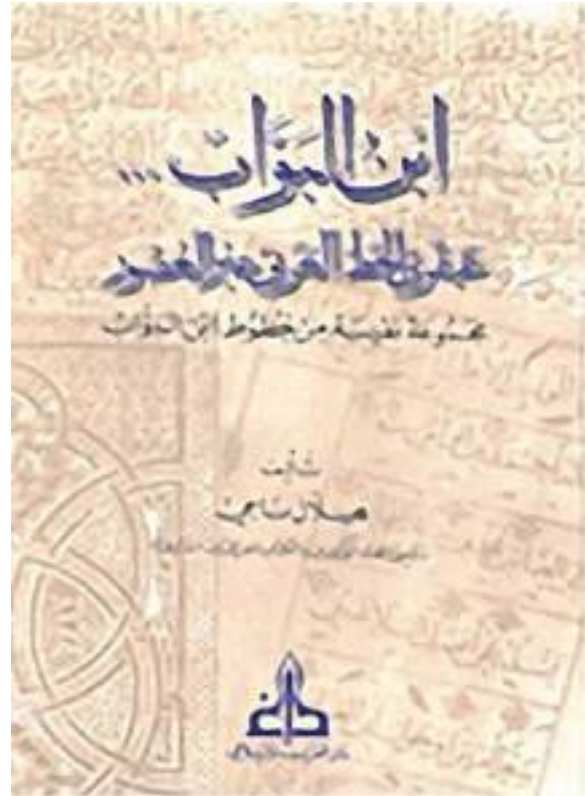




كتاب العناية الربانية في الطريقة الشعبانية تحقيق هلال ناجي بالأندلس ١٧٠ امرأة انصرفن لنسخ المصاحف بالخط الكوفي، واشتهر منهنّ لبنى وعائشة بنت أحمد وراضية مولاة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله. ومن خطاطات المغرب «دُرّة» التي عاشت بكنف البلاط الصنهاجي، ومن آثارها مصحف «الحاضنة» الذي أنهته عام ١٠١٩ م.

أمّا زينب فهي الشيخة الكاتبة المعروفة باسم شهدة بنت الأبري، أخذت عن محمد بن منصور تلميذ ابن البواب، توفيت عام ١١٧٨ م.

وما كان للخط العربي أن يترسّخ ويتوسّع ويتطوّر ويتبوأ مكان الصدارة في الفنون الإسلامية لولا ما أنجزه السلف من تقعيد قواعده عبر القرون في رسائل وأراجيز وكتبٍ انتهى إلينا



الكتاب المحقّق الجامع لخطوط ابن البواب

وشارك في عدة معارض للخط العربي داخل سورية وخارجها، وجرى تكريمه في كثيرٍ منها، كتب مصحفين شريفيين بحروفه الحاسوبية المصممة من قبله بخط الكوفي للخليفة عثمان بن عفّان، والثاني بخط الثلث، صمم الحروف العربية الطابعية بطريقة الضغط عام ١٩٧٤، وحاز شهادة تقدير عن اختراع هذه الطريقة، صمّم عشرة أنواع من الخطوط الحاسوبية.

— ممدوح الشريف: (١٨٨٥ – ١٩٣٤ م): وُلِدَ وتوفّي بدمشق، يُعدُّ شيخ الخطاطين، برع بالثلث والكوفي، عاش من كتابته، درس عليه حلمي حباب ومحمد خير الدمشقي، عاصر السباعي ورسا.

— النساء الخطاطات: شاركت المرأة العربية في الكتابة والنسخ بخطّ جميل، وبلغ عددهنّ في قرطبة



العمدة في الخط والقلم للهيتمي تحقيق هلال ناجي

تماماً. هذا المخطوط من محفوظات مكتبة الفاتح في إصطنبول.

-رسالة ابن مقلة في الخط والقلم: وهي من محفوظات المكتبة الوطنية في تونس، وتعود للقرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، وجاء في مقدمتها ما يلي: «الحمد لله الذي علّم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم، فأنطق به بيانه، وأطلق به بنانه، وأفهم طرّقه إضمار الناطقين بأيديهم، وأسمع بخطه ألفاظ المتكلمين بأناملهم». ومما جاء في باب ذكر ما يختص بكلّ حرف: «الباء شكل مركب من خطين: منتصب ومسطح».

-شرح المنظومة المستنطاة في علم الكتابة: نظم الأصل علي بن هلال الشهير بابن الجواب، شرحه ابن

## بضاعة المجد في

## الخط وأصوله

الشيخ الإمام محمد بن الحسن المنجاري  
كان حياً سنة ٩٤٥ هـ

كتاب بضاعة المجد في الخط وأصوله تحقيق هلال ناجي

بعضها، وطوى الدهر بعضها فيما طوى من ذخائر، ومنها:

-رسالة في الخط والقلم: كتبها: «عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري البغدادي»، المولود في بغداد، والمتوفى فيها عام ٨٨٩ م، وتعدّ هذه الرسالة من أقدم النصوص التي انتهت إلينا في موضوعها، ورد ذكرها في الكتاب التاسع من مخطوطة «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» التي صنّفها مسلم بن محمود الشيرازي، وهي من محفوظات مكتبة ليدن بهولندا، ويمكن عدّها معجماً لغوياً متخصصاً في آلات الخط والكتابة ومصطلحاتها وتصريف تلك المصطلحات.

-كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها:

تصنيف: أبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي، من رجال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، ويتضمّن وجائب الكاتب وأهمية دوره وما يجب أن يحيط به من علوم وفنون، ومن فصوله: «ما يحتاج إليه الكاتب من آلة الكتابة: الدواة، القلم، القرطاس»، وأضاف فصولاً أصيلة وجديدة غير منقولة، ومن هذه الفصول: «أسماء الكواتب من النساء نوات البلاغة»، فهو فصلٌ مبتكر وأصيل، وبعض أسمائهنّ مجهول

## أرجوزة

### في علم رسم الخط

نظمها وشرحها

صالح السعدي الموصللي

أرجوزة في علم رسم الخط للموصللي حققه هلال ناجي

البصيص وابن الوحيد في القرن الثامن الهجري، المخطوط محفوظ في مكتبة عارف حكمت المجاورة لمسجد الرسول (ص) في المدينة المنورة.

#### — غاية المرام في تخاطب الأقاليم: صنّفها الإمام

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سلامة المقدسي الحنفي، من رجال القرن الثامن الهجري، المخطوط من محفوظات مكتبة غوتا في ألمانيا، ومما جاء في مقدمتها: «هذه رسالة خفيفة لطيفة فيها ملحٌ ظريفة شريفة، فالنظوم فيها ابتكرته، والمنثور منه ما سُبقت إليه فحرّرتّه، وكلُّ فقرة من الفقر، فيها عبرة لمن اعتبر، فيا من بالسبق يُفأخر، كم ترك الأول للآخر، وصار كلُّ قلم يخاطب أخاه بلسان حاله».

#### — منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات

الكتابة: صنّفه ابن أحمد الزفقاوي (٧٥٠ - ٨٠٦ هـ)، يُعدُّ هذا الكتاب حلقة مهمة في سلسلة ما صنّفه العرب القدامى في علم الخط، وهو من محفوظات مكتبة العطارين في تونس، مؤرّخة عام ٨٩٨ هـ، ومما جاء في مقدمته: «وبوّبته أبواباً بدأت فيها بذكر من وضع الخط وأصله، ومن فصله ووصله، وذكر من وضع الخط العربي وأقامه، وصنع حروفه وأقسامه، وفضل الخط والقلم وما لهم في ذلك من الحكم، ثمّ نذكر الدواة وصفتها وآلاتها، والسكين وحالاتها، والمداد وأصنافه، والبري وأحكامه،



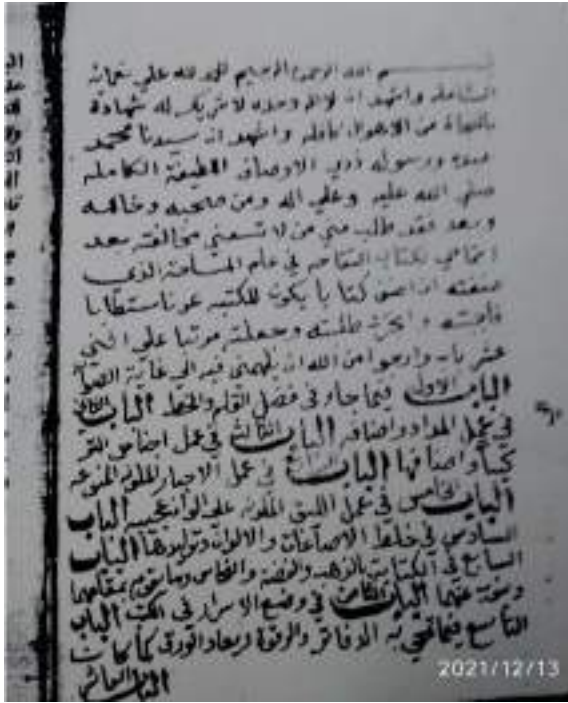
من مخطوط رسالة في الخط والقلم لابن قتيبة

والقط وأقسامه، والتسوية والمط والشكل والنقط، وذكرت حروف المعجم المفردة وأشكالها وهيئاتها وصفاتها، وأتبع ذلك ببقية ما يحتاج إليه من التاريخ والتراب والسحاة والعنوان والطين والختم».

#### — العناية الربّانية في الطريقة الشعبانية:

صنّفها شعبان بن محمد الآثاري القرشي الموصللي المصري (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ)، وورد ذكره في كتاب: «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي المتوفى عام ٨٢١ هـ، ومما جاء فيه: «واعلم أنّ صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته قد جعل طول الألف سبع نقط، مقتضاه أن يكون العرض سبعم طول».

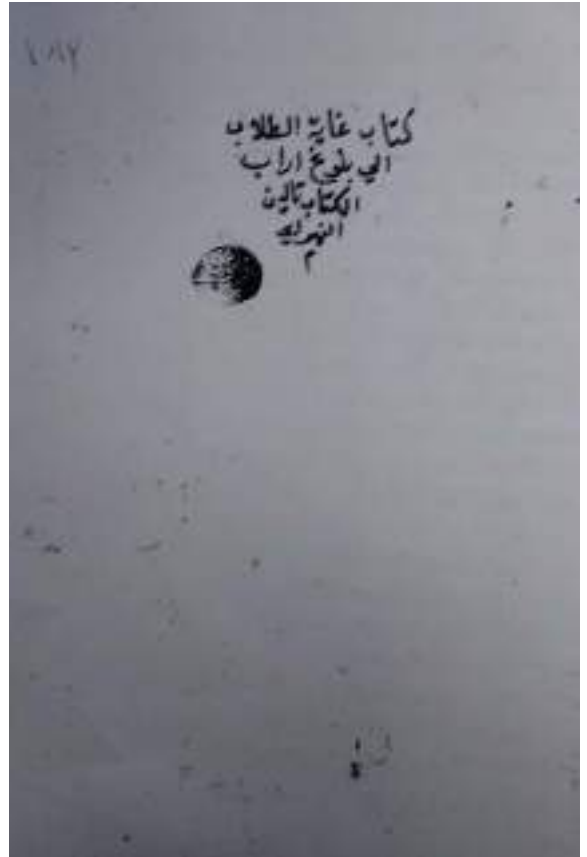
يُذكر أنّ الألفية هي قصيدة من ألف بيت شعري تمثل دستوراً للخط العربي وموسوعته الكبرى، لكنّها في حاجة



فهرس كتاب غاية الطلاب

بن علي الهيتمي المتوفى عام ٨٩١ هـ، وهي من محفوظات دار الكتب المصرية، ومما جاء فيها: «الكلام على الأحرف المنفردة؛ لأنَّ بيان بعضها يغني عن بعض، وكل خط زاهب معترض من يمين إلى يسار استحَب إمالة القلم شيئاً يسيراً والعكس بالعكس، فكن ذا خبرة، واعلم أنَّ أكثر العمل في الكتابة على السنِّ الأيمن من القلم، فإذا ملت عليه انفتح سن القلم، ونزل الحبر، وظهرت القطرات في الألفات وغيرها».

- وضَّاحة الأصول في الخط: نظمها: «عبد القادر الصيداوي» قبل القرن الثاني الهجري تقديراً، وهي واحدة من سلسلة أراجيز وقصائد نظمها مصنّفوها في علم الخط، وهدفوا من ورائها جمع قواعد الخط في متون علمية يسهل حفظها على الطلبة وأولي العلم، وهي محفوظة في خزانة أمير الخطاطين بمصر سيد بن إبراهيم، ومن أبياتها في حرف اللام:



صفحة الغلاف من الكتاب المخطوط غاية الطلاب إلى بلوغ آراب الكتاب ملحة لشرح موسّع يُنثر فيه كلُّ بيتٍ نثرًا علمياً، وتُعزَّر فيه كلُّ حالةٍ بأنموذجٍ قلمي توضيحي، ومن مطلعها:

الحمد والشكر لباري الأمم  
وخالق الخلق ومُجري القلم  
وبعد فالخطُّ عظيمٌ فضله

عند الإله والكرام أهله

- بضاعة المجدود في الخط وأصوله: للشيخ

الإمام العراقي محمد بن الحسن السنجاري، كان حياً سنة ٨٤٦ هـ، وهي أرجوزة محفوظة في مكتبة بالأستانة، وخاتمتها:

فهذه الأصول للكتابة من حازها يفوز بالطلاب  
والحمد لله على التمام والشكر لله على الإسلام  
- العمدة في الخط والقلم: صنّفها عبد الله



به يحرك فبحرفه اکتبا

وبعض أهل العلم حذفه اجتبی

- نظم لآلئ السمط في حسن تقويم بديع الخط:

نظمها سنة ١٢٢٤ هـ أبو العباس أحمد بن محمد الرفاعي الحسني المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ، والمخطوط من محفوظات الخزانة العامة بالعاصمة المغربية الرباط، ومن أبياتها:

والسين والشين كذا ولهما

ثلاث أسنانٍ لكلٍ منهما

وأظهر السين كما في الخبر

واتبع الشين لها في الأثر

واستحسنوا التواء رأس اللام

ورأس أولى السين خذ نظامي

- غاية الطلاب إلى بلوغ آراب الكتاب: مخطوط

من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، ومما جاء في مقدمته: «الحمد لله على نعمائه، وبعد فقد طلب مني من لا تسعني مخالفته بعد إتمامي لكتاب التفحة في علم المساحة، أن أكون للمكتبة عوناً، فأجبتة وأنجزت طلبه مرتباً على اثني عشر باباً».

- شرح على منظومة وسيلة الإصابة في صناعة

الكتابة: ميكروفيلم مخطوط من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية، والأصل محفوظ في مجمع اللغة العربية بدمشق.

- شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام:

ميكروفيلم مخطوط من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية، والأصل محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن قيس الكسلداني.

- عنوان النجابة في قواعد الكتابة: مخطوط

قرص ليزري من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية، الأصل يعود لعبد الله عمر الجبّان، تأليف: مصطفى



تتمة الفهرس

منتصبٌ وبعده مقوَّسٌ وأصله ألف وياء مجلس طولهما على السوا في الرطبه ويابس الأقلام زد منتصبه

- أرجوزة في علم رسم الخط: نظمها

وشرحها في عام ١٢٣٥ هـ صالح السعدي الموصلية المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ، وكان من أنبغ الخطاطين في عصره، قلَّد في ابتداء أمره خطوط المشاهير كابن الشيخ حمد الله الخطاط التركي الشهير المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، ثم شرع في الكتابة على قاعدة حافظ عثمان الخطاط التركي المتوفى سنة ١١١٠ هـ، والمخطوط من محفوظات مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، ومن أبياتها:

ألفاً الهمز اکتبن في الابتدا

وإن يقع حشواً وساكناً غدا

فهو بحرف شكل ما تقدماً

وإن يحرك بعد ساكن فما





حفظاً لقواعده من الضياع والتبعثر، ولا سيما بعد دخول البشرية عصر المعلوماتية منذ أواخر القرن العشرين، وما انبثق عنها - في سياق المقالة - من برامج حاسوبية تتيح إنتاج مختلف أنواع الخطوط، ولكن ليس بإمكانها - بالمؤكّد - بلوغ روح الخط العربي الذي أبدعته أنامل خطاطين كبار استنبطوا أشكاله وأوانه ومعانيه من تجاربهم وثقافتهم، فمألت خطوطهم أصقاعاً واسعة من العالمين العربي والإسلامي، وحسّن ما قامت به الدولة السورية من إقامة متحف للخط العربي في دمشق القديمة جوار الجامع الأموي، ولكنّ هذا الحدث قد جرى منذ سنواتٍ بعيدة، وصارت الحاجة ماسّة الآن في العصر الرقمي إلى إقامة متحف افتراضي يجمع كلَّ

السقطي، الناسخ: حسين سالم الشباسي، عام ١٣٠٩ هـ، وممّا جاء في مقدمته: «هذه نبذة في الخط للعلامة الفاضل مصطفى السقطي أجريت فيها إصلاحات».

— نظم اللآلئ المبدعة في صنعة الكتابة المخترعة: مخطوط من محفوظات مكتبة الأسد الوطنية، كتبه عام ٨٦٤ هـ محمد بن أحمد بن عبد الله، وممّا جاء في مقدمته: «الحمد لله كما علم بالقلم من قد كرما، فعلم الإنسان ما لم يعلم».

ختاماً نقول: لقد استعرضنا في هذه المقالة نزرًا يسيرًا من تراث فن الخط العربي، تاريخاً وأنواعاً وخطاطين ومخطوطات، ولكنّ الواقع يقول إنّ الخط العربي هو أكبر من ذلك بكثير، وهو بأمسّ الحاجة لتحقيق نصوصه وشرحها ونشرها نشرًا علميًا، ووصل حلقاته عبر الزمن،

الدكتور صلاح الدين المنجد، الناشر: دار الكتاب العربي ببيروت، عام ١٩٦٢.

– معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، الدكتور عفيف بهنسي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى ١٩٩٥.

– الموسوعة العربية العالمية، الجزء العاشر، منشورات مؤسسة أعمال الموسوعة بالرياض، ١٩٩٦.

– موسوعة تراث الخط العربي، تحقيق هلال ناجي، منشورات الدار الدولية للاستثمارات الثقافية بالقاهرة عام ٢٠٠٢.

– الموسوعة العربية، الجزء الثامن، منشورات هيئة الموسوعة العربية بدمشق، ٢٠٠٣.

لوحات الخط العربي وتوثيقها، وحسنٌ ما قامت به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بتسجيل هذا الفن في لائحة التراث الثقافي العالمي اللامادي، إذ إنَّها المسؤول العالمي الأول عن حفظ التراث الثقافي الإنساني بكلِّ أشكاله وأطيافه، وكان ذلك في شهر كانون الأول ٢٠٢١.

– المراجع:

– الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب، الدكتور سهيل أنور، مطبوعات المجمع العلمي العراقي عام ١٩٥٨.

– جامع محاسن كتابة الكتاب، جمعه في القرن العاشر الهجري محمد بن حسن الطيبي، قدَّمه





# من التصحيف والتحريف في مطبوعة رسائل بديع الزمان الهمداني

محمد قاسم

بديع الزمان الهمداني أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت ٣٩٨ هـ) واحد من أفاضل الكتاب في المئة الرابعة، لم يُلف مثله في نكاه القريحة وسرعة خاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن؛ إن دعا الكتابة أجابته عفواً، وأعطته قيادها صفواً، أو القوافي أتته ملء الصدور على التوافي، وأملى في نيسابور أربعمئة مقامة في الجد والهزل فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، عدت العوادي على أكثرها، وسلم لنا منها بضع وخمسون مقامةً.

وقد تولى الأستاذ إبراهيم الأحمد الطرابلسي - رحمه الله - نشر رسائل البديع نشرة علمية جيدة ضبط نصها، وعلق عليها بما أزال الغمّة عن كثير من دقائقها، وسماها: «كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان».

وكنت إبان قراءتي فيها قيّدت مواضع منها قدرت أنها مزالة عن وجهها، ومن الكامل في شيء حتى لا يجوز عليه خطأ فيه؟ هذا ما لا يدعيه جاهل فضلاً عن أن يقوله عالم، وقالوا: الكامل من عدت سقطاته، والسعيد من أحصيت هفواته.

وفيما يأتي أمثلة من هذه المواضع مما يحتمله هذا المقام:

• الرسائل ص ٩٢: ومن لم يجد الحميم رعى الهشيم.

الحميم: كذا، وفسره الشارح بالقرب والماء الحار والبارد. والصواب: الجميم، وهو النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم؛ ويقال: في الأرض جميم حسن النبت قد غطى الأرض ولم يتم بعد.

• الرسائل ص ١٩٢: الحبل لا يبرم إلا للقتل، والثور لا يزين إلا للقتل.

كذا، ولعله: لا يربي إلا للقتل.

• الرسائل ١٩٨: ومتى استزاد زدنا، وإن عادت العقرب عدنا، وله عندي إذا شاء، كل ما ساء وناء، ولن يعدم إذا أراد

نقداً يطير فراخه، ونقفاً يصم صماخه... فإن كان الشقاء قد استغواه، والحين قد استغواه، فالنفس منتظرة، والعين ناظرة، والنعل حاضرة.

- أراد نقداً، صوابه: نقراً، والفراخ ههنا الدماغ.

- ونقفاً يصم، صوابه: نقفاً.

- قد استغواه، صوابه: استهواه.

- قد استغواه، صوابه: استغواه، والحين الهلاك. وفسر الشارح الاستغواء ههنا بالاستغاثة ومد الصوت.

• الرسائل ٢٠٦: الولد عبد ليست له قيمة، والظفر به غنيمة.

غنيمة كذا، صوابه: هزيمة.



الرسائل ٢٢٠: اللسان بالقدح أجراً منه بالمدح.

يشبه أن يكون الصواب: أجرى.

• الرسائل ٢٣٩: تشهد بذلك الدفاتر، والخبر المتواتر، وتنطق به الأشعار، كما تختلف عليه الآثار.

كما تختلف، كذا، صوابه: كما تحلف.

• الرسائل ٢٦٤: وله يعاتب بعض أصدقائه: والقطر إذا تدارك على الإناء امتلاً وفاض، والعث إذا ترك فرخ وباض.

العث كذا، ولعل صوابه: العتب.

• الرسائل ٢٧٢: وإنما يُغتاب المرء من وراء ظهره، لا في سوء وجهه.

سوء كذا، صوابه: سوء.

• الرسائل ٣٠٥: ولعن الله أبا فلان لا أراه في اليوم إلا أصاب ذلك اليوم.

لا أراه في اليوم، كذا، صوابه: النوم.

• الرسائل ٣٦٩: ما أجد لعمار مثلاً إلا الغراب لا يقع إلا مذموماً على أي جنب وقع.

لا يقع إلا مذموماً، كذا، صوابه: الأبقع مذموماً.

وغراب أبقع: فيه سواد وبياض، أو في صدره بياض، وهم مما يتطيرون من الغراب الأبقع، ويحضون على قتله.

• الرسائل ٤٠٧: إن النذل لا يَألم العدل.

العدل كذا، وفسره الشارح: العدل ضد الجور. صوابه: العدل، بالذال المعجمة لا بالذال اليايسة، وهو اللوم.

• الرسائل ٤١١: ولا تخلو من حزونة طوسية.

حزونة كذا، ولعلها ثورية مصدر صناعي من الثور. وفي معجم البلدان ٤ / ٤٩: أن أهل خراسان يسمون أهل

طوس البقر.

• الرسائل ٤٢١:

وذلك مجد يملأ العين واليدا

وزاد الإله صيته اليوم سُودداً

صيته كذا، وهو ضبة، ويروى الصدر:

هنيئاً وزاد الله ضبة سُودداً

• الرسائل ٥٠٩: وإذا بيل على سبيل الطائع وهو الخليفة، فمن الجيفة؟

—سبيل، كذا، ولعله سبال، وهي الشوارب، ويعضده رواية أخرى: وإذا هان علي سبال الطائع.

—فمن الجيفة، كذا، صوابه: فمن الخيفة؟

• الرسائل ٥١٦: يبلغني أن أباه دائم العبث بلحمي، والتنقل بشتمي، وأنه حسن البصيرة في بغضي، كثير التناول

من عرضي. ولعمري إن دم الصديق لا يشرب على الرقيق، ولحم الوريد لا يصلح للقديد.

—البصيرة في بغضي، لعل الأشبه أن تكون: نقضي.

—ولحم الوريد، كذا، صوابه: الوريد.

• الرسائل ٥٢٢ الإنسان يولد على الفطرة، من طرفه استطرفه، ومن لمحه استملحه... والضب إذا شب كان بالخيار

إن شاء سمي لحم الحوار، أو لقب برد الخيار، أو شبة بالجار.

—والضب كذا، صوابه: والصبي.

—برد الخيار كذا، صوابه: ذنب الحمار.